الدكتور عمر حليق

موسكو واسرائيل

عرض مدعم بالوثائق لجهود موسكو في خلق إسرائيل
وابقائها

الدار السعودية للنشر
جدة
١٩٦٧

تمهيد

كيف عالج البلشفيك الشؤون العربية

هذا الشرق العربي منذ القدم هدف لمطامع الاقوياء في فترات الضعف العربي .. وموضع اهتمام الاقوياء والضعفاء معا في ازمنة المجد والقوة العربية .

واهتمام الاخرين بشؤون هذا الشرق العربي متشعب ومتواصل لمختلف الاسباب والعوامل التي يتميز بها هذا الشرق مهبط الحضارات والاديان .

وسواء بفضل الاستراتيجية الجغرافية لدنيا العرب التي لم تتبدل كثيراً من عصور الفرس والاغريق والرومان ..

.. وسواء بدافع الدرس العلمي لمعالم الارث الديني لكل الرسالات السماوية مما جعل ديارنا موضع البحث والتنقيب والتمحيص لآثارنا ومخلفاتنا وحضاراتنا القديمة من كل وسط علمي نظيف الصلة او ملوثها بمآرب الاستعمار او التجارة او السلم والحرب ..

.. وسواء بفضل اكتشافات البترول الحديثة في دنيا العرب ..

فان اهتمام الآخرين بذلك كله جعل من هذا الشرق العربي وشؤونه ،

وماضيه وحاضره ومستقبله مسرحا تتسلط عليـه الانوار من مختلف الالوان ولمختلف الغايات والمقاصد .

والروس ، قبل ثورة البلشفيك وبعدها ، لم يشذوا عن بقية دول العالم في اهتمامهم بشؤون هذا العالم العربي .

في اواخر عهد القياصرة كان هذا الاهتمام محدوداً في اجتهاده وفي طاقاته بالقياس مثلا الى ما قام به البريطانيون والفرنسيون والالمان، الذين كانت لهم حكومات اكثر استقراراً وارفع قدراً واكثر ثقافة واشد في المطامع الدولية مما كان عليه القياصرة الروس في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، يوم كانت روسيا مسرحاً لشتى الوان القلق الداخلي . وقد اقتصرت أكثر دراسات الروس في أواخر عهود القياصرة عن احوال الشرق العربي وشؤونه على الشؤون الدينية والتاريخية وقليل جدا من الشؤون السياسية او الاقتصادية. وقد كان للعهود القيصرية الروسية نشاط ثقافي وديني في الوسط العربي كانت تتولاه الكنيسة الارثوذكسية في كثير من التجرد والابتعاد عن الصفة السياسية التي اتصفت بها البعثات الدينيـة الاجنبية التي كان لها نشاط مماثل لنشاط الكنيسة الارثوذكسية الروسية .

ورغم ان الحكم القيصري الروسي كان يستملك السلطـان على قطاعات اسيوية اسلامية المذهب (وبالتالي عربية الثقافة)، الا ان البطش القيصري في سوء ادارته وتخلفه السياسي والفكري لم يعر اهتماماً استثنائياً بمسألة الدرس الدقيق والاستفسار الجدي عن طبيعة الثقافة والخصائص الاسلامية — العربية التي كان عليه ان يهتم بها بسبب سيادة موسكو على اقطـار شاسعة من ديار المسلمين في ازبكستان وتركانيا والقوقاز واذربيجان وجوارها — على نحو ما كانت تهتم به الدول الاوروبية الاخرى — مثل بريطانيا وفرنسا والمانيا مثلاً .

ولكن هذا الكسل الروسي سرعان ما زال عندما استملك البلشفيـك الحكم في ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ .

ولم يمض شهر واحد على استلام « لينين » الحكم حتى دبر هو واعوانه من المثقفين الثوريين (ونسبة اليهود بينهم مرتفعة ارتفاعاً ملحوظاً) الدعوة الى مؤتمر « اسلامي » سوفياتي يضع قواعد العمل الماركسي الثوري في الساحـة الاسلامية والعربية —هومؤتمر «باكو» الذي سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل فيما بعد .

وذلك لان « لينين » كان امهر من معلمه « كارل ماركس » في سرعـة الادراك لاهمية شعوب الشرق في مجال التجنيد للبيعة الماركسية .

فأكثر شعوب آسيا كانت خاضعة للاستعمار الاوروبي، مما يعطي للعمل الثوري هناك مجالا استثنائياً للنشاط المستمر اذا اجيد تجنيده .

فمن مزايا « لينين » في الفكر والتدبير لقواعد الاشتراكية العلمية انـه ادرك في وقت مبكر اهمية استخدام شعار « مكافحة الاستعمار » كسبيـل للوصول الى شعوب الشرق . و « لينين » هو الذي وضع اول واعمق دراسة ماركسية عن « الامبريالية : اعلى مراحل الرأسمالية » [١]

و« الامبريالية » تعبير ماركسي له مفهوم خاص . فهو يشمـل الاستعمار التقليدي (اي احتلال دول اجنبية ديار قوم آخرين بقصد الاستغـلال لهم والسيادة عليهم)، كما يشمل معنى« الامبريالية » ايضاً اية صلةاقتصادية يكون الطرف الاجنبي فيها اقوى وامهر واكثر في الطاقات من الطرف المحلي المتعاون معه او المتعاقد معه، حتى لو لم يكن للطرف الاجنبي سلطان سياسي فعلي او احتلال عسكري مباشر .

وهذه السعة في مفهوم « الامبريالية » كما شرحها « لينين » كانت من ابرع واقوى شعارات العمل الماركسي الثوري في آسيا (وبلاد العرب طبعاً) وفي افريقيا وغيرها من الدول المختلفة او الخاضعة للحكم الاجنبي .

Lenin : Imperialism : The Highest stage of Capitalism

واستشهادنا على « الامبريالية » كمثلٍ للمفهوم الماركسي هو من قبيل الدلالة على أن لهذا المفهوم الماركسي (او ما يعرف بالاشتراكية العلمية) لغة خاصة وقواعد اجتهاد خاص واسلوب متميّز يفسرون به الاحداث ، قديمها ومعاصرها ومستقبلها، في اطار المفهوم الماركسي للاشياء. وهذه اللغة وتلك القواعد وذلك الاسلوب الماركسي فريد من حيث انه يختلف عن المألوف في ثقافات العالم الاخرى - بشتى اللغات وشتى القواعد والإطارات الفكرية وشتى اساليب الدرس والتحليل .

ولذا حين ورث البلشفيك السلطان في روسيا من القياصرة ، كان ميراث الدراسات الروسية القيصرية عن شؤون العرب والاسلام قليل النفع للعهد البلشفي الماركسي الجديد. وكان لا بد لحكومة « لينين» من ان تختار جماعة جديدة ذات ثقافة وعقل وعقيدة ماركسية كاملة ، لاعادة النظر في ذخيرة الروس عن الشؤون العربية والاسلامية التي كانت متوفرة في كتابات المستشرقين الروس (من رجال الكنيسة الارثوذكسية ومن العلمانيين ايضاً) .

واختار العهد البلشفي لمهمة الدرس والتحضير للدراسات العربية والاسلامية وصياغة السياسة السوفياتية الجديدة في ديار العرب والمسلمين نوعين من الرجال : نوع «اكاديمي» متفرغ للبحث العلمي الرصين . والنوع الثاني « ثوري محترف » يتقن اسلوب العمل الثوري الماركسي وكيفية تطبيقه .

وتألف هذين النوعين من اليهود الروس او المتجنسين بالروسية او من جنسيات اخرى جاؤوا في ركاب «لينين » من منفاه الطويل في اوربا الغربية، حيث كان واعوانه واقرب المقربين اليه والمؤثرون عليه يهود من اصحاب العقيدة الماركسية ومن مختلف الجنسيات .

فمن النوع «الاكاديمي» اختار العهد البلشفي الجديد مدرستين للاستشراق يرأسها اليهودين : البرفسور (روزن) رئيس الدائرة الشرقية في جامعة « سانت بطرسبرغ » . والبرفسور (كورش) استاذ الحضارات الشرقية في معهد « لازاروف » اليهودي في موسكو .

اما النوع الآخر « الماركسي الثوري المحترف » فقد ملأه اقطاب من ائمة البيعة الماركسية الثورية ، ذوي التاريخ التآمري الطويل في العمل الثوري، امثال اليهودي (كارل راديك) الذي تولى اعداد المؤتمر « الاسلامي » السوفياتي في « باكو » بعد استيلاء « لينين » على الحكم بشهر واحد عام ١٩١٧ .

ففي المهام النظرية وفي المهام التطبيقية معاً ، تولى اليهود مسؤولية السياسة السوفياتية نحو قضايا العرب والاسلام منذ بدء الدولة الشيوعية الجديدة في روسيا، اي في نفس الشهر ونفس العام (١٩١٧) الذي اصدر فيه الاستعمار البريطاني « وعد بلفور » .

فلا غرابة اذن ، ولليهودية العالمية قدم ونفوذ ثابت في كلا المعسكرين : الماركسي والرأسمالي ، اذ اجتمع كلاهما على تأييد اليهود في ادق واحرج موقف واجهته الحركة الصهيونية العالمية - في اعوام ١٩٤٧ و١٩٤٨ و١٩٤٩ عندما افترست الحق العربي في فلسطين ونالت بركات الامم المتحدة على ذلك الافتراس ، واشترك الماركسيون والرأسماليون معا في منح اليهود تلك البركات.

ولعل من المفيد للرأي العربي ان يتعرف في شيء من الاسهاب على هذين النوعين من النفوذ اليهودي الاكاديمي والثوري في توجيه السياسة السوفياتيه نحو الشرق العربي ، في المراحل السابقة لازدياد النفوذ السوفياتي في احوال الشرق العربي (عبر دول اليسار العربي وحركاته) ، لأن في مثل هذا التعرف فائدة قد تعيننا على ان ندرك طرفاً من اصول السلوك السوفياتي في دنيا العرب ، لحاجات اليوم ولما يخبؤه المستقبل ايضاً .

فدراسة الماضي ضرورية لفهم الحاضر ، ومن ثم الاجتهاد لمعرفة ما يخبؤه المستقبل .

والواقع ان «بلشفة» الدراسات العربية والاسلامية في معاهد العلم الروسية بعد استلام « لينين » للحكم ، كانت جزءا من « بلشفة » معاهد العلم واساليب

الدرس والتعليم والاجتهاد الفكري كله في كل اوجه الحضارة الروسية .

ولكن الظاهرة البارزة ان العنصر اليهودي في القيادة السوفياتية كان حريصاً اشد الحرص على ان يتولى بصفة استثنائية وبصورة عمدية ايضاً كل منصب او مسؤلية في اي معهد او دائرة او حلقة او مركز وقرار سوفياتي له صلة بالشؤون العربية والاسلامية – سواء في الناحية النظرية او في الناحية التنفيذية .

ففي عام ١٩١٨ اي بعد بضعة اشهر من مولد الحكم البلشفي انشأ السوفيات اهم مركز لصيانة قواعد السياسة السوفياتية الجديدة – وهو « المجمع (الاكاديمية) الاشتراكي للعلوم الاجتماعية » . وتفرع من هذا المجمع العلمي عدة معاهد اختصاصية مثل « معهد الاقتصاد العالمي والسياسة الدولية» الذي كان اهم نشاطه متركزاً على شؤون الشرق وقضايا الاسلام في مستهل العهد البلشفي .

وفي عام ١٩٢١ انشأ السوفيات « جمعية الدراسات الشرقية» لوضع قواعد « حركات التحرير الوطني » في البلدان الشرقية خارج الاتحاد السوفياتي ، مع عناية خاصة بشؤون البلدان الاسلامية العربية وايران وتركيا وافغانستان والهند واندونيسيا. وقد تفرع عن هذه الجمعية اربعة عشر مركزاً للدراسات والبحوث وصياغة الاسس والاطارات العامة للعمل الثوري (في محيط الدعاية والتأسيس الحزبي اليساري) في الساحة العربية والاسلامية .

وفي عام ١٩٢٠ قامت الحكومة السوفياتية الجديدة فحولت « معهد لازاروف» المختص بالشؤون العربية والاسلامية الى معهد متفرع لدرس اللغات واللهجات العربية، وتدريسها لرجال السياسة والجماعات المنتمية الى الحركة الماركسية الثورية العالمية. و«معهد لازاروف » هذا يهودي كما يستدل من اسمه.

وفي كل هذه المعاهد والدوائر بلا استثناء كانت الرئاسة والمسؤولية والعمل والبحث والتدريس في يد اليهود من الروس ومن مختلف الجنسيات .

وهذه الظاهرة اليهودية المزمنة في علياء المسؤولين السوفيات لم تقتصر على معاهد العلم ودوائر الحكم (في وزارة الخارجية، وفي قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، وفي مختلف الفروع لجهاز « الكومنترن » الذي يضم جميع احزاب اليسار الماركسي الثوري في جميع انحاء العالم ويربطه بمركزية السوفيات في موسكو)، وانما شملت ايضاً وسائل الاعلام وادق واخطر مسؤليات الدعاية والتوجيه ، ليس فحسب في داخل الاتحاد السوفياتي وانما في كل وسط يساري ثوري يدين بالعقيدة الاشتراكية العلمية .

ففي مجال النشر المختص بشؤون الشرق العربي والاسلامي (اسوة بكل مجالات النشر الرئيسية الاخرى) تولى اليهود رئاسة التحرير ومختلف زوايا التعليق والتوجيه .

وفي مستهل هذا التنظيم الجديد للدراسات السوفياتية عن شؤون العرب والمسلمين اصدرت موسكو مجلة خطيرة الوزن بليغة النفوذ باسم « الشرق الجديد » تولى رئاسة تحريرها يهودي اسمه الاصلي « فالتمان » واسمه الروسي الجديد « بافرلوفيتش » . وكان هذا الرجل في نفس الوقت رئيساً « لجمعية الدراسات الشرقية » التي اشرنا اليها سابقاً .

وتولى يهودي آخر هو « روزشتاين » الأشراف الكلي على ادارة كل المعاهد الآنفة الذكر، وتقرير مواضيع البحث، والموافقة على كل التواصي والاستنتاجات المتعلقة بشؤون العرب والمسلمين في القطاع النظري وفي القطاع التنفيذي للسياسة السوفياتية .

وقد تولى هذا اليهودي ايضاً مهمات دبلوماسية سرية وعلنية باسم الاتحاد السوفياتي في ديار العرب وفي بلاد فارس، وقد زار فلسطين ايضاً ليدبر الحركة اليسارية الثورية في المحيط العربي من هذه القاعدة الماركسية اليهودية في فلسطين في اوائل عهد الانتداب البريطاني. فقد جرى تأليف الحزب الشيوعي في فلسطين عام ١٩١٩ وكان مركز « الاشعاع» اليساري لكل المنطقة العربية

نيابة عن مركزية « الكومنترن » في موسكو .

وتولى يهودي آخر هو « شميدث » منصب نائب رئيس تحرير « دائرة المعارف السوفياتية الكبرى » وهي اكبر واهم مرجع سوفياتي في اي شأن من الشؤون . وكان هذا اليهودي « شميدث » مسؤولا بصفة خاصة عن تحرير ما له صلة بشؤون العرب والمسلمين .

وفي علياء المسؤولية الحزبية (وهي مهمة ذات وزن استثنائي في نظم الحزب الماركسي الواحد) تولي اليهود الدوائر المعنية بشؤون الشرق الاوسط. وكان ابرزهم المدعو « لوناشارسكي » مدير قسم التوعية الثقافية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي . وهذا القسم كان كثير الاهتمام بمعركة « التحويل الاشتراكي » في ديار المسلمين في ازبكستان وجوارها الواقعة في الاتحاد السوفياتي ، وفي ديار العرب والمسلمين المجاورة للاتحاد السوفياتي. ومن هذا القسم الهام في مركزية الحزب الشيوعي السوفياتي كانت نصائح قوالب التأسيس والتدبير للتسرّب السوفياتي الى الشرق العربي – تدبير بدأ في وقت مبكر جدا ، واعطى ثماره الآن – وهي ثمار جميلة بالنسبة للصالح السوفياتي وللصالح اليهودي ايضاً .

وأكبر المختصين السوفيات في شؤون العقيدة الاسلامية وكيفية التغلب على تحدياتها للعقيدة الاشتراكية العلمية هو المدعو « بارتولد » ، الذي لعب اكبر دور في تمييع الاسلام وتفسيره تفسيراً اشتراكياً ليتم « التحويل الاشتراكي » بالعنف او بالدسيسة في ديار المسلمين التي تخضع للحكم السوفياتي .

والرفيق « بارتولد » هذا مؤلف لعدة كتب عن « الاسلام » من الزاوية الماركسية (الاشتراكية العلمية) وهو الذي اخترع شعار « الاسلام دين الاشتراكية » ..

وتولى يهودي آخر معهداً خطير النفوذ أقامه الحكم السوفياتي في أوائل عهده وهو « الجمعية العلمية لدراسة مشاكل القوميات ومشاكل الاستعمار في

الشرق » . كما تولى يهودي آخر رئاسة تحرير المجلة ، والتقارير والتوصيات التي كانت تصدر عن هذا المعهد الهام لصياغة السياسة السوفياتية نحو الاسلام والشرق العربي . وتوجد نماذج طريفه ومخيفة لهذا « الاجتهاد » اليهودي ونفوذه البليغ في علياء الحكم السوفياتي (والاشتراكي الدولي ايضاً) في المجلة الرسمية التي كانت تصدر عن ذلك المعهد – مجلة « مشاكل القوميات والمستعمرات » وفي مجلة اخرى متفرعة عنها مختصة بالشؤون العربية والاسلامية وهي مجلة « الثوري الشرقي » . . .

فالقواعد والركائز وبذور الفكر وأصول السياسة السوفياتية فيما يختص بشؤون العرب والمسلمين وضعت في وقت مبكر بيد اليهود .

وآمل ان لا يمل القارىء من هذا التكرار والالحاح الذي يلمسه في توكيدي المرة تلو المرة والفقرة تلو الفقرة على نماذج هذا الوجود اليهودي في علياء المسؤولية السوفياتية .

فالباحث في المراجع السوفياتية يذهل وتتكرر دهشته عندما يكتشف هذا الرسوخ وهذا الشمول وهذا التركز الواسع الذي استملكته الحماية اليهودية (روسية ومن مختلف الجنسيات) في صميم المعقل الماركسي السوفياتي – وهو بالأمس كما هو اليوم المعقل الرئيسي ايضاً لكل نماذج الاشتراكية العلمية وروائدها الأول وشقيقها الأكبر ، و « الوطن الأم » لكل الاسباط اليسارية الثورية – بما فيها الاسباط العربية ايضاً .

فمن الواجب اذن ان نسجل في مقدمة هذا الكتاب ما يسلمه الباحث في المرجع الماركسي الأصلي . فذلك المرجع يكرر الوجود اليهودي في كل حلقة وكل دائرة وكل مركز بتّ ، وفي كل منصب خطير . فقواعد السياسة السوفياتية فيما يتعلق بشؤون العرب والمسلمين بصفة خاصة كانت خاضعة خضوعاً كاملا للاجتهاد اليهودي وللنفوذ اليهودي وللتوجيه اليهودي وللقيادة اليهودية وللفكر اليهودي وللعقلية اليهودية

وهي عقلية مهما تطعمت بثقافات أصيلة او مكتسبة فتظل في طبعها ونزعتها واهوائها يهودية .

ونحن في هذا الشرق العربي في خصومة أبدية مع الغزو اليهودي لديارنا . ومن العباطة ومن البلاهة ومن الخيانة القومية ومن الجبل بكل مقومات الطمع اليهودي وخصائصه ان يقال بأن هناك فارقاً جوهرياً بين اليهودي الماركسي واليهودي الصهيوني فيما يتعلق بخصومة العرب مع الاغتصاب اليهودي لفلسطين، في سنوات الاغتصاب وفي مستقبل الفعل العربي مع هـــذا الشر الصهيوني في فلسطين .

فمن الجنون ان يترقب العربي من اليهود — من اي الجنسيات وأي الثقافات وأي المبادىء والعقائد السياسية —، ان يؤيدونا في معركة البث العربي مـــع اليهود في اسرائيل .

فمن الخير ومن الواجب القومي ان ندرك في أوسع مجال ممكن مدى هذا النفوذ اليهودي في الفكر الماركسي وفي السياسة السوفياتية أسوة بما نعلمه عن نفوذ اليهود في الغرب، وندرك ما هو دور اليهود في وضع أسس السياسة السوفياتية نحو العرب والاسلام . هذه السياسة السوفياتية التي قد ازدادت الآن نفوذاً وخطورة في دنيا العرب .

وسوف لن نغمط أمانة البحث حقها في تسجيل أي تبديـل او تغيير في خضوع السياسة السوفياتية (في القواعد النظرية وفي مجالات التنفيذ والتطبيق ايضاً) لهذا الدور اليهودي .

ففي هذا الجزء الأول من هذا الكتاب انما نسجل المرحلة الأولى — المرحلة التأسيسية الهامة لقواعد السياسة السوفياتية في الأمور العربية والاسلامية .

وحين نصل الى مرحلة اخرى من مراحل البحث، كالمرحلة التي تلت مولد الدولة اليهودية ، او المرحلة التي تلت زعامة القاهرة مع موسكو بعد اتفاقية

السد العالي عام ١٩٥٦ وما بعد ، سنسجل ايضاً كل تبديل او تحوير او زيادة او نقصان في خطورة هـــذا الدور اليهودي في صياغة السياسة السوفياتية وتوجيهها في المسائل العربية والاسلامية .

فلكل مقام مقال، ولكل حقبة صفة اخرى من صفات التسجيل للاحداث .

والمراجع المتوفرة عن هذه الأمور سخية نوعاً ما في اعطاء الباحث صورة كاملة للعلو والانحسار في دور اليهود الهام في السياسة السوفياتية .

ولن نخادع انفسنا أبداً في التعامي عن اي تطور سوفياتي قد يكون فيه نفع للصالح العربي .

فالمهمة الأولى للكاتب العربي في هذا النوع من الدراسة والبحث والاجتهاد والتوجيه القومي ايضاً ، هو السعي لخدمة الصالح العربي اينما توفرت مثل هذه الخدمة — في محيط السوفيات او في محيط الآخرين .

وفي مسألة علاقة الاتحاد السوفياتي بقضية فلسطين بالذات، فإن تعقب الوجود اليهودي في الفكر والمسؤولية السوفياتية ضرورة قصوى لا بد للكاتب العربي ان يتعقبها ولو نتج عن ذلك تكرار في النص وفي التوكيد .

فنحن لا نؤلف في هـــذا الكتاب « قصة » متناسقة في اطارها وحبكتها الفنية، موزونة في ادوار ابطالها وشخصياتها . ولا نكتب مقـــالاً أدبياً من أصول الكتابة فيه مراعاة بعض قواعد البلاغة والبديع والمنطق .

وإنما نحن نسجل اطرافاً من احداث سياسية معقدة فيهـا صور أغرب من الخيـال . فالسياسة في طبيعتها معقدة. والسياسة الماركسية اكثر تعقيداً من غيرها . والسياسة اليهودية بالنسبة للصالح العربي أشد انواع السياسات تعقيداً وخداعاً وتآمراً ، وفيها من ألوان الغموض والدس وتشعب الدهـــاء وتعدد أساليب الغدر ما يفرض على الكاتب العربي ان لا يهمل اي شاردة وواردة يعثر عليها في مراجع الاستقصاء وفيها اشارة صحيحة لدور اليهود في كل ما يتعلق بالشؤون العربية والاسلامية ، وفي قضية فلسطين بصفة خاصة .

الفصل الأول

لمحة عن تاريخ السياسة السوفياتية نحو الشرق العربي

في خضم المهمات والمشاكل التي واجهت زعماء الثورة الشيوعية في روسيا حين استملكوا على الحكم في اكتوبر عام١٩١٧ تعمد الوجود والوعي اليهودي الذي كان مهيمناً على القيادة الثورية الروسية ان يضمن قدماً راسخة له في صلب السياسة البلشفية للعهد السوفياتي الجديد؛ كما استعرضناه في الصفحات السابقة.

وذلك لأن الاغلبية الساحقة من زعماء الثورة البلشفيك الروس كانوا من اليهود ومن مواليد روسيا أو من مواليد الاقطار الاوربية الاخرى .

فالماركسية في جذورها اجتهاد يهودي . هذه حقيقة يعتز بها اليهود انفسهم ويعلمها كل مطلع على اصول الفكر الماركسي وعلى تاريخ حركاته في كل مكان. فقد صاغ كارل ماركس نظريته ووضع برنامج العمل الثوري حتى الساعة الراهنة وليس من مهام هذا الكتاب استعراض التفاصيل لشرح هذه الحقيقة وتوكيدها، الا بالقدر الذي يسمح به الموضوع المحدد لهذا الكتاب ،

وهـو موقف السوفيـات من القضية الفلسطينية بالامس واليوم وفي المستقبل الغامض .

ماركس والمشكلة اليهودية

للعقلية اليهودية سلطان كامل على جذور الفكر الاشتراكي قبل مولد ماركس وفي كل ما اجتهد ماركس في صياغته للفلسفة الاشتراكية، وفي شتى المدارس الفكرية التي انبثقت من الماركسية ، سيان في ذلك كتابات لينـين وتدابيره للعمل الثوري ، او كتابات تروتسكي وغـيره من اقطاب الفكر والحركة الاشتراكية .

« ... حتى عند المفكر اليهودي «بن ميمون» الذي عاش في اوج الحضارة العربية وكتب بها فلسفته نجد الفكر الاشتراكي مشوباً بالعقلية اليهودية .

هذا ما تسجله دراسة دقيقة عن جذور الفكر الاشتراكي لمؤلف محترم[١]، وقد اعيد طبع هذا الكتاب اربع مرات خلال سنوات قليلة . وهو من كتب المراجع التي تستعمل في التدريس الجامعي في اوروبا والولايات المتحدة .

وقد ظل هـذا التقليد اليهودي في اصول الاجتهاد للفكر الماركسي يحتل مكان الطليعة في كل دولة او حركة يسارية مهما كان نوع اجتهادها الماركسي، سيان في ذلك حركات اليسار الشرقية بما فيها الاتحاد السوفياتي ، او في اوروبا الوسطى والغربية او في الولايات المتحدة الامريكية، أو بقية ثقافات العالم الجديد واقطاره . هذه الحقيقة لا تنطبق فقط على الحقبة التي ظهرت فيها النازيـة واضطهادها لليهود وللشيوعية معاً ، وإنما هذه الحقيقة منطبقة كل الانطباق على حاضر الفكر الاشتراكي كله في مختلف اللغات ومختلف الاحزاب والحركات ،

(١) The Socialist Tradition by, Alexander Gray 1963

وسيان في ذلك أكان الفكر اليساري مدوّناً باللغة البولندية او اليوغسلافية او الفرنسية أو الانكليزية وغيرها من اللغات . [١]

ومرجع هذا الغرام الفائق بين المثقفين اليهود من مختلف الجنسيات بالفكر اليساري الثوري هو وضع الاقلية المزمن الذي يعيش فيه اليهود في كل زمان ومكان ، واصرارهم على الاحتفاظ بمميزاتهم الخاصة وشخصيتهم اليهوديـة الخاصة، والاعتزاز بذلك استناداً الى عمق الايمان بانهم « شعب الله المختار » وانهم جماعة انسانية تختلف عن باقي الجماعـات ، وان اي انكار لهذه الصفة اليهودية الخاصة او السعي لتذويبها في نطاق الجماعـات الاخرى امر يعتبره اليهود عداءاً لهم واضطهاداً وعنصرية بغيضه .

واليهودي اجمالاً لا يطيب له ان يتوقف لحظة ليرى ما هي حقائق اسباب هذا الاضطهاد وهذا العداء لليهود في معظم الازمنة ومعظم الثقافات الانسانية، فهو لا يعترف مطلقاً بان على اليهودي (فرداً او جماعـة) اي ملامة في اثارة البغضاء حوله . فالملامة دائماً (في رأي اليهود) على الجماعة الاخرى.

حتى اقطاب الفكر السياسي والتاريخي من علمـاء اليهود انفسهم لا يريدون الاعتراف بأي لوم على العقلية والسلوك اليهودي نفسه في كل ما حاق بالجماعات اليهودية من علو او انحسار في تاريخها الطويل [٢] .

وكارل ماركس نفسه لم يشذ عن هذه القاعدة المألوفة عنـد كبار المثقفين

(١) Left Wing Intellectuals. by : Journal of Comtemporary History.
عدد خاص عن المفكرين اليساريين المعاصرين من هذه المجلة الرصينة . المجلد الاول العـدد الثاني من عام ١٩٦٦ .

(٢) S. Baron : A Social & Religious History of The Jews
M. Bauer : Das System der Zwolf Stamme Israel .
وكلا هذين الكاتبين من اقطاب الفكر اليهودي المعاصر، ومن اعمق من كتب في علم الاجتماع الديني وفلسفة القوميات والاديان .

والفلاسفة اليهود . فلقـــد القى ماركس اللوم في مسألة اضطهاد اليهود على الظروف الاقتصادية التي تكتنف الجماعات التي يعيش بينها اليهود، لا على العناد اليهودي نفسه الذي يريد ان يفرض منزلته (كشعب الله المختار) على الجماعات الاخرى، مما يدفع هذه الجماعات الى استنكار ذلك او الانتقام من اليهود.

ولقد عالج كارل ماركس المشكلة اليهوديـة معالجة متكررة في كثير من كتاباته [١] . فماركس نفسه من بيت يهودي محافظ . فقد كان جده حاخاماً معروفاً، وكذلك والده. وقد اضطر والده الى اعتناق البروتسانتية في منتصف العمر لكي يستطيع ان يمارس مهنته في وسط الماني كان يكره اليهود ولا يثق بمعاملاتهم ويقيد عليهم ممارسة بعض المهن والحرف .

ولقد تدخل ماركس الى ان « المشكلة اليهودية » لا تنحل نهائيـــاً إلا بالتحويل الاشتراكي للعـــالم باسره ، واذابة الاديان والقوميات كلها في بوتقة الماركسية . وطالما ان الماركسية فكر وحركة وهدف يتوخى اخضاع المجتمع الى « قيادة طليعية » ماركسية في يدها كل مقدرات الأمة ، لذلك وجـــد اليهود ان هذه الفكرة والهدف لا يتعارضان مطلقاً مـع اعتقادهم بانهم (اي اليهود) وهم « شعب الله المختار » اصلح الناس ليكونوا « الطليعة القيادية » لكل الحركات الماركسية في العالم باسره .

والماركسية (او الاشتراكية العلمية او الاشتراكية الثورية او الشيوعية — سمها ما شئت) هي حصيلة اجتهـــاد نفر من المثقفين وجدوا في تعاليم كارل ماركس اطاراً عقائدياً دقيقاً في تحليلاته لمواطن الضعف والقوة في السلوك البشري — في طبائع النفس والصلات بين الجماعات(او الطبقات) وفي«علاقات الانتاج» و« وسائل الانتاج»للاوضاع الاقتصادية،وفي صلة الاقتصادبالسياسة، والسياسة بالحرب او بالسلم العالمي . وكيفية استغلال هذه المعرفة الدقيقة لـكي

(١) K. Marx : Oeuvres philosophiques
« « : La Question juive .

يستطيع المثقفون المحترفون للعمل الماركسي الثوري الوصول الى سدة الحـكم محلياً اول الأمر ودولياً في منتهى المطاف للدعوة الماركسية العالمية .

وقد امتاز المثقفون من يهود اوروبا في منتصف القرن الماضي بانهم كانوا على صلة وثيقة بعضهم ببعض متجاوزين بذلك الحدود الثقافية واختلاف اللغـات والجنسيات. فندر ان اقتصرت ثقافة اليهودي الاوروبي على ما يتوفر في مسقط رأسه من ميراث لغوي او حضاري . بل كانوا يتعمدون استيعاب اوسع نطاق ممكن من حضارات الآخرين ولغـــاتهم والاندماج في مشاكلهم واجتهاداتهم والوصول الى مراكز البت والتوجيه والسيادة عليهم اذا امكن .

وفي كل مراحل هـــذا الجهد الفكري والعملي كان القاسم المشترك الاعظم بـين المثقفين من يهود اوروبا هو ميراث اليهودية — كعقيدة دينية — عنصرية تربط اليهودي باليهودي مهما تفاوتت مدارجـه في السلم الاجتماعي او اختلفت جنسيته او الوسط الثقافي الذي ولد فيه .

هذا الوعي اليهودي قديم قـــدم الوجود اليهودي كله . ولكنه اتخذ صفة الارتباط الوثيق المنتظم في منتصف القرن الماضي (التاسع عشر) عندما اتسعت مجالات النشاط وحريات التصرف، اثر انهيار الأقطاع الأوروبي ومولد الثورة الصناعية في بريطانيا والمانيا ، وما جلبته من تبديل في عتيق العلاقات الاجتماعية بين الطبقات ، وفي عتيق الصلات بين الشعوب الأوروبية نفسهـا . فالثورة الصناعية استوجبت التوسع في النشاط التجاري الدولي متجـاوزاً الحدود الضيقة لهذا البـلد أو ذاك . ومتجاوزا قيود الحدد والأهل والنسب والارستقراطية العتيقة التي كانت تحصر البأس المالي والاقتصادي في طبقتين : طبقة الأقطاع الزراعي وطبقة المرابين . وكان اثرياء اليهود ينتمون الى الفريق الثاني . فالربا (او اعمال القروض والتمويل) صنعة يهودية قديمة .

وقد تولد عن الثورة الصناعية الأوروبية توفر مجالات جديـــدة للأقليات (كالأقليات اليهودية) ان تتخلص من القيود التشريعية ومن الغبن والهـوى

والبغضاء التي كانت تحدد حرية التنقل والأقامة والنشاط للجماعات اليهودية خارج الطبقة التقليدية التربية من المرابين اليهود، الذين كان لهم دور جوهري في تمويل الثورة الصناعية، ليزداد تراثاً ونفوذاً في الوضع الاجتماعي والسياسي الجديد الذي تولد عن انهيار الأقطاع والارستقراطية الأوروبية العتيقة، التي كانت تتعامل مع طبقة المرابين اليهود وتقترض منهم وتمنحهم بعض المزايا ولكنها لا تعترف لهم بالمساواة الاجتماعية .

وفي اوروبا الوسطى والشرقية (بما فيها روسيا القيصرية) كانت وضعية اليهود في منتصف القرن الماضي (التاسع عشر) تكتنفها كثير من القيود التقليدية التي كانت تضبط سلوك الارستقراطية والاقطاع الاوروبي نحو الاقليات وخصوصاً الاقلية اليهودية. فالثورة الصناعية التي ابتدأت في بريطانيا واوروبا الغربية لم تكن قد اتسعت بعد الى اوروبا الوسطى والشرقية، ولذلك لم تستفد الأقليات اليهودية هناك من مزايا التحرر ومجالات النشاط غير المقيد الذي تحقق لليهود في اوروبا الغربية وبريطانيا، حيث اقامت الثورة الصناعية افاقاً جديدة لمختلف طبقات الامة خارج الارستقراطية والاقطاع الزراعي العتيق .

ولذا فقد اصبح يهود اوروبا الوسطى والشرقية اشد الناس حرصاً على تبديل المجتمع الذي يعيشون في ظله . وكان المثقفون اليهود اكثر المثقفين الاوروبيين غراماً بالدرس والاجتهاد لوضع القواعد والوسائل والاهداف للقضاء على كل ما هو قائم من ميراث قديم يقيد على اليهود بصفة خاصة حرياتهم في الوصول الى اعلى مراتب النفوذ والقوة . ولليهودي ثقة خارقة بنفسه ومقدرته ومواهبه . ففكرة «شعب الله المختار» التي هي جزء من العقيدة اليهودية الدينية فيها وازع شخصي للفرد اليهودي لكي يسعى ولا يكل عن السعي ليسود على الآخرين، مستوحياً دوماً هذا الاستثناء الذي يؤمن به اليهودي بانه ينتمي الى «شعب الله المختار» مهما كانت مداركه، ومهما كانت صنعته، ومهما كانت لغته وثقافته .

وهذا الايمان الفردي برفعة اليهودي على غيره من مخلوقات الله، استتبعت

بصورة عفوية تعاون اليهودي مع اليهودي مهما تباعدا في الصلة الجغرافية او في المواهب او في اللغة او في المدرج الفكري والاجتماعي او في المشارب والآراء.

وعزم يهود اوروبا الوسطى والشرقية (ويهود العالم باسره ايضاً) على ازالة القيود التقليدية التي تضطهد اليهود اتخذ اتجاهين رئيسين :

احدهما الماركسية وثانيهما الصهيونية. فكلا هاتين النظريتين ولدتا في آن واحد وفي وسط يهودي اوروبي يكتنفه نفس المشاعر ونفس التجارب ونفس الآلام والآمال بالنسبة لمشكلة اليهودية .

فالماركسية هدفها اذابة الفوارق بين الناس قومية أو مذهبية او اجتماعية أو اقتصادية، بالعنف الثوري على يد «الطليعة القيادية» المثقفة، وتحت سيادتها. وفكرة « الطليعة » هذه ليست سوى اسم آخر لفكرة « شعب الله المختار » ولذلك تعمد المثقفون اليهود من اصحاب المبدأ الماركسي ان يكونوا دوماً وأبداً في عداد الأقطاب والزعماء والرؤوس القيادية المفكرة لأي حركة ماركسية في أي قطر من اقطار العالم .

والصهيونية هدفها جمع شعب الله المختار على صعيد جغرافي واحد (في ارض الميعاد) لتصبح هذه الأرض مركز الاشعاع القيادي للدنيا بأسرها، بعد أن يتم اليهود كرامة خاصة في وطن قومي مستقل له سيادته الكاملة وطاقات خارقة ونفوذ دولي مهيب، بحيث ترتبط به كل الجوالي اليهودية في كل مكان، ومنه تستمد القوة والحضانة والتبعية، حتى اذا اصيب فرد أو جالية من جوالي اليهود في أي مكان في العالم بأي اذى وجد في الوطن القومي اليهودي حصناً منيعاً له يأوي اليه ويستجم فيه ليشتد ساعده ويقوي، فلا يذهب فريسة الاضطهاد اليهودي في المجتمعات التي تقيد حرية اليهود لسبب من الاسباب .

وفي اوئل تاريخ الحركة الماركسية (أيام ماركس مثلاً) لم يكن يهود

العالم انفسهم واثقون من احتمال نجاح البيعة الماركسية في هدم المجتمع التقليدي القديم واذابة الفوارق القومية والمذهبية وغيرها بين طبقات الامة الواحـــدة ناهيك في العالم باسره .

فقد كان اساس الدعوة الماركسيـة (ايام ماركس نفسه الى ان انتصر البلشفيك في روسيا عام ١٩١٧) يستند الى العمل والتدابير لهدم المجتمـع القديم ابتداءاً بأقوى الاوساط الصناعية واكثرها تقدماً في بريطانيا او المانيا.

فإذا نجحت الطليعة القيادية الماركسية الثورية ان تسيطر على مثـل هذين البلدين الصناعيين العتيدين سهل على الماركسية على مركزية الماركسية العالميـة (من قاعدة كبرى كبريطانيا) مثلاً ان تفرض نفسها على بضعة أقطار العالم فقد كانت بريطانيا آنئذ أهم دولة واغنى شعب في العالم بأسره . فاذا سقطت في يد الثورة الماركسية امتلكت الطليعة القيـادية الماركسية الدولية (أو شعب الله المختار اذا شئت) سلطاناً هائلا لتحويل العالم بأسره الى هذه البيعة واخضاعها للسلطان الماركسي وعقيدته .

وكارل ماركس نفسه ركز الجهد والدرس على الوضع الصناعي والاجتماعي والرأسمالي في بريطانيا والمانيا . فلم يكن يأمل ان تتحقق الثورة الماركيسية في أي بلد آخر وخصوصاً في روسيا القيصرية التي لم تكن تمتلك صناعـة متقدمة، وبالتـالي لم يكن يتوفر في المدن الروسية « عمال » يصلح تنظيمهم واستغلالهم على الطليعه القيـادية الماركسية لقلب انظمة الحكم وانشاء قاعدة مركزية هامة للدعوة الماركسية الدولية .

والاطار الفكري الذي صاغه كارل ماركس لاصول دعوته ونظريتـه واساليبه لتحقيق البيئة الماركسية فكراً وتطبيقاً كان اطـاراً معقداً لا يستطيع فهمه فهماً صحيحاً وهضمه الا الراسخون في مختلف مدارج العلم — علم الاقتصاد وعلم النفس وعلم للسياسة وعلم التاريخ والفلسفة .. الخ ..

ولذا ظلت الدعوة والتعاليم الماركسية بعيدة عن متناول المثقف العادي، ولم يتعمد التحقق بهـا سوى اقلية ضئيلة من المثقفين — غالبيتهم من اليهود الاوروبيين من مختلف الجنسيات — وعلى الاخص من روسيا ومن اوروبا الشرقية، حيث كان الاضطهاد لليهود على اشده، ولكن غالبية اليهود في العالم ظلت تؤمن بأن الفكرة الصهيونية اقرب الى تحقيق العالم اليهودي من الفكرة الماركسية المعقدة

وعن طريق هذه الفئة اليهودية في اوروبا الشرقية وصلت الدعوة والتعاليم الماركسية الى جميع حركات السياسة المناوئة للحكم القيصري او الحكم الاقطاعي الذي كان يسود في اوروبا الشرقية، بما فيها روسيا القيصرية . فتتلمذ عليهـا جماعات من المفكرين والسياسيين الروس ووجدوا فيها قوالب صالحـة للعمل الثوري ضد السلطان القيصري .

وككل لون من الوان الثقافة المستوردة لابد للذين يستوردونها ان يطعموها بطابع محلي . وهذا ما فعـله المفكرون والسياسيون اليساريون الروس حينما تتلمذوا على التعاليم الماركسية وتعاونوا مع اليهود الروس المحليين في الالتزام بها كوسيلة صالحة للعمل السياسي .

والعقل الروسي في اصوله عقل مشوب بنزعة طبيعية تميل الى العنف والتآمر والى العمل السري والبطش ، والقسوة فتاريخ الحكم السياسي في كل العهود الروسية حافل بها — منذ ايام البيزنطيين الى يومنا هذا .

وكان لا بد لهذا الطبع الروسي ان يحور البيعـة الماركسية ويصوغها في اجتهاده الروسي الخـاص المستمد من المقومات والطباع والعوامل الخلقية الروسية المحلية .

وروسيا القيصرية كانت مرتعاً لعدد كبير من الحركات السياسية السرية التي كانت تخاصم الحكم القيصري والاقطاع او الكنيسة او شتى العناصر التي يتألف منها الحكم التقليدي — وخصوصاً هذا النموذج الشنيع من الحكم الذي كان يمارسه قياصرة الروس .

ولذا وجد العقل الروسي التآمري في هذه التعاليم الماركسية اطاراً نظرياً دقيقاً يستوحون منه المضمون العقائدي للعمل السياسي التآمري . فقد كتب كارل ماركس بعض التفاصيل عن اساليب العمل التآمري الموصول الى الحكم، ولكن كتابات ماركس حول هذا الموضوع كانت تافهة بالنسبه لميراث الروس انفسهم في شتى اساليب التآمر السرى والثوري على السلطان القيصري .

وجدت تعاليم كارل ماركس تلميذا روسياً خارق الذكاء حديدي العزم يجمع بين الطبع الروسي المحلي الاصيل وبين الوراثة اليهودية ايضاً . هـذا التلميـذ النجيب هو المعروف اليوم باسم « لينين » وهو اسم مستعار، واسم ثوري استعمله « لينين » ليكتم شخصيته في سنوات التدبير والتآمر والدسائس في داخل روسيا وفي عواصم أوروبا كلها، حيث أنفق « لينين » معظم حياته في حضانة وزمالة وتلمذة متواصلة وتعاون يومي لا ينقطع مع المثقفين اليهود الأوروبيين من مختلف الجنسيـات ، الذين كانوا حفظة متخصصين في التعاليم الماركسية والدعوة الماركسية. والنشاط الماركسي في نطـاق عالمي واسع .

و « لينين » نفسه يهودي الأصل [1] . وزوجته ورفيقة حياته في العمل الماركسي يهودية أيضاً . وكذلك الأغلبية الساحقة من زملائه وأعوانـه في الحركة الماركسية خارج الاتحاد السوفياتي وداخله - في سدة الحكم البلشفي وفي أيام المنفى . أمثال « تروتسكي » و «رادك» و «روزا لوكسمبرغ» وعشرات غيرهم في اقطاب الحركة الماركسية اليهود من مختلف الجنسيات .

هذه الميزة المزدوجة التي توفرت عند « لينين » وكونه روسياً ويهودياً في آن واحد ، اعطت للبيعة الماركسية في اوائل هـذا القرن العشرين بعثاً وانتفاضة هائلة . وبدون مساهمة « لينين » واعوانه من اليهود الروس وغير

(١) آخر وأوسع ترجمة دقيقة لحياة لينين صدرت حتى الآن عن مؤلف امريكي يهودي عاصر لينين وزامله . Luis Fischer : Life of Lenin (1965)

الروس يشك اكثر المؤرخين في اي احتمال لوصول الماركسيين في اي مكان الى سدة الحكم .

فعبقرية « لينـين » هي في استنباطه الاسلوب الثوري ، اسلوب التجنيد للانكشارية من الوسط العمالي (البروليتاريا)، واسلوب الضبط المحكم والتدريب الثوري الدقيق للطليعـة القيادية للحركة الماركسية الثورية في نطاق الحزب الحديدي الواحد . وهذا ما يعرف الآن « بالماركسية — اللينينية » .

حتى عبقري الدسيسة السياسية « ميكيافلي » وهو فيلسوف الحكم المطلق بلا نزاع ، يتضاءل في الاجتهاد اذا قيس بما وضعه ومارسه وطبقه « لينين » من اساليب التآمر والعمل الثوري لوصول الماركسيين الى الحكم والسلطان .

والقصد من هذا الاستعراض الموجز هو التوكيد على دور العقل اليهودي في اصول الفكر الماركسي (او الاشتراكية العلمية) وفي ، اصول التكتيـك والاساليب الثورية الماركسية ليس في روسيا فحسب بل في كل مكان .

ولقد أشرنا الى ان يهـود العالم كانوا منقسمين في نظريتهم إلى الدعوة الماركسية والدعوة الصهيونية ، وايهما اقوم واصلح وأقرب سبيلا لخدمـة المشكلة اليهودية، وتوفير السبل والطاقات « لشعب الله المختار » ان يمـارس السيادة على الدنيا بأسرها ، فضلاً عن حاجته الى ازالة كل الوان الاضطهاد او القيود التي تواجه الجماعات اليهودية في المجتمعات القومية التي تنفر من اساليب الجوالي اليهودية في اوجه الحياة المالية السياسية او الثقافية .
وكان بين هـذين الفريقين اليهوديين (الماركسي والصهيوني) فريق صغير يقول بان لا لزوم للماركسية او للصهيونية .

فالتقدم الصناعي والتجاري وتسيار الحضارة الأوروبية نفسهـا وتطور الديمقراطية السياسية في شتى مناطق العالم وخصوصاً في اوروبا الغربيـة وفي العالم الامريكي الجديد كفيل بأن يعطي رويداً رويداً مجالات وافاقاً جديدة للجوالي اليهودية، لكي تتلخص نهائياً من قوالب الاضطهاد العتيق لليهود، ولكي

يتوصل شعب الله المختار الى مراكز الصدارة والقيادة في كل مجتمع ديمقراطي، طالما ان اليهودي يؤمن بأنه مخلوق ذو مزايا استثنائية تؤكدها عقيدة المؤمنين بأنهم « شعب الله المختار » .

فلا الماركسية في دعوتها الثورية الخطيرة العواقب والتبعات، ولا الصهونية في دعوتها لحشد اليهود في مكان واحد في ارض الميعاد صالحة لحل المشكلة اليهودية . فافضل السبل لصيانة حاجات اليهود هو محاربة التطرف القومي في كل مكان ، ومكافحة العنصرية عن كل مكان ، ومحاربة العصبية الدينية في كل مكان .

وهذا النوع من الكفاح اليهودي يستوجب على اليهود في كل بقاع المعمورة أن يكونوا متعاونين متراصّين متواكلين في هيئات دولية لها قواعدها ولها مواردها ولها نفوذ وسلطان في اوساط المال والحكم والصحف والجامعات وكل مواطن القوة في كل بلد لليهود فيه جالية مقيمة .

وهذا الفريق الثالث من يهود العالم (وهو يضم كل الاثرياء من اصحاب النفوذ في كل مكان وخصوصاً في الوسط التجاري والمالي للدول الصناعية الكبرى في اوروبا الغربية وفي العالم الامريكي الجديد) هذا الفريق اليهودي كان اميل بالطبع الى العطف على الحركة الصهيونية اذا خير بينها وبين الماركسيه الثورية التي تكافح رأس المال .

ولذا حظيت الحركة الصهيونية بموارد مالية ودعاوية وحضانات سخية من اغنياء يهود العالم في كل مكان ، اكثر مما حظيت به الحركة الماركسية — مع ان كلاهما يهودي الجذور والقيادات، هدفه الاساسي حل « المشكلة اليهودية » عالمياً .

ومع ذلك ظل بين اثرياء اليهود في اشد النظم الرأسمالية تحفظاً ، كما في بريطانيا والولايات المتحدة ، من يساعد الحركة الماركسية مالياً ودعاوياً قبل نجاح ثورة البلشفيك في روسيا ، وبعد ان نجحت ايضاً .

وفي مرجع تاريخي فرنسي محترم [١] تقدير مالي لمدى مساعدة اليهود لثورة البلشفيك على الحكم القيصري . وتسجل هذه المجلة بأنه ابتداء من عام ١٩١٦ تزايد العون الحالي المباشر للحركة الماركسية (وخصوصاً في روسيا القيصرية) حتى بلغ ٢٠ مليون جنيه استرليني، منها المصارف اليهودية التالية:

مؤسسة يعقوب شيف — الأمريكية .
مؤسسة كوهين ولوين — الامريكية .
مؤسسة أوتو كوهين — الألمانية .
مؤسسة نقليات العمل اليهودية في وستفاليا — المانيا .
بنك واربورغ السويدي — استكهولم .

وجدير بالذكر ان ممول حركة اليسار في مصر هو (بنك كوريل) اليهودي الفرنسي المستمصر. [٢]

وتاريخ اليسار الماركسي الثوري في العراق أيضاً مدين لليهود في التمويل والتنظيم والحضانة ، امثال المليونير (قطاف) وغيره كما يعلم ذلك كل مطلع على تاريخ الحركة الماركسية في العراق .

ولذلك لم يكن بد من ان يحصل لون من التنافس بين اليهود الذين يؤمنون بان الماركسية سبيل الخلاص والسيادة لهم ، وبين الذين يعتبرون الصهيونية طريقاً الى ذلك . ولكن هذا التنافس لم يبلغ مطلقاً درجة الخصومة او الاصطدام ناهيك بالقطعية او بالصراع بينهما .

---

(١) مجلة « فرنسا القديمة » مجلد عام ١٩٢٠ عدد ١٦٠ .

(٢) وثائق الحركة اليسارية المصرية التي نشرها (هنري كوريل) نفسه وطبعها ووزعها الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٥٦ ، وكذلك سلسلة المقالات التي نشرها الاستاذ احمد زين العابدين المحامي احد زعماء الحركة اليسارية السودانية في مجلة « النداء » السودانية ، اعداد مايو ١٩٦٦. وكانت هذه المجلة تصدر برخصة شرعية.

ففي تاريخ الحركه الماركسية والحركة الصهيونية معاً صلة وروابط مستمرة ترجع الى ايام كارل ماركس نفسه، وتنسجم في المؤتمر الذي عقده الطرفان في مدينة بازل (السويسرية) وهو ما يعرف « بالاممية الاشتراكية الدولية الثانية »، وهي آخر الوان التآمر اليهودي للثورة العالمية على يد الماركسية والصهيونية معاً، قبل أن ينجح الماركسيون في الوصول الى الحكم الروسي عام ١٩١٧ . وفي المراجـــع الوثيقة عن حركة اليسار الدولي (الأممية الاولى والثانية والثالثه والرابعة ايضاً) نصوص لا حصر له عن تعاون اقطاب الحركة الماركسية مع اقطاب الحركة الصهيونية (١) .

وفي ايام كارل ماركس نفسه كانت صلته وتتلمذه على مؤسس النظريـــة الصهيونية تتلمذ تقدير وأعجاب . فقد التقى كارل ماركس عام ١٨٦٢ بواضع أسس الفكرة الصهيونية وفيلسوفها الأول « موشه هيس » استاذ « تبودو — هرتزل » ومن اعظم اقطاب الفكر اليهودي في القرن التاسع عشر . وقـــد وضع « موشه هيس » هذا قواعد الحركة للصهيونية نظرياً وتطبيقاً في كتابه العميق « الدولة اليهودية » وكذلك في بحثه الآخر (رومـا والقدس) اللذين منها استوحى « هرتزل » الزاد الفكري للترويج للبيعة الصهيونية بالاسلوب الصحفي الذي يبسط الفكر العميق الذي صاغه الملم « موشه هيس » .

وقد تصادق « كارل ماركس » صـداق عميقة متواصلة وطويلة مـــع « موشه هيس » ولغ اعجابه به حد العشق والأفتنان كما يلحظه كل مطلـع على كتب ماركس التي يطيب للماركسيين اليوم الأستشهاد بها . مثل اطروحة ماركس عن « المشكلة اليهودية » ، وخصوصاً رسائل ماركس الى « اورباخ »

(١) راجع 1-A History of International Communism By: F. Bokenau وهو الماني يهودي

2 - The Internationals. By : R. Palmer Dutt .

3 - The Communist International مجموعة الوثائق في جامعة اكسفورد

وقد وصف كارل ماركس صديقه « موشه هيس » بما يلي :

« انني قد اتخذت هذا العبقري قدوة لي ومثالاً .. لما يتحلى به من دقة في التفكير وتوارد في الخواطر وتوافق في الاراء مع عقيدتي وما اؤمن به .. فهو رجل نضالي في الفكر والسلوك ..»(١)

وهناك كثير من اقطاب الفكر الصهيـوني المعاصر امثال الحاخام « لوين برونس » الذي يؤكد في كتابه « اغرب من الخيال » ما يلي :

« ان كارل ماركس حفيد الحاخام مردخاي ماركس كان في روحـــه واجتهاده وعمله ونشاطه وكل ما قام به وأعـــد له من فكر واسلوب اشد اخلاصاً لأسرائيل من الكثيرين الذين يتشدقون اليوم بادوارهم في مولد الدولة اليهودية » .

وفي الايام الاولى من استلام البلشفيك الحكم في روسيـا — وفي الاسبوع الأول بالضبط من حكم « لينين » عام ١٩١٧— اصدرت الحكومة السوفياتية الجديدة قرارين رئيسين احدهما : اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليهـــا القانون — خصوصاً وان الاغلبية الساحقة من زعماء الحكم البلشفي الجديـد في روسيا كانوا من اليهود — يهود روس ويهود بولونديين ومن المانيـــا ومن مختلف الجنسيات والتبعيات .

وثاني القرارين واهمها بالنسبة لهذا البحث هو اعلان الحكومة السوفياتية برئاسة « لينين » التأييد الكامل لحق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين(٢)

(١) وهو العالم البروتستانتي Karl Marx on religion. by: Reinhold Neibuhr الامريكي المعاصر . وراجع كذلك رسائل ماركس الى « أورباخ » في مجموعة مؤلفات ماركس، طبعة موسكو .

(٢) مجلة « فرنسا القديمة » عدد ١٦٠ مجلد عام ١٩٢٠ — اي في الايام المعاصرة لأوائـــل الحكم السوفياتي « لينين » ما زال حياً .

وقد لفت النظر لهذا القرار السوفياتي كاتب عربي هو الاستـــاذ ابراهيم الحلو في كتابه « الشيوعي والصهيوني توأمان » وهو صادر في دمشق ولا ندري تاريخ النشر .

هذا الاعلان السوفياني معاصر ومشابه « لوعد بلفور » ومن الخزي والعار على الاجتهاد العربي ان لا يكون له يقظة بالامس او في الساعة الراهنة ليدرك خطورة الارتماء في احضان السوفيات ، وهم كالاستعمار البريطاني، يسجلون على انفسهم « وعد بلفور» ماركسي» قبل حوالي ثلاثين عاماً من تعاون الماركسية السوفياتية مع الرأسمالية الغربية الاستعمارية في خلق اسرائيل عام ١٩٤٨ في حظيرة الامم المتحدة .

والفرق بـــين استعمال الصهيونية العالمية للاستعمار البريطاني واستعمالها للماركسية الدولية هو الفرقبين دهاء يهودي يدرك ان الاستعمار يمتلك «ارض الميعاد» في فلسطين العربية ، وكأنه يقول لنفسه : ان الماركسية الدولية من قاعدتها السوفياتية ستدخل يوماً الى الشرق العربي وتحطم ديني الاسلام والمسيحية العربية . فلنستعمل مـــا هو قائم من استعمار بريطاني ، ولنؤجل استعمالنا للماركسية السوفياتية الى يوم البت في حظيرة الأمم المتحـــدة ويوم يكتمل « التحويل الاشتراكي » في الساحة العربية كلهـا في كنف الاتحاد السوفياتي ، وبالتالي في كنف اليهودية العالمية .

فالعربي الذي يحسب ان الجهد اليهودي طوال سنوات الاغتصاب الصهيوني لفلسطين كان مقصوداً على العهارة اليهودية والدس في ساحة المستعمر الغربي — بريطانيا او امريكيا — الذي يحسب بـأن النشاط اليهودي كان مقصوداً على المعسكر الرأسمالي وحده طوال سنوات الدهاء والتدبير الصهيوني لأغتصاب فلسطين ، من الواجب عليه ان يراجع السجل السوفياتي ليرى مـا يذهله من دقة التدبيراليهودي فيمعسكر الاشتراكية الدولية لمستقبل الصهيونية في ارض الميعاد .

فلنرجع الى هذا السجل للاشتراكية الدولية مرحلة مرحلـــة في الفترات السابقة لما قام به الاتحاد السوفياتي من مشاركة الغرب الرأسمـــالي في الأمم المتحدة لخلق اسرائيل ، وفي الفترات اللاحقة بمولد الدولة الصهيونية .

ونحن في هذه المقدمة سنقتصر على المرحلة السابقة للعمل السوفياتي — الرأسمالي المشترك في الامم المتحدة لنصرة اسرائيل .

وسيترك تسجيل حاضر العلاقـــات السوفياتية — الاسرائيلية الى الجزء الأخير من هذا الكتاب .

وبين المقدمة وبين الجزء الأخير تسجيل لألعن وأعنف غش وخديعة اجنبية تعرض لها التاريخ العربي عبر الأجيال .

هذه الخديعة هي المفاجأة العنيفة والألحاح الشنيع والحماس المنقطع النظير الذي بدى من الماركسية الدولية في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ — ١٩٤٩ بزعامة الاتحاد السوفياتي لتـأييد الغزو الصهيوني لديارنا ، ومكافحة كل جهد عربي او اجنبي يحاول ان يقيد او يبـــدل او يشترط على الدولة اليهودية الجديدة اي التزام او تبديل او شرط يصون بعض الحقوق الشرعية لعرب فلسطين .

وسنرى من سجلات الأمم المتحدة بأن دور السوفيات والماركسية الدولية في تأييد الغزو الصهيوني في احرج مواقف الضعف العربي كان ألعن دور وأشنعه وأكثره أذى .

منذ البدء :
دور اليهود في سياسة السوفيات

لم يمض شهر واحد على وصول البلشفيك الى سدّة الحكم الثوري في موسكو في اكتوبر ١٩١٧ حتى هيأوا اول مؤتمر لهم لصياغة السياسة الماركسية السوفياتية والدولية نحو الشرق الاوسط - وهو مؤتمر « باكو » .

وتولى الاعداد لهذا المؤتمر وصياغة جدول اعماله ورئاسته وتوجيهه والاشراف الكامل المباشر عليه عناصر يهودية من علياء الحكم السوفياتي الجديد، وفي طليعتهم الماركسي الثوري اليهودي المحترف « كارل راديك » شريك « لينين » في المنفى وشريكه في الحكم السوفياتي الجديد ، وأحد دعائم « الكومنترن » أو « الأممية » الاشتراكية الدولية ومبعوثها ورأسها المفكر ودماغها ، ومدير كل حركات العمل الثوري الماركسي في اوروبا الوسطى ، وصاحب الصلة والصداقة والزمالة والتعاون المستمر مع اقطاب الحركة الصهيونية في اوروبا الوسطى وفي اوروبا الغربية — ناهيك بالقطاع الشرقي في القارة الأوروبية وهو مهد الحركة الصهيونية وزادها البشري الأول .

وتفرغ « راديك » لتحضير كل شاردة وواردة لهذا المؤتمر « الاسلامي السوفياتي » . وصاغ له لحناً وشعاراً كتبه هذا اليهودي بيده عنوانه : .

« نداء لجميع المسلمين في روسيا وفي الشرق » .

وكان المفروض ان يعقد هذا المؤتمر باسم « الأممية الاشتراكية الثانية » وهي الجهاز الدولي للحركة الماركسية الثورية التي سبقت استيلاء البلشفيك على الحكم في روسيا عام ١٩١٧ . (الاممية الاشتراكية الأولى عقدت ايام ماركس نفسه في نيويورك عام ١٨٧٦ وكانت تافهة الأثر والنفوذ) .

وقد سبق لنا وأشرنا الى ان مؤتمر « الاممية الاشتراكية الثانية » الذي انعقد في بازل(سويسرا) خلال اعوام الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ -١٩١٨) كانت القيادة الصهيونية العالمية شريكا رئيسياً فيه مع القيادة الماركسية الدولية. فكلا القيادتين كانتا يهودية .

ولما توصل الماركسيون البلشفيك الروس الى الحكم الروسي عام ١٩١٧ بمساعدة الحكومة الألمانية القيصرية التي نقلت « لينين » من منفاه في سويسرا عبر خطوط النار وأودعته الحدود الروسية ليقوم بالثورة الماركسية بأموال الألمان، شرط ان يعقد معهم الصلح ويسحب روسيا من الحرب اذا نجح «لينين» في الوصول الى الحكم — لما توصل البلشفيك الى الحكم السوفياتي بهذه الطريقة وعقد « لينين » معاهدة الصلح مع المانيا القيصرية وسحب الجيش الروسي وطعن كرامة الامة الروسية بهذا العمل المنكر وما تبعه من عنف المذابح التي قام بها البلشفيك لقهر من عارضهم في هذه الخيانة القومية ، ارتفعت اصوات الاستنكار للبلشفة في العالم بأسره ، كما ازداد العداء و لاضطهاد لليهود في كل مكان ، اذ ان الناس قد ادركوا بان الحركة البلشفية في زعامتها اليهودية الدولية لا تترفع عن ارتكاب أي منكر لتظل سيدة على الشؤون الدولية .

وأزاء هذا التطور اعترى حكماء اليهود من الاثرياء وأصحاب النفوذ في اوساط حلفاء الغرب قلق شديد، اذ ان بعضهم كان قد مول الحركة الماركسية

الثورية، والبعض الآخر (وهو الأقوى والاكثر) كان قد مول الحركة الصهيونية واحتضنها وسخا عليها سخاء منقطع النظير – امثال عائلة روتشليد واشباهها .

ولما عقدت الحكومة البلشفية معاهدة الصلح مع المانيا (معاهدة برست – ليتفوسك مارس ١٩١٨) التي تولى مفاوضاتها اليهودي الماركسي تروتسكي ، ساعد «لينين» الامين وقطب الفكر الاشتراكي للثورة العالمية الدائمة بلا منازع ، تحررت المانيا القيصرية من الجبهة الروسية المخيفة لتتفرغ لمواجهة حلفاء الغرب .

وارتفعت في اوساط حلفاء الغرب اصوات عنيفة تدين اليهودية العالمية بوزر هذه الخديعة، وبوزر الفظائع والجرائم التي ارتكبها البلشفيك الروس ضد ملايين الابرياء ، وما تسرب من أبنائها الى العالم الخارجي ، فخشي اليهود على انفسهم وعلى ما بلغوه من نفوذ وسلطان كبير في معسكر الحلفاء نفسه الذي كان يعد العدة (في فتور سببه الانشغال في الحرب مع المانيا القيصرية) للقضاء على الحكومة البلشفية الروسية الجديدة قبل ان يستفحل خطرها على العالم .

ولذلك استقر رأي اليهودية العالمية على أن تتعمد الحركة الصهيونية علانية وان تبتعد عن اي صلة ظاهرة بالحركة الماركسية – او بثورة البلشفيك الروسية .

فقد كان ميزان الحرب يميل الى جانب الحلفاء، وكانت الجيوش البريطانية قد احتلت معظم قطاعات الشرق العربي بما فيها فلسطين (ارض الميعاد)!..

فلماذا العباطة في مخاصمة حلفاء الغرب بعد ان وعدت بريطانيا اليهود بفلسطين في وعد بلفور .. وهو الذي صدر في نفس الوقت الذي اصدرت فيه الحكومة البلشفية الجديدة تأييدها لمآرب اليهود في وطن قومي لهم في «ارض الميعاد» ايضاً – كما رأينا في صفحة سابقة .

وركزت القيادة الصهيونيه نشاطها العلني على التودد لحلفاء الغرب أيام الحرب العالمية الأولى وفيما بعد – كما نعلم جميعاً من تاريخ هذه الصهارة الصهيونية طوال سنوات الاغتصاب اليهودي لفلسطين تحت « الوصاية » البريطانية لفلسطين .

ولكن صلة القيادة الصهيونية مع المركزية الماركسية الدولية في موسكو لم تنقطع ، وإن تعمد اليهود الصهيونيون في اوروبا الغربية وفي امريكا ان لا يشيروا اليها بأي اشارة – وهم الذين يستملكون نفوذاً خارقاً في السنة الاعلام العالمية في كل مكان .

ومن اقوى الأدلة والشواهد على صلة القيادة الصهيونية المستمرة بالمركزية الماركسية السوفياتية هو كون الاغلبية الساحقة من المهاجرين اليهود الذين جاءوا في اعقاب الحرب العالمية الاولى الى ديارنا في فلسطين كانوا من اليهود الروس .

وقد ظل العنصر السلافي (الروسي) يشكل ٨٠ او ٩٠ بالمائة من مجموع السكان اليهود في فلسطين الذين جاؤوا ابان الانتداب البريطاني منذ البدء الى عام ١٩٤٧، وهو العام الذي افترس اليهود فيه نهائياً وطننا في فلسطين .

ومثل هذه الهجرة الروسية – السلافية اليهودية الى فلسطين والحكم الشيوعي الصارم يملك كل الرقابة وكل السلطان المطلق على روسيا – مثل هذه الهجرة اليهودية لا يمكن انتتحقق بغير تواطىء بين القيادة الصهيونية والقيادة الماركسية السوفياتية .

فلا داعي للاستشهاد بالوثائق او اقتباس المراجع لتوكيد هذه الحقيقة .

ولذا فقد أشاع الماركسيون والصهيونيون معاً اشاعة عمدية بان هناك قطيعة وخصومة بين الماركسية (السوفياتية والدولية) وبين الصهيونية العالمية .

هذا النوع من التمويه هو من قبيل ذر الرماد في العيون ، وقد زال هذا الغبار زوالا كاملا يوم وقف الاتحاد السوفيـاتي (والماركسية العالمية باسرها) تناصر وتؤيد وتجاهد وتحتضن الأفتراس الصهيوني لفلسطين داخل الأمم المتحدة وخارجها – بالصوت السوفياتي الدبلوماسي وبالسلاح السوفياتي أيضاً – عبر تشيكوسلوفاكيا .

وها نحن اليوم نشهد هذه الخدمة تتكرر ويشترك فيها اليسار الدولي (بما فيه اليسار العربي مع الأسى والاستنكار الشديد) مع الصهيونية العـالمية ، ليذروا رمادا جديداً في عيوننا وعيون العالم بان بين الاتحـاد السوفياتي وبين اسرائيل خصومة . على نحو مـا اشاعوه طوال السنوات التي سبقت مولد اسرائيل ، ومفاجأة السوفيات والماركسية العالمية كلهـا لنا في عنف تأييدهم اسرائيل في أدق ايام الحرج وحاجة اليهود لمثل هذا التأييد. وسيفاجئوننا يوما ما في المستقبل غير البعيد ، كما فوجئنا عام ١٩٤٨ بتحالف القوى الماركسية السوفياتية والدولية مع اليهودية الصهيونية العالمية (من مختلف الجنسيات) في هدر الحق العربي وتوطيد ركائز الدولة اليهودية فوق مـا هي عليه اليوم من ارتكاز .

ولذا فمراجعة الماضي السوفياتي في شؤون الشرق الأوسط ، ودور اليهود في المسؤولية السوفياتيـة ، مراجعة دقيقة أمر ضروري لأنه يلقي أضواء ناصعة وكاشفة على حاضر الدور السوفياتي في السياسة العربية نحو اسرائيل ونحو مستقبل الحق العربي في الوطن الفلسطيني السليب .

ولنعد الى أول خطوات الغش السوفيـاتي – اليهودي في محيط الدعوة الماركسية في الوسط العربي والاسلامي . لنعد الى مؤتمر « باكو » .

رغم ان الاعلان عن هذا المؤتمر السوفياتي لصياغة الحملة والبيعة الماركسية في الوسط العربي والاسلامي قد جاء بعد شهر واحد من وصول البلشفيك الى الحكم الروسي ، إلا ان هذا الحكم واجه من التحديات الداخلية والخارجية ما

جعله عاجزاً عن جميع الحركات والتدابير اللازمـة لعقد هذا المؤتمر في وقت عاجل – كما كان في خاطر اليهود من زعماء البلشفية .

فمنطقة « القوقـاز » نفسها حيث تقع « باكو » كانت لا تزال مصدر تحد عنيف للحكم البلشفي . وكان لا بد من ترويض المسلمين هناك وفي كل المناطق الأسيوية التي كان يستعمرها القيصر الروسي والتي اصر البلشفيك الحمر على استعمارها أيضاً .

فلم يتم انعقاد مؤتمر « باكو » عندما احتلت القوات البلشفية بقيادة القطب الماركسي اليهودي « تروتسكي » هذه المدينة الاسلامية عام ١٩٢٠ . وكان « تروتسكي » وزيراً للحربية السوفياتية . ومؤسساً للجيش الأحمر – الجيش العقائدي .

وفي خلال هذه الآونة أعادت الحركة الماركسية الدولية تنظيم أجهزتها الدولية الثورية بما يعرف بالاممية الاشتراكية الثالثـة « التي ورثت الأممية الاشتراكية الثانية » التي عقدتها القيادة الصهيونية والماركسية الدولية معاً في سنوات الحرب . وهذه « الاممية الاشتراكية الثالثة » يطلق عليهـا عادة أسم « الكومنترن » .

ولم تشترك القيادة الصهيونية العالمية « رسمياً » في جهاز الكومنترن هـذا (في الاممية الاشتراكية الثالثة) لأن اليهود كانوا قد حصلوا على وعد بلفور فلا موجب للشوشرة وللعباطة . فاشتراك القيادة الصهيونيـة في « الكومنترن » علانية معناه تحدي بريطانيا وامريكا وكل دول الغرب الرأسمالي الـتي كانت تنظر الى « الكومنترن » نظرة ريبة وشزر تكافحه ما استطاعت الى ذلـك سبيلا .

ولكن اليهودية العالمية كانت وظلت تشكل الاغلبية الساحقة ، وتمتلك ادق واشمل واكبر المسؤوليات في جهاز « الكومنترن » السوفياتي طيلة حياة هذا

« الكومنترن »، والى الساعة الراهنة ايضاً بعد ان تطور اسلوب « الكومنترن » الى شيء جديد سيأتي له ذكر فيما بعد ، واسلوب جديد وشركاء جدد وتدبير جديد .

ولما انعقد مؤتمر « باكو » من ١٩ يوليو الى ٧ اغسطس عـــام ١٩٢٠ ، كان هذا الانعقاد باسم « الكومنترن » . وقد هيأه وتولى توجيهه وقيادته والسيطرة عليه اليهـود من الروس ومن مختلف الجنسيات على رأسهم « كارل راديك » اليهودي الماركسي العتيد .

وكان اللحن الرئيس لهذا المؤتمر كما وضعه اليهودي « راديك » هـو خلق شعار « حركة التحرير الوطني » للشعوب العربية الاسلامية كجزء من حركة التحرير البلشفية التي تركزت في الاتحـــاد السوفياتي ، وكجزء من حركة « التحرير » لمثل الجماعات المضطهدة كاليهود ..

وفيما يلي مقتطفات من البيـــان (المانيفستو) الذي اصدره مؤتمر باكو موجهاً الى الشعوب الاسلامية (١) :

يا شعوب الشرق : ايها الجماهير المناضلة :

انكم تملكون اغنى بقاع العالم ، واخصبها واوسعهـا . وهذه البقاع كانت مهد الانسانية ومستودع الغذاء لبقية الشعوب الجائعة ...

... ان الاستعمار والرجعية هي التي تفترسكم ، وهي السبب في تخلفكم ..

« ... انظروا ما فعلت بريطانيا في مصر وبلاد العرب وفي ما بين النهرين فأحرقت الحرث والانفس واخذت البترول ..

(١) عن النص الرسمي في مجموعة وثائق الكومنترن باللغة الانجليزية ، طبعة موسكو - مجلة الكومنترن ٢٠، ديسمبر ١٩٢٠ .

« .. انظروا ما فعل الاستعمار البريطاني في فلسطين . لقـــد ساعدوا اليهود الابرياء .. فإذا استمر هذا العـــداء فستضعف قوى الطرفين العربي واليهودي ليسود الاستعمار البريطاني والرجعية العربية عليهما معـاً ، وتتمزق صفوف الجماهير العربية واليهودية معاً ... »

هذه الشعارات والنداءات ظلت ترددهـا حلقات اليسار الدولي والعربي نفسه (ايام الاحزاب الشيوعية السرية ويوم اصبح للماركسية اسما مقبولاً في محيط العرب مثل الاشتراكية العلمية أو الاشتراكية العربية والتقدمية الثورية او التحويل الاشتراكي او مختلف الأوصاف والمترادفـات الماركسية العربيـــة والأجنبية التى تدور حول « الاستعمار » و « الرجعية » (١)) .

ونظرة عابرة على أسماء وهويات الذين وقعوا على هذا البيـان السوفياتي « الاسلامي » تدل على مبلغ صدق الوجدان عندهم (وعند كل عربي يلتزم بالاشتراكية الثورية) . فسادة هذا المؤتمر كانوا زبدة القيادة اليهودية العـالمية الثورية من مختلف الجنسيات ومن الذين لعبوا اخطر دور في سياسة السوفيات:

عن روسيا	– كارل راديك	يهودي
عن هنغاريا	– بيلا كوهن	يهودي
عن فرنسا	– روز مار	يهودي
عن امريكا	– ريد	يهودي

(١) من شاء استذكار العمل الماركسي العربي (الشيوعي) القديم ليقارنه في اللغة والشعار والهدف مع العمل الماركسي الاشتراكى العربي المعاصر فليرجع الى المراجع العربية التالية :
- تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي – الياس مرقص .
- صفحات مجهولة من تاريخ الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان - الياس مرقص .
- الشيوعية المحلية ومعركة القومية العربية – الحكم دروزه .
- الشيوعية والصهيونية توأمان - ابراهيم الحلو .
وقصة الماركسية العربية كاملة لم تكتب بعد .

عن النمسا — شتاين هارد يهودي
عن هولنده — جانسين يهودي
عن البلقان — شابلين يهودي

وهؤلاء شكلوا الطليعة القيادية للمؤتمر ، واحتلوا مناصب الصدارة فيه ، تحت رعاية «زينوفيف» رئيس الكومنترن وهو يهودي ايضاً، وكان من أقوى الزعماء البلشفيك ومن اقطاب الحكم السوفياتي .

ومن الطريف والمفيد ان نعلم من المصادر السوفياتية نفسها بأن الاتجاه الأول لهذه الطليعة القيادية اليهودية كان يطمح في ان يعقد مثل هذا المؤتمر السوفياتي «الاسلامي» في القاهرة ! لا في « باقو »، على ان يتولى الاشراف « الرسمي » عليه نفر من الضباط العثمانيين امثال « أنور باشا » و«جمال باشا » كما يخبرنا البرفسور « زكي وليدي » الزعيم التركي المسلم الذي حضر المؤتمر تحت اسم مستعار . وكما يخبرنا سفير تركيا في موسكو في تلك الايام (الجنرال علي فؤاد) بان صاحب هذه الفكرة كان اليهودي « رادك » (١)

وقبل انعقاد مؤتمر « باكو » بعامين قرر « الكومنترن » تكليف الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين (الذي انشأ عام ١٩١٩ . ومن اوائل الاحزاب الماركسية التي اقامتها موسكو) ان يتولى انشاء فروع له في البلاد العربية ويرفع راية مكافحة الرجعية والاستعمار ، ويركز الحملات على الرجعية العربية الاسلامية والمسيحية في البلاد التي لا يوجد فيها استعمار مباشر .

وتكلف الحزب اليهودي في فلسطين رفع التقارير لمركزية «الكومنترن» في موسكو حول التطورات والتيارات السياسية وغيرها في الديار العربية . وكانت هذه التقارير كلها تؤكد لموسكو المرة تلو المرة بأن فكرة الوطن

(١) مذكرات البرفسور « زكي وليدي » Bugunku Turkili .

القومي لليهود في فلسطين هي الأمل الوحيد لبلشفة العالم العربي .

وقد تم انشاء اول حزب شيوعي في مصر على يد المدعو « روز نبرغ » ، وهو صاحب مخزن لمبيع الجواهر في الاسكندرية عام ١٩٢١، ثم تطورت هذه الحركة على يد جماعة من اليهود في مصر اسمها جماعة الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني التي اسسها ومولها « بنك كوريل » اليهودي في القاهرة . ثم صدرت اوامر «الكومنترن» بتحضير هيئة الحركة قبل افتراس الغدر اليهودي لفلسطين عام ١٩٤٧ . وتسربت هذه الحركة اليسارية العربية ووضعت ركائزها في الجيش المصري والاوساط الحزبية الاخرى .

وفي سوريا تكلف المدعو (شامي) وهو يهودي يتكلم العربية برفع التقارير عن سوريا . وقد تألف الحزب الماركسي هناك عام ١٩٢٤ .

وكذلك حدث في العراق وفي لبنان ، بالاشتراك مع الاقليات الطائفية والعنصرية الاخرى التي كان العقل الماركسي آنئذ يعتقد بأنها سهلة اعتناق الماركسية والانطواء تحت راية الاشتراكية العلمية التي تهدف الى الاخوة الاشتراكية العالمية ، ولا تعتبر « القوميات » ، فالقوميات خصم عنيد للماركسية . وهذا سبب رئيسي في تعلق اليهود بالدعوة الماركسية كوسيلة لتذويب الكراهية العنصرية والقومية نحوهم لكون اليهود اقلية مزمنة في كل مكان ـ رغم مولد اسرائيل .

وظلت السياسة السوفياتية نحو الشرق العربي والاسلامي ملونة بالمعلومات التي كان يرفعها اعوان الكومنترن اليهود في الشرق العربي الى رؤساء الكومنترن اليهود في موسكو .

وكانت هذة التقارير بلا استثناء تردد بأن الاستعمار والرجعية هم سبب الخصومة بين « الجماهير » اليهودية و « الجماهير » العربية ، وان الصفة الاشتراكية للحياة الصهيونية في فلسطين طوال سنوات الهجرة في ظل الانتداب البريطاني هي صفة ماركسية اصيلة . فالصهيونية تطبق المزارع

الجماعية (كيبوتز)، والصهيونية في فلسطين قائمة على التكتل العمالي في نقابة الهستدروت ، والاغلبية الســـاحقة من المهاجرين اليهود والفلسطينيين ذوي ثقافة روسية وثقافـــة ماركسية اصيلة .. واليهود في كل قطر عربي يبذلون الجهد لخلق هيئات وحركات ماركسية بمختلف الاساليب وفي دهاء وتؤدة وتدبير مستمر .

وفي مؤتمر باكو كان الحماس اليهودي في القيادة الماركسية على اشده للوصول الى قلب الشرق العربي، ومنافسة القيادة الصهيونية الرسمية التي كانت تعيش في كنف الانتداب البريطاني وتستمد طاقاتها المالية من المعسكر الرأسمالي .

ولذلك تسرع الأقطاب اليهود الذين اشرفوا على مؤتمر « باكو » في مهاجمة « الرجعية الدينية » العربية التي تتعاون مع الاستعمار الغربي لتخلق الصراع بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية في فلسطين .

ولما نشرت تفاصيل النقاش والخطب التي القيت في مؤتمر « باكو » وقرأها المسلمون في الاتحاد السوفيـاتي نفسه (فقد كانت المواصلات الفكرية العربية آنئذ بدائية . ولمـا تطورت اصبحت خاضعة للاشتراكية الماركسية الثورية كما هو الحـال اليوم) ثاروا على عنف التحدي للعقيدة الاسلامية . واضطر « لينين » وكذلك « ستالين » ان يرسل توبيخـات شديدة لأعوانه اليهود الذين أشرفوا على مؤتمر « باكو » لتسرعهم في مهاجمة الاسلام بهـذه السرعة وهذا الضعف (١) .

ومن أمثلة هذه العباطة اليهودية والأفراط في الحماس لبلشفة العالم الاسلامي في أسرع وقت مبكر ما نشرته المجلة العسكرية (٢) تعليقاً على مؤتمر «باكو»

---

(١) راجع المجلد الرابع والعشرين صفحة ١٥١ من مؤلفات «لينين» طبعة موسكو . والمجلد الرابع صفحة ٣٦١ من مؤلفات ستالين .

(٢) Karasnaya Gazeta عدد ١٠ ديسمبر ١٩٢٠ .

واضعة البيان (المانيفستو) الذي أصدره المؤتمر بأنه « قرآن جديد للمسلمين»، وكان الذي يشرف على هذه المجـلة اليهودي « تروتسكي » وزير الحربية وخليفة « لينين » ، لولا ان استخلصها « ستالين » منه وطرده خارج روسيا وارسل من يغتاله بعد عشرين سنة في منفاه بالمكسيك .

والواقع ان بيان مؤتمر « باكو » نفسه فيه من النصوص ما يكفي لاثارة غضب اقل المسلمين تعلقاً بعقيدته . « قال البيان »

« يا شعوب الشرق »

« كم من مرة دعتكم حكوماتكم الرجعية الى الحرب المقدسة .. الى الجهاد ومشيتم الى الحرب تحت راية النبي الخضراء .. ولكن مثـل تلك الحروب كانت خدعة لـكم لايستفيد منها سوى الرجعية والاقطاع .. وتلك الرايـة كانت زائفة لان النبي نفسه زائف ومخادع جاء بدعوة تخدم الرجعية والاقطاع . »

ولا داعي لشرح الوان الفشل في نتائج مؤتمر « باكو » طالما انه جاء بمثل هذه الزندقة والكفر المفروض فيه ان يكون « قرآناً جديداً للمسلمين » ! .

وليس المجال هنا ولا من صلب الموضوع لهذا الكتاب ان نتطرق الى السياسة السوفياتية نحو الاسلام واهله في دخيلة الاتحاد السوفياتي نفسه فذلك يحتـاج الى كتاب منفرد .

انما القصد هنا هو لفت النظر الى هذا الاهتمام (والحمـاس المفرط) الذي تولاه اليهود في سدة الحكم السوفياتي ومركزة الأشتراكـية الثورية الدولية للوصول الى دنيا العرب المسلمين منذ بدء الدولة السوفياتيـة عبر البيعـة الماركسية، أسوة بما كان الفريق اليهودي الآخر في القيادة الصهيونية يحاول الوصول اليه عن طريق لاستعمار ..

وليس المجال هنا ايضاً لاستعراض مغازلة السوفيات لحركة « اتاتورك » في

تركيا، وسعيهم لتشجيعها وحضانتها لأنها علمانية تكفر بالصفة الدينية الاسلامية لتركيا ، وان نزعت الى توكيد الصفة القومية الطورانية .

ففي مدارج العمل الماركسي الثوري تقف العقيدة الدينية في رأس العقبات ويليها بعد ذلك الرواسخ القومية للأمة :

وفي مغازلة السوفيات لحركة « اتا تورك » دليل مبكر على ان الماركسية الثورية مارست التسرب الى القوات النظامية في البلد الذي تطمع الماركسية التسرب اليه، ومن ثم السيادة عليه عقائدياً وسياسياً، وفي الاعتمادات العسكرية والذخيرة والسلاح وشتى الوان التأييد والمعونات والحضانات طالما ، انه الحكم العسكري « القومي » يتجه في طريق « التحويل الاشتراكي » .

وليس المجال هنا ايضاً لاستعراض نشاط الكومنترن السوفياتي في ايران . ففي بلاد فارس كما في تركيا كان مبعوثو الكومنترن كلهم من اليهود ، ولبني اسرائيل اينما تركزوا في معاقل القوة والدهاء ، غرام لا حصر له بالتخصص بالشؤون العربية والاسلامية – وخصوصاً في بيئة مثل الماركسية نجحت اول الامر في بلد مثل روسيا القيصرية كان مستوى التخصص والتحصيل الثقافي في قياداته السياسية متخلفاً وضعيفاً . مما اتاح للجماعة اليهودية استملاك كل مسائل الحل والربط في الشؤون العربية والاسلامية للسياسة السوفياتية الى ان اشتد ساعد الماركسية العربية نفسها ، فاتجه اعتماد موسكو على الماركسية العربية او المعرّبة . وهذه ضرورة اقتضاها ايضاً مولد اسرائيل عام ١٩٤٨ وفقدان اي أمل لموسكو في المضي في استعمال اليهود رسلا ودعاة ومبعوثين ومدبرين للبيعة الماركسية ، وللمصالح الروسية نفسها في الساحة العربية – اسلامية ومسيحية .

فلنقتصر في هذه المقدمة (التي طالت) على البرنامج السوفياتي –اليهودي في دنيا العرب وحدها يوم كانت خاضعة معاقلها للاستعمار البريطاني أو

الفرنسي أو الايطالي – باستثناء مهد الاسلام في الجزيرة العربية . وهي لم تخضع لغير أهلها .

ففي تركيا الجديدة وفي ايران وفي افغانستان دخلت الحكومة السوفياتية الجديدة في معاهدات عدم اعتداء القصد منها قطع اي مجال على هذه الدول الاسلامية ان تتصل او تتدخل او تنقذ الجماعات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي المجاورة لها والمرتبطة معها بالعنصر واللغة والدين والتاريخ . فقد كانت افغانستان وايران وتركيا بلداناً مستقلة ولكنها ضعيفة ، وغير قادرة على معونة اي جماعة خارجية ، حتى لو سمعت نداءات ارحامها في طشقند وبخارى وبلاد القوقاز تستجير من بطش البلشفيك بالدين والقومية لم تستجب لهم .

ولم تتمكن السياسة السوفياتية من تحقيق اي صلة مباشرة مع العالم العربي المستقل او الخاضع للاستعمار الغربي او للانتداب ، باستثناء الصلة السرية التي كانت بين موسكو والأحزاب الشيوعية في مركزية الكومنترن الفرعية التي اتخذت الحزب الشيوعي اليهودي الرسمي في فلسطين مقراً لها في الدعوة والتدبير لكل الساحة العربية .

وفي معبد الماركسية الرئيسي في موسكو ظل خبراء الشؤون العربية السوفيات مقصورين على المثقفين والثوريين اليهود – من مختلف الجنسيات .

فاكبر خبير في أوائل سنوات الحكم البلشفي ١٩١٧ – ١٩٢٧ في الشؤون العربية والاسلامية كان المدعو ميخائيل بافلوفيتش – واسمه الحقيقي لازار فالتمان – وهو يهودي عينه البلشفيك رئيساً للجمعية العلمية للدراسات الشرقية . وتولى هذا اليهودي تحرير مجلة « الشرق الجديد » (١) التي أصبحت

---

(١) اسمها بالروسية Novi Vostok

مصنعاً فكرياً ومرجعاً رئيسياً لأي تخطيط عقائدي او سياسي او تنفيذي للسياسة السوفياتية (وللماركسية العالمية في الكومنترن) بشأن قضايا العرب والاسلام .

ولم يكن هـذا الخبير اليهودي مرموق المكانة في حقل اختصاصه . فقد كان المستشرقون الروس ايام القياصرة لا يعيرونه ادنى الاحترام أو الاهتمام . ولكن العهد البلشفي ودور اليهود فيه وفي قيادته جعلت من هذا الرجل سيد الموقف والرأي في الشؤون العربية والاسلامية منذ مولد الدولة البلشفية عام ١٩١٧ الى ان توفي عام ١٩٢٧ .

وتكلف الاجتهاد اليهودي باعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي من الزاوية الماركسية، ليفهم اهل الحل والربط في السياسة السوفياتية (وفي الكومنترن) مواطن الضعف والقوة في دنيا العرب والاسلام .

ومن أمثلة هذا الاعداد والاجتهاد لدرس سبل الوصول المـاركسي الى الساحة العربية هذا البحث المبكر الذي نشره اللسان الرسمي لأعلى مرجع في العهد السوفياتي كله ، المجلة القانونية للحزب الحاكم (١) .

« عالم العرب تتفاوت جماعاته في مستوى النضوج الاقتصادى والاجتماعي من وجهة النظر الاشتراكية العلمية . ولكنهم جميعا يتحدون في شيء واحد وهو رسوخ العقيدة الدينية الرجعية في طباعهم ، ثم يليهـا النزعة القومية . وهي نزعة أساسها اللغة والثقافة العربية الاسلامية . فلا بد من التغلب اولا على الدوافع الثقافية لأنها أسهل منالا وأقل استحكاماً . فالوعي في دنيـا العرب ضعيف .. والتسرب اليه وتوجيهه يسارياً أمر ممكن .. خصوصاً وان شعار مكافحـة الاستعمار سريع الرواج في الوسط العربي القومي والديني ..

(١) مجلة « بولشوفيك » العدد العاشر .

وهو التعليم يساعد على التوسع في التوجيه الثقافي والتعليمي والاعـلامي من الزاوية اليسارية ...

« ...وخير مكان للدخول الى ذلك هو من المركز التقليدي للثقافة العربية في القاهرة ..

« ... ومن الضروري ايضاً لفت النظر الى الاوضاع السوريـة .. حيث طبيعة النشاط التجاري لأهل هـذا البلد يساعد على نشوء طبقة لها مزايا الرأسمالية ... وسوريا تقليدياً وبحكم موقعها الجغرافي في منتصف الشرق العربي شديدة التعلق بالوحدة العربية، تعمقت فيها الجذور القومية للوعي العربي ... وطالما ان مجال النمو الرأسمالي في سوريا متوفر ، فمن المفيد مراقبة هذا النمو لخلق طبقة ثورية عمالية (بروليتارية) . وقد يتوفر للعمل الثوري في سوريا مجال في حلقات الجيش والبرجوازية الوطنية من الطبقات الوسطى . » من باب التنبؤ ربما، او الدسيسة الماركسية التي لم يكتب تاريخها في الساحة العربية بعد، أن موجة الانقلابات الثورية قد بدأت في سوريا..وأن موجة التطعيم والتعريف للفكر اليساري قد ابتدأت في القاهرة ، قبـل مولد الثورة الناصرية بزمن طويل .. على يد ما نعلمه وما لا نعلمه من نشاط مؤسسات النشر والطباعة التي كان يمولها ويوجهها اليهود في مصر – من مواليد البـلد ومن المتمصرين او المستوطنين ...

والذي يراجع اول برنامج شامل (او ميثاق) وضعه اليسار السوفياتي للعمل الثوري في مصر يلمس الإصرار والتوكيد على ضرورة الالتفات الى الناحية الثقافية التوجيهية بنفس الالحاح على ضرورة التسرب الى حلقات الجيش والى اكبر الاحزاب السياسية كالوفد، والتحذير المتواصل من « الرجعية الدينية » .. وهذا البرنامج الرسمي لليسار المصري في طفولة عهده نشرته مجلـة الحزب

الشيوعي اليهودي في فلسطين ..[١]

وهذا البرنامج الشيوعي القديم لا يختلف الا في وكالة لغته العربية عن ميثاق «العمل الوطني» للاشتراكية العلمية الذي وضعه اليسار المصري في مستهل عهد «الثورية الاجتماعية» يوم صدرت قرارات يوليه الاشتراكية من مصر عام ١٩٦١.

وبين اعوام ١٩٢٧ الى ١٩٤١ اعترى النشاط السوفياتي – اليهودي في الساحة العربية فتور ترجع اسبابه الى عدة عوامل اهمها :

اولا : رضى اليهودية العالمية بالتدابير التي توصلت اليها في وعد بلفور وقيام الانتداب البريطاني نفسه بحضانة الحركة الصهيونية ، فلا يصح التشويش الماركسي اليهودي على هذه الحضانة طالما انها مؤدية الى هدف اليهود من «ارض الميعاد» .

ثانيا : السياسة الجديدة التي وضعها « الكومنترن » للعمل الثوري الماركسي في سائر الدنيا عام ١٩٢٧ ، وهو ما يعرف بقرارات مؤتمر « الكومنترن » السابع الذي عقد في ذلك العام ، وقرر فيه « ستالين » ان يتركز الجهد الماركسي العالمي على بناء الاشتراكية في روسيا – كوطن ام للاشتراكية العالمية، وان يتجه كل النشاط للاشتراكية الثورية وحركاتها في كل مكان على تدعيم التحويل الاشتراكي في الوطن الاشتراكي العالمي الأم – في الاتحاد السوفياتي.

وهذا القرار استدعى بالتالي عدم الأفراط في العمل الثوري لئلا يثير حفيظة خصوم الثورة السوفياتية فيتجمعوا ويحطموا الاتحاد السوفياتي .

ثالثا : الازمة الاقتصادية الدولية اللعينة التي ألمت بالعالم بأسره، مما جعلت العمل السياسي الثوري او الديمقراطي مرهقاً .. فالناس كانوا يسعون وراء

(١) نشرته جريدة « الى الامام » لسان حال الحزب الشيوعي في فلسطين عام ١٩٣٠ واعادت نشره مجلة الشرق الثائر التي كانت تصدر في موسكو عام ١٩٣٢
Rovolytsio Mny Vostok

لقمة العيش. وكان الاتحاد السوفياتي حريصاً على ان لا يشاغب على الدول الاخرى لئلا تقطع عن الاتحاد السوفياتي بعض الموارد في الغذاء والمعونات والتبادل التجاري الذي كان يساعد السوفيات على التغلب على الازمة الاقتصادية العالمية.

رابعاً : مولد الخطر النازي على الديمقراطيات وعلى الاتحاد السوفياتي معاً. وتحوّل نشاط اليهود في كل مكان (في الوسط الماركسي الدولي وفي معاقل الدول الرأسمالية) لمواجهة النازية وخلق لون من التعاون بين اليسار الماركسي والحركات والجماعات غير اليسارية لمعركة الفصل مع النازية .

وتعرف هذه الفترة (في منتصف الاعوام الثلاثين ١٩٣٣ وما بعدها) بفترة « الجبهة الوطنية » التي حمل فيها اليسار الماركسي راية القومية والتعاون مع اليمين القومي، ومع « الرجعية الدينية » اذا كان في هذا التعاون نفع لخلق جبهة مشتركة تقضي على النازية خصم اليهودية الاول .

وقد قامت القيادة الصهيونية العالمية بأوسع جهد ، وبذلت اقصى الطاقات لتضرب عصفورين بحجر واحد : استدرار عطف الغرب الرأسمالي لما حاق باليهود من اضطهاد على يد النازية الالمانية .

والترويج للتعاون بين الاتحاد السوفياتي (وكل حركة ماركسية دولية) ، وبين الغرب الرأسمالي الاوروبي والامريكي .

ولم تجد الصهيونية العالمية أدنى حرج في الجهر بهذه الدعوة . فقد حملت النازية الشر فخاصمت الشرق والغرب معا . ولم تجد أنصاراً لها سوى عباطة الشعور العربي وطفولة الاجتهاد السياسي وقصور النظر عند بعض الزعامات العربية التي راهنت على الحصان النازي ولوثت الحق العربي في فلسطين بالوصمة النازية ، فسببت لنا نقمة الشرق والغرب معاً بلا فائدة ما للحق العربي ، بل كان في تلك العباطة العن الأذى، وكان فيه زاد دعاوي للحركة الصهيونية وللاستحكام اليهودي في كلا المعسكرين – السوفياتي والرأسمالي ،

بأكثر مما كان متوفراً لليهودية العالمية من نفوذ تقليدي في ذينك العسكرين .

خامساً : نجاح الدعاية النازية في منافسة الدعاية الشيوعية السوفياتيـة في اكتساب ودّ العرب ضد الاستعمار الغربي .

فقد فشلت الدعوة الشيوعية في دنيـا العرب لأنها كانت تحارب الاستعمار وتحارب القومية والاديان في نفس الوقت . وكان دعاة الماركسية في عـالم العرب من الأقليات (وفي طليعتهم اليهود) ، بينما كانت الدعاية النازية تحارب الاستعمار واليهود معاً ، ولا تمس النواحي الدينية (والاسلامية بصفة خاصة) بأي نقد . بل انها في الواقع كانت تنادي بأنهـا حامية الاسلام !.. كما قـال موسيليني وهتلر مراراً وتكراراً .

سادساً : ثم جاءت الحرب العالمية الثانية والتحمت الرأسمالية مع الماركسية السوفياتية في العراك مع النازية الألمانية . موسكو ولندن وواشنطن حلفـاء في « وحـدة الصف لهـدف مؤقت » على اسلوب « الجبهة الوطنية » نفسه الذي لم يكن حلف الغرب الأوروبي والأميركي ليدرك في الحقيقة مدى خطورته الا بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها.. وعادت موسكو الى عنف البيعة الماركسية الثورية في كل الساحات الدولية .

ولقد اتفق الشرق والغرب على مناصرة الصهيونية في الأمم المتحدة .

ولعل المستفيد الأول والوحيد من وحدة الصف لهدف مؤقت بين السوفيات وبين الرأسمالية الغربية أبان الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة هي الحركة الصهيونية .

فقد اتحد السوفيات الماركسيون مع الغرب الرأسمالي الاستعماري في جبهة واحدة أمام الأمم المتحدة ليخلقوا اسرائيل ، بعد ان اتحد الطرفـان طوال سنوات الحرب للقضاء على خصم اليهود وخصم السوفيات وخصم الديمقراطيات ايضاً وهي النازية . وكان درر اليهود في كل مكان لتحقيق هذا التعاون

بين الماركسيين والرأسماليين للقضاء على النازية دوراً خطيراً .

ولا غرابة إن كان آخر عمل قامت به هذه «الجبهة الشعبية» المتحدة بين السوفيات وخصومهم في الغرب الأوروبي والأمريكي هو التصويت على قرار التقسيم وخلق الدولة اليهودية «وصيانة مكاسب ثورة التحرير الوطني» اليهودية في فلسطين، كما قال مندوب السوفيات مراراً وتكراراً من منابر الأمم المتحدة، وكما سنرى في الفصول القادمة من هذا الكتاب ـ وهي صلب موضوع البحث .

ولقد بلغ الغش الصهيوني اقصى مدارج الاستهتار (لخدمة الغزو اليهودي لديارنا في فلسطين) بعد الحرب مباشرة عندمـا حاول يهود الولايات المتحدة تقديم كل ألوان العون المادي والدبلوماسي للاتحاد السوفياتي على حساب المصلحة الأمريكية نفسها .

فبالإضافة الى الدس اليهودي المستتر في مؤتمرات « يالطة » و « بوتسدام » و «طهران»، وفي دهاليز الحكم الأمريكي حيث يرابط عدد كبير من اليهود « الخبراء » في الشؤون الدولية، وحيث تعمد هؤلاء اليهود توفير المجال للاتحـاد السوفياتي لكي يحصل على أوسع قسط من العون المادي والعسكري من الولايات المتحدة ، وأن تحصل موسكو على قطاعـات اوروبية شاسعة من أراضي بولندة ورومانيا ودول البلطيق [1] .

... بالاضافة الى هـذه الخدعة اليهودية التي اكتشفت فيما بعد في محاكمات الجواسيس اليهود الأمريكان، وكيف سرقوا اسرار القنبلة الذرية وسلموهـا للاتحاد السوفيـاتي [2] .. بالاضافة الى المليـار دولار الذي قدمته واشنطون كمعونات الى الاتحاد السوفياتي نقداً وفي الغذاء والمعدات ، فان شطط الخديعة اليهودية في علياء الحكم الأمريكي بلغ حداً لا يطاق عندما قام وزير مالية

(١) مذكرات هاري هوبكنز ـ مستشار روزفلت .

(٢) Forty years of soviet spying . طبعة لندن ١٩٦٤

الرئيس روزفلت فاقترح بعد الحرب مباشرة ان تقوم الولايات المتحدة بتنفيذ مشروع تنمية صناعية هائلة في الاتحاد السوفياتي بأموال الشعب الأمريكي الرأسمالي [١] .

وكان وزير المالية الذي اقترح هذا المشروع وادخله في حيز التنفيذ قبل انكشاف الفضيحة والغش هو المستر « مورجينتاو » احد اركان الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية [٢] ..

فلم يكن العرب فقط فريسة هذا الغش والتواطؤ بين الصهيونية العالمية والماركسية الدولية بزعامة الاتحاد السوفياتي ، بل ان الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي كانوا فريسة ذلك التواطؤ ايضاً ..

ومن سوء حظنا ان دخائل هذا التواطؤ والوان هذا الغش الصهيوني في حلقات الأمريكان لحساب الاتحاد السوفياتي والماركسية الدولية لم تكن معروفة حتى عند أعلى مراتب المسؤولية الأمريكية يوم تناولت الأمم المتحدة في أعوام ١٩٤٧ – ١٩٤٨ – ١٩٤٩ قضية فلسطين فظهر الاتحاد السوفياتي فجأة نصيراً صاخباً ملحاً لنصرة الغزو الصهيوني لفلسطين .

وسنرى في الصفحات القادمة من هذا الكتاب كيف حاولت واشنطون ان تتراجع عن مسألة التقسيم ، وتطلب بالوصاية الدولية عليها ، وتؤيد مشروع « برنادوت » لحصر الشر اليهودي والإبقاء على وحدة فلسطين في اكثرية عربية لا حظ لليهود بالسيطرة على البلد الفلسطيني وأهله . ولكن هذا التراجع الأمريكي وجد أقسى حملات العنف من الاتحاد السوفياتي ومن اليهودية العالمية معاً ... وهذا العنف استطاع – كما سنرى فيما بعد – افساد اسس

(١) مذكرات المستر ستاتينيوس – وزير خارجية روزفلت .

(٢) Russia at war by : Alexander worth . طبعة لندن عام ١٩٦٤

مسعى امريكي او دولي لأنقاذ ما يمكن انقاذه من الحق العربي لأهل فلسطين سواء في استغلال اليهود لشخصية الرئيس « ترومان » دبلوماسياً ، او في حصول اليهود على السلاح والرجال من منطقة النفوذ السوفياتي في سخاء واسع وفي احرج اوقات الصراع العربي ضد هذا الشر الدولي الذي جند اليهود له العالم باسره .

الشوط الأول : في الأمم المتحدة

في ٢ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ قدم مندوب بريطانيا الدائم في الأمم المتحدة « السيد الكسندر كادوجان » المذكرة التالية الى الأمانة العامة للأمم المتحدة هذا نصها :[١]

« ترجو حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة من الأمين العـــام للأمم المتحدة ان يدرج المسألة الفلسطينية في جدول اعمال الدورة السنوية الاعتيادية القادمة للجمعية العامة. وستعرض الحكومة البريطانية تفصيلاً لما انجزتـــه من المهام الادارية التي قامت بهـا بموجب الانتداب البريطاني (على فلسطين) الذي كلفتها بـه عصبة الأمم (المنحلة) . وستطلب الحكومة البريطانية من الجمعية العامة القيام بوضع النواصي بشأن حكومة المستقبل لفلسطين ، استناداً الى المادة ١٠ من الميثاق .

«ان حكومة جلالته في طلبها هذا تلفت نظر الأمين العام الى الرغبـة في ايجاد تسوية مبكرة في فلسطين، والى الخطر من ان لا تستطيـع الجمعية العامة القرار بشأن تواصيها في الدورة السنوية الاعتيادية القادمة، ما لم تجر قبـل

(١) وثيقة الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم A / 286 (المراجع التي اعتمدناها في وضع هذه الدراسة هي عن النص الرسمي للوثائق التي اصدرتها الأمم المتحدة باللغة الانجليزية) .

ذلك دراسة مبدئيـة عن المسألة (الفلسطينية) باشراف الأمم المتحـدة . ولذا فان حكومة جلالته تطلب من الامين العام الدعوة الى جلسة استثنائيـة للجمعية العامة من أجل تشكيل لجنة خاصة وتكليفها بتحضير ما اشير اليه في الفقرة السابقة اعلاه « حكومة المستقبل لفلسطين » ليكون موضـع العناية خلال الدورة الاعتيادية للجمعية العامة . »

وجدير بالملاحظة ان الدورة السنوية الاعتيادية للجمعية العامة لا تجتمـع الا مرة في العام ، في يوم الثلاثاء من ثالث أسبوع في شهر سبتمبر (ايلول) . وتستمر هذه الدورة السنوية الاعتيادية حوالي ثلاثة اشهر متواصلة ، او أكثر أو أقل حسب الكثرة أو الضآلة في المواضيع المدرجة في جدول الاعمـال . ويحق للأمين العـــام حسب اجتهاده الخاص أو بطلب من أي الدول الاعضاء الدعوة الى جلسة استثنائية للجمعية العـــامة في اي وقت تقتضيه الطوارىء الدولية، على ان يوافق على عقد هذه الجلسة الاستثنائية أغلبية الدول الاعضاء.

ولم يمض على طلب المندوب البريطاني سوى بضعة أيام حتى أجابت أغلبية الأعضاء بالموافقة على عقد جلسة استثنائية للجمعية العـامة بموجب المذكرة البريطانية وعلى أساس مـا احتوتـه من موضوع محدد -- وهو تقرير مستقبل الحكم في فلسطين. وكانت وفود الاتحاد السوفياتي وبولندة وتشيكوسلوفاكيا وبقية دول المعسكر الاشتراكي في أوائل من لبى ووافق على الطلب البريطاني وموضوعه . وعقـدت الجلسة الاستثنائية في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ واستمرت حتى ١٥ مايو . وكانت هذه الجلسة الاستثنائية الأولى من نوعها في تاريخ الأمم المتحدة حتى ذلك الحين. وحضرها جميع الدول الأعضاء . وكانت برئاسة مندوب البرازيل .

والعادة في جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة ان تتولى «اللجنة التوجيهية» المنبثقة عن الجمعية العـامة اقرار المواضيع المدرجة او المطلوب ادراجها على جدول الاعمال، وتوزيعها على مختلف اللجان التابعة للجمعية العامة – السياسية

او القانونية أو الاقتصادية أو لجنة الوصاية أو اللجنة الاجتماعية او لجنة الميزانية . وهذه اللجنة التوجيهية تتألف عادة من رؤساء اللجان المتفرعة عن الجمعية العامة مضافاً اليهم نواب رؤساء الجمعية العامة، وهم مندوبو الدول الخمس الكبرى (امريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا وجمهورية الصين) ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن ، ومعهم عضوان آخران من غير الدول الكبرى الخمس . ويترأس هذه المجموعة رئيس الجمعية العامة الذي ينتخب عادة من قطاع جغرافي مختلف في كل دورة سنوية اعتيادية من دورات الجمعية العامة .

وفي هذه الجلسة الاستثنائية للجمعية العامة المتعلقة بالطلب البريطاني لبحث مستقبل الحكم في فلسطين كانت «اللجنة التوجيهية» مؤلفة من الدول التالية :

البرازيل رئيساً

كندا ، الصين (فرموزا اليوم) ، ايكوادور ، مصر ، تشيكوسلوفاكيا، الاتحاد السوفياتي ، بولنده ، الهند ، هندوراس ، السويد ، فرنسا ، بريطانيا الولايات المتحدة الأمريكية .

وبموجب لوائح الأمم المتحدة يحق لكل دولة من الدول الاعضاء تعتبر نفسها ذات مصلحة مباشرة بموضوع البحث ، ان تطلب حضور اجتماعات « اللجنة التوجيهية » والمشاركة في النقاش ولو لم تكن عضواً في تلك اللجنة . ومثل هذه الدول لا يحق لها التصويت على قرارات اللجنة . فذلك الحق مقصور على الاعضاء الرسميين للجنة التوجيهية . وأعمال هذه اللجنة هامة ودقيقة جداً لأنها تقرر ادراج أو رفض الادراج لمواضيع البحث او الشكاوى، كما تقرر نص الموضوع وفحواه وإحالته على هذه اللجنة الاختصاصية او تلك من لجان الجمعية العامة . وكانت مصر هي الدولة العربية الوحيدة التي لها حق العضوية الكاملة في اللجنة التوجيهية وحق التصويت . ولذلك أبدت الدول العربية الاخرى التي كانت عضواً في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وهي العراق

والمملكة العربية السعودية وسوريا ولبنان رغبتها في المشاركة في مناقشات اللجنة التوجيهية . فقبلت اللجنة هذه الطلبات العربية . وشارك مندوبو كل هذه الدول العربية في مناقشات اللجنة التوجيهية .

وقد وجد مندوبو الدول العربية ان نص الطلب البريطاني من الأمم المتحدة بشأن القضية الفلسطينية فيه غموض خطير . فهو يسأل الأمم المتحدة ان تصدر النواصي بشأن مستقبل الحكم في فلسطين من غير أن يحدد حق أهل فلسطين بالاستقلال ، خصوصاً وان الحكومة البريطانية تمارس السلطان على فلسطين كدولة منتدبة ووصية على البلد الفلسطيني وأهله بموجب نظام الانتدابات في عصبة الأمم المنحلة التي ورثت الأمم المتحدة مركزها الدولي في مسؤوليات السياسة العالمية والأمن والسلم الدولي . وطالما ان بريطانيا هي مجرد دولة انتداب ووصاية على فلسطين ، فان اعلان بريطانيا انتهاء دورها في السلطان على فلسطين معناه ان على الأمم المتحدة واحداً من امرين :

اولا : اما ان تعلن الأمم المتحدة انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ومولد الاستقلال الكامل للبلد الفلسطيني وأهله فوراً .

ثانياً : واما ان تعتبر الأمم المتحدة خروج السلطان البريطاني عن انتدابه على فلسطين معناه حاجة فلسطين وأهلها الى وصاية الأمم المتحدة لفترة من الزمن ، حتى تجري الانتخابات العامة في فلسطين ويختار أهل فلسطين نوع الحكم الذي تريده أغلبيتهم : ملكياً أو جمهورياً ، برلمانياً أم ما هو شبه لذلك من النظم السياسية الديمقراطية . وكان كثير من أصدقاء العرب الخبيرون بدقائق الشؤون الدولية ينصحون المندوبين العرب باللجوء الى هذا الاسلوب تفادياً لأزمات لا قبل لهم بتفاديها، والنفوذ اليهودي قوي في الشرق والغرب ، ولكن المندوبين العرب رفضوا النصيحة . فدفع أهل فلسطين الثمن .

واختار المندوبون العرب في الأمم المتحدة الاسلوب الأول وهو الالحاح على

الأمم المتحدة اعلان الاستقلال فوراً لأهل فلسطين . وقدم المندوبون العرب مذكرة رسمية متشابهة في النص الى الجمعية العامة تطلب غض النظر عن نص الطلب البريطاني الذي عنوانه « النظر في مستقبل الحكم لفلسطين » واستبداله بنص عربي يدعو الى « انتهاء الانتداب على فلسطين واعلان استقلالها » [١] .

وبموجب لوائح الأمم المتحدة فان على اللجنة التوجيهية ان تنظر مختلف نماذج الطلبات والمذكرات حول الموضوع الواحد ، لتقرر قبول واحد أو أكثر منها . فإذا كان هناك تناقض بين هذه الطلبات في صلب الموضوع فيجب الموافقة على نص واحد لموضوع الشكوى، أو الطلب ومحتواه ، ورفض الطلب أو الطلبات المناقضة له ، ويكون ذلك البت بأغلبية الأصوات في اللجنة التوجيهية .

وواجه الطلب العربي حول «انهاء الانتداب على فلسطين واعلان استقلالها» معارضة من أغلبية الاصوات في اللجنة التوجيهية. ولم تكن المعارضة مقصورة على الدول الغربية الاستعمارية بل ان الاتحاد السوفياتي وبرلنده وتشيكوسلوفاكيا (وهم الدول الاشتراكية الثلاث في اللجنة التوجيهية) امتنعوا عن موآزرة الطلب العربي [٢] .

وفاز النص البريطاني بمجموع الاصوات بما فيها أصوات الدول الاشتراكية الآنفة الذكر . ولم يعارض سوى الصوت العربي الوحيد في اللجنة التوجيهية صوت المملكة المصرية – كما كانت تعرف رسمياً آنئذ .

وفي أثناء النقاش على الطلب العربي في اللجنة التوجيهية كان مندوبا بولنده وتشيكوسلوفاكيا في منتهى العنف من النقد لعدم وجود مندوب عن

(١) وثائق الأمم المتحدة A / 288 الى A / 291 وهي نصوص مذكرات الدول العربية الخمس ، مصر والسعودية والعراق ، وسوريا ولبنان .

(٢) المحاضر الرسمية للجمعية العامه المجلد ٢ صفحة ٨١ .

الوكالة اليهودية في اللجنة . مع ان المشاركة في اعمال هذه اللجنة التوجيهية مقصور على الدول الاعضاء . والوكالة اليهودية ليست دولة وإنما جمعية خاصة. ورغم ذلك فقد تجاوز مندوبو الدول الاشتراكية القانون والعرف والمنطق واحتضنوا مصالح اليهود . وفيما يلي نماذج من الخطب والبيانات الرسمية التي دافع بها الاشتراكيون عن اليهود على حساب العرب :

قال مندوب بولنده « جوزيف وينيوتز » في جلسة ٢٩ ابريل :

« ان الطلب العربي حين يستهدف انهاء الانتداب البريطاني واعلان استقلال فلسطين انما يتجاهل تجاهلاً كلياً حاجتنا الملحة لمعرفة رأي من هم ابرز وأهم طرف في المسألة الفلسطينية وهم اليهود الذين حدد لهم الانتداب مزايا خاصة . ولذلك فاننا لا نقبل طلب العرب ونلح على اللجنة الحاحاً شديداً بأن تقوم بأسرع وقت ممكن بالسماح لممثل اليهود بالمثول أمام هذه الجمعية العامه للأمم المتحدة . » [١] .

اما مندوب الاتحاد السوفياتي « السيد جروميكو » الذي لا يزال اليوم بيننا قطباً من اقطاب الاشتراكية الدولية وهادياً ومرشداً وزميلاً للاشتراكية العربية واربابها ، فقد تناول مندوب مصر (وبقية المندوبين العرب) بأشنع النقد، ولكن بالطريق المألوف من السفسطة الماركسية التي تتحايل على اللفظ والشعارات لتستر اغراضها ومقاصدها على النحو الذي اصبحنا نألفه هذه الايام ، وكان اكثرنا يجهله في عام ١٩٤٧ ، عندما وقف « جروميكو » امام الأمم المتحدة يفسد على العرب حق المطالبة بانهاء الاستعمار البريطاني وحق التحرر منه وحق الكرامة والسيادة التي يتاجر الماركسيون شعاراتها صباح مساء ، قال « جروميكو » في جلسة ٢٩ ابريل [٢] :

(١) المحاضر الرسمية لجلسات الأمم المتحدة المجلد الثاني صفحة ١٦ .

(٢) نفس المرجع صفحة ٢٨ – ٢٩ .

« لا يستطيع احد ان يرغم الجمعية العـــامة على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب (في قضية اعلان استقلال الشعب الفلسطيني) .

وتبعه مندوب تشيكوسلوفاكيا « السيد جان بابانك » فقال : [١]

« لقد تجاوز بعض الأعضاء (يعني العرب) حدودهم في النقـاش فراحوا يبحثون صلب الموضوع (اي استقلال أهل فلسطين) . كلنا يعلم ان الموقف في فلسطين الآن «موقف دقيق » ونحن نريد ان نساهم في اصلاحه . لقد سمعنا وجهة نظر العرب وفي هـذا كفاية . فمن الضروري احضار اليهود لسماع وجهة نظرهم .

«ان الدول العربية تسألنا ان نجد للمشكلة حلولاً . نحن على استعداد لأن نسمع منهم ، ولكننا لسنا على استعداد للموافقة على ما يشاؤون. في نقاش أمس علق المندوب الأمريكي موافقاً على رأي لبنـان والعراق بضرورة مراعاة الناحية العملية في حراجة الموقف (الفلسطيني) . هذا الكلام هراء . فنحن نريد الحقائق من فم الطرف المعني بالأمر مباشرة — الطرف اليهودي — اننـا نرفض الموافقة على الطلب العربي . »

هكذا قال مندوب تشيكوسلوفاكيا الذي كانت مساهمة بلاده في «ايجاد حلول للمشكلة » الفلسطينية هي في تزويـد السلاح لليهود في أدق وأحرج ساعات الصراع العربي مع الشر الصهيوني . فلنستذكر هذا الغش من هـذه الدولة الاشتراكية لكي نكون على بينة من امرنا، نحن الذين تريدنا الاشتراكية العربية ان نضع مقدراتنا مع المعسكر الاشتراكي الدولي وأهله .

***

(١) نفس المرجع صفحة ٤٦ – ٤٨ .

حضانة الدول الاشتراكية « للجبهات » اليهودية

كلنا يعلم أن الشر الصهيوني حركة عـــالمية يؤازرها اليهود في كل بقاع الارض . ومن العباطة التفرقة بين « اليهودية » و « الصهيونية » فيما يتعلق بالوطن القومي لليهود في فلسطين ، على نحو ما يطيب لاهل اليسار الماركسي في كل مكان تصنيف اليهود بين صهيوني وغير صهيوني . فاذا تصادف ان وجدت جماعات يهودية تنفر من ان يقال عنها بانها « صهيونية » ترى في اسرائيل وطناً يتعارض ولاء اليهودي له مع ولائه للبلد الذي ولد فيـه ونشأ وترعرع ولا يعرف رعوية سواه ، فان مثل هذا اليهودي نادر الوجود ، واذا وجد فانه اذا لم يساهم في دعم « الوطن القومي اليهودي » بالمال او بالجهد فانه على ادنى حد لا يعارض في بقاء اسرائيل ، ولا يتطوع في الدفاع عنها اذا تعرضت للمخاطر .

وهذه الصفة اليهودية لذرية موسى في كل مكان هي سر القوة اليهودية — الصهيونية وسر البلايا والويلات التي اصابت اليهود في مختلف العصور ، من اضطهاد . فاصرار اليهودي مهما اختلفت جنسيته ولونه ولغته ومحتده بانه يهودي ، ساعد بني اسرائيل في كل حقبـات التاريخ على الاحتفاظ بالطابع اليهودي ، وتذكير نفسه والخليقة كلها بان اليهودي عنصر له مميزات خاصة مهما تباينت ثقافاته وطبقته ومأواه .

والحركة الصهيونية العالمية لم يتوفر لها كل هذا البأس الدولي ، في المال والنفوذ السياسي والدهاء الدبلوماسي في الشرق والغرب ، الا بفضل هذا الطابع المميز اليهودي ، وادراك القيادة الصهيونية ادراكاً عميقاً له .

ولقد كان العرب والمجتمع الدولي كله فريسة الخطأ الشائع بان الماركسية خصم للصهيونية ، لان الماركسية لا تفرق بين الاجناس ولا تعترف بالقوميات . بل انها حاربت « القوميّة » الصهيونية علنـا وكافحتها في الوطن الماركسي الام ، في الاتحاد السوفياتي .

فلا المندوبون العرب في الامم المتحدة ، ولا اكثرية الدبلوماسيين الآخرين

هناك كانوا محتسبين ان الدول الماركسية بزعامة الاتحاد السوفياتي ستناصر الحركة الصهيونية وتؤيد خلق وطن قومي لليهود في فلسطين .

ولو ان الثقافة السياسية للمندوبين العرب في الامم المتحدة كانت عميقة ودقيقة في تلك الايام لكان من السهل عليها اكتشاف هذه الحقيقة القاسية المرة ، وهي ان كل الزعامات والقيادات العليا الماركسية الدولية هي في يد اليهود ، بما في ذلك زعامات الاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الشرقية التي اصبحت في كنف الاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية .

الطرف الوحيد الذي كان على اتم العلم بنفوذ اليهود في المعسكر السوفياتي هم اليهود انفسهم ، وعلى الاخص قادة الحركة الصهيونية الذين كان معظمهم من اصل روسي او بولندي او من شتى مناطق اوروبا الشرقيـــة والوسطى ، بما في ذلك الدكتور وايزمان ، ودافيد بن غوريون ، وليفي اشكول ، وموشه شاريت ، وناحوم جولدمان . حتى الزعماء الصهيونيون الامريكان والبريطانيون والفرنسيون كانوا من اصل سلافي او من اوروبا السوفياتية .

ولذا فقد كانت القيادة الصهيونية ضامنة قسماً في كل معسكر دولي . وقد دفع العرب ثمن هذا الجهل غالياً في الامم المتحدة .

فعندما رفضت الجمعية العامة قبول الطلب العربي بتحويل موضوع فلسطين من « بحث مستقبل الحكم في فلسطين » كما شاءته بريطانيا آنئذ ، الى « انتهاء الانتداب على فلسطين واعـــلان استقلالها » كما الح الجانب العربي على ذلك ، فانكر هذا الحق العربي الدول الاشتراكية والدول الاستعمارية معاً عندما رفضت الامم المتحدة هذا الحق العربي . كان من الواجب ان تنسحب الدول العربية من الامم المتحدة فوراً فلا تكون طرفاً مطواعاً في الغش الدولي . وقد كانت بذور الهزيمة العربية دبلوماسياً في الامم المتحدة ، وعسكرياً في الميدان مرجعها اصرار الجهل العربي على الامل بان في الامم المتحدة عدالة وانصافاً . وكان من الواجب ان نتعلم الدرس من الهزيمة العربية الاولى هذه امام اللجنة

التوجيهية للجمعية العامة ، حيـــث ظهرت نوايا الشرق الاشتراكي والغرب الاستعماري سافرة في صالح اليهود .

وفي طفولة الفهم السياسي ، امعن العرب في الجهالة تلك الايام العصيبة والبلبلة امام اللجنة التوجيهية ، فاعتبروا ان لهم اصدقاء ومؤيدين في اصوات الدول الصغرى من آسيا وامريكا اللاتينية ، وان هذه الاصوات سترجح الحق العربي امام العمالقة الكبار من الامريكان والسوفيات والبريطانيين والفرنسيين . فقد كان العالم آنئذ كما هو اليوم ايضاً خاضعاً لنفوذ هذه العمالقة حين تعترض الشؤون الدولية نزاع خطير يعرض السلم والامن الدولي كلاهما الى خطر الحرب العالمية . وكانت قضية فلسطين على هذا النوع من الخطورة ، لان نجدة العرب لاخوانهم في فلسطين عسكرياً كانت دليلا ملموساً على العزم العربي بالتضحية في سبيل حق يحاول المغتصب اليهودي والغش الدولي اختلاسه . ومما جعل لهذه الغضبة العربية خطورتها في الوضع الدولي هـــو الخوف الحقيقي الذي اعترى اليهودية العالمية من جدية العزم العربي ، فنشط اليهود فيما يستملكونه من وسائل الاعلان والدعاية العالمية لابراز هذا الخطر على الامن والسلم الدولي .

ولو ان الدول العربية انسحبت او هددت بالانسحاب من الامم المتحدة آنئذ كإعلان جدي عن فقدها الثقة بالعدالة الدولية وعزمها على أخذ الحـــق العربي باليد العربية ، على اسلوب الثأر العربي التقليدي ، لو ان النباهة العربية كانت مدركة لحقيقة مخاوف الدول الكبرى ومخاوف اليهودية العالمية من هذا العزم العربي على الحرب وعلى الكفر بالأمم المتحدة ، لكانت قضية فلسطين غير ما هي عليه الآن ، ولـكانت دولة عربية فيها أقلية يهودية ضاع املها في السيادة على البلد فأخذت تهاجر من فلسطين وتعود الى مواطنها في اوروبا الشرقية او المانيا او اي مكان آخر لا يصل اليه العزم العربي .

ولقد كنا نحن العرب في تلك الآونة اشبه بما نحن عليه اليوم : جماعـــة عبيطة تعتبر نفسها أذكى خلق الله ، وتعتبر الذكاء والدهاء امراً فطرياً يولد المرء

عليه فلا يحتاج الى تنمية وتثقيف وتواضع في الاعتراف بالقصور وبالحاجة الى الدرس والبحث ودقة الاستيعاب .

فقد كانت تروج لنا الصحف المصرية آنئذ (في عام ١٩٤٧ وما قبل) بان هذا السياسي المصري أو ذاك، عبقري زمانه وفطحل من فطاحلة القانون والدهاء . وكان اكثرنا يقرأ ويصدق هذه الأوصاف والمزايا . وكانت مصر صحافة ولساناً هي المسيطر على المناخ العربي ، كلنا يأخذ غذاءه الفكري من القاهرة وكلنا يهضم أو يبلع نماذج الزهو عسى الحذق والمهارة والعبقرية المصرية التي كانت ممثلة في اشخاص الوفد المصري الذي كان يتولى قيادة الطرف العربي كله امام الجمعية العامة عام ١٩٤٧ ولزمن طويل جداً بعد ذلك .

وكان كاتب هذه السطور طالباً آنئذ في الجامعات الامريكية يتلقى علوم العصر في فصول الدراسة، ويساهم بواجبه في الدعوة للقضية الفلسطينية في حلقات الرأي الامريكي نفسه ، وفي الوسط الفلسطيني ايضاً في رسائل ومقالات يبعث بها من نيويورك الى جريدة « فلسطين » .

ومن دهاليز الأمم المتحدة نفسها ، ومن شروح الخبراء في الجامعتين التي كنت اتلقى فيهما العلم معاً وفي آن واحد ، أخذت قناعة كاتب هذه السطور تزداد يوماً بعد يوم بأخطار اللجوء الى الامم المتحدة بشأن الحق العربي في فلسطين ، وفي صفاقة الذي اقتنع وجدانه بأن اهله على خطأ شنيع في تهالكهم على « عدالة » الأمم المتحدة ، أخذ كاتب هذه السطور يبعث بالمقال تلو المقال الى جريدة « فلسطين » يحذر من الاعتماد على الأمم المتحدة في اعوام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ ، كما يحذر اليوم ايضاً بخطر الاعتماد على المعسكر الاشتراكي او هذه الطيور الدولية في حلقات الاسيويين والافريقيين، او على النازية والفاشيستية كما كانت اغلبية العرب تعتمد في سنوات الحرب العالمية .

ففي تلك الاعوام (١٩٤٦ - ١٩٤٧) كان العرب كثيري الثقة بأن

ذكاءهم الفطري وحذقهم يوحي بالاعتماد على الامم المتحدة ، لأن الدول الماركسية تخاصم الاستعمار ، ولذلك فهي ستؤيد الحق للعربي الذي سر بلواه في الاستعمار الغربي ، وان اليهود والصهيونية ليست إلا عاهراً تسمح للاستعمار بمضاجعتها. في حين ان الحقائق بالأمس كما هي اليوم تؤكد لكل من شاء ان يدقق ويعي بأن الصهيونية واليهودية العالمية زير يضاجع الشرق والغرب معاً، ويستغل ويستغفل الاستعمار والاشتراكية ويسخرهما معاً لمآربه .

فالخصم الاول للحق العربي في فلسطين هو اليهودية العالمية . والسند الوحيد للحق العربي في معركته مع الشر الصهيوني هو الساعد العربي غير معتمد على السوفيات او الصين او الاسيويين او الافريقيين او الأمريكان او الفرنسيين او أي « صديق » أو زميل أو حليف . وكل بيعة تعتمد على معونات عسكرية أو دبلوماسية أو اقتصادية من أي طرف أجنبي في معركتنا مع الشر الصهيوني في إسرائيل هو اعتماد فيه العن الأذى ، لأنه اعتماد فاسد. ومن الإجرام القومي ان نصمت عن بيعة نصف الحلول لقضية فلسطين في إطار الدبلوماسية — اشتراكية كانت أم اسيوية افريقية ام في الغزل مع الفرنسيين أو أي طرف غربي آخر .

وتجاربنا في اعوام ١٩٤٧ وما بعد تلح علينا بعنف في التطرف لرفض أي زمالة أو ثقة بغير الثأر العربي ،إذا لم يسنده سلاح كثير فإن في ثناياه زاداً معنوياً عظيماً يحطم الصخر ويتغلب على القوة.

وإني من أشد المؤمنين بأن هذه الجولة التي فاز بها اليهود في فلسطين مرجع الفوز فيها يعود إلى اعتماد اليهود على أنفسهم وسعة معارفهم ونشاطهم ويقظتهم واستيعابهم لدقائق الحياة الدولية . فكل عون حصل عليه اليهود من الشرق ومن الغرب معاً في الجولة الأولى التي انتهت بمولد اسرائيل وبقائها حية حتى الآن ، هذا العون والاستعانة لم تتحقق للصهيونيين إلا من قاعدة الاعتماد على النفس وسعة المعرفة وألوان اليقظة ، لا الذكاء الفطري والدهاء

الطبيعي وحده . فالذكاء والدهاء إذا لم يصاحبه دقـة الاستيعاب والدرس الصحيح فان حصيلة الذكاء الفطري ستظل تافهة ، بل انهـا ستضر بالصالح القومي لأنها تعجز عن التواضع في البحث عن أصول الحقائق . ولذا يعتريها عباطة واستهتار .

ولنرجع الى تلك الأيام المفجعة في أواخر نيسان عام ١٩٤٧ نتابع جلسات الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية لبحث المشكلة الفلسطينية . وتلك الأيام منحوتة في شرايين القلب لا يمكن أبداً لمن عاصرها عن كثب ان ينساهـا . وقد عاصر كاتب هذه السطور كل جلسة وكل كلمة وكل وثيقة سوداء ألصقت على نعش الوطن في فلسطين .

وكان في دهاليز الأمم المتحدة آنئذ عشرات من اللجـان والهيئات والشخصيات اليهودية العالمية :حاييم وازمان ، وبرنارد باروخ، وأسماء ووجوه مألوفة في أعلى مراتب القوة اليهودية العالمية من كل جنس وكل لغة .

وكنت الفلسطيني الوحيد الذي يبعث بالبرقيات والرسائل الى صحف بلده من أروقة الأمم المتحدة يحاول ان يعطي لأهله صورة صريحة عن الغش الدولي في مناخ كذلك الذي كان يسود الجماعة الفلسطينية آنئذ وفيه ثقة لا حد لها بعدالة الأمم المتحدة .

وجاء دور السماح لممثلي الشعب الفلسطيني بالمثول أمـام اللجنة السياسية الخاصة التي تفرعت عن الجمعية العامة لبحث الطلب البريطاني حول مستقبل الحكم في فلسطين بعد أن رفضت الأمم المتحدة الطلب العربي باعلان انتهاء الانتداب فوراً واعلان استقلال الشعب الفلسطيني .

ولقد رأينا ان وفود الدول الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتي كانت من أقوى الأصوات المطالبة باشتراك الطرف اليهودي في النقاش امام الأمم المتحدة.

ولقد كان جميعنـا في الامم المتحدة آنئذ يترقب من الدول الاوروبية

والاستعمارية في الولايات المتحدة الامريكية تأييد وجهة النظر الداعيـة الى سماع الجانب اليهودي بالإضافة إلى وجهة نظر العرب . ولكن اكثرنا لم يكن يحتسب أن يكون الاتحاد السوفياتى على مثل هذا الحماس والعطف على الجانب اليهودي، في مسألة سياسية المفروض ان العقيدة الاشتراكية الماركسية لاتعترف فيها بأي صفة دينية او عنصرية . فالصفة «اليهودية» صفة دينية وعنصرية . والمفروض في الاشتراكية التقدمية أن تكافح النزعات والصفـات الدينية والعنصرية في الشؤون السياسية . والعالم كله آنئذ قد خرج من حرب طويلة دامية للقضاء على حركة كالنازية الألمانية تمزج الشؤون السياسية مزجاً عمـدياً بالصفات الدينية والعنصرية .

وتوحدت أصوات السوفيات ومن في جمعيتهم من الدول الاشتراكية مـع اصوات الغرب الاوروبي والامريكي وسمحوا لممثلي « الوكالة اليهوديـة » أن تشارك في جلسات اللجنة السياسية الى جانب ممثلي « اللجنة العربية العليا » .

ولكن اليهود لم يكتفوا بممثلين لهم عن طريق « الوكالةاليهودية » فقط بل ألحوا على إعطاء حق الحضور امام الامم المتحدة لعـدد آخر من الهيئات اليهودية العالمية من مختلف الجنسيات والاسماء والمقاصد .

ومرة أخرى تدخل الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي في فلكه لتأييد هذه المطالب اليهودية .وعبثاً حاولت الوفود العربية معارضة الامر، وأصر مندوب مصر مثلاً [١] على أن المشاركة في اعمال الامم المتحدة يجب ان يكون مقصوراً على الدول الاعضاء فقط ، لا على الجمعيات والهيئات التي ليست لهـا صفة قانونية دولية . ولذلك فيكتفى بسماع وجهة نظر اللجنـة العربية العليا الفلسطينية بصفتها ممثلة للأغلبية الساحقة لشعب فلسطين . ووجـد المندوب المصري ان من العبث مكافحة الداعـين الى السماح بمندوبي « الوكالة اليهودية »

---

١ – محاضر جلسات الجمعية العامة المجلد الثاني صفحة ١١٧

بحضور جلسات الامم المتحدة . ولكن المندوب المصري ومعه بقيـــة الدول العربية ألحوا بعدم السماح لبقية الهيئات والجمعيات اليهودية بأن تكون ممثلة رسمياً في جلسات الامم المتحـــدة . وفشل المندوبون العرب طبعاً ، لأن المعسكرين السوفياتي والاوروبي – الامريكي رفضا الإلحاح العربي .

ولو كان العرب مدركين سلفاً (عن طريق الاجتهاد وبعـد النظر والدرس الصحيح) بأن ميثاق الامم المتحدة ولوائحها الاجرائية قـد أعطى في وقت مبكر جداً الحق للهيئات والجمعيات الخاصة حضور جلسات الامم المتحدة إذا أثبتت تلك الهيئات بأنها ذات صلة بالموضوع المدرج في جدول الاعمـال ، لو أدرك العرب مبكراً بأن العقل والنفوذ اليهودي قديم جداً في صياغة ميثـاق الامم المتحدة كما صاغ اليهود وسيطروا من قبل على عصبة الامم المتحدة ودستورها ولوائحها الاجرائية – لو أدرك العرب ذلك سلفاً لتفادوا عباطة الجهد ولعلموا سلفاً بمدى خطورة الغش اليهودي في كل شاردة وواردة في المنظمات الدولية من مهدها الى لحدها .

وهكذا جلس الى جانب ممثلي اللجنة العربية العليـــا الفلسطينية مندوبو « الوكالة اليهودية » ومندوبو هذه الهيئات والجمعيات اليهودية الدولية ومنها هيئات يسارية هي بمثابة «جبهات» سياسية للاتحاد السوفياتي والاشتراكية الماركسية العالمية[1] :

الحزب الصهيوني التقدمي

الاتحاد الإسرائيلي العاملي

الحزب الشيوعي الإسرائيلي

اللجنة العبرية للتحرير الوطني

لجنة العمل الفلسطيني

---

١ – محاضر الجلسات الرسمية للامم المتحدة المجلد الثالث صفحة ١٦٥

ومحاضر جلسات اللجنة السياسية الخاصة عند بحثها لهذا الموضوع بالذات – موضوع دعوة الهيئات اليهودية الآنفة الذكر – واجهت نقاشاً عنيفاً بـين المندوبين العرب ومندوبي الكتلة السوفياتية . وقد رفض السوفيات في أعنف القول قبول الرجاء العربي بأن يسمح ايضاً لهيئات فلسطينية عربية اخرى (غير اللجنة العربية العليا) بالمشاركة في جلسات الامم المتحدة .

وازداد حماس السوفيات بشكل عنيف لاستخلاص حق غير شرعي للوكالة اليهودية بأن يشترك مندوبوها في مناقشات الجمعية العامة وهي المرجع الرئيسي الاكبر في اعمال الامم المتحدة ، وعدم حصر نشاط مندوبي الوكالة اليهودية بالمشاركة بأعمال اللجنة السياسية المتفرعة عن الجمعية العامة . وبلغ حمـاس مندوب بولندة في صالح الوكالة اليهودية حداً دفعه إلى رفض السماح للجنـة العربية العليا بالحصول على مثل الحق الاستثنائي الذي طالب به المندوبون السوفيات للوكالة اليهودية ، لتنال مركز « دولة » في صلب اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة ، قبل صدور قرار التقسيم بعام كامل وقبل مولد اسرائيل ايضاً .

ومضت الكتلة السوفياتية في الدعوة العنيفة لصالح الوكالة اليهودية أمـام كل اللجان ، فقدم مندوب بولنده مشروع قرار امام اللجنة التوجيهية ذات النفوذ الكبير في اعمال الامم المتحدة . وهذا نص مشروع القرار البولندي ، حتى بعد ان ادخلت عليه بعض الدول المحايدة كالسويد تعديلات تلطف من حدة الدعوة لصالح اليهودي :

«ان الجمعية العامة :

تقرر ان تعطي ادق العناية لوجهة نظر الشعب اليهودي في قضية فلسطين .

وتقرر دعوة ممثلين عن الوكالة اليهودية للحضور امام الجمعية العامة في جلساتها الرسمية لكي تبدي الوكالة اليهودية وجهة نظرها حول الموضوع . »

ولم يتكرم مندوب بولندة باضافة اسم اللجنة العربية العليا الى جانب

الوكالة اليهودية في مشروع القرار الآنـــف الذكر كما يقتضي المنطق الثانوي والعدل والانصاف .

وقد رفضت اللجنة التوجيهية مشروع القرار البولندي هذا بثمانية اصوات بما فيها اصوات امريكا وبريطانيا وفرنسا . بينما ايدته ثلاثة اصوات فقط هي : الاتحاد السوفياتي ، تشيكوسلوفاكيا وبولندة [١] .

وعوضاً عن هذا المشروع البولندي قـــدم مندوب الولايات المتحدة الامريكية مشروع القرار التالي :

«ان اللجنة التوجيهية :

«بعد ان نظرت في المذكرات التي احيلت عليها من رئيس الجمعية العامة والتي تطلب فيها الوكالة اليهودية وهيئات اخرى ابداء الرأي حول المشكلة الفلسطينية .

« **توصي** الجمعية العامة بان تحيل هذه المذكرات ، ومذكرات اخرى في نفس الموضوع الى اللجنة السياسية الاولى لتقرر هذه اللجنة ما تراه مناسباً بشأن ذلك .»

ووافقت اللجنة التوجيهية على هـــذا القرار باغلبية الاصوات وعارضه مندوبو الكتلة السوفياتية .

وهكذا نرى ان الامريكان انفسهم وهم اكبر من احتضن الصهيونية علانية كانوا اشد لباقة في العبث العلني المباشر بقوانين الامم المتحدة ، كما حاولت الكتلة السوفياتية عمـــله ، باعطاء الوكالة اليهودية صفة « الدولة الرسمية » للمشاركة في اعمال الجمعية العامة قبل مولد قرار التقسيم ومولد اسرائيل بزمن قانوني طويل

ولم تكتف الكتلة السوفياتية بفشلها امام االجنة التوجيهية فنقلت دفاعها عن اليهود ومن اجل اليهود فقط الى اعلى منبر في الامم المتحدة منبر الجلسة

(١) وثيقة الأمم المتحدة UN. Doe. Bur - 82

الكاملة للجمعية العامة .

وحمل مندوب بولندة حملة عشواء على قرار اللجنة التوجيهية الذي رفض قبول الطلب الشيوعي لصالح الوكالة اليهودية . وانضم الى تأييد اسرائيل في الجلسة الكاملة للجمعية العـــامة مندوبو يوغسلافيا ، واكرانيا ، وتشيكوسلوفاكيا . وبسبب عنف هذه الحملة من الدول الاشتراكية على توصيات اللجنة التوجيهية بعدم السماح للوكالة اليهودية بالمشاركة (كدولة) في اعمال الجمعية العامة ، تدخل مندوبا جمهورية شيلي واوروغواي (وكان مندوبها عميلا لليهود) فادخلوا تعديلات على قرار اللجنة التوجيهية يوصي اللجنـــة السياسية توصية اكيدة بدعوة الوكالة اليهودية للمشاركة في اعمال اللجنة السياسية (لا اعمال الجلسات الكاملة للجمعية العامة كما طلبت الكتلة السوفياتية لتعطي للوكالة اليهودية صفة الدولة الشرعية سلفاً) .

حتى هذا القرار اللانيني المعدل (والذي هو في صالح الوكالة اليهودية ايضاً) لم يعجب الكتلة السوفياتية . فقد اصروا اصراراً شديداً على اعطاء الوكالة اليهودية صفة الدولة الشرعية فوراً .

وقدم المندوب البولندي الى الجلسة الكاملة للجمعية العامة مشروع قراره الذي فشل امام اللجنة التوجيهية . وفشل هنا الالحاح البولندي مرة اخرى أمام الجمعية العامة، ولم تؤيده سوى ٨ اصوات هي : الاتحـــاد السوفياتي ، تشيكوسلوفاكيا، روسيا البيضاء ، يوغسلافيا، اكرانيا ، بولنده ، وحكومة اتحاد جنوبي افريقيا (وهي اكبر دولة رجعية عرفها التاريخ) .

وحرصاً على ان تضيع على الوكالة اليهودية فرصة المشاركة في اللجنـــة السياسية المتفرعة عن الجمعية العامة (لا امام الجلسة الكاملة للجمعية العامة نفسها) سارع وفد الاتحاد السوفياتي ووفود المعسكر الاشتراكي الدولي كله بالتصويت في صالح القرار الامريكي الذي كان السوفيات واخوانهم الاشتراكيون قد رفضوه وحاربوه وشتموه امام اللجنة التوجيهية .

جرى كل هذا ولم يرتفع صوت سوفياتي او اشتراكي واحد باستذكارا للجنة العربية العليا التي كانت آنئذ الرمز الوحيد لاغلبية الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي امام العالم . فقد كان غرام الكتلة السوفياتية بالدفـــاع عن الوكالة اليهودية غراماً عنيفاً متواصلاً ، مع ان الوكالة اليهودية كانت قيادتها أمريكية بريطانية استعمارية .

وعلى هذا فيجب ان لا ننسى (ولا يمكن ان ننسى) ان لليهودية العالمية قدماً ثابتة في الشرق الاشتراكي يتعادل مع قدمها في الغرب الأوروبي والأمريكي

ومن المفيد ان نسجل هنا نماذج من منطق الاشتراكيين امام الامم المتحدة في تلك الفترة الدقيقة العصيبة من نكبة الأمة العربية .

قال السيد « جروميكو » في جلسة ٢ مايو ١٩٤٧ امام اللجنة التوجيهية[1]

« لقد سمعنا مندوبي الدول العربية منذ البدء يعرضون وجهة نظرهم على اتم وجه . ولكننا لم نستمع الى مندوبي الهيئـات اليهودية . ويجب علينا ان نستذكر ان قضية فلسطين ليست الا قضية وعود اعطيت لليهود ، ولذلك فلا سبيل لبحث هذه القضيه بغير مراعاة مصالح اليهود وقلقهم . فليس من العدل ان نتجاهل ذلك الصالح اليهودي ، ليس فقط بالنسبة لليهود في فلسطين ولكن لليهود في كل مكان »

هكذا قرر السوفيات سلفاً ان مشكلة فلسطين متعلقة بحق اليهودية العالمية في فلسطين . ومثل هذا القول توكيد سوفياتي صريح شبيه بوعـــد بلفور . فالاغلبية الساحقة من سكان فلسطين العرب لم يكن لها حساب في المنطـــق السوفياتي . والسوفيات والدول الاشتراكية الاخرى لم تعالج قضية فلسطين في ادق واحرج لحظاتها على انها قضية استعمار اجنبي لبلد عربي ، وانما قضية حق اليهودية العالمية في فلسطين .

(١) محاضر جلسات الأمم المتحدة (الجلسة الإستثنائية الأولى) المجلد الثاني صفحة ١٠٨ .

ومضى السيد « جروميكو » يقول في نفس الجلسة ونفس الخطاب :

« لقد عارض البعض رغبتنا في دعوة ممثلين عن الهيئات اليهودية للمشاركة في اعمال الامم المتحدة ، واستند ذلك البعض في رفضه الى ان مثل هذه الدعوة مخالفة لميثاق الامم المتحـدة (الذي لا يعطي للهيئات والجمعيات الخاصة صفة الدولة الشرعية) . ولكن هذا الرفض غير مقبول لدينا .

«اننا مقتنعون بان ليس في ميثاق الامم المتحدة ما يتعارض مع دعوة الهيئات اليهودية للحضور امام الجمعية العامة (بكامل هيأتها) . وليس في الميثاق ما يحول بيننا وبين الاصرار على هذه الدعوة . فليس من المهم ان يوجـد او لا يوجد نص في الميثاق يـــبرر لنا دعوة الوكالة اليهوية . ان طبيعة المسألة الفلسطينية تحتم علينا اعطاء اليهود دوراً اصيلا في اعمال الامم المتحدة . ان عمر الامم المتحدة قصير لم يتجاوز عاما او بعض العـــام ، فلنخلق اسبقية لأعمال الأمم المتحدة اذا لم يكن في الميثاق نص صريح لدعوة الهيئات اليهودية . لقد عارض بعض مندوبي الدول هنا بأن اعطاء الهيئات مثل هـــذه المزية الاستثنائية سيكون ضاراً بسمعة الامم المتحدة ومبادئها ، انا لا اوافق على ذلك الرأي . أن توجيه الدعوة لممثلي الهيئات اليهودية للمشاركة في اعمال الجمعيـة العامة هو في رأينا عمل مجيد يكسب الامم المتحدة سمعة طيبة .

« انا لا اريد ان يكون حضور ممثلي الهيئات اليهودية مقصوراً على اللجنة السياسية ، بل اريده ان يكون شاملا للجمعية العامة بكامل هيأتها . ان قضية فلسطين هي قضية الشعب اليهودي ، فلا بد من توفير كل الفرص واسماها لممثلي اليهود بالحضور في الجمعية العامة ، وهي اعلى هيئة في الامم المتحدة ، لا في اللجنة السياسية الفرعية كما يريد البعض (من خصوم اليهود) . ان الوكالة اليهودية هي الممثل الصحيح للشعب اليهودي في فلسطين . فيجب توفير اجمل الفرص

للوكالة في هذه الامم المتحدة . واذا كان هناك هيئات يهودية اخرى تريد المشاركة في اعمالنا فسننظر اليها بعين الاعتبار »

وقال مندوب بولنده يدافع عن اليهود ايضاً [1] :

« ان حكومة تشيكوسلوفاكيا تبدي اصدق المشاعر واعمقها نحو هذا الموضوع – موضوع دعوة ممثلي اليهود – . »

وقال مندوب تشيكوسلوفاكيا [2] :

« لقد استمعت الى اقوال المندوبين العرب الذين يطالبون بالحق العربي لاعلان دولة مستقلة في فلسطين . اننا لا نستطيع في هذه المرحلة ان نغمط حق اليهود في فلسطين. فصلة اليهود بفلسطين اقدم من عهد الانتداب البريطاني. فقد باشرت الحركة الصهيونية في تعمير فلسطين منذ عام ١٩٠٨ وتنميتها تنمية حديثة . فقد انشأت الحركة الصهيونية في ذلك العام « مكتب فلسطين » الذي اصبح فيما بعد يعرف باسم « الوكالة اليهودية » ولذلك فللشعب اليهودي حق في المسألة الفلسطينية . »

هكذا يعترف هذا المندوب الشيوعي بالحركة الصهيونية من على منابر الامم المتحدة ، رغم كل هذا الهواء الذي يدعيه الاشتراكيون سوفياتا وغير سوفيات من انهم خصوم للصهيونية .

ويمضي مندوب بولنده قائلا :

« الذين يتسائلون عن دوافع حماس بولنده لمصالح الشعب اليهودي في فلسطين يجب ان يعلموا بان نصف السكان اليهود في فلسطين يتكلمون اللغة البولندية . والحكومة البولندية تبدي عميق الاهتمام بمصالح الشعب

(١) نفس المرجع صفحة ٨٢ .

(٢) نفس المرجع صفحة ٨٩ .

اليهودي في فلسطين .

« ثم ان هناك المسؤولية الاخلاقية التي في اعناقنا جميعاً نحو اليهود... وان حكومتي تعير اسمى العناية لمصير الشعب اليهودي ومصير اللاجئين اليهود ...

« اني ارد ان الفت النظر بان الوثيقة البريطانية والوثيقة المصرية (التي قدمت الى الامم المتحدة حول مستقبل فلسطين وحول اعلان الاستقلال) والوثائق الاخرى كلها تشير الى ان من حق الوكالة اليهودية ان تكون الممثل للشعب اليهودي في فلسطين بقصد المشورة والتعاون مع الادارة (البريطانية) في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها التي من شأنها ان تؤدي الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وصيانة مصالح الشعب اليهودي في فلسطين.. ان الوكالة اليهودية معترف بها دوليا ، ومعترف بها من قبل محكمة العدل الدولية العليا ... ولهذا يصر الوفد البولندي على ادخال الوكالة اليهودية في اعمال الجمعية العامة للامم المتحدة ... ان الجمعية العامة سيدة نفسها وتستطيع ان تعدل وتبدل في اللوائح والقوانين .. وان الحكومة البولندية لا تستطيع ان تتصور كيف يمكن تقرير القضية الفلسطينية بغير دور الوكالة اليهودية في دخيلة الجمعية العامة للامم المتحدة .

«... اننا عازمون على التلطيف من مآسي اليهود، ولا لزوم مطلقاً للتلكؤ والمماطلة ... اننا نقدر موقف الولايات المتحدة وهي بلد له تقاليد ديمقراطية عريقة. ونحن اذا عارضنا مشروع قرارها المخالف لمشروع قرارنا فاننا لا نتهم الولايات المتحدة بمعاداة اليهود، لأننا مؤمنون بان قضيتهم (قضية اليهود) على وجه كامل من العدالة بحيث لا يوجد انسان واحد يستطيع معارضتها . والولايات المتحدة دولة ديمقراطية ولذلك فهي لا تقف في وجه القضية اليهودية ...

وهكذا طمر الشيوعيون قديم وعتيق عدائهم للرأسمالية الامريكية في ميدان التسابق على خدمة الشعب اليهودي ، في كل هذا العطف والحماس الشديد الذي ابداه مندوبو الكتلة السوفياتية نحو بني اسرائيل وصهيونيتهم .

وتدخل مندوب تشيكوسلوفاكيا مرة اخرى في جلسة ٢ مايو سنة ١٩٤٧ ليقول ما يلي (١) :

« ان مطالب الشعب اليهودى هي في نظرنا حق وعدل . ومن الانصاف ان نسهل عليهم ان يكونوا بيننا هنا في الامم المتحدة ولو كان هناك عقبات أجرائية » ...

وتحمس مندوب بولندة مرة اخرى في اليوم التالي، أي ٣ مايو، فقال بعد مقتبسات طويلة من النصوص القانونية ومن اقوال الدعاة اليهود التي كانت تنطلق بها السنة الدعاية الصهيونية:

« ... ان قصدنا الوحيد هو التعبير عن اعمق مشاعرنا نحوى مآسي اليهود . فاليهود في حاجة الى كل الوان العطف والعون ... وعلينا ان نستذكر بانه ليس هناك خلاف بين العرب واليهود .. وكل ما في الأمر ان السلام والتعايش السلمي سيجعل من الطرفين اخوة حين يزول الاستعمار والرجعية العربية » ...

كذا يقول هذا المندوب البولندي الذي سبق له واخبرنا من منابر الامم المتحدة بان نصف السكان اليهود في فلسطين جاؤوا من بولندة ويتكلمون البولندية . فهذا النصف البولندي اليهودي هو المسؤول عن جرائم الغدر وفظائع الارهاب الذي قام به اليهود يوم زال الانتداب البريطاني فجأة لمصلحة الصهيونية كما جاء اصلاً لمصلحة الصهيونية .فالوزر والجرم على الطرفين الاستعماري والاشتراكي الذي تجانس موقفهما معاً امام الامم المتحدة لنصرة اليهود في كل هذه المشاعر والخطب والاجتهاد القانوني الدقيق الذي ساهم مندوب بولندة

(١) نفس المرجع السابق، صفحة ٩٨-٩٩ .

وروسيا السوفياتية وبقية الدول الاشتراكية . ومرة اخرى تطوع السيد « جروميكو » في جلسة ٣ مايو فقال :

« قضية فلسطين مسألة لا يجب ان يكون الاهتمام بها مقصوراً على العرب بل على الامم المتحدة كلها . وآمل ان يعتبر كلامي على انه تأنيب للدول العربية التي تطرقت للحديث عن صلب الموضوع الفلسطيني من غير ان يراعوا شعور الآخرين (اي اليهود) ..

« ان قضية فلسطين تهم اليهود ... ولا تهمهم فحسب بل تزعجهم، وتزعجنا نحن السوفيات ايضاً كلما علت شوشرة العرب » ..

فالسيد « جروميكو » وزير خارجية الاتحاد السوفياتي اليوم كما كان (ولا يزال) كبير المندوبين السوفيات باجتماعات الامم المتحـــدة شديد الحرص على ان لا ينزعج اليهود . ويعتبر قضية فلسطين قضيتهم لا قضية اهلها العرب الذي يرتمي بعض زعمائهم هذه الايام على اعتاب الوطن الاشتراكي الام في الاتحاد السوفياتي .

وجاء دور مندوب يوغسلافيا فادلى بدلوه ايضاً لصالح اليهود (١) .

« انني اناشدكم ان تأخذوا قراراً بالاجماع للسماح للوكالة اليهود ان تكون بيننا (في الجمعية العامة) .. ان الوفد اليوغسلافي يؤيد كل التأييد ما جاء في الموفف البولندي من هذه القضية ..»

وتبعه مندوب تشيكوسلوفاكيا مرة اخرى فقال في جلسة ٥ مايو :

« ان يهود فلسطين ويهود العالم بأسره سيتأثرون باي قرار خاطىء نتخذه هنا في الامم المتحدة . ان الملايين من اليهود قد هلكوا في ظل النازية ..

ولقد جرى الوعد لليهود من ٢٥ عاماً ببناء وطن قومي لهم في فلسطين ...

ان هؤلاء اليهود يتطلعون الينا لننصرهم ... فاذا خذلناهم فاننا سنطفىء النور امامهم .. واذا خذلناهم فاننا سنقضي على شجاعتهم وارادتهم » .

(١) نفس المرجع السابق صفحة ١١١ .

لم يكن الغش الدولي مقصوراً على الاستعمار الغربي الذي لم تبخل عليه ضمائرنا وألسنتنا وعقولنا امس واليوم بأعنف النقد وأقوى الاستنكار . بل ان ذلك الغش كان (ولا يزال) له ركائز قديمة ومتواصلة في صميم المعسكر الاشتراكي الدولي الذي يؤاخيه اليوم في دنيا العرب وجوه محترمة وألسنة محترمة وضمائر محترمة ايضاً – مع الأسف الشديد .

★★★

الاهمال العمدي لممثلي الاغلبية العربية في فلسطين

العقيدة الاشتراكية الماركسية كثيرة الاعتماد على « التكتيك » ودهاء الاسلوب المنهجي لتحقيق المآرب . ولا يعبأ أهل تلك العقيدة اذا تجافى هذا الاسلوب مع الحق والمنطق والأنصاف وأبسط المبادىء والمسؤوليات الاخلاقية .

وفي الأيام الأولى التي تناولت فيها الأمم المتحدة قضية فلسطين في ربيع عام ١٩٤٧ بلغ هذا الغش الاشتراكي منتهى العبث بالمبادىء القانونية وبأصول الانصاف والنظرة العادلة في نزاع كالقضية الفلسطينية. كان المفروض فيها ان تكون حصيلة الاستعمار الأجنبي الذي تكافحه الاشتراكية التقدمية كفريضة عقائدية وواجب وجداني . ولكن موقف الكتلة السوفياتية في تلك الأيام العصيبة كان طعنة في صلب الحق العربي – طعنة اكثر ايلاماً من كل الطعنات الأخرى التي اعتدنا على ترقبها من الاستعمار الأوروبي ومن حضانة الأمريكان للبيعة الصهيونية .

فكما يلاحظ من الفصل السابق في هذا السرد للأيام العصيبة الأولى من معالجة الأمم المتحدة لقضية فلسطين كان اللحن الرئيسي في النقاش والحوار

والاجتهاد الدبلوماسي امام اللجنة التوجيهية وامام الجمعية العامة يكاد مقصوراً على حملة السوفيات واعوانهم لتحقيق غرضين ، كلاهما ينسف كل قواعد المسعى العربي لانقاذ ما يمكن انقاذه من حق عرب فلسطين في نوع من العدالة الدولية التي عبث بها الاستعمار الغربي .

والغرض السوفياتي **الاول** كان في الحيلولة بين الدول العربية في الامم المتحدة وبين ادراج موضوع فلسطين على اعتبار انه اعلان لانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين واعلان استقلال البلد. وقد شرحنا كيف ان الحكومة البريطانية عرضت قضية فلسطين على الأمم المتحدة في مذكرة تطلب من هذه المنظمة العالمية « النظر في مستقبل الحكم في فلسطين » . وهذا الطلب غش سياسي وغش قانوني وغش دبلوماسي . ومع ذلك كانت الكتلة السوفياتية من اشد انصار النظرة البريطانية ومن أشد المعارضين للمسعى العربي في اعلان استقلال فلسطين فوراً ، وطالما ان اغلبية اهلها عرب فاصول الديمقراطية تضمن بقاء فلسطين عربية بعد زوال الانتداب البريطاني .

فالوفد السوفياتي والوفود الاشتراكية الاخرى التي تتابعت اصواتها في اللجنة التوجيهية وفي الجلسات الكاملة للجمعية العامة في سرد النقاط القانونية والنداءات العاطفية « والتكتيك » الدبلوماسي لاعطاء « الوكالة اليهودية » صفة « الدولة الشرعية » فوراً ، باعطائها الحق في المشاركة في اعمال الجمعية العامة – هذه الاصوات الاشتراكية اهملت اهمالا عمدياً اي ذكر أو اشارة او تلميح لممثلي الاغلبية الساحقة في فلسطين – ممثلي العرب .

ولقد سمعنا الكثير من المبررات التي يسردها انصار الاشتراكية العربية واعوانها حول حقيقة اغراض السوفيات وموقفهم من قضية فلسطين في تلك المرحلة الدقيقة امام الامم المتحدة . واهم هذه المبررات السوفياتية واكثرها ترديداً هي ان الكتلة السوفياتية كان همها الاول هو ابعاد النفوذ البريطاني عن

لسطين فوراً والحيلولة بين الغرب الاستعماري وبين البقاء في فلسطين .

هذا المبرر السوفياتي كذبة كبرى تؤكدها حقائق النشاط السوفياتي في الايام المؤلمة في الامم المتحدة .

فالطلب العربي الرسمي كان يلح على انهاء الانتداب البريطاني فوراً واعلان الاستقلال لفلسطين فورا . وهذا الطلب العربي هو أفضل وأسلم واقوى الوسائل لانهاء النفوذ الغربي الاستعماري في فلسطين. ومع ذلك كافح السوفيات واعوانهم هذا المسعى العربي مكافحة شديدة كما سجله النقاش والحماس البالغ الذي بدا من السوفيات واتباعهم في معارضة مشروع القرار العربي والتصويت ضده والتأييد الكامل لوجهة النظر البريطانية التي طلبت بحث مستقبل الحكم في فلسطين ، وهو طلب غامض لا يعترف بحق الاغلبية العربية بالاستقلال .

فالغرض الاول للاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في الامم المتحدة لم يكن مجرد السعي لابعاد النفوذ البريطاني والاستعمار الغربي عن فلسطين، وانما كان غرض الاشتراكيين هو ضمان الصبغه اليهودية لفلسطين بعد زوال الانتداب، وما اقتبسناه من خطب المندوبين من الدول الاشتراكية يدل بوضوح على حقائق هذا الغرض .

اما الغرض الثاني للكتلة السوفياتية فقد كان حضانة قوية سافرة لحمل الأمم المتحدة على قبول « الوكالة اليهودية » على انها اشبه بالحكومة الشرعية لفلسطين، حتى قبل ان تعالج الامم المتحدة صلب المشكلة الفلسطينية ، وقبل انشاء لجنة التقسيم التابعة للامم المتحدة، وقبل النظر الجدي في اصول المشكلة الفلسطينية . وقد اصر السوفيات على تخويل « الوكالة اليهودية » المشاركة في اعمال الجمعية العامة بكامل هيئتها ، ومثل هذه المشاركة هو بمثابة اعتراف قانوني بان « الوكالة اليهوية » هي وريثة الانتداب البريطاني على فلسطين . اما الجانب العربي ، وهو صاحب البلاد الشرعي والممثل للاغلبية الساحقة

لسكان البلد ، فقد اهمله السوفيات واعوانهم اهمالا عمديا ، بل كافحوه كما سترى فيما بعد .

وحين نستذكر ان « الوكالة اليهودية » كانت الجهاز الرسمي للصهيونية العالمية ، فان تأييد السوفيات والدول الاشتراكية الاخرى في حلقات الامم المتحدة تأييداً سافراً وعنيفاً متواصلا للوكالة اليهودية هو اعتراف رسمي من جانب الاشتراكيين بالصهيونية . وهذا الاعتراف يصفع كل من يدعي بان السوفيات والمعسكر الاشتراكي كله يعتبر الصهيونية عصبية عنصرية ويكافحها.

وحين نستذكر ايضاً بان « الوكالة اليهودية » كانت منذ البدء تعيش في أعتاب الاستعمار الغربي وفي حضانة الولايات المتحدة، وتستمد العون السياسي والقوة الدبلوماسية وشتى مصادر المال من الغرب الأوروبي والأمريكي ، فان تأييد السوفيات العلني للوكالة اليهودية كان بمثابة تأييد للاستعمار الغربي وصنيعته — وهي الوكالة اليهودية .

فلو ان الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي كله كان يقصد من مساعيه في قضية فلسطين ابعاد النفوذ الاستعماري الغربي عن فلسطين لكان من الواجب على المعسكر الاشتراكي ان يقتصر في مسعاه على تعزيز المطلب العربي الذي يطالب بانهاء الانتداب البريطاني فوراً واعلان استقلال فلسطين فوراً. وليس افضل من هذا الاسلوب في ابعاد النفوذ الاستعماري الغربي عن فلسطين سواء أكان هذا الاستعمار ممثلا في الانتداب البريطاني او في « الوكالة اليهودية » صنيعة الاستعمار ومآربه .

ولكن غش الاشتراكيين ونفاقهم وسوء نواياهم لم يقتصر على تأييد وجهة النظر البريطانية ومعارضة المطلب العربي في انهاء الانتداب واعلان فلسطين، بل تمادى هذا الغش والسوء السوفياتي الى لغم أصول الصالح العربي، كما حدث

حين جاء دور الأمم المتحدة للنظر في دعوة ممثلي الشعب العربي في فلسطين — ممثلو الأغلبية الساحقة للسكان في فلسطين — للمثول أمام الأمم المتحدة .

وكانت اللجنة العربية العليا لفلسطين هي الممثلة المتعارف عليها والمخولة رسمياً بابداء وجهة نظر أهل فلسطين أمام الانتداب البريطاني وأمام العالم بأسره .

ولقد تبين من سياق الشرح في الصفحات السابقة ان « التكتيك » السوفياتي كان في منتهى الدهاء . فمنذ اللحظات الأولى التي تناولت فيها الأمم المتحدة قضية فلسطين تعمّد الاتحاد السوفياتي واعوانه ان يفرضوا سياسة « الأمر الواقع » بشأن قضية فلسطين . وهذه السياسة كانت أقوى سلاح استنبطه اليهود انفسهم طوال تاريخ غزوهم وتدابيرهم لديارنا في فلسطين .

وكانت الكتلة السوفياتية أشد حماساً لتثبيت سياسة الأمر الواقع من حماس الغرب الأوروبي والأمريكي وهو خصمنا الرئيسي في النكبة الفلسطينية منذ ان صدر وعد بلفور . فلأن كان العرب متيقظين للشر الاستعماري ، فانهم كانوا غافلين عن الشر السوفياتي في اعوام النكبة الأولى ، كما هم غافلون اليوم بعد بضعة عشر عاماً من المأساة .

وكانت صدمة الوفود العربية في ربيع عام ١٩٤٧ من هذا الغش السوفياتي المفاجيء صدمة لعينة . فقد كانوا يعتقدون بأن الحق العربي يكافح على جبهة واحدة : جبهة الاستعمار الغربي — الصهيوني ، فاذا بالكتلة السوفياتية تدخل الميدان مؤيدة للصهيونية وبالتالي متحالفة مع الاستعمار .

وكانت طفولة التجارب العربية في ادغال السياسة الدولية مسؤولة الى حد بعيد عن عدد من الاخطاء في تلك الأيام ، كما ان هذه الطفولة هي مسؤولة اليوم ايضاً عن اخطاء اخرى ستؤدي بنا الى المهالك .

فقد امرعت الكتلة السوفياتية فغمرت الحق العربي بالماء البارد حين رفضت تأييد الدول العربية في انهاء الانتداب فوراً واعلان استقلال فلسطين. وتعمد الغش « والتكتيك » السوفياتي تجاهل الحق العربي كلياً في محافل الأمم المتحدة، وتسليط كل الأضواء على حق «الوكالة اليهودية» وبقية المنظمات والجمعيات اليهودية العالمية (شيوعية ورأسمالية) في المشاركة في أعمال الأمم المتحدة فوراً ، كما لو ان قضية فلسطين هي صراع بين اليهود والانتداب البريطاني فقط ، وليس للجانب العربي في فلسطين أي حق في الموضوع كله . وهذا ما كانت الدعاية الصهيونية تروج له في المحيط العالمي طوال تلك الايام وما سبقها .

وهذا ما حدث فعلا . فلم تنتبه الوفود العربية الى هذا الدهاء والغش السوفياتي — اليهودي إلا بعد ان حقق مآربه . ووافقت الأمم المتحدة على السماح للوكالة اليهودية وممثلي الهيئات اليهودية العالمية بالمشاركة في اعمال الأمم المتحدة قبل ان يعطى مثل هذا الحق لممثلي الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين وهم العرب .

ولم ينفع استيقاظ الوفود العربية من هذه الصدمة السوفياتية — الصهيونية في انقاذ الموقف. فقد جاء الاستيقاظ العربي متأخراً، وذهبت سدى مساعي الوفد المصري وهو المتحدث الأول باسم الكتلة العربية آنئذ .

وفي اللجنة السياسية التي اجتمعت بعد ان وافقت اللجنة التوجيهية والجمعية العامة على مساعي السوفيات لأعطاء « الوكالة اليهودية » والهيئات والجمعيات اليهودية الأخرى حق الحديث باسم فلسطين — في اللجنة السياسية هذه وقف المندوب المصري يقول :[1]

(١) محاضر جلسات اللجنة السياسية الأولى المجلد الثالث .

« يؤسفني اني لا استطيع الحديث باسم « اللجنة العربية العليا لفلسطين» أمام هذه اللجنة السياسية . فلتلك اللجنة العربية ممثلون مفوضون بالحديث . ولكني احب ان الفت النظر الى ان الجمعيه العامة عندما وافقت على دعوة « الوكالة اليهودية » للمشاركة في اعمال الامم المتحدة لم توجه اي دعوة للمنظمة العربية التي تعبر عن مصالح اهل فلسطين العرب . فقد اهمل ذلك القرار الذي اصدرته الجمعية العامة اي ذكر للجانب العربي الفلسطيني وحقه في المثول امام الامم المتحدة .

« فاذا سمحنا الآن لممثلي عرب فلسطين بالمثول امام هذه اللجنة السياسية فاننا نجعلهم في مركز « الوكالة اليهودية » الذي صدر قرار رسمي خاص من الجمعية العامة بدعوتها كممثلة ليهود فلسطين .

لقد اخللتم بالمبدأ وهدرتم حق عرب فلسطين ».

وتبعه مندوب العراق (الدكتور فاضل الجمالي) وكان اشد انفعالا واعنف في التعبير ، فقال : [١]

« لقد منعني رئيس هذه اللجنة السياسية امس من الكلام . ولو توفرت لي فرصة الكلام امس لكنا قادرين على تفادي هذه المشاكل الشنيعة التي خلقتوها الآن . لأني كنت اود ان أؤكد امس اخطار التبعات المترتبة على هدر حق عرب فلسطين في التمثيل امام الامم المتحده ، بعد ان اعطيتم « الوكالة اليهودية» حرية استثنائية ومنعتم عن عرب فلسطين ذلك وهم حتما اجدر بالحق.

« كلنا يجب ان يوافق على ان عرب فلسطين هم الورثة الشرعيون للانتداب البريطاني ، رغم اننا نعتبر منذ البدء ان ذلك الانتداب كان عملا غير شرعي اصلا .

(١) نفس المرجع صفحة ٢٨ وما بعد .

«فمن الضروري الآن ان تقدم الجمعية العامة نفسها (لا نحن في هذه اللجنة الفرعية) بتوجيه الدعوة « للجنة العربية العليا » ممثلة الشعب الفلسطيني بالمشاركة في اعمال الامم المتحدة . والا فان كل جهودكم في هذه القضية الفلسطينية ستذهب سدى » .

وتدخل مندوب لبنان (الدكتور شارل مالك) فالقى بيانا طويلا امام اللجنة السياسية جاء فيه [١] :

« لقد خلقتم لنا الفوضى والمشاكل . نحن هنا في اللجنة السياسية الفرعية، ولسنا في الجمعية العامة (بكامل هيئتها) . وتلك الجمعية العامة اتخذت أمس قراراً خطيراً (بشأن دعوة الوكالة اليهودية) . وفي مقدرة الجمعية العامة ان تدخل تبديلا او تعديلا لذلك القرار لأنه كان مجحفاً بالجانب العربي .

« لقد ناشدنا بعض الاعضاء هنا باسم العدل وباسم الله ان نعمل للسلام في فلسطين. ولكني احب ان اسألكم في اعمق الاخلاص هل من العدل والسلام أن نعطي للجانب اليهودي ميزة على الجانب العربي في فلسطين كما اعطاه قرار الجمعية العامة ؟

« هل سيستطيع المؤرخون في المستقبل ان يقولوا في صدق وامانة ان الامم المتحدة كانت منصفة في قرارها هذا ؟

« فاني ارجو من دخلة القلب ان تقوم هذه اللجنه السياسية بحمل الجمعية العامة لاتخاذ قرار آخر يعطي لعرب فلسطين حق القول امام الامم المتحدة (اسوة بما اقرته الجمعية العامة بشأن الوكالة اليهودية) » .

ولكن اللجنة السياسية رفضت هذا الرجاء والالحاح العربي . فقد نجح السوفيات واعوانهم في استخلاص الدعوة للوكالة اليودية من اعلى مرجع في

(١٧) نفس المرجع صفحة ٧٨ .

الامم المتحدة ، من الجمعية العامة ، بينا جاءت الامم المتحدة على « اللجنة العربية العليـــا » الممثلة لعرب فلسطين بدعوة عادية من اللجنة السياسية الفرعية . واعتبرت اللجنة العربية العليا هذا الامر اهانة لها . فرفضت قبول دعوة اللجنة السياسية . وإرسل السيد اميل الغوري ، سكرتير اللجنةالعربية العليا، البرقية التالية يسحب فيها طلبه من الامم المتحدة باسم عرب فلسطين احتجاجاً على هذا الاجحاف ورفضاً لهذا التمييز الذي حبته الامم المتحدة للوكالة اليهودية بفضل حماس السوفيات واعوانهم في حضانة اليهود والصهيونية .

قالت برقية السيد الغوري :

« في ٥ مايو كانت اللجنة العربية العليا لفلسطين قد قدمت طلب الامم المتحدة للمشاركة في الاعمال المتعلقة بموضوع فلسطين . وهـــذا الطلب يمثل مصالح الاغلبية الساحقة من اهل فلسطين . وقد احالت الامم المتحدة طلبنا هذا على اللجنة السياسية الفرعية ، بينا احيل طلب « الوكالة اليهودية » على الجمعية العامة بكامل هيئتها . والوكالة اليهودية تمثل اقلية دخيلة على فلسطين . ومع ذلك وافقت الجمعية العامة على دعوة هذه الوكالة اليهودية دعوة مباشرة . وقرار الجمعية العامة هذا لا يتجانس مع مصالح عرب فلسطين ولا مع مبادىء العدل والديمقراطية ...

« ... ان وفد عرب فلسطين ، مع احتفاظه بحق التصرف في المستقبل ، يجد الآن انلا سبيل له سوى ان يسحب طلبه الذيقدمه الىالاممالمتحدة بقصد ابداء رأيه في موضوع القضية الفلسطينية .

« ... ونود في نفس الوقت ان نسجل هنا في الامم المتحدة بان العرب لم يعترفوا ابداً ولن يعترفوا بالانتداب على فلسطين ، ولا باي هيئة ذات علاقة به او متفرعة عنه » .

هذا الموقف الفلسطيني كان من الممكن ان يحقق بعض النفع ، بل كثيراً

من النفع ، لو ان جماعة اللجنة العربية العليا صمدوا على المبدأ القانوني وتركوا حظيرة الامم المتحدة وعادوا الى ديارهم ليقولوا لاهلها : في الامم المتحدة غش وزور وبهتان . فلا امل لنا هناك من الشرق او من الغرب . فلنقاتل الشر الصهيوني في الميدان ولنعتمد على انفسنا وعلى ايماننا بالحق . فالاستقلال يؤخذ ولا يعطى . وللحرية الحمراء باب بكل يد مخضبة يدق .

ولكن طفولة التجارب العربية في ادغال السياسة الدولية ادت الى ميوعة في الموقف الفلسطيني العربي . فلم تكن هذه الصدمات الاولى التي كشفت للعرب عن الغش الشرقي والغربي معاً كافية لإفهام العقل والوجدان العربي بان الخلاص من الاستعمار والصهيونية لا يكون على يد الآخرين ، وانما باليد العربية وبها فقط .

فأسرع انصار اليهود من الكتلة السوفياتية ومن الكتلة الغربية بترضية الجانب العربي في نقطة ليس فيها اي عبء مطلقاً على المصلحة اليهودية ، بل كان فيها تعزيز وتوكيد « للحق اليهودي كطرف رئيسي في القضيـــة الفلسطينية » . وتقدموا بمشروع قرار امام اللجنة السياسية (ووافقت عليه اللجنة) . يدعو وفد عرب فلسطين به بحضور جلسات اللجنة السياسية المتفرعة عن الجمعية العامة، في حين أن الدعوة الموجهة الى الوكالة اليهودية جاءت من الجمعية العامة نفسها، وهي المرجع الام للجنة السياسية ، وهي أكبر واهم مرجـــع في كل الامم المتحدة .

وهكذا اصر الغش الدولي على ان يعتبر منذ البدء بان الجانب اليهودي هو حجر الزاوية في قضية فلسطين، وان عرب الديار الفلسطينيين ليسواسوى جانباً هامشياً لا بأس من حضوره امام اللجنة الفرعية .

وكان الزور والبهتان واضحين في هذا الاجحاف . وكان كل ذلك كافيـــاً لاهل فلسطين ان يكفروا بالإمم المتحدة في اول اسبوع عالجت بها الكتل

الدولية موضوع الحق والباطل في فلسطين .

ولكن العباطة العربية اصرت على املها في « العدل والانصاف » على يد المجموعة الدولية، وتعليق آمال على موقف الكتلة السوفياتية بصفة خاصة .

ونشط وفد الباكستان لانقاذ ما يمكن انقاذه لصالح الجانب العربي في حلقات الامم المتحدة، وحمل الجمعية العامة بكامل هيئتها على توجيه الدعوة الى وفد عرب فلسطين اسوة بما فعلت الجمعيه العامة (في اقل العناء وبفضل الحماس السوفياتي) في حضانة « الوكالة اليهودية » واعتبارهـا وريثة الانتداب البريطاني على فلسطين .

واصر وفد اللجنة العربية العليا على رفض قبول الدعوة من اللجنة السياسية الفرعية . فقد كان يرغب « المساواة » مع الوكالة اليهودية التي جاءتها الدعوة من اكبر مرجع في الامم المتحدة ، من الجمعية العامة بكامل هيئتها .

وهكذا تضاءل المنطق العربي كله من موقف كان يعتبر الحركة الصهيونية ويهود فلسطين جميعهم « اقلية دخيلة » على البلد ، الى موقف رجاء والتماس عربي يطالب « بالمساواة » مع الوكالة اليهودية !..

وتطوع مندوب الهند فقدم مشروع قرار الى الجمعية العامة في ثلاثة سطور يطلب منها توجيه الدعوة الى وفد اللجنة العربية العليا أيضاً أسوة بالدعوة الى الوكالة اليهودية .

ومرة اخرى ظهرت رذائل الكتلة السوفياتية ، فقد عارضت معارضة سافرة توجيه الدعوة الى وفد اللجنة العربية العليا عن طريق الجمعية العامة .

وقال مندوبو الكتلة السوفياتية ان اللجنة التوجيهية قد سبق لها ونصت على « امكانية الدعوة لهيئات أخرى معنية بأمر فلسطين» فضلاً عن « الوكالة اليهودية » التي جاء ذكر صريح واضح لها في ذلك القرار .

وقال الاشتراكيون ان لا لزوم لاتخاذ قرار ينص على وفد عرب فلسطين. فيكفي ان اللجنة السياسية الفرعية قد وافقت على سماع اقوال مندوبي عرب فلسطين !..

وقد لعب الغش الاشتراكي دوره ابضاً الى آخر مرحلة في هـذه المهزلة والمأساة العربية في أول خطوات الأمم المتحدة لايجاد « تسوية عـادلة » للقضية الفلسطينية . فعند طرح مشروع القرار الهندي الذي يطلب من الجمعية العامة دعوة وفد اللجنة العربية العليا الفلسطينية أيضاً للادلاء برأيها في موضوع البحث ، جرى التصويت على القرار الهندي برفع الايدي ، لا بمناداة الوفود رسمياً بالاعراب الصريح عن مواقفها . وأخذ الاصوات عن طريق رفع الايدي معناه تفادي الدول الاعضاء تسجيل أصوات كل واحدة منها على حدة، ومثل هـذا التسجيل يكشف نوايا الدول حول الأمور الجزئية ممـا يساعد المراقبين سلفاً على تبيان مواقف تلك الدول من الأمور الاكثر خطورة .

وكان طلب التصويت برفع الايدي (لا بالمناداة لكل وفد على حدة) على مشروع القرار الهندى ـ كان طلب التصويت على هذا الشكل بالحاح من وفـد السوفيـات ، لكي يمضوا في ستر نواياهم حول صلب القضية الفلسطينية في اول مراحلهـا ، وليتفادوا الكشف عن كل اوراق لعبتهم في نصرة اليهود ، مع ان الايام القليـلة الماضية في اللجنة التوجيهية وفي اللجنة السياسية وفي الجمعية العامة قـد كشفت في أدلة متلاحقة على أن غرض الاشتراكيين ليس مكافحة الاستعمار فقط بل معونة اليهود والصهيونية على افتراس فلسطين .

وفيما يلي نماذج حرفية لأقوال مندوب السوفيات السيد « جروميكو » في معارضة القائلين بدعوة وفد عرب فلسطين من الجمعية العامة اسوة بمـا حققه السوفيات واعوانهم للوكالة اليهودية .

قال السيد « جروميكو » في جلسة ٧ مايو من منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة » .

« انا لا ارى أي مبرر للموافقة على مشروع القرار الهندي لانه يضعف من القرار الذي اتخذته اللجنة السياسية الفرعية (بشأن دعوة وفد اللجنة العربية العليا) . فالقرار الذي اتخذناه في هذه الجمعية العامة (بشأن دعوة الوكالة اليهودية) واضح جلي . لقد فرغنا من الموضوع – موضوع تمثيل أهل فلسطين »

هذا المنطق الاشتراكي توكيد علني من اعلى منابر الامم المتحدة بلسان سيد الاشتراكية العالمية – الاتحاد السوفياتي بان الوكالة اليهودية هي كل شيء في فلسطين . اما عرب البلاد فطائفة جانبيه لا تستحق الا فتات موائد الامم المتحدة .

ولم يعر العرب هذا الغش السوفياتي كثيرا من الاهتمام ، فقد كانوا يعتبرون الاستعمار الغربي والغش الامريكي هو وحده حجر الزاوية في مستقبل فلسطين . فاختاروا اليقظة للجانب الاستعماري الغربي الذي كانوا يعلمون عنه كل شي ، ويفقهون دسائسه ويشمون روائحها على ابعد اميال وفراسخ . اما موقف الثمانية الدول الاشتراكية في الامم المتحدة فقد اهمله العرب في كل المراحل . عام ١٩٤٧ وفي هذه السنوات التي نعيشها اليوم في بيعات الاشتراكية العربية نفسها .

وحين نستذكر ونرى فيما بعد ان نكبة فلسطين في قرار التقسيم احتاجت الى صوت واحد ليتبدل الموقف ، فان الاصوات الثمانية التي كان يستهلكها السوفيات والدول الاشتراكية الاخرى كانت السيف القاطع الذي قضى على كل امل للجانب العربي في الحصول على العدل والانصاف .

فقد ظلت العباطة العربية الى آخر لحظة في الامم المتحدة تترقب « حسن النية » من الدول الاشتراكية الثمانية . لان الاشتراكيين يكافحون الاستعمار :

وقضية العرب في فلسطين هي قضية استعمار ، فالجمع والطرح السياسي يؤكد وقوف الدول الاشتراكية الى جانبنا . فلم تتعظ الوفود العربية او حكوماتها واهلها في الوطن بكل هذه الدلائل المبكرة عن عزم السوفيات والاشتراكيين جميعهم في جعل الصهيونية « وريثة شرعية » للاستعمار البريطاني في فلسطين .

وفي مثل هذا المناخ العاطفي والفكري المشوه ، مضى المندوبون العرب في الامم المتحدة في ركاب البحث والنقاش والاعتماد على العدل وعلى الدبلوماسية ، بعد كل هذه الادلة والقرائن التي بدت سلفاً في اتم الجلاء والوضوح على كثافة الغش الدولي في الامم المتحدة – غربياً واشتراكياً ، امريكياً وبريطانياً وسوفياتياً ايضاً .

ورضي مندوبو اللجنة العربية العليا بان يتساووا مع الوكالة اليهودية في قبول دعوة الجمعية العامة . ولو صمد وفد عرب فلسطين على غضبتهم التي سحبت طلب المشاركة في اعمال الامم المتحدة ، ورجع الوفد الى جباله ووديانه ومدنه ودساكره في فلسطين ليأخذ الحق والاستقلال بيده لا بيد زيد او عمرو ، لكان مستقبل فلسطين وعروبتها غير ما هي عليه اليوم من خزي وعار وجبن واتكال .

ان ما استعرضناه في هذه الصفحات السابقة لم يكن الا نموذجاً واحداً لما جرى اذ ذلك من غش دولي ، استعماري وماركسي ، وعباطة عربية شارك فيه مندوبو عرب فلسطين انفسهم مع الاسف الشديد .

فلنتابع تطور الشؤون في الامم المتحدة ، التي تراكم عليها المنكر فوق المنكر ، وليس في الدار العربية من يتعظ سلفاً فلا يمضي في مزاملة الغش ولا يصر عباطة على ايمانه بان خطاباً في هذه اللجنة وبياناً في تلك الحلقة ، وهمساً من هذا الدبلوماسي السوفياتي او وشوشة من هذا الصديق الغربي سيكفل تبديلاً في حظوظ العرب وفي قضية كقضية فلسطين ، تبلورت في اول اسبوع

تناولتها فيه الامم المتحدة من حق الاكثرية العربية في الاستقلال الناجز ، الى توسل عربي كل ما يريده هو « المساواة » مع الوكالة اليهودية في مقعد قلق امام لجان الامم المتحدة لقراءة خطاب تنشره صحف العرب فتعطي للابرياء في الوطن صورة مشوهة عن اهمية الجهد الدبلوماسي في ماخور العهارة الدولية .

تشكيل لجنة التقسيم .

بلغ المندوبون العرب هزيمتهم الاولى في مستهل تناول الامم المتحدة لقضية فلسطين . وكانت هزيمة مزدوجة : (١) رفض الطلب العربي القائل باعلان استقلال فلسطين بعد زوال الانتداب البريطاني . (٢) تركيز الرأي الدولي كله في الامم المتحدة على اعتبار اليهود هم الطرف المعني بالامر المباشر لمستقبل فلسطين ، ولتذهب الاكثرية العربية في البلد الى الجحيم . والفضل في هذه الهزيمة المزدوجة يقع بصفة مباشرة على الكتلة السوفياتية التي كان حماسها لوجهة النظر والمصالح اليهودية الصهيونية اكبر مفاجأة في سلسلـــة الاعاجيب التي جابهتها قضية الحق العربي في دسائس الشرق والغرب .

وانتقلت الامم المتحدة الى الخطوة التالية ، بعد فراغها من :

(١) الموافقة على نص الموضوع وهو « مستقبل الحكم في فلسطين » كما شاءت الحكومة البريطانية ان يكون هذا النص مدرجاً في جدول الاعمال .

(٢) اعتبار « الوكالة اليهودية » ممثلاً شرعياً ليهود فلسطين (او لكل شعب فلسطين كما حاول السوفيات واعوانهم توكيد ذلك) .

(٣) التكرم على ممثلي عرب فلسطين بحق الحضور امام اللجنة السياسية الفرعية ، وذلك بعد لأي ومماطلة ونكسات واهانات ادبية وتحايل على الميثاق والمبادىء ، تحايل كانت الكتلة السوفياتية الرأس المدبر له .

وهذه الخطوة التالية التي كان على الامم المتحدة القيام بها في هذه المرحلة الاعدادية من بحث القضية الفلسطينية هي تشكيل لجنة دولية خاصة لفحص الحقائق الفلسطينية ورفع التواصي الى الجمعية العامة للامم المتحدة حول مستقبل الحكم في فلسطين .

وهنا ايضاً نشط السوفيات واعوانهم لعرقلة الصالح العربي .

فقد كان الرأي منقسماً الى فريقين : واحد يرى ان تتألف لجنة التحقيق الدولية من الدول « المحايدة » . والآخر يرى ان من الضروري ان تكون لجنة التحقيق هذه شاملة للدول الخمس الكبرى صاحبة البـــاع الطويل في دقائق الأمور داخل الامم المتحدة . وهذه الدول الخمس الكبرى هي : امريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

وكانت الكتلة السوفياتية معارضة اشد المعارضة للرأي القائل بتشكيل لجنة التحقيق الدولية من الدول الصغرى المحايدة . فقد كان قصد السوفيات ان يكونوا انفسهم اعضاء في لجنة التحقيق ، بحكم انهم (اي السوفيات) في عداد الدول الخمس الكبرى ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الامن الدولي ، وصاحبة حق النقض « الفيتو » الذي تستطيع به اية دولة من تلك الدول الخمس نقض اي قرار او توجيه لا ترضى عنها حتى لو وافقت عليها جميـــع الدول الاخرى :

ولكن السوفيات فشلوا في مسعاهم هذا . فجاء تشكيل لجنة التحقيق (او اللجنة الخاصة كما كانت تسمى آنئذ رسمياً) وتحري الامور في فلسطين نفسها – جاء تشكيل هذه اللجنة الخطيرة من احد عشر عضواً يمثلون دولاً صغرى المفروض فيها ان تكون « محايدة » في النزاع الفلسطيني . وهو نزاع تطور الى ثلاث اطراف : العرب ضد بريطانيا ، والعرب ضد المطامع الصهيونية ، والغش الدولي (شرقياً وغربياً) ضد الحق العربي .

فاختاروا الدول الاحد عشر التالية لعضوية لجنة التحقيق :

استراليا . كندا . تشيكوسلوفاكيا . جواتيمالا . الهند . ايران . هولندة . بيرو . السويد . اروغواي. يوغسلافيا .

ومن اشد دواعي الاسى والاسف والغضب الشديد ان المندوبين العرب لم يبدوا اي اكتراث جدي بالطريقة التي تشكلت فيها هذه اللجنة ، رغم ان تكوينها على هذا الشكل لا يمكن باي منطق سليم ان يكون مدعاة الى راحة الضمير او الى العدل والانصاف .

وليس في محاضر جلسات الامم المتحدة حول هذا الموضوع اي سجل للرأي العربي ينتقد عضوية هذه اللجنة الخطيرة على النحو الذي تألفت منه اللجنة .وكاتب هذه السطور كان مواظباً على حضور جلسات الامم المتحدة آنئذ، ويشهد انعدداً من اصدقاء العرب حاولوا لفت نظر الوفود العربية الى خطورة هذا الصمت العربي الرسمي ، ولكن لم يكن من سميع .

ووجه الخطورة في تشكيل هذه اللجنة انها لم تكن مؤلفة من دول محايدة حقاً .

فاستراليا وكندا كانتا دولتين من دول الكومونولث البريطاني الاصيلة،ولا يمكن ان تحيد عن وجهة النظر البريطانية التي لم تكن راغبة في منح اهل فلسطين الاستقلال، حتى بعد ان تنازلت بريطانيا عن انتدابها الرسمي على فلسطين . وكان المعروف عن هولندة انها دولة استعمارية .

وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا كانتا دولتين شيوعيتين شاركتا في صراحة القول وعنف الحماس للدفاع عن المصلحة الصهيونية حتى في الايام الاولى من معالجة الامم المتحدة لقضية فلسطين ، كما شرحنا ذلك في القسم الاول من هذا البحث .

وكان المعروف عن مندوبي « جواتيمالا » و « اوروغواي » انهما في جيب اليهود . فالمراقبون في دهاليز الامم المتحدة لم يكونوا بحاجة الى دائرة

استخبارات خاصة ليروا مبلغ الزمالة والتودد وتبادل البسمات والهمس والدس وكؤوس الويسكي وحلقات المجون بين هذين المندوبين اللاتينيين . بين سماسرة اليهود من مختلف الاشكال والتبعيات الذين كانوا يملؤون دهاليز الامم المتحدة ، ولا يجدون ادنى حرج في مغازلة اصدقائهم اللاتين علانية .

بقيت دول الهند وايران والسويد . اما السويد فقد كانت محايدة حقاً . وكانت الهند تعطف على وجهة النظر العربية في غير تطرف سافر . وكانت ايران لا تتخلف لحظة واحدة عن الدفاع عن الحق العربي فمن بين مجموع الدول الاحد عشر التي تشكلت منها لجنة التحقيق كان لنا صديق او صديقين هما ايران والهند . اما بقية الاعضاء (او اغلبيتهم بالاحرى) فقد كانوا ابعد ما يكون عن المفهوم الصحيح للحياد .

ولقد انفق كاتب هذه السطور بضعة عشر عاماً في عمل متواصل في سياسة الامم المتحدة ، وهو عاجز حتى الآن عن ادراك السبب الذي جعل المندوبين العرب في الامم المتحدة آنئذ يصمتون ذلك الصمت المطبق على الصورة التي تشكلت فيها لجنة التحقيق .

واستيقظ العقل العربي ولكن بعد ان تمت الموافقة النهائية على عضوية لجنة التحقيق ، وجاء دور البحث في مهام اللجنة والطريقة التي عليها تحقق في القضية الفلسطينية عن كثب ، والتواصي المفروض من اللجنة رفعها الى الجمعية العامة للامم المتحدة .

فقد اكتشف المندوبون العرب ان الغش الدولي يتمادى في استهتاره بالحق العربي حتى قبل ان تقوم لجنة التحقيق الدولية بمهامها والذهاب الى فلسطين للدراسة والاستقصاء .

فقد تعمد اصدقاء اليهود ، وفي طليعتهم دول الكتلة السوفياتية ، ان يوسعوا المسألة الفلسطينية فيدخلوا في مهام لجنة التحقيق الدولية زيارة

معسكرات اللاجئين اليهود في اوروبا . وتكليف اللجنة بأن توصي بوجوب فتح باب الهجرة الى فلسطين وجعل قضية اللاجئين اليهود الاوروبيين جزءاً جوهرياً من مستقبل الحكم في فلسطين ! .

ولعب الغش الماركسي دوراً حاذقاً في هذه الفترة بالذات . فقد ايدوا العرب في ناحية وطعنوهم في ناحية اهم ، فكانت النتيجة ان الغش افاد اليهود افادة قصوى .

فقد بلغ الحماس العربي اوجه في معارضة الصيغة التي اقترحت لمهام لجنة التحقيق الدولية . اذ اصر المندوبون العرب على امرين : اولهما تكليف لجنة التحقيق ان ترفع التواصي الى الامم المتحدة بضرورة اعـــلان استقلال اهل فلسطين طالما ان الانتداب البريطاني قد زال .

وثانيهما : المعارضة الشديدة لدمج قضية اللاجئين والمشردين في اوروبا والجوالي اليهودية الانغري في كل مكان — دمج قضية اليهودية العالمية هذه بالحق العربي لاستقلال فلسطين . فقضية الاضطهاد اليهودي على يد النازيين او على يد غيرهم قديماً وحديثاً لم تكن من صنع العرب . ولذلك فليس هناك ادنى مبرر لان يدفع العرب ثمن الاضطهاد الاوروبي لليهود .

فوافق الاتحاد السوفياتي واعوانه على « امكانية النظر في استقلال فلسطين » ولكن عندما يرتبط المصير الفلسطيني كله باليهودية العالمية ونكباتها وكونها اقلية مضطهدة في شتى الديار ، وبمعنى آخر ارادت الكتلة السوفياتية استقلال فلسطين وازالة النفوذ البريطاني عنها ، ولكن شرط ان يرث هذا الاستقلال يهود العالم لان الدنيا تضطهدهم ! ..

واصر الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى اصراراً شديداً على جعل قضية الاضطهاد اليهودي في كل انحاء العالم جزءاً من القضية الفلسطينية ، وجعل فلسطين باباً مفتوحاً لكل يهودي . ولتذهب حقوق الاغلبية العربية في فلسطين الى الجحيم .

وهذا الحماس السوفياتي لليهودية العالمية وللحركة الصهيونية التي تفترس عرب فلسطين ، اتخذ شكل النشاط السوفياتي المتواصل في مناقشات عنيفة استمرت عدة جلسات وساعات طويلة مريرة وقـــدم الاتحاد السوفياتي تعديلات وتحويرات على مشاريع القرارات لكي يضمن السوفيات التوكيد على ربط يهود العالم كله بفلسطين .

فالنص النهائي لمشروع القرار الذي حدد مهام لجنة التحقيق الدولية كان في ذاته مجحفاً اجحافاً لعيناً بالحق العربي . ولكن مندوبي الكتلة السوفياتية لم يكونوا راضين عنه . فادخلوا تعديلات على مشروع القرار زادتـــه ضماناً للمصالح اليهودية .

كان نص القرار الخاص بمهام لجنة التحقيق يتضمن ما يلي [١] :

(١) تخويل لجنة التحقيق اوسع الصلاحيات لبحث القضية الفلسطينية ورفع التواصي بشأن مستقبلها الى الجمعية العامة .

(٢) على لجنة التحقيق ان تجري دراساتها وابحاثها في داخل فلسطين وفي اي مكان آخر يطيب للجنة زيارته ، والحصول على المعلومات من ممثلي الشعب الفلسطيني ومن اي الهيئات والاوساط التي تراها اللجنة ذات نفع لمهامها .

(٣) مراعاة المصالح الدينية للاسلام واليهودية والمسيحيـــة في فلسطين مراعاة دقيقة .

ولم يرض المندوب السوفياتي بهذا النص المائع الذي يشير الى حق عرب فلسطين في الاستقلال ، بـــل قام السوفيات وادخلوا تعديلاً رسمياً غرضه التوكيد على الحق اليهودي نصاً وروحاً في مهام لجنة التحقيق . ولكي يكسبوا الوقت في حماسهم لليهود قدم الوفد السوفياتي تعديله باللغة الانجليزية

(١) المحاضر الرسمية للجنة السياسة ، الرئيسية المجلد الثالث ، صفحة ٣٤٤ وما بعد .

لا باللغة الروسية (كما هي عادة السوفيات) . فالترجمة تحتاج الى وقت . والروس كانوا على عجل لتعديل ما اقرته الجمعية العامة وتثبيت الحق اليهودي بكل الوسائل ومختلف المناسبات .

وهذا هو نص التعديل السوفياتي [١] :

على لجنة التحقيق ان تجمع وتحلل وتدرس جميع المواد والمصادر المتعلقة بالقضية الفلسطينية، وان تتقبل مذكرات ورسائل وشروح وتفصيلات ترفعها اليها مختلف الهيئات المعنية بالامر . وان تفسح المجال لسماع رأي كل من يعتبر نفسه مهتماً بالمسألة الفلسطينية » . وحين ندرك بان في دهاليز الامم المتحدة كانت ترابط عشرات الهيئات اليهودية العالمية وعشرات الجبهات الصهيونية ، وان فتح الباب لكل من يعتبر نفسه ذا صلة بفلسطين معناه فتح الباب ليهود العالم بأسره وجمعياتهم ومنظماتهم واذنابهم . حين ندرك هذه الحقيقة نستطيع ان نفهم مغزى هذا الصديق السوفياتي .

ولم يكتفوا بهذا فاوعز السوفيات الى مندوب بولنده بتقديم تعديل آخر، الغش اليهودي فيه واضح كالنهار . وهذا نص التعديل البولندي : [٢]

« على لجنة التحقيق ان تقوم بالتحريات في مخيمات اللاجئين في قبرص وفي كل مكان لأن في ذلك صلة مباشرة بالقضية الفلسطينية . »

والقى مندوب بولنده خطابا حماسيا للدفاع عن حق يهود العالم في فلسطين، ولا غرابة في ذلك، فلقد كان المندوب نفسه يهوديا. فالزعمات للنظم الاشتراكية الاوروبية اغلبها يهودية في كل مكان. قال :

« ان تشكيل العضوية للجنة التحقيق الدولية لا يجب ان يخضع للعامل الجغرافي (اي ان يكون الاعضاء تابعين لمختلف مناطق العالم بغض النظر عن

(١) وثيقة الامم المتحدة A - C. 1. - 166
(٢) وثيقة الامم المتحدة A-C.I 170

كونهم محايدين او غير محايدين في النزاع الفلسطيني) . مسألة الحياد لا تهمنا مطلقاً . فاننا نطالب بعضوين في لجنة التحقيق للدول الاشتراكية بالاضافة الى عضوية الاتحاد السوفياتي . ونقترح يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ».

وكان لهذا المندوب ما شاء . فدخلت هاتان الدولتان الاشتراكيتان اعضاء في لجنة التحقيق، رغم ان وفديهما كانا قد اعلنا صراحة مؤآزرتهما لليهود على حساب الحق العربي .

وقال مندوب يوغسلافيا مثلا :

« دعونا نتعاون جميعاً في خدمه الشعب اليهودي . لقد آسى من العذاب ما فيه الكفايه . وآن له ولنا ان يستقر به المطاف .. »

وحاول مندوب السوفيات ان يلقي بكل وزن الاشتراكية العالمية في جانب اليهود . فقال السيد « جروميكو » في البيان الذي القاه على اللجنة السياسة الخاصة في جلسة ٨ مايو ١٩٤٧ [١]

« .. ان الاتحاد السوفياتي لا يريد فقط ان يهيء للحلول النهائية للقضية الفلسطينية ، بل يريد ان يساهم في تنفيذ تلك الحلول . . ان اسهل طريقة لتسوية مستقبل فلسطين هو ما تتفق عليه الدول الكبرى ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن . والاتحاد السوفياتي من جانبه (كدولة من هذه الدول الكبرى) مستعد ان يتعاون في الموضوع ... ليفهم بعضنا فهما صحيحا الآن .. فلنا جميعاً مصالح مشتركة في هذا السبيل .. »

هذا التصريح السوفياتي اتخذ اخطر الصفات لأنه جاء في فترة كان السوفيات واعوانهم في مستهل الحرب البارده يتنكرون لاي لون من التعاون مع الغرب الاوروبي والامريكي .

(١) محاضر جلسات الرسمية للجنة السياسية . المجلد الثالث صفحة ١٤٨ وما بعد .

وجاء دور النفاق الماركسي الذي اتقنه مندوب يوغسلافيا مثلاً فقال في جلسة ١٠ مايو امام اللجنة السياسية :[١]

« مما لا شك فيه ان بريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين قد قامت باعمال عظيمة في ميدان التنمية للبلد . وهـا انا اقيس الارقام التاليـة من مجلة «سبكتيتور» البريطانية قد انفقت ٧٠٠ الف جينه على التعليم في فلسطين ، ٥٥٠ الف جينه على الصحة العامة ، و ٤ ملايين و ٦٠٠ الف جنيه لصيانة الامن . ان الوفد اليوغسلافي شديد الاعجاب بهذا السخاء والجهد البريطاني في صالح اهل فلسطين ، ولذلك فان علينا هنـا في الامم المتحدة ان نعين دولة الانتداب بريطانيا في ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، ومن اجل التيقن اذ كان اهل فلسطين قد بلغوا النضج الكافي الذي يسمح لهم بتحمل مسؤوليات الاستقلال او الحكم الذاتي ..»... ان مسألةمنح الاستقلال لفلسطين تحتاج الى دراسة دقيقة ، وان وفد يوغسلافيا ليأسف لماذا لا تراعي الامم المتحدة هذه الناحية المهمة — ناحية التدقيق فيما اذا كان شعب فلسطين اهلا للاستقلال . هذا الامر يحتاج الى الدراسة . واول ملتزمات الدراسة هو التعرف على مقدرة اهل فلسطين في صيانة الامن بانفسهم ... »

هذا المندوب اليوغسلافي في تشكيكه بصلاح اهـل فلسطين على تحمل مسؤوليات الاستقلال وصيانة الامن الداخلي انما كان يقصد لفت النظر الى ان وضع الاقلية اليهودية في فلسطين تحت رحمة الاغلبيه العربية امر «غيرانساني». ففي نفس الخطاب الآنف الذكر شرح هذا اليوغسلافي حقيقة مقاصده وتأييده لوجهة النظر اليهودية فمضى يقول :

«.. ان من المستحيل فصل مشكلة فلسطين عن مصير الشعب اليهودي.»

كذا قال مندوب دولة اختيرت عضوا في لجنة التحقيق الدولية على اعتبار ان يوغسلافيا «محايدة» في النزاع العربي اليهودي ؟ ..

(١) نفس المرجع صفحة ٢٠٩ وما بعد .

وعاد الوفد البولندي الى ترديد اللحن نفسه . فقال في جلسة ١٢ مايو:[١]

« ... لقد صرح رئيس الوزارة البولندية في ٢٦ نيسان عام ١٩٤٦ أمام مجلس الأمة البولندية بهذه المشاعر العميقة نحو الشعب اليهودي :

« نظراً للمأساة الكبرى التي عاناها الشعب اليهودي (على يد النازية) فان علينا جميعاً ان نأخذ بيد اليهود ونعينهم لتحقيق ما يصبون اليه من آمـال في الوطن القومي في فلسطين .. ان بـين الشعب البولندي والشعب اليهودي روابط وثيقة . ونحن لا يمكن أن ننسى مـا حاق باليهود . ونحن نعطف عليهم ونحمل لهم كل الود والعون . ونحن نفهم أدق الفهم آمـالهم ، ونحرص على المساعدة في تحقيقها ... اننا مدركون بأن ربط مصير اليهود الأوروبيين بالمصير الفلسطيني سيخلق مشاكـل عويصة في صلب المشكلة الفلسطينية .. ولكن مع الأسف فان من المستحيل علينا ان نفصل بـين المشكلتين ، لأن أغلبية اليهود المشردين يريدون الهجرة الى فلسطين .»

وهـل هناك فرق بين مواقف « تشرشل » و «روزفلت » في تأييدهم وعطفهم على مطامع اليهود في فلسطين وبين كلام رئيس وزراء بولندة الذي اختار ان يردده المندوب البولندي مرة اخرى للتوكيد من منابر الامم المتحدة؟ هذا التصريح البولندي طويل يستغرق حوالي عشر صفحات طوال ، وكله غزل وثناء وحماس لليهودية الصهيونية على حسابنا نحن الاغبياء العرب الذين يجد بعضنا اليوم في الشرق الأوروبي الماركسي صديقاً وزميلاً في العقيـدة الاشتراكية ، وفي ادق الصلات ، وفي عباطة الثقة والاعتماد على « خير » يرجى من المعسكر الاشتراكي في معركة البتّ العربي مع الشر في اسرائيل .

* ولنقرأ مرة اخرى تصريحاً آخر للمندوب السوفياتي السيد « جروميكو »

(١) المحاضر الرسمية للجنة السياسية صفحة ٣٤٣ وما بعد .

نفسه ، في جلسة ١٤ مايو امام اللجنة السياسية :[١]

« ان نظام الانتداب البريطاني على فلسطين ليس فيه نفع للعرب او لليهود فهو لا يحقق مصالح الطرفين ! .. ان العرب واليهود معاً يطالبون بانهاء الانتداب البريطاني ، وكلاهما متفق على ذلك ...

ولكن علينا وعلى لجنة التحقيق الدولية ان تستنكر بان الاغلبية من الشعب اليهودي في العالم مرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالقضية الفلسطينية وبمستقبلها ومستقبل الحكم في فلسطين .. وهذا الارتباط امر معقول ، ونحن نفهم اسبابه ومقاصده ونقرها ونؤيدها .. لقد اصاب الامة اليهودية نكبات وآلام يستعصي على اللسان وصفها ... فأننا نسأل الامم المتحدة باسم الشعب اليهودي المشرد بان تراعي آماله وتحققها ... فتوجد لهم وطناً وتقرر لهم حقوقاً ...، وان من المنكر ان نمنع عن الامة اليهودية هذا الحق ... »

« ... في حلقات الامم المتحدة تختلف الآراء حول مستقبل فلسطين :

١ – انشاء دولة عربية يهودية مشتركة .

٢ – تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .

٣ – تحويل فلسطين الى دولة عربية بدون مراعاة لشعور ومصالح الشعب اليهودي . »

وتابع السيد « جروميكو » البيعة السافرة للصالح اليهودي فقال في نفس الخطاب :

« لن ادخل في صلب الموضوع واحدد موقفي من هذه الآراء الخاصة بمستقبل فلسطين . فسيأتي مجال لذلك للوفد السوفياتي ان يبدي رأيه . ولكن اود الآن ان ادلي ببعض نقاط جوهرية هي : اولا : وجود شعبين في

(١) المحاضر الرسمية للنقاش من صفحة ١٠٦ الى ١٣٥ المجلد الأول .

فلسطين العرب واليهود . كلاهما له جذور تاريخية في فلسطين . ففلسطين وطن قومي للطرفين العرب واليهود . فلا يجوز اعطاء فلسطين لطرف واحد (الطرف العربي) كما يطالب البعض هنا . ان الاتحاد السوفياتي يرى ان افضل الحلول هو اعطاء اليهود والعرب معاً حقوقاً متساوية في دولة واحدة يحكمها الطرفان حكماً مزدوجاً. وهذا الحل له انصاره في فلسطين نفسها. »

هؤلاء الانصار الذين ذكرهم السيد (جروميكو) هم الحزب الشيوعي العربي والحزب الشيوعي اليهودي والطوائف والمدارس الاشتراكية الاخرى عربية واجنبية التي اتسع (اجتهادها) وتضخم وجدانها (كما تضخم وجدان جروميكو) فاعتبرت الشرذمة اليهودية التي كانت لا تشكل سوى نسبة ضئيلة من السلطان في فلسطين عام ١٩٤٧ متعادلة في الحق التاريخي والحق الطبيعي والحق السياسي مع الاغلبية الساحقة من اهل البلد .

ومضى السيد (جروميكو) في غلواء حضانته لليهودية والصهيونية ايضاً التي اشاع الاشتراكيون امس واليوم بان المعسكر الاشتراكي الماركسي خصم لها : قال (جروميكو) في نفس الخطاب :

« اذا تعذر نجاح الحكم المزدوج العربي اليهودي فاننا قد نجد الحل في تقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ..

وعلى لجنة التحقيق الدولية ان تدرس هذين الاحتمالين لمستقبل فلسطين .»

هكذا أفتى مندب الاتحاد السوفياتي بالتقسيم سلفاً وقبل ان تبدأ لجنة التحكيم الدولية ابحاثها وتحرياتها ودراستها للوضع الفلسطيني . افتى « غروميكو » وزير خارجية الاتحاد السوفياتي هذه الأيام بتقطيع فلسطين اذا فشل المسعى لخلق دولة اشتراكية تذوب فيها الصفة العربية والصفة اليهودية في ظل « الاخوة » الاشتراكية .

فأي حل أو مساهمة من جانب الاتحاد السوفياتي للأزمة الفلسطينية اليوم

أو غداً لن تحيد عن هذا الموقف السوفياتي الذي سجله « جروميكو » منذ ١٤ مايو ١٩٤٧ .

فقد لعب الاتحاد السوفياتي دوراً خطيراً في مساواة الزور الصهيوني بالحق العربي، حيث كان اليهود اقلية تافهة في مجموع السكان لأهل فلسطين . ولعب الاتحاد السوفياتي دوراً في « صيانة مكاسب الثورة » اليهودية التي غدرت بعرب فلسطين في ساعات الظلام فنال اليهود ما شاؤوا .

فكل أمل يترقبه الاشتراكيون العرب هذه الأيام أو في المستقبل القريب من الاتحاد السوفياتي ، لن يتجاوز الدعوة لى حكم مزدوج عربي — يهودي في ظل النظام الاشتراكي الماركسي . فليس في جعبة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي الدولي سوى هذا الحل. فقد ساهم الاشتراكيون منذ البدء فى نصرة اسرائيل ، ولن يتخلوا عنها اليوم بعد ان اصبحت «كياناً شرعياً » . وكل ما تأمل موسكو او بكين او اي الأسباط في المعسكر الاشتراكي الماركسي هو تحويل الشرق العربي الى منطقة اشتراكية ماركسية تنضم اليها اسرائيل كدولة اشتراكية ماركسية ايضاً . هذه هي الحقيقة العارية التي يقتنع بها كل من دقق في فلسفة السياسة الخارجية للدول الماركسية .

لجنة التقسيم « تتحرى » الحقائق !

صدر قرار الجمعية العامة في منتصف مايو عام ١٩٤٧ بتشكيل ما سمته (بلجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين) لتدرس القضية الفلسطينية عن كثب وترفع الى الجمعية العامة تقاريرها وتواصيها حول مستقبل الحكم في فلسطين .

وقد وجدنا في الفصل السابق ان الهزيمة تلو الهزيمة توالت على الحق العربي في اول وكل مراحل المعالجة الأولى لقضية فلسطين في الامم المتحدة .

فقد اصرت الكتلة السوفياتية على اعطاء (الوكالة اليهودية) مركز الصدارة في حلقات الأمم المتحدة على حساب الشعب العربي الفلسطيني .

وأصر الاشتراكيون على جعل مندوبي عرب فلسطين في مرتبة ثانوية ،كما لو انهم دخلاء على البلد يعرقلون ويعاكسون اليهود أصحاب (الحق الشرعي) هناك ! .

واصر الاشتراكيون على ان تشكيل لجنة التحقيق الدولية لفلسطين يجب ان لا يكترث بصفة الحياد وانما يراعي الوزن السياسي لهذه الكتلة السياسية او تلك على اساس الاقاليم الجغرافية التي يتألف منها العالم .

واصر الاشتراكيون على ان يكون من مهام لجنة التحقيق الدولية هذه ربط مصير فلسطين بحاجات اليهودية العالمية الى وطن قومي لهم في فلسطين.

واصر الاشتراكيون على رفض الرأي العربي الذي كان يدعو الى انهاء الانتداب البريطاني وترك الشعب الفلسطيني يرث الاستقلال على اساس المبادىء الديمقراطية التي تترك للاغلبية من اهل فلسطين اختيار نوع الحكم الذي يريدونه .

وأصر الاشتراكيون على ان يكون من مهام لجنة التحقيق ان توحي بواحد من امرين : فاما دولة مزدوجة تنال فيها الأقلية اليهودية مساواة كاملة مع الاغلبية العربية وتشاطر في السلطان والحقوق مشاطرة كاملة، رغم ان عدد اليهود في فلسطين آنئذ كان أقل من ربع سكان البلد . فاذا تعذرت هذه المساواة فيجب ان توصي اللجنة الدولية بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية واخرى عربية، رغم ان ما يملكه اليهود من ارض وعقار في فلسطين آنئذ كان لا يتجاوز ٧ ½ بالمائة من المساحة الجغرافية لفلسطين .

هذا الموقف السوفياتي كان نقضاً فاضحاً لأبسط مبادىء المنطق والعدل وميثاق الامم المتحدة . الدول الاستعمارية الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية نفسها ترددوا في اول مراحل النقاش في الامم المتحدة بشأن قضية فلسطين في اظهار مثل هذه الحضانة السافرة للصهيونية . ومحاضر النقاش

الرسمي في تلك الفترة يكاد يكون مقصوراً على خطب طويلة متلاحقة من وفود الكتلة السوفياتية لتأييد اليهود والصهيونية .

فقد شاء الاشتراكيون ان يصيبوا عدة اهداف في ضربة واحدة .

كانوا يريدون اقصاء النفوذ البريطاني عن فلسطين. وقد شكر لهم العرب هذا الجهد وشاركوهم فيه .

وكانوا يريدون قبل كل شيء ضمان قدم ثابتة لليهود في حكم فلسطين .

وكانوا يريدون ان يكون مستقبل الحكم في فلسطين على اساس النظام الماركسي الذي يعتبر ان خلاف العرب واليهود مبعثه دسائس الاستعمار فاذا زال الاستعمار تصافح العرب واليهود وعاشوا اخوة في وطن واحد في ظلال الاخوة الاشتراكية المفروض فيها الا تفرق بين عربي او اعجمي إلا بالايمان الماركسي . وحتى في هذه البيعة او النظرة الماركسية لم يغفل السوفيات وأعوانهم عن الاحتياط لصيانة « حق » اليهود في وطن قومي في فلسطين ، اذا رفض العرب هذه الاخوة الاشتراكية في وطن واحد يزدوج فيه السلطان وتتعادل فيه دوماً الأقلية اليهودية الأجنبية الدخيلة مع الأغلبية الساحقة من اهل البلد وأصحابه العرب .

ولم يقتصر هذا التحيز السوفياتي السافر لليهود والصهيونية على مجرد ابداء الرأي في تحفظ دبلوماسي هادىء ، كما تقتضي بذلك اصول المسؤوليات في حلقات الأمم المتحدة ، بل ان الاشتراكيين رفعوا الراية اليهودية علانية ، ولم يبخلوا بالجهد الفكري وبالشعوذة القانونية وبالالحاح الخطابي وفي شتى وسائل التحايل على اللوائح الاجرائية التي تضبط اعمال الامم المتحدة في سبيل هذه الحضانة الاشتراكية العنيفة السافرة للمصالح اليهودية .

وحين نقول « المصالح اليهودية » نعني بها الصهيونية التي رسخ في اذهان الناس (والعرب بصفة خاصة) بأنها مجرد دسيسة استعمارية لا ترضى عنها النزعة التقدمية التي تروج لها العقيدة الاشتراكية الماركسية .

وسجل النشاط للكتلة السوفياتية تلك الايام (وما تلاها من ايام وشهور وسنوات) في الامم المتحدة – هذا السجل يشهد بان من العن الاخطاء الاعتقاد بان الماركسيين ينظرون الى الصهيونية نظرة تختلف عن نظرة الاستعمار الغربي

فكلا الطرفين الاشتراكي والرأسمالي احتضنا ولا يزالان يحتضنان مآرب اليهودية العالمية في افتراس الحق العربي في فلسطين .

ومن العن الدواهي ان يظل العقل والشعور العربي ميالين الى الاعتقاد بان المعسكر الاشتراكي يحارب الصهيونية وان المعسكر الرأسمالي يؤيدها .

وهذا هو القصد والغاية الأولى من هـذا البحث عن دور الاشتراكيين في مولد اسرائيل منـذ البدء . وسنظل نكرر ونصر على التكرار في ثنايا هذا البحث للتوكيد على هذه الحقيقة التي يريدنا الاشتراكيون العرب ان نتجاهلها في غمرة الزمالة والتجانس والتحالف العقائدي بينهم وبين الاشتراكيين الآخرين في مكان .

وحين فرغت الجمعية العامة من تشكيل « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » التي عرفت فيما بعد بلجنة التقسيم لانها اوصت بذلك ، حقق اليهود في المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي اول وأخطر نصر مبدئي هدر الحق العربي وكشف عن تفاهة الثقافة العربية آنئذ في استيعابها للحقائق الدولية ، وفي عباطة ايمانها بنوايا الآخرين ، وخصوصاً الذين يتاجرون بمصائب الشعوب ، وفي طليعتهم اصحاب البيعة الماركسية وما يروّجون بين الناس من انهم خصوم للعدوان وانصار للحق وأعداء لزبانية الاستعمار وصنائعه كالصهيونية العالمية مثلاً .

وكانت الكرامة والحذق واصول الصالح العربي تقضي ان تنفض الدول العربية أيديها آنئذ من الامم المتحدة . فتنسحب منها ، أو ترفض على الاقل التعاون مع لجنة التحقيق الدولية الخاصة بفلسطين ، طالما ان كلا المعسكرين الاستعمار الغربي والاشتراكي الماركسي قد صاغا للجنة التحقيق هذه اطاراً

قانونياً ضمن سلفاً لليهود حقاً كامــلاً في فلسطين، وضمن لهم ربط المشكلة اليهودية العالمية ومآربها ربطاً قانونياً بالحق العربي الاصيل في فلسطين .

وسنرى فيما يلي من سياق العرض ان القواعد القانونيـــة والدبلوماسية والتعديلات والتوصيات التي جاهد السوفيات وأعوانهم في الايام الاولى من معالجة الامم المتحدة لقضية فلسطين ، هذه القواعد القانونية قد فتحت المجال كله لليهودية العالمية لتجنيد كل طاقاتها (وهي مخيفة) لتستغل هذه الثغرات التي فتحها الجهد الاشتراكي في تواصي الامم المتحدة وقراراتهــا في ذلك الوقت المبكر .

★ ★

والمدقق في الوثائق والمتذكر لتلك الايام التيعاصرها كاتب هذه السطور شخصياً عن كثب، كان يلمس ساعة بعد ساعة كيف تحولتمهام لجنة التحقيق الدولية الي مجرد منبر للهيئات والمنظمات اليهودية العالمية لتعبث بالحق العربي ولترويج للبيعة الصهيونية وتتاجر بما كان رائجاً آنئذ من اضطهاد النازيـــة لليهود .

فبعد أن رتبت لجنة التحقيق أعمالهـــا في نيويورك رحلت الى فلسطين، في منتصف شهر يونية ١٩٤٧ . وأخـــذت تستمع الى آراء وأقوال أهل فلسطين . وفي كل الصفاقة والاستهتـــار أهملت اللجنة أبسط مبادىء الحياد والانصاف ومستلزمات الوجدان والضمير، فأخذت تدعو ما هب ودب من الهيئات والمنظمات اليهودية من فلسطين ومن شتى بقاع العالم لابداء آرائهم وجعل منبر اللجنة الدولية مسرحاً للبيعة الصهيونية .

وإذا صفح أهل فلسطين العرب للجنة التحقيق الدولية سماع آراء اصحاب الانتداب البريطاني من المستعمرين انفسهم، او آراء قساوسة الكنيسة الانجيلية البريطانية والكنيسة السكتلاندية وراهب كاثوليكي هنا وبروتستانتي هناك ،

فقد كان لهذا الصفح مبررات . فحفظة الدين المسيحيين الذين كانوا يعيشون عن كثب في فلسطين كانوا يهتمون بالحق العربي .

ولكن عرب فلسطين اخذوا يزدادون غضباً واستنكار عندمـــا رأوا جحافل اليهود ومنظماتهم الدولية تستأثر بكل وقت لجنـة التحقيق وتسيطر على انبائها، وتصبغ موارد الاعلام عنها بصبغة يهودية صهيونية سافرة .

وفيما يلي بعض اسماء وهويات هذه المنظمات اليهودية [1]

١ – الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين (٥ شهود)

٢ – الاتحاد الشيوعي الفلسطيني (شاهد واحد)

٣ – رابطة التعاون العربي اليهودي – وهى جبهة شيوعية . (شاهدان)

٤ – الاتحاد العام للعمل اليهودي – وهي جبهة يسارية ايضاً (٣ شهود)

٥ – منظمات النساء اليهود في فلسطين – وهي يسارية ايضاً (شاهدتان)

هذا فضلاً عن شهادات المنظمات اليهودية الاخرى التي لم تكن ذات طابع اشتراكي سافر مثل :

- الوكالة اليهودية (١٦ شاهدا)
- مجلس الحاخامين (شاهدان)
- حزب اغودات اسرائيل (٣ شهود)
- فاآد ليومي (٦ شهود)
- جماعة اليحود (شاهدان)
- جماعة اليهود الشرقيين (شاهدان)

وقرر عرب فلسطين مقاطعة لجنة التحقيق . وارسلت اللجنة العربية العليا

---

(١) راجع تقرير لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين المرفوع الى الجمعية العامة: المجلدين الثالث والرابع .

برقية الى الأمين العام للامم المتحدة في ١٣ يونيه ١٩٤٧ [1] تعلمه عن امتناع عرب فلسطين عن المثول امام لجنة التحقيق ورفض التعاون معها .

واستند عرب فلسطين في غضبتهم هذه الى النقاط التالية :

١ ـ ان الامم المتحدة مخطئة في رفضها قبـول الرأي العربي، الداعي الى انهاء الانتداب فوراً واعلان استقلال الشعب الفلسطيني .

٢ ـ اصرار الامم المتحدة على ربط قضية اللاجئين اليهود في العـــالم كله ربطاً قانونياً بالحق العربي الصريح في فلسطين .

٣ ـ على الامم المتحدة ان تفهم بان الحق العربي في فلسطين واضح وجلي وليس بحاجة الى التحقيق .

وحاولت لجنة الامم المتحدة اقناع عرب فلسطين بالمثول امامها . فارسلت الى اللجنة العربية العليا رسالة بتاريخ ٧ يوليه ١٩٤٧ [2] بهذا المعنى. وردت اللجنة العربية بالرفض .

ويا ليت هذه القضية العربية صمدت على الكرامة . فسنرى فيما بعد ان طفولة الفكر السياسي ، عند الذين احتكروا زعامـــة عرب فلسطين ، وعبـــاطة الاشقاء العرب الاخرين ايضاً ، ادت الى عـودة العرب الى حظيرة التعاون مع الأمم المتحدة ، فساهموا بذلـك في دق المسامير في نعش الحق العربي في فلسطين .

ولم يكتف اليهود ومنظماتهم ، والشيوعيون والاشتراكيون وابواقهم ، باستغلال كل الوقت والجهد القصير الذي بذلته لجنة الامم المتحدة في « تحري الحقائق » عن القضية الفلسطينية ، بل ان اللجنـة تلقت سيلا متدفقاً من

---

(١) المرجع السابق المجلد الثاني صفحة ٥

(٢) نفس المرجع : المجلد الثاني صفحة ٦

المذكرات والبرقيات والبيانات من الاشخاص والهيئات والدول ، وممن لا صلة له بفلسطين أيضاً . بما في ذلك عشرات الجبهات الاشتراكية الماركسية التي كانت تروج للسلم والاخاء ومكافحة الاستعمار والاقطاع والرجعية بما فيـه « الرجعية » العرب والمسلمين ... وقد خصصت لجنة الامم المتحدة مجلداً كاملا لهذه المذكرات والبيانات والبرقيات رفعته إلى الجمعية العامـة في جملة المجلدات الاخرى التي احتوت الشهادات الرسمية للصهيونيين امثال الوكالة اليهوديـة واحزاب اليمين الحاخامي واليسار الشيوعي ونقابات العمال وشتى الجبهـات الاشتراكية والرأسمالية الاخرى داخل فلسطين وخارجها .

وسنقتطف هنا نماذج قليلة من هذه الاشكال والاسماء :

١ ـ اتحاد الطلبة العالمي ـ (الفرع العربي ـ اليهودي)
٢ ـ هيئة التحرير الديمقراطية ـ يوغسلافيا
٣ ـ هيئة المناضلين ضد الاستعمار ـ باريس
٤ ـ عصبة المساواة النقابية الدولية ـ جنيف
٥ ـ الاتحاد الاشتراكي العالمي ـ بلغاريا
٦ ـ الهيئة الصهيونية الاشتراكية ـ رومانيا
٧ ـ اتحاد الجماعات اليهودية ـ تشيكوسلوفاكيا
٨ ـ الاتحاد الاشتراكي العربي اليهودي ـ القدس
٩ ـ عصبة السلام العالمي ـ باريس
١٠ـ الاتحاد الشيوعي الفلسطيني ـ القدس
١١ـ الاتحاد العالمي لصيانة حقوق الانسان ـ نيوريورك
١٢ـ المكتب الاقليمي لليهود ـ بوادبست
١٣ـ المكتب الرئيسي ليهود المجر ـ بودابست
١٤ـ المجلس اليهودي في تشيكوسلوفاكيا ـ براغ

١٥ - اتحاد الجمعيات اليهودية في يوغسلافيا - بلغراد

وحين نستذكر بان النظم اليسارية الماركسية تشيع بين الناس انها في اصول العقيدة الاشتراكية تكافح الصهيونية فان هذه الاصوات اليهودية الرسمية التي اتصلت بلجنة الامم المتحدة من ديار الاشتراكيين في اوروبا الشرقية لم تكن قادرة على فعل ذلك بغير موافقة الحكومات الاشتراكية هناك - وهي حكومات تراقب كل شيء وتضبط سلوك الفرد والجماعة في ادق وسائل الرقابة .

ومن المؤسف ان اصرار رفض عرب فلسطين للتعاون مع لجنة الامم المتحدة لم يصاحبه تجانس من الدول العربية الاخرى .

فحين جاءت لجنة التحقيق الى صوفر بلبنان (٢٢ يوليه ١٩٤٧) تقدمت هيئات وشخصيات عربية من مصر ولبنان والعراق والمملكة العربية السعودية وسوريا واليمن ايضاً للادلاء بشهادات امامها .

وقد رفضت حكومة الاردن التعاون مع اللجنة الدولية تجانسا مع موقف عرب فلسطين رغم ان اللجنة قد زارت عمان .

وعادت اللجنة الدولية الى مقر الامم المتحدة في نيويورك ، بعد ان قضت فصل الصيف على شواطىء بحيرة جنيف لتكتب تقريرها ونواصيها .

ولم تنس اللجنة الدولية تعليمات الوفد السوفياتي ووفود الكتلة الاشتراكية كلها بضرورة التعرف على رغبات يهود العالم كله خارج فلسطين ايضاً . فقامت لجنة فرعية تابعة للجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين بزيارة مراكز احتشاد اليهود الاوربيين ومعسكرات اللاجئين اليهود في المانيا والنمسا وديار اوروبية اخرى ...

وكان من المرتقب ان يصدر عن اللجنة الدولية هذه رأي واحد . فالحياد والايجابية ليست من طبائع هذا اللون من الهيئات الدولية خصوصاً وان اعضاء لجنة التحقيق الدولية كانوا موظفين في حكومات اعربت عن مختلف الآراء

بصدد مستقبل فلسطين . فالموظف الحكومي لا يستطيع أن يتجاهل الموقف الرسمي لحكومته حتى ولو كانت المهام التي تكلف بها في « لجنة دولية » توصيه بان لا يتأثر بغير وجدانه ! ..

ولكن اعضاء اللجنة الدولية الاحد عشر رغم اختلاف ارائهم في الجزئيات اتفقوا جميعاً على عدد من النقاط كان من الممكن ان تضمن لعرب فلسطين حقوقهم، لولا مزيد من الغش والعبث الدولي، الذي شارك فيه الاتحاد السوفياتي ومن هم في كنفه كما سنرى فيما بعد . (١)

فقد اوصت اللجنة الدولية بأمور هامة ابرزها ما يلي :

١ - جميع اعضاء اللجنة الدولية متفقون على انهاء الانتداب البريطاني
٢ - منح اهل فلسطين الاستقلال في « اقرب وقت ممكن » .
٣ - يجب ان يسبق الاستقلال فترة انتقال مؤقت .
٤ - يجب على الامم المتحدة ان تشرف على أحوال فلسطين خلال فترة الانتقال .

٥ - الاصرار الشديد على ضرورة الابقاء على الوحدة الاقتصادية لفلسطين.

هذه النواحي كانت بالاجماع . ولكن اغلبية اعضاء اللجنة اتخذت توجيه لعبة اخرى تؤكد مطالب الاشتراكيين بضرورة ربط مشكلة اليهود في العالم بمستقبل فلسطين ! ..

وفي ثنايا تقرير اللجنة جاء ذكر وشروح واجتهادات حول صلاح التقسيم او عدم صلاحه كحل للمسألة الفلسطينية .

وكان رأي الاغلبية في اللجنة يميل الى التقسيم . وقد شارك في هذا الرأي مندوبو : تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، جواتيمالا ، هولانده ، بيرو ، السويد واورغواي . وخالف هذا الرأي وتزعم الدعوة الى دولة اتحادية مندوبو: ايران

(١) تقرير لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين : المجلد الاول والثاني

والهند ، وشاركهم في ذلك مندوب يوغسلافيا على اساس ان تكون الدولة الاتحاد مؤلفة من « دوله يهودية » و« دولة عربية » تشتركان في اتخاذ القدس عاصمة للدولة الاتحادية .

ومسألة التقسيم هذه كانت رأيا ، لا توجيهاً رسمياً من جانب لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين .

وعندما جاءدور الحكومات في حظيرة الامم المتحدة استغل الغش الدولي والزور والبهتان كل طاقاته فأضاف منكراً على منكر، وذبح الحق والكرامات والمبادىء القانونية والانسانية ، التي من المفروض ان يكون ميثاق الامم المتحدة ضامناً ومؤيداً لها ورقيباً على تحقيقها وصيانتها .

العودة الى الجمعيّة العامة والبيعة للتقسيم

تناولت الوفود تقرير اللجنة الدولية التي تحرت « الحقائق » في فلسطين وفي جنيف وفي اوروبا وفي نيويورك . وأحيل هذا التقرير الى لجنة سياسية مؤقتة كلفتها الجمعية العامة بمناقشة التقرير ثم العودة الى الجمعية العامة لتبت فيه الجمعية بكامل هيئتها وبصفتها اعلى مرجع في اعمال الامم المتحدة .

وتلك اللجنة السياسية المؤقتة كانت تضم جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة . فاراء مندوبيها هي آراء حكوماتهم وهي المرشد الصريح لما يرتقب من الجمعية العامة اتخاذه من بت وقرار .

ورغم ان مندوبي عرب فلسطين الذين احتكرت اللجنة العربية العليا تمثيلهم احتكاراً مزمناً قضى على اي فرحة لأي صوت فلسطيني آخر ان يجتهد في سبيل قضية قومه ، رغم ان اللجنة العربية العليا رفضت التعاون مع لجنة العربية العليا ، ورفضت التعاون مع لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين كما اشرنا الى ذلك في الفصل السابق ، إلا ان جماعة اللجنة العربية العليا عادوا فأخذوا مقعددهم امام الامم المتحدة الى جانب ممثلي الوكالة اليهودية ليشارك

الطرفان في ابداء الرأي حول تقرير اللجنة الدولية ـ وهي لجنة قاطعها عرب فلسطين اصلا .

وكان مندوبو الدول العربية الاعضاء في الامم المتحدة مشاركين ايضاً في اعمال اللجنة السياسية المؤقتة التي كلفتها الجمعية العامة بمناقشة تقرير لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين .

ولم يجد مندوبو « الوكالة اليهودية » ادنى حرج في الاسراع بالدعـــوة الى التقسيم متذرعين برأي الاغلبية في لجنة التحقيق الدولية التي تحرزت «الحقائق» عن كثب في فلسطين ، وقاطعها عرب الديار .

ورفض جماعة اللجنة العربية العليا هذا الطلب اليهودي ، وطالبوا باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة لا تتجزأ مع استعداد العرب للتعهد القطعي بصيانة حقوق الأقلية اليهودية في فلسطين على اي وجه قانوني يضمن ذلـــك التعهد العربي . [1]

وأيد المندوبون العرب الرسميون هذا الصوت الفلسطيني . وقـدم الوفد السوري مشروع قرار رسمي يضمن وجهة نظر عرب فلسطين [2] وقـــدم الوفد العراقي مشتركاً مع الوفد المصري ثلاثة صور من اقتراحات بهذا المعنى في شكل مشروع قرار رسمي ايضاً ، وزيادة في ايمـــان العرب بحقهم اقترح العراق متعاوناً مع مصر استشارة محكمة العدل الدولية العليـــا حول الحق العربي . والمحكمة هي اكبر مرجع قضائي دولي .

ووجدت بريطانيا انها لا تريد ان تمعن في الاذى فوق ما أمعنت به طوال عهد الانتداب وهدر الحق العربي ، فاقترح المندوب البريطـــاني على الأمم

---

(١) الموجز الرسمي لمحاضر جلسات السياسية المؤقتة من ٢٢ سبتمبر الى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٧ من صفحة ٥ الى صفحة ١٢٣ .

(٢) نفس المرجع صفحة ٢٣٨

المتحدة ان تتولى بنفسها تنفيذ مشروع التقسيم بالقوة اذا شاءت ، لأن بريطانيا تريد أن تنسحب فوراً وتنفض يدها من الانتداب على فلسطين وتسلم المسؤولية على فلسطين للامم المتحدة لا لأهل الديار العرب ولا اليهود !...

وانسحبت بريطانيا بعدنصف عام تقريباً من اعلانها هذا امام الامم المتحدة. وخرج الانتداب البريطاني برجاله وجيوشه وبوليسه من فلسطين في مايو عـام ١٩٤٨ تاركاً مقدرات العرب الى الغدر اليهودي والى الغش الدولي والى الضعف والجهل العربي ، بما فيه عباطة اهل فلسطين العرب انفسهم في اعتمادهم على الأمم المتحدة وعلى طفولة التجارب في ادغال السياسية الدولية والسياسية العربيـــة الأقليمية أيضاً .

وفي اسلوب المناورات الدبلوماسية التي شرحنا نماذج منها في الصفحـات السابقة لجأ الغش الدولي الى مختلف الوسائل لطبخ قضية التقسيم وابراز الكيان اليهودي على حساب الحق العربي .

ولـكي تحصر النقاش في اطـار ضيق يقتصر على التقسيم او رفض التقسيم شاء ارباب الأمم المتحدة احالة المسألة الفلسطينية على لجنتين فرعيتين أخريين. واحدة تدرس أساليب التنفيذ للرأي القـائل بتقسيم فلسطين . والأخرى تستمع الى سفسطة الوفود العربية حول الأجحاف بالمبادىء والنداءات لاحقاق العدل والأنصاف وكل هذا المألوف من منطق الضعفاء والعبيطين ، الذين يعلمون سلفاً بان هذا اللون من النعيق لا نفع منه ، ومع ذلك يصرون على المشاركة في أعمال الأمم المتحدة رغم الغش الدولي السافر الذي كانت روائحـه تخنق الأنفاس .

وتألفت اللجنة الفرعية الأولى من الدول التالية :

الاتحاد السوفياتي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، بولنده ، تشيكوسلوفاكيا كندا ، جواتيمالا ، حكومة اتحاد افريقيا ، اروغواي ، وفنزويلا .

وعلى هذا الشكل يتضح جلياً بان العملاقين الأمريكي والسوفياتي على

وفاق سافر بالدعوة الى التقسيم ، هذا فضلاً من أن بقية أعضاء هذه اللجنة الفرعية معروفون بأنهم أنصار علنيون للمآرب الصهيونية .

أما اللجنة الفرعية الثانية التي كلفت بدراسة مشروع الدولة الواحدة التي أصر الرأي العربي عليها ، فقد كانت مؤلفة من دول عربية واسلامية باستثناء مندوب « كولومبيا » الذي استقال من اللجنة بعد تشكيلها ببضعة ساعات .
وكان اعضاء هذه اللجنة هم :
مصر ، والعراق ، ولبنان ، وسوريا ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، والباكستان، وافغانستان .

أي ان دعاة الاستقلال وصيانة الحق العربي في فلسطين لم يجدوا في الامم المتحدة دولة واحدة (غير الدول العربية الاسلامية) ترضى بان تشترك معهم في اللجنة الفرعية التي كلفت بوضع التفاصيل للاستقلال البلد الفلسطيني واهله .

ومع ذلك استمرت العباطة العربية في التعليق بالامم المتحدة رغم هذه النكسات والادلة والقرائن والاهانات والعزلة الدبلوماسية التي اكتنفت الحق العربي من كل الجوانب . ألم يكن من الواجب القومي والواجب الوجداني ان تتعظ الحكومات والشعوب العربية بكل هذه الشواهد ، فتقول لنفسها وللعالم كله بان الحق القومي يؤخذ ولا يمنح ، وان ميدان الجهد والعمل هو في عقر الدار لافي ديار الأمم المتحدة او في دهاليز الكتل السياسية والعقائدية التي تتاجر بمصائب الدنيا وعباطة المحترفين السياسية القومية في بلاد كالبلاد العربية - بالأمس وفي الساعة الراهنة أيضاً .

ورفعت اللجنتان الفرعيتان نواصيهما الى اللجنة السياسية المؤقتة . ولا يحتاج المرء الى ذكاء خارق ولا الى عبث وتدقيق واقتباس النصوص والوثائق ليعلم أن تقرير اللجنة الفرعية الأولى التي تضم العملاقين الامريكي والسوفياتي كان الأطار الوحيد لمهمة الأمم المتحدة في مأساة فلسطين : مهمة التقسيم وأعطاء اليهود اكثر ما يطلبونه ، على ان يحقق اليهود بايديهم بقية ما كانوا

يطمعون فيه ويعدون العدة له منذ زمان طويل . وهو دولة يهودية دينية عنصرية في فلسطين لا مجال لأي وجود عربي فيها يعرقل السيادة اليهودية الكاملة .

وكان تقرير هذه اللجنة الفرعية الأولى داعياً الى التقسيم مع كل التفاصيل والخرائط والملاحق والترتيبات المحققة لهذا الهدف الصهيوني . ولما كانت هذه اللجنة الفرعية الأولى تمثل مختلف قطاعات العالمية الجغرافية والكتل السياسية والعقائدية المتباينة ، من شيوعيين (امثال السوفيات وتشيكوسلوفاكيا وبولنده) ورأسماليين (أمثال امريكا وكندا) ورجعيين (أمثال حكومة اتحاد جنوبي افريقيا) و « محايدين » أمثال هذه العصافير الدولية من حكومات امريكا اللاتينية (امثال اوروغواى ، وجواتيمالا ، وفينزويلا) فلم يكن هناك مفر من فوز وجهة النظر الداعية الى خلق دولة يهودية في فلسطين بموجب توصيات التقسيم أو بأي اسلوب آخر .

ومع ذلك ظل العرب على أمل في العدالة والانصاف . وهذا الأمل لم يكن تعبيراً وجدانياً من الممثلين العرب . فالحقائق كانت تصدمهم ساعة بعد ساعة وجلسة بعد جلسة ، كما كانت تصدم المراقب في دهاليز الامم المتحدة . وكان كاتب هذه السطور واحداً منهم . فاصرار المندوبين العرب على المضي في ركاب الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية آنئذ كان مزيجاً من طفولة الفكر السياسي ، ومن انانية المندوبين انفسهم الذين كانوا سعيدين بان يقرأ العرب في صحف العرب نصاً لهذا الخطاب الجميل ، وذلك البيان البليغ الذي ألقاه هذا المندوب العربي او ذاك فتنشره صحف العرب على انه منتهى التقوى الوطنية . مع ان اصول هذه التقوى كانت تفرض على المندوب العربي في حظيرة الأمم المتحدة ان يرجع الى ساحات بلده ويقول لأهله في اصرح العبارة بان لا أمل لنا في الامم المتحدة ولا في هذه الكتلة السياسية او تلك او في خصوم الاستعمار من ماركسيين او من جماعة «الحياد».

ورفع المندوبون العرب والمسلمون في لجنتهم الفرعية الثانيـة تقريرهم الى اللجنة السياسية المؤقتة الذي يطلب الاستقلال ويرفض التقسيم ويعد اليهود بصيانة حقوقهم في ظل الحـكم العربي، كما كان العرب والمسلمون قروناً طويـلة في التاريخ القديم والمتوسط والمعاصر .

واستمعت الامم المتحدة في شيء من اللباقة الى خطب الوفود العربيـة والاسلامية تؤكد الحق العربي . ومثل هذه اللباقة مألوفة حتى عند الجلادين الذين ينفذون حكم الاعدام ، فيتركون للضحيـة تفعل مـا تشاء في آخر اللحظات من هذه الحياة الدنيا . وكانت رغبات العرب آنئذ مزيداً من البديع والبيان والقاء الخطاب الجميل .

ولم يكن الجهد العربي خالياً من الحذلقة القانونية او من « التكتيـك ». فقد اقترحت الوفود العربية على الامم المتحدة استشارة محكمة العدل الدولية العليا قبل اتخاذ اي قرار بشأن تقسيم فلسطين ومطالب اليهودية العالميـة وانصارها في الشرق والغرب .

كما ان الجهد العربي حاول ان يضع مسؤولية الاضطهاد العالمي لليهود على اولئك الذين كانوا السبب المباشر لذلك الاضطهاد — على الغرب الاوروبي ، على العقائد النازية والفاشستية والامم التي اقتنعت بهـا . فمن واجب الامم التي دخلت الحرب العالمية الاولى للقضاء على النازية والفاشية ايجاد حلول للقضية اليهودية ايضاً خارج ديار العرب وبدون افتراس الحق الطبيعي والتـاريخي والقانوني والانساني لعرب فلسطين .

ولكن هذا المنطق العربي لم يجد صدى معقولا في اوساط الامم المتحدة

بعضها من صنع الدعاية الصهيونية، وبعضها اصوله في هذه العنصرية الاوروبية (بما فيها عنصرية الدول الماركسية في روسيا ومن يدور في فلكها) . التي تعتبر العرب والاسلام خطراً على الحضارةالغربية بما فيها الحضارة الاشتراكية الماركسية التي هي وليدة الثقافة والتجارب الغربية أيضاً .

ولعل اهم سبب افسد على الجـانب العربي — الاسلامي مسعاه في الامم المتحدة لاقناع الدول القليلة المحايدة التي لم تكشف علانية عن تأييدهـا للصهيونيين في مناقشات الامم المتحدة وتدابيرهـا — لعل أهم دوافع السلبية هو فقد المناخ الدولي بأن يوثق بوعود العرب بضمان الامن والسلامة للاقلية اليهودية في فلسطين . وهـذا الخطأ الشنيع الذي ارتكبته الزعامة الفلسطينية (والعربية الاخرى) ابان الحرب العالميـة الثانية في الميل الى النازية الفاشستية ، ، وربط الحق العربي في فلسطين وتلويثة بصفة الاستبداد والعنف والعنصرية والاجرام . وهو نفس سوء الاجتهاد الذي ترتكبه بعض الاوساط العربية هذه الايام في زمالتها وتحالفها وميولها ومشاركتها العقائدية مع الماركسية الدولية ، وهي عقيدة ميكيافيلية أيضاً (كالنازية والفاشستية) في كراهة الضمير العالمي لها .

فالزعامة الرسمية لعرب فلسطين آنئذ كانت ملوثة بالصبغة النازية . فقد أنفقت تلك الزعامة طوال أعوام الحرب في دهاليز هتلر وموسوليني. ومهما كانت دوافع الزعامة الفلسطينية للجوء الى النـازية والفاشستية فإن شعور الغرب الرأسمالي والشرق الماركسي وأهل الحياد ايضاً كان متجانساً متحداً في نفوره من الزعامات الفلسطينية بسبب هذه الوصمة النازية التي لحقت بها .

وقد لعبت هذه الوصمة أخطر الأدوار في مسعى اليهود لانكار القول العربي

بأن مصير الأقلية اليهودية في ظل الحكم العربي الفلسطيني سيكون مضموناً في أمن وسلام ومساواة أمام القانون ، وحضانة رئيفة على نحو ما كان العرب والمسلمون في تاريخهم الطويل موصوفين به في حضانتهم للأقليات الدينية والعنصرية .

فلم يصدقنا أحد في حظيرة الامم المتحدة حين تعاقب وفود العرب والمسلمين على شرح مآثر العرب والاسلام نحو الأقليات ، ونحو اليهود بصفة خاصة . فقد كان الطرف العربي المباشر وهو اللجنة العربية العليا لفلسطين التي المفروض فيها ان ترث الحكم الاستقلالي في فلسطين ، كانت اللجنة العربية العليا هذه تخضع لزعامة انفقت اكثر سنوات الحرب في ظل النازية . فأعطت للغش الدولي في ذلك المجتمع زاداً ووقوداً للدعوة الصهيونية ان تقنعه بالحاجة « الانسانية » لفصل المصير اليهودي في فلسطين عن سلطان اللجنة العربية العليا .

ووجد اليهود في المجتمع الدولي من يستمع اليهم ، ويوافق على نداآتهم . ويصغي لهم ، وتضافر الغش الدولي والرشوة الدبلوماسية والضغط الامريكي والسوفياتي وتعاون الرأسمالية والماركسية معاً على نصرة اليهود ، كما سبق للطرفين (الغربي والماركسي) قبل عام أو عامين ان تضافروا في التعاون والتحالف للقضاء على هتلر عدو اليهود الأول .

هذه الحقيقة يجب ان لا ننساها ولو كان منها أذى على السمع . فالأخطاء في العمل السياسي لا يعطي نتائجه غداً أو بعد غد . وانما في أشد ساعات الحرج وفي أدق لحظات المصير القومي .

ولقد اخطأت الزعامة الفلسطينية في تلمسها العون والحضانة من

النازية الاوروبية ، فأصاب العالم الفلسطيني أذى لعين من جراء ذلك الخطأ القيادي .

واليوم تمضي بعض الزعامات العربية الواسعة الرواج في خطأ مماثل بالتماس العون والحضانة والأمل والزمالة من الاشتراكية الماركسية، وهي، لو علمت ، نموذج آخر من النازية والفاشية في نفور المجتمع الدولي منها .

وستدفع ثمن هذا الخطأ القيادي ثمناً مرهقاً في المستقبل ، خصوصاً وان أشد القيادات العربية والفلسطينية ضجيجاً ونفوذاً ورواجاً في هذه الأيام ، مرتبطة بالماركسية الثورية الدولية ، كما ارتبط سلف لها بالنازية وجرائمها .

ولم يكن ادنى شك عند المندوبين العرب انفسهم في الامم المتحدة وعند المراقبين في دهاليز الامم المتحدة ، بأن للعرب حظ من النجاح في تفادي التقسيم وقرارته .

ورفضت اللجنة السياسية المؤقتة جميع النواحي التي رفضتها اللجنة الفرعية الثانية التي كانت مؤلفة من الدول العربية والاسلامية ومنها فقط . وكانت تلك الطلبات العربية مسجلة في ثلاث مشاريع قرارات جرى التصويت عليها الواحد تلو الآخر . فلم تنل سوى ١٨ صوتاً في بعض الفقرات ، واصوات اقل في فقرات اخرى . وصوّت ضدها ٢٥ دولة وامتنع عن التصويت ١١ صوتاً .

وكان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في عداد الدول التي لم تتلطف فتمتنع عن التصويت (كما فعلت بعض الدول الاستعمارية من باب اللياقة طالما ان المشروع العربي فاشل اصلا) بل ان الاشتراكيين كانوا على اشد العناد والعداء للمطالب العربية . فصوتوا ضدها ولم يجدوا ادنى حرج في الطعن العلني والنقد الشديد والتعرض السافر لتحطيم المنطق العربي بكل ما في جعبة الماركسيين من عنف في الهجاء واسلوب في تشويه الحقائق .

ووقف مندوب بولندة فخاطب العرب بهذه الصفاقة التي يحتكرها العقل الماركسي : [١]

« لقد استنفذتم كل ما في جعبتكم من كلام . وتماديتم فأخذتم تهددونا هنا في الامم المتحدة . كفاكم هراءاً وعناداً » ..

وتبعه مندوب تشيكوسلوفاكيا فقال للعرب :

« لا لزوم لنا ان نتسامح طويلاً ازاء هذا العناد العربي وازاء هذا العنف في كلام العرب .. فقد انتصر الحق . ومن الاهانة للامم المتحدة ان يستمر الصوت العربي في اثارة الضجة . »

وتدخل مندوب السوفيات (السيد جروميكو) فحذر مندوب لبنان الدكتور شارل مالك ومندوب العراق الدكتور فاضل الجمالي من « المضي في انتقاد الاتحاد السوفياتي والتعرض لنوايا سياسته الخارجية والنقد لحكومة الاتحاد السوفياتي .. وقال جروميكو : « لن نغفر لكم هذا التحدي .. »

ولم تصطبر الدول الاشتراكية على انسحاب الاستعمار البريطاني من فلسطين كما وعد ان ينسحب ، فقام مندوب بولنده في جلسة ٢٥ سبتمبر ١٩٤٨ ، فطالب الامم المتحدة فوراً بان تعمل على ادخال ٢٥٠و٠٠٠ مهاجر يهودي الى فلسطين حتى قبل تنفيذ قرار التقسيم حتى يتزايد عدد السكان اليهود في فلسطين ويحققوا نصراً فوق نصر على حساب اهل البلد .

وقامت وفود الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي بتبني كل خاطرة ورغبة أبداها مندوبو الوكالة اليهودية . فتقدم وفود الدول الماركسية فوراً بمشاريع قرارات تعكس وجهة نظر الوكالة وتصوغ حاجاتها في صيغة قانونية لتعرض على اللجنة السياسية وعلى الجمعية للعامة في شكل قرارات . فالوكالة

(١) ملخص محاضر جلسات البحث السياسية المؤقتة بتاريخ ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٧

اليهودية لا تستطيع تقديم مشاريع القرارات . فذلك حق للدول الاعضاء في الامم المتحدة ولم تبخل الدول الماركسية بالجهد والنشاط والالحاح على ممارسة هذا الحق في صالح بني اسرائيل – في صالح الصهيونية التي كان (ولا يزال) يقال عنها في أوساط الاشتراكيين بانها صنيعة الاستعمار فقط ، لا صنيعة اليهودية العالمية بما فيها الماركسية العالمية ايضاً .

وسنحتاج الى مجلدات (لا الى كتاب متوسط الحجم مثل هذا الكتاب) لنسجل مختلف الوان الدعوة والمكانة والتأييد والجهد الذي بذلته وفود الدول الماركسية في الامم المتحدة في تلك الفترة العصيبة لاحباط المسعى العربي ونصرة الصهيونية ومآربها ، وسنكتفي باقتباس النماذج التالية لكي نكون على بينه من الامر . ولكي نستذكر اليوم ما جرى بالامس . لعل في هذا الاستذكار نفعاً لنا في الحذر من المستقبل

المندوب السوفياتي « سيمون تسارابكين » أمام اللجنة السياسية المؤقتة في جلسة ١٣ اكتوبر ١٩٤٧ . [١]

« ان الحجج القانونية والتاريخية التي يقدمها العرب ليست الآن بذات شأن فاهميتها قانونية جداً بعد ان أقرت الامم المتحدة قرار التقسيم ... وليس للاتحاد السوفياتي رغبة في الدخول في الجدل البيزنطي مع العرب . فيكفي ان نعلم بان اليهود عانوا ويعانون الاضطهاد. وفي طليعة المسؤوليات علينا هنا في الامم المتحدة ان نضمن لليهود وطناً خاصاً بهم . ومن الظلم أن لا نساعدهم على ضمان مثل هذا الوطن ... ومن الحق الشرعي الكامل لليهود ان يفرضوا سيادتهم على وطن في فلسطين فلا يكونوا تحت رحمة العرب ...

« ... فاذا أضطررنا الى مراعاة شعور العرب ومصالحهم فهذه المراعاة قد

(١) ملخص محاضر جلسات اللجنة السياسية من صفحة ٦٩ الى ٧١ .

تكون بضمان نوع من الوحدة الاقتصادية بينهم وبين الدولة اليهودية الجديدة »

«... ان الاتحاد السوفياتي يدعو ويؤيد ويعمل من اجل اقامة الدولة اليهودية وضمانها ... وفي فترة الانتقال (بين زوال الانتداب البريطاني وتنفيذ مشروع التقسيم) فان الاتحاد السوفياتي يلح على الامم المتحدة بأن تتحمل مسؤولية ضمان الدولة الجديدة .. والاتحاد السوفياتي سيساعد على ذلك بكل الوسائل ..»

وقال مندوب بولندة في جلسة ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٧ : (١) .

« لقد استعمل المندوبون العرب كل الحجج ولجؤوا الى التهديدات ... وهذه محاولة لا نفع منها .. ان حكومة بولندا كثيرة الاهتمام بتطور الاوضاع الديمقراطية والحرية الاقتصادية للجماهير العربية التي تريد أن تتحرر من امتيازات البترول الاستغلالية ... ولكن الوفد البولندي قد أعطى وعوداً اكيدة ، وعوداً مستمدة من وجدانه وقناعته وسياسة حكومته حول ضرورة ضمان وطن قومي لليهود لهم عليه سيادة لا ينازعهم عليها احد ...

« ... اننا نطالب الامم المتحدة فوراً ، طالما انها ستتولى السلطان في فلسطين خلال فترة الانتقال ، ان تعمل بلا تردد وبطء لادخال ٢٥٠ الف مهاجر يهودي الى فلسطين فوراً ... وقبل تنفيذ مشروع التقسيم ... » اننا نسأل الحكومة البريطانية ونلح عليها ونطلب من الامم المتحدة ايضاً ان تلزم بريطانيا بان لا تسحب قواتها العسكرية من فلسطين خلال فترة الانتقال إلا بعد ان يتم وصول المهاجرين اليهود الى فلسطين فسحب القوات العسكرية البريطانية يجب ان يكون تدريجياً ومتناسباً مع وصول افواج المهاجرين اليهود الجدد ...

«... ان وجود دولة يهودية في فلسطين سيساعد على تطور الحركات

(١) نفس المرجع صفحة ٤٢ .

والنظم الديمقراطية في كل الشرق الاوسط ، فالدول العربية ستستفيد ولا تتضرر في الدولة اليهودية ، لانها ستكون طليعة التطور الديمقراطي في الدول العربية نفسها ... »

وقال مندوب تشيكوسلوفاكيا (١) في جلسة ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٧ :

« ليس هناك حاجة لنا وللأمم المتحدة لسماع الشكاوى عما حدث للعرب خلال الثلاثين عاماً (منذ وعد بلفور) ، فان مصائب اليهود تشغلنا وتستثار بعقولنا ومشاعرنا . ان موقف الدول العربية هنا في الامم المتحدة موقف عناد لا مبرر له .. ان اليهود هم الذين بحاجة الى عوننا وحضانتنا لا العرب ..»

وقال مندوب يوغسلافيا في جلسة ١٤ اكتوبر (٢) :

« ان فلسطين وطن ليس للعرب وحدهم بل لليهود ايضاً ... أن سبب الخلاف بين العرب واليهود ، هو ان العرب يفتقرون الى النظم الديمقراطية الاشتراكية التي يعلم عنها اليهود الشيء الكثير ويمارسونها ويطبقونها ، وسيكون من شأن عرب فلسطين وعرب الشرق الاوسط كله الاستفادة والاقتداء بهذا الميراث الديمقراطي الذي يجيده اليهود ...

... يجب ان نعترف هنا بانه حتى قرار التقسيم لا يحقق للصهيونية كل اهدافها وكل حقوقها في فلسطين .. فنحن حين ندعو الى قبول مشروع التقسيم فاننا نمنع عن الحركة الصهيونية بعض حقوقها ... وعلى العرب ان يقدروا مبلغ تضحية اليهود في قبول مشروع التقسيم ... فالحركة الصهيونية قد ابدت تعقلاً وسماحة نحو العرب .. وعلى العرب ان يبادلوا الصهيونية هذه السماحة بسماحة مماثلة ...

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٤٥ . وما بعد .
(٢) « « « « « ٨٢ وما بعد .

وعاد مندوب تشيكوسلوفاكيا مرة اخري في جلسة ١٦ اكتوبر ليدلي بقصائد النصر للصهيونية [١] :

« يدعي العرب أن اليهود ليسوا امة ، وانما اتباع مذهب ودين... وحتى لو سلمنا بهذا المنطق العربي فان كل يهود العالم يريدون فلسطين ويصرون على خلق دولة لهم فيها . فهي بلدهم ... وعناد العرب في المعارضة أمر يجب أن نتجاهله بل نكافحه ... »

... ان مندوب الباكستان قد خاطبنا هنا في الامم المتحدة مشيراً الى الاخطار التي قد يتعرض لها عرب فلسطين اذا ساعدت الدول في الامم المتحدة اليهود على استملاك السيادة على فلسطين او على جزء منها ... اني الفت نظر مندوب الباكستان الى البيان الذي أصدرته الحكومة المؤقتة اليهودية الجديدة في فلسطين (وكانت الوكالة اليهودية قد أعلنت نفسها حكومة مؤقتة) . وهذا البيان صريح يعد برعاية شؤون العرب تحت الحكم اليهودي ... وفي هذا الوعد كفاية ... فاليهود يصدقون في وعودهم ... »

وتدخل مندوب بولندة مرة اخرى في النقاش يهاجم مندوب الباكستان في جلسة ٢٢ نوفمبر [٢] :

« ... لقد وجه مندوب الباكستان (السيد ظفرالله خان) أسئلة خمسة الينا هنافي الامم المتحدة حول ما يعتبره من ظلم واحجاف واستهتار قانوني... اني أسأل بدوري مندوب الباكستان : لماذا هذه المعاكسة والمشاكسة ؟... ان للامم المتحدة كل الحق وكل السلطة لان تقر ما تشاء .. وهي قد قررت صيانة الدولة اليهودية واعطاءها الطابع الشرعي ... »

---

(١) المرجع السابق صفحة ١٠٤ الى ١٠٦ .
(٢) « « « ١٦٠ - ١٦٣ .

وعاد مندوب الاتحاد السوفيـاتي (سيمون تسارابكين) مرة اخرى (بل مراراً) ليضع مسامير اضافية في نعش الحق العربي . فقال في جلسة ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ امام اللجنة السياسية المؤقتة :

« ... ان مندوب بريطانيا يصر على الامم المتحدة بأن تتوصل الى حل يرضى عنه الطرفان : العرب واليهود ، لا طرف واحد فقط ...

.. ان بريطانيا تقول بانها اصبحت عاجزة عن البقـاء على فلسطين او المساعدة في تنفيذ نواحي الامم المتحدة بشأن مستقبل فلسطين (اي مشروع التقسيم) ...

« ... اذا كانت بريطانيا عاجزة فنحن غير عاجزين ... اننا مستعدون للتنفيذ ...

«... ان بريطانيا لا تريد ان تستعمل قواتها العسكرية في فترة الانتقال لمعونة الامم المتحدة على تنفيذ قرار التقسيم . هذا القول قـول غريب من بريطانيا ... ان هذا الموقف البريطاني مؤسف وفيه اذى واخطار وتعقيد لمهام الامم وقراراتها ... »

هكذا بلغ الغش الماركسي عند السوفيات حدا دفعهم لأن يصروا ويلحوا على المستعمر البريطاني ان يستعمل القوة العسكرية لضمان مولد الدولة اليهودية. هكذا شاء الغش الماركسي ان يطلب بقاء الاستعمار لكي يضمن مولد استعمار يهودي جديد في ديار العرب ، تمهيداً لدخول الاستعمار السوفيـاتي الماركسي فيما بعد ، عن طريق اليهود أو طريق العرب الذين تحالفوا وتزاملوا وتعانقوا مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الماركسي وزبانيته .

ثم جاء مندوب بولندة مرة اخرى ليضع سموم البيعة الماركسية في الوسط العربي في مثل هذا الخطاب الذي ادلى به الدكتور (اسكار لانج) البولندي

أحد اقطاب الاشتراكي العلمي المعاصر : [1]

«... اننا نناشد العرب ان يثقوا بنا .. اننا نحب اليهود ونحب العرب .. ولنا علاقات تاريخية بالحضارة العربية وكل حضارات الشرق الادنى ... وان الثقافات الانسانية مليئة بمساهمات العرب في العلوم والفنون والمعارف ... ونحن الذين كافحنا من أجل استقلالنا وحريتنا مراراً في تاريخ دموي طويل نقدر ونعطف ونساعد العرب على التحرر والتحرير ... ولكن فلسطين ليست ملكاً للعرب وحدهم .. فهناك اليهود .. والديار الفلسطينية مقدسة للجميع. ان الشر وجذوره في فلسطين هو الاستعمار ... فليذهب الاستعمار الى غير عودة ، عندئذ فقط يعيش العرب واليهود في امن وأخاء وسلام ... »

وذهب الاستعمار ، ونال اليهود ما شاؤوا ، ونالت الماركسية ما شاءت من نفوذ دور في قسط واسع من عالم العرب . ودفعنا ثمن ذلك اندلساً أخرى..

ولكن مندوب بولنده كزميله وسيده مندوب السوفيات ، لم يكن همه المباشر ابعاد الاستعمار البريطاني عن فلسطين، وانما توفير الفرصة لمولد الدولة اليهودية .

فلنتابع منطق المندوب البولندي في الخطاب ذاته :

« ... اننا لا نستطيع ان نهضم او نوافق أو نقبل عزم بريطانيا على الانسحاب في فلسطين قبل تنفيذ قرار التقسيم . فهذا الانسحاب طعنة في الخلف لنا هنا في الامم المتحدة ، وتنازل عن المسؤولية الدولية التي تفرض على بريطانيا ان تساعد وتتعاون في تنفيذ قرار التقسيم .. فلنسرع اذن هنا في الامم المتحدة لايجاد ضمانات كافية لايجاد الظروف الجديدة (الدولة اليهودية) في فلسطين وصيانتها »..

ومضى هذا النفاق والغش الماركسي يقول على لسان المندوب البولندي نفسه :

---

(١) محاضر جلسات الاوضاع رقم ١١٠ - ١٢١ للجمعية العامة للامم المتحدة بكامل هيئتها وقد القى هذا البيان البولندي في جلسة ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧

« ... اننا نعطف اشد العطف على العرب ... لقد وقفنا بجانبهم في مجلس الامن مؤخراً لمعونتهم على التخلص من الاستعمار البريطاني في مصر . فلماذا لا يتعاون العرب معنا في احقاق الحق والاخاء في فلسطين ... صدقوني أيها الزملاء العرب بان انتصارنا في هذه القضية (قضية الدولة اليهودية في فلسطين) سيفتح افاقاً واسعة لنا جميعاً لنتعاون في تحرير دياركم من الاستعمار ... فهناك مصالح كثيرة مشتركة بين العرب وبين اليهود في النضال ضد الاستعمار على اساس المبادىء الاشتراكية ... »

«... هناك مثلاً امكانيات التعاون الاقتصادي والفكري بين الديمقراطية اليهودية والديمقراطية العربية ... وان القيادات اليهودية تتحلى بحكمة عقائدية واسعة، وهي تتفهم جيداً الآمال الحقيقية للجماهير العربية في كل دول الشرق الادنى ... فالجماهير العربية والجماهير اليهودية تتلاقيان على صعيد واحد في اكثر اوجه الحياة والمعاش ... فالعمال والفلاحون والمثقفون في كلا الجماعتين العربية واليهودية ذوو مصلحة واحدة . فجميعهم يبغى السلام والتعاون والاخوة ورفع مستوى المعاش والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . واني شديد الأمل والايمان بان بالتعاون العقائدي بين الجماهير ونقابات العمال والاتحادات والهيئات الديمقراطية التحررية فان الفوارق بين الجانبين ستزول ويعم المنطقة الاخاء بين الجماهير ... »

هذه النبؤة الماركسية بلسان احد فطاحلها (الدكتور اسكار لانج) حول مستقبل اليهود في مناخ اشتراكي ماركسي عربي يسود الشرق الادنى ـ هذا التدبير القديم في حلقات الماركسية الدولية (يهودية وعربية ومن مختلف الاسباط الاخرى) هي سر تخاوفنا من رواج الماركسية في هذا الوطن العربي، وسر كفاحنا ضد الاشتراكية بكل قوالبها ـ عربية او اعجمية .

وتوكيداً لهذا التدبير الماركسي القديم في المحيط العربي عبر الامم المتحدة وعبر اليهودية والصهيونية العالمية، نود ان نتابع تسجيلنا لنماذج الغش الماركسي

في تلك الفترة الدقيقة من حياة فلسطين وحياة الامة العربية .

هذا مندوب روسيا السوفياتية نفسه « السيدجروميكو » يقول في الاجتماع الواحد والعشرين بعد المائة من جلسات الامم المتحدة في الجمعية العامة يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حول القضية الفلسطينية ايضاً :

« ... ليس للاتحاد السوفياتي مصلحة مادية مباشرة في مسألة فلسطين .. فانشغال الاتحاد السوفياتي وحماسه للمشاركة في هذه القضية مرجعه اولا ان الاتحاد السوفياتي عضو في الامم المتحدة ، وثانياً لأن الاتحاد السوفياتي دولة كبرى ، وككل الدول الكبرى فان على الاتحاد السوفياتي ان يتخذ لنفسه المسؤولية في صيانه الامن والسلم الدولي ..

... ان الاتحاد السوفياتي قد رفض الرأي القائل باعلان استقلال فلسطين في دولة واحدة . وأيد خلق دولة لليهود واخرى للعرب في فلسطين .. ان للعرب ولليهود جذور تاريخية قديمة راسخة في فلسطين . فمن حق اليهود ان يبنوا دولة لهم هناك ، دولة ديمقراطية مستقلة تكون نموذجاً للمؤمنين بالديمقراطية في المنطقة ...

.. ان الاتحاد السوفياتي لا يعارض مطالب الشعب العربي وانما يطالب الحكومات العربية ... فالجماهير في كل مكان ومن كل الجنسيات تتشارك في المصالح والآمال والاهداف ... ان قرار التقسيم لا يتعارض مع مصالح الجماهير العربية واليهودية ... على العكس ان الاتحاد السوفياتي واثق العلم والأمل بان التقسيم سيخدم مصلحة الجماهير العربية واليهودية ..

... ان المندوبين العرب يصرون على ان التقسيم ظلم يحق العرب . ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على هذا الرأي العربي . لأن لليهود حقوقاً وصلات وروابط ازلية بفلسطين ايضاً . وقد قاست الامة اليهودية ظلماً واضطهاداً آخر نماذجها على يد الهتلرية . فمن الواجب ان نضمن لليهود وطناً قومياً حيث لهم مطالب تاريخية كما هو مطلب اليهود في فلسطين ...»

هل هذا الكلام والتصريح السوفياتي الرسمي من اعلى منابر الامم المتحدة يختلف في نصه وروحه وقوته عن ما جاء في وعد بلفور الاستعماري ؟

ومضى « جروميكو » في نفس البيان يقول :

« .. ان حكومة الاتحاد السوفياتي تعطف على آمال العرب في التحرير الديمقراطي .. ولذلك فاننا لا نعتبر ان ما يتحدث به المندوبون الرسميون العرب امامنا هنا في الامم المتحدة من كلام سيء هو المعبر الحقيقي عن آمال الجماهير العربية في مسألة فلسطين ...

... ان الاتحاد السوفياتي على اتم الثقة بان الجماهير العربية وطليعتها القيادية الديمقراطية ستتطلع يوماً ما الى موسكو، وتترقب من الاتحاد السوفياتي العون في نضال العرب لمكافحة ما تبقى من الاستعمار والتخلف والرجعية ..»

هذا الكلام السوفياتي كان في عام ١٩٤٨ . وقد تحققت نبوءة السيد « جروميكو » هذه . والسيد جروميكو نفسه هو اليوم من اعمدة البيعة الاشتراكية الثورية في الاتحاد السوفياتي واتباعها وعشاقها وتلامذتها في دنيا العرب . وقد التمس العرب او بعضهم العون من موسكو وتطلعوا اليها لمكافحة الاستعمار والرجعية ، ولكن بعد ان دفعوا للاتحاد السوفياتي ولغيره ثمناً باهظاً لذلك وهو فلسطين .

ونخشى بل نحن على اتم القناعة بان الاتحاد السوفياتي والمعسكر الماركسي كله الذي جاهد في سبيل مولد اسرائيل ، لن يتخلى عن هذا الجهاد في سبيل صيانة اسرائيل يوم البتّ العربي مع الشر الصهيوني . وان من الكفر ومن الاجرام في حق الوعي والنباهة والمصالح العربية ان نضع كل الاعتماد والثقة على السوفيات والدول الاشتراكية الاخرى، عسكرياً ، واقتصادياً ودبلوماسياً وعقائدياً ، في معركة المصير العربي مع اسرائيل .

فلنتذكر جداً هذه المواقف السوفياتية ، ولنقرأ المرة تلو المرة هذه

التصاريح من أئمة الاشتراكية الدولية التي سجلنا فقط نماذج لها من أسفار ضخمة واوراق ووثائق لا حصر لها .

ولم تقف فاجعة القضية الفلسطينية أمام الامم المتحدة على اصدار قرار التقسيم وقيام الوكالة اليهودية باعلان نفسها حكومة مؤقتة لفلسطين .

فالسجل طويل ، والغش الدولي متشعب ومتلاحق ، اخطــره بالنسبة لاصول الحق العربي كان في مواقف الدول الاشتراكية المفروض فيها أن تعاوننا في مكافحة الاستعمار بريطانيا او رأسمالية امريكا او هذه الصهيونية الفاسقة التي وضعت قدماً في الشرق وقدماً في الغرب ، فافترستنا ونحن نعتقد ان علينا أن نحارب على جبهة واحدة : جبهة الاستعمار فقط .

أمريكا تتراجع عن التقسيم والسوفيات يناضلون من أجله

تعاقبت الهزائم تلو الهزائم على العباطة الدبلوماسية العربية داخل الامم المتحدة وخارجها، وأقرت الجمعية العامة مشروع التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧. ورفضت كل جهد خطير او تافه قامت به الدبلوماسية العربية . فقد تبلور الغش الدولي شرقياً وغربياً منذ اللحظات الاولى لتناول الامم المتحدة المهزلة البريطانية التي صبرت ثلاثين عاماً بكاملها (منذ بلفور) حتى تعلن للملأ الاجمع بأنها عاجزة عن القيام بمهام « الانتداب » على فلسطين ، فترجو « العدالة » البريطانية من الأمم المتحدة ان تنظر في مستقبل الحكم لفلسطين شرط ان لا تقوم الأمم المتحدة بأي اجراء لا يرضى به الطرفان العربي واليهودي .

هذا النفاق خصلة مزمنة في الطبع البريطاني عندما كان يعالج الشؤون الخارجية وشؤون المستعمرات والمحميات والانتدابات والوصايات . ولكن أشنع مظاهر هذا النفاق البريطاني كان ذلك الذي انصب على عرب فلسطين وقضيتهم .

ففي قيام بريطانيا بإعلان أفلاسها عن ايجاد الأساليب الصالحة لتنفيذ مهمة الانتداب الدولي الذي سعت اليه ونالته بريطانيا من عصبة الأمم المتحدة —

كان في حد ذاته غشاً دولياً من ألعن النماذج .

فالاستنكار الدموي الذي كرره عرب فلسطين عاماً بعد عام وموسماً بعد موسم منذ اعلان وعد بلفور ومنذ الغش الدولي القديم وخديعته للحقوق العربية في معاهدة «فرساي» عام ١٩١٩ -- ذلك الاستنكار الدموي والنضال الشعبي والتضحيات وشتى مظاهر النقمة والغضب والمظاهرات والثورات الفلسطينية التي انفجرت منذ اعلان وعد بلفور نفسه والتي لم تنقطع حتى آخر لحظات المسرحية التي مثلها الشرق والغرب على منبر الامم المتحدةعام ١٩٤٧، لم ينتزع من الضمير البريطاني القوة الاخلاقية لأن تقول بأنها افلست في القيام بمهام الانتداب الدولي على فلسطين إلا في فترة خبيثة من الوضع الدولي ، كان المناخ النفسي والسياسي فيه متخماً بالعطف على اليهودية العالمية التي اتقنت الدعاية عن الحقائق وانصاف الحقائق حول الاضطهاد النازي لليهود .

فلم يكن من الممكن للمناخ الدولي في حظيرة الامم المتحدة بد من ان ينظر بعين العطف على اليهود . فقد كان يفترس الجو العالمي بأسره صور قبيحة من فظائع النازية في معسكرات الاعتقال ، وفي التعذيب ، وفي العن نماذج بطش الانسان بالانسان – نماذج كشفت عنها حقائق اصيلة وحقائق ينقصها الاثبات الاصيل في ظل النظام الميكافيلي الذي كان نبراساً لهتلر في العقيدة والتطبيق .

وكان المناخ العربي جاهلا او متجاهلا طبيعية الفساد في نظم الحكم الذي كانت تعيش عليها النازية والفاشستية . بل ان اكثر المناخ العربي آنئذ كان من أشد المعجبين والمؤيدين للسياسة والعقيدة النازية ومن المتهالكين عليها والساعين لودها وحضانتها ومؤازرتها ومعونتها للمصالح العربية .

والمناخ الشعبي العربي ما قبل الحرب العالمية الاخيرة وابان تلك الحرب في عشقه للنازية عقيدة واسلوباً وسياسة ودبلوماسية ، كان اشبه الى ابعد حد بأكثر المناخ العربي هذه الايام في عشقه واعجابه ووصاله وتهالكه وتعاونه وزمالته مع المعسكر الاشتراكي الماركسي الدولي : عقيدة واسلوباً وسياسة ودبلوماسية وتعاوناً اقتصادياً وعسكرياً ووجدانياً كما هو الآن،في دول عربية خطيرة النفوذ في شؤون الدنيا العربية ومصالحها . والاشتراكية الثورية نظام مكيافيلي لعين فيه صفحات سوداء اشبه بصفحات النازية ، بل العن وادهى .

فكان من جراء هذا الجهل العربي او التجاهل بالحقائق الدولية ان هرعت الدبلوماسية العربية الى الامم المتحدة وهي تعتقد ان الدنيا تعيش على ميزان العدل القسطاس، وان السياسة الدولية تعالج الحقائق على اساس حق ابيض ناصع البياض وحق اسود مكفهر الوجه عبوس ظالم . وان بساطة الحق العربي (فالحق دوماً بسيط لا تعقيد فيه) كفيل بان يدفع المجوعة الدولية لان تترفع عن المؤثرات الدعاوية وان تفصل بين شؤون الشرق العربي والشؤون العالمية كلها ، فلا ترى القضية الفلسطينية سوى حق عربي ابيض يواجه افتراءاً صهيونياً يداخله الغش ويسنده الاستعمار .

وكان الواجب الوجداني على اولى الامر العرب وعلى الرأي العربي كله أن يدرك مخاطر العباطة والجهل ادراكاً سريعاً كما تقتضي النباهة . والنباهة ليست خصلة مفقودة في الخصائص العربية ، ولا هي ميزة تافهة الوزن في الطبع العربي . ولكن تفاهة وسائل الاعلام العربي وعمي الشعور العربي نفسه كانا حائلا بين الرأي العربي وبين سعة الادراك لشناعة الخطأ الذي ارتكبناه ما قبل الحركة العالمية الاخيرة وابانها في صلاتنا الوجدانية والفعلية مع النازية والفاشستية، وتعاوننا معهم على نحو ما يفعله اكثرنا هذه الأيام في صلاته وآماله

مع الماركسية الدولية والاشتراكية الثورية، وهي نظم وعقائد لا حظ لها من الصمود طويلاً ولا مقدرة لهـا على سند الصالح العربي – في عقر الدار وفي الأطار الدولي أيضاً. وان مظاهر القوة الاشتراكية (عربية ودولية) ليست سوى فقاقيع تطفو على مستنقع كريه ، تنفر منه الحقيقة التاريخية، وكل هذه الدعائم الديمقراطية الثابتة التي بدونهـا لا تتطور الحضارة . والحضارة هي القوة . والقوة هي العلم . والعلم هو دراسة الماضي للاتعاظ به اليوم وملاقاة المستقبل به غداً .

ولم يكن أسهل على البيعة الصهيونية ان تستغل هـذا الضعف الجذري في المناخ الدولي الذي كان على نفور وكراهية عميقة من المكيافلية النـازية ، كما هو اليوم على كره ونفور من المكيافلية الماركسية .

وكان لصلة العرب (او اكثرهم) بالنازيـة لسنوات طوال دور خطير في سلبية الجماعية الدولية نحو الحق العربي .

فمهما فسدت ضمائر الدول والافراد ، فان رواسخ نفوسهم سيظـل طرفاً من وجدان يتأثر بالحق العربي ، لا لأن حكومات العرب كانت اقطاعيـة مسيئة ، ولا لأن مندوبي العرب في الامم قصروا في الدفاع والمنطق والجهد الدبلوماسي . بـل على العكس أجاد المندوبون العرب (والى جانبهم عقل عبقري كالسيد ظفرالله خان مندوب الباكستان) في عرض القضية تاريخيـاً وقانونياً ومنطقياً وعاطفياً ، وان كانت طفولة تجاربهم في حذلقات اللوائـح والمعارج والمداخل لميثاق الامم المتحدة ودساتيره مسؤولة عن بعض الاخطاء العربية الشنيعة .

وفي رأيي ان العباطة العربية (في الحكومات والشعوب) كانت مسؤولة الى حد بعيد عن مأساة الحق العربي امام الامم المتحدة وعلى يدها وعلى يـد الغش الدولي ماركسياً ورأسمالياً ومن اهل « عدم الانحياز » ايضاً .

ووجه العباطة العربيـة هو اولا تعاميهم عن ان المناخ الدولي لم يكن مناسباً لعرض قضية فلسطين على الامم المتحدة عام ١٩٤٧، والدنيـا آنئذ بأسرها تقرأ وترى وتسمع عن مآسي اليهود على يد النازية . ورغم ان ليس للعرب يد مباشرة او غير مباشرة في هذا البطش النازي، إلا أن حرارة الحق العربي كانت مفقودة في الجو الدولي امام الامم المتحدة بسبب اتقان اليهود الكشف عن فظائع النازية، واستغلال صلة بعض الزعماء العرب (الفلسطينيين منهم على وجه التحديد) بالمانيا النازية. (كما يحاول اليوم بعض الزعماء العرب الفلسطينيين ومن نصبوا انفسهم قوامين على القضيـة الفلسطينية زيادة الروابط مع الماركسية الدولية) .

وليس أدل على عنصر الغش والنفاق البريطاني ازاء الصالح العربي في فلسطين من قيام بريطانيا بعرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، والجو الدولي كلـه يحمل عطفاً (بعضه منافق ولكن اكثره أجل) على اليهود بسبب اضطهاد النازية لهم .

فلقد بذل الأمريكان مثلاً جهداً خـارقاً في الأنفس والأرواح والأموال لمحاربة النازية ، لشناعة فظائعهـا بما في ذلك الاضطهاد الهتلري لليهود . فكيف كنا نأمل من الأمريكان (والغرب بأسره) ان يبخل على الصهيونية بتأييده لخلق وطن قومي لليهود في فلسطين – وهو جهد لا يكلف الأمريكان أكثر من تكاليف طائرة واحدة أو سفينة حربية أو نفقات معركة فرعية واحدة على طول الجبهات الدموية الباهظة الاعباء والنفقات في الحرب النازية التي انتهت قبل عام أو عامين من معالجة الأمم المتحدة لقضية فلسطين .

ولقد بذل الاتحاد السوفياتي آخر رمق بشري ومـادي لديه لمكافحة النازية وشرورها ، بما في ذلك هلاك بضعة عشر مليوناً من المواطنين الروس أنفسهم ومن الأبرياء والأشقياء من شعوب أوروبا الشرقية التي فتك بها النازيون وآل أمرها الى الأحزاب الشيوعية التي تحركها موسكو كما شاءت .

وهكذا كانت النباهة العربية تقضي ان تدرك جذور المغامرة الدبلوماسية في قبول بحث قضية فلسطين أمام الأمم المتحدة ، وفي كلا المعسكرين الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي شعور بالغ في العداء للنازية ، ومن ثم العطف على ضحايا النـــازية — وهم اليهود وبصفة استثنائية كما نجحت الدعاية الصهيونية نجاحاً فائقاً في نحتها في أذهان المجتمع الدولي وعواطفه .

فالتحالف بين الاتحـــاد السوفياتي ومعسكره الاشتراكي وبين الولايات المتحدة ومن يدور في فلكها في مسألة العطف على اليهود وآمالهم في فلسطين ، كان أمراً مفروغاً منه .

فاذا لمنا الجهل والعباطة العربية لإهمال هذه اليقظة المبكرة لسوء المناخ والجو الدولي والضرر الكامن فيه على الموقف العربي اذا تناول قضية فلسطين آنئذ — عام ١٩٤٧ — اذا لمنا طفولة الوعي العربي في ادغال السياسية الدولية آنئذ ، فاننا نفور في الغضب على الغش البريطاني لاختياره تلك الآونة المحرجة بالذات لاعلان افلاس الانتداب البريطاني والطلب من الامم المتحدة ان تنصف العرب واليهود معاً - وتساويها في الحقوق !..

فبريطانيا كانت آنئذ (عام ١٩٤٧) شيخ الدبلوماسية الدولية ، واكثر الدول المخضرمة دهاءاً ومعرفة واستيعاباً وادراكاً للتيارات الدولية ، ومدارج الانصاف الوجداني للعائلة الدولية في فهم حقيقة الصالح العربي وحقوقـه في فلسطين (وقد لوثه زعماء فلسطين بالنازية) ، اذا قيس ذلك الفهم الـدولي باستعداد الناس في كل مكان لفهم الوضع اليهودي العالمي وما شاع في الجـو الدولي كله من روائح الاجرام النازي ، ومقـدرة اليهودية العالمية الفائقة على استغلال ذلك كله لترجيح كفة الباطل الصهيوني على الحق العربي في فلسطين.

ومهما يكن من الامر ، فان من نتائج هذه العباطة وذلك الجهـل العربي مضاف اليه الغش البريطاني والغش الماركسي ان وجـد العرب انفسهم في ٢٩

نوفمبر عام ١٩٤٧ يتدحرجون الى اسفل الجبل عندما اتخذت الجمعية العامة قرارها النهائي بتقسيم فلسطين وخلف الدولة اليهودية والعزم الدولي على تنفيذ ذلك بتحالف الشرق والغرب معاً واهل الحياد ايضاً .

وكان المنطق وبعد النظر ومزية الاستدراك وصراحة الوجـدان تفرض عن العرب حكومات وشعوباً ان تنسحب فوراً من اي مشاركة في اعمـــال الامم المتحدة بشأن قضية فلسطين منذ الاسبوع الاول في ربيـع ١٩٤٧ عندما ظهرت بوادر الهزيمة العربية ظهوراً سافر يفهمه الاطفال . فلايكون الجانب العربي في ملازمته للغش الدولي في حظيرة الامم بمثابة شريك عربي في ذلك الغش الأجنبي .

فقرار التقسيم الذي صدر في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٧ لم يكن نقطة التحول في النكبة الفلسطينية . وانما نقطة التحول كانت عندما طرحت بريطانيـــا القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة في ابريل من ذلك العـام نفسه ، وتهالك العرب (حكومات وشعوب) تهالكاً لا حد لـه على قبول الامم المتحدة آنئذ حكمـاً « نزيهاً » يفصل في نزاع العرب مع الاستعمار البريطاني ونزاع العرب مع الافتراء الصهيوني .

بل إني اذهب ابعد من ذلك ، فأقول في اصول القناعة ، وفي سعة الدرس والاستيعاب للكثير من التاريخ الدولي المعاصر والمشاركة العقلية في اعمـال الامم المتحدة والعلاقات الدولية بضعة عشر عاماً متواصـلة في شتى القضايا وشتى قطاعات العـــالم — ، بان نقطة التحول التي وضعت اول مسمار في نعش المأساة الفلسطينية هو يوم وصمت هـــذه القضية العربية بوصمة النازية — يوم هلل الناس (الفلسطينيون والعراقيون وغيرهم) للزعامات العربية التي قضت سنوات الحرب تعيش في اعتاب النـــازية الألمانية وتستلهم الوحي والعون والحضانة منهـــا . كما تستلهم زعامات عربية اليوم الوحي والزمالة والحضانة والعون من الماركسية السوفياتية او الصيغة ومن

فلسفة الحكم المطلق الذي كان من اصول البيعة والسياسة النازية كما هو اليوم من اصول البيعة الماركسية ومدارسها وزبانيتها من جماعات الاشتراكية العربية الثورية ونظمها وعشاقها . وذكر ان تنفع الذكرى .

ولنعد الى صلب الموضوع . لنجد قرار الجمعية العامة الذي قال بالتقسيم وخلف الدولة اليهودية رسمياً في نوفمبر ١٩٤٧ يواجه العباطة العربية ويصفعها على الخدين .

ففي قرار التقسيم اوصت الجمعية بتشكيل لجنة خماسية دعتها « لجنة الامم المتحدة لفلسطين » . وأعضائها الخمسة هم : بوليفيا . تشيكوسلوفاكيا الدنمارك، باناما، والفيلبين . للاشراف على التقسيم عملياً وبيد الامم المتحدة .

وهنا مرة اخرى اخذ المعسكر الاشتراكي الماركسي على ان تكون له يد في هذه اللجنة ، التي « تكرمت » الامم المتحدة فحاولت ان تعطيها صفة «الحياد» ، كما يستفاد من اللون السياسي للاعضاء الاربعة (غير تشيكوسلوفاكيا) الذين تتألف منهم اللجنة ، والذين كانوا من اقل الاعضاء الدول تأثراً بالنفوذ اليهودي، فمندوب الفلبيين مثلا كان رجلا ذا ضير فلم يصمت عن مناصرة الحق العربي رغم ضغط المصالح الامريكية اليهودية وغير اليهودية عليه .

فادخال تشيكوسلوفاكيا في عضوية اللجنة الخماسية كان خدعة يسارية لعينة، ادت الى اسوأ النتائج في الاوقات التي تلت على القضية الفلسطينية وجلبت لها مزيداً من المنكر الماركسي . فتشيكوسلوفاكيا كانت آنئذ محسوبة في دائرة النفوذ السوفياتي بموجب اتفاقيات «يالطه وبوتسدام» التي حاول السوفيات (ونجحوا) فيها تقاسم النفوذ الدولي مع حلفاء الغرب حتى قبل ان تضع الحرب العالمية الاخيرة اوزارها. وسرعان ما افتعل السوفيات الثورة الشيوعية والانقلاب اليساري في تشيكوسلوفاكيا، وكان لموسكو السيادة الكاملة على هذا البلد اسوة بسيادتها على بقية اوروبا الشرقية ، وعن طريق تشيكوسلوفاكيا

ارسل الاتحاد السوفياتي السلاح العسكري للصهيونيين في معركتنا معهم في فلسطين .

وكانت مهمة اللجنة الخماسية هي الامور التالية التي نص عليها قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ . مسلحة بذخيرة قوية تمتلكها الامم المتحدة في مجلس الامن وغيره .

أ – تكليف مجلس الأمن اتخاذ الاجراءات اللازمة التي نصت عليها خطة التقسيم للقيام بتنفيذ التقسيم .

ب – اذ يقر مجلس الامن بان السلام في فلسطين معرض للخطر (اي للنقمة العربية) فعلى المجلس ان يسأل الجمعية العامة استعمال القوة الدولية لمعونته في تنفيذ قرار التقسيم والتغلب على من يخل بالأمن والسلم .

(ولما كان المعارض للتقسيم هم العرب ، فالتهديد باستعمال القوة الدولية عن طريق الامم المتحدة كان القصد منه ارغام العرب لا اليهود ـ على الامتثال والطاعة) .

ج ـ على مجلس الأمن ان يحدد بنفسه من هم الذين يخلون بالأمن والسلم (في القضية الفلسطينية) ومن يحاولون الاخلال بالأمن والسلم الذين يستدعى استعمال القوة الدولية لتنفيذ قرار التقسيم .»

وهنا مرة اخرى كان على الوجدان واليقظة العربية (وخصوصاً مندوبوها في الامم المتحدة وحكوماتها في الوطن والرأي العربي كله) ان يدرك عواقب البقاء على اي صلة قانونية بالامم المتحدة بعد هذا التهديد والتحذير باستعمال القوة الدولية التي تطبق بصفة استثنائية على الدول التي هي اعضاء في الأمم المتحدة ، كما كانت الدول العربية المستقلة كلها آنئذ أعضاء هناك .

ومن المهم ان نعلم بان مجلس الامن هو الأداة الدولية التي كانت وحدها آنئذ قادرة على تجنيد القوة العسكرية الدولية اذا اجمعت الدول الكبرى

(بما فيهـــا الاتحاد السوفياتي) او رضيت اغلبية اعضاء المجلس بالجوء الى القوة في تنفيذ قرارات الامم المتحدة ونواصيهـــا ، بعد التشاور وتنسيق السفسطة القانونية اللازمـــة بين مجلس الأمن وبين الجمعية العامة .

ومجلس الامن مؤلف من ١١ عضـواً . خمسة منهم (هم الدول الكبرى : امريكا ، الاتحاد السوفياتي ، بريطانيا ، فرنسا والصين) تشغل بصورة دائمة مقعداً في المجلس وتستملك ايضاً حق النقض (الفيتـو) اذا لم ترضَ عن اي قرار او توجيه . وبقية الاعضاء (وهم سبعـــة) كانوا من الدول الصغرى يختارون كل عامين حسب التوزيع الجغرافي والسياسي لهذه الكرة الارضية .

ومجلس الأمن أشبه بناد خصوصي للدول الكبرى تلعب فيه كما شاءت ، ففضلا عن انها تملك حق النقض (الفيتو) فانها أيضاً تسرح وتمرح في حرية كاملة لاختيار الأعضاء السبعة من الدول الصغرى التي تتمم عضوية مجلس الأمن .

فأي موضوع دولي ينتقل الى مجلس الأمن يصبح تحت رحمة الدول الكبرى ، ولا نفع فيه للدول الصغرى او أهل الحياد او من لا يسير في فلك هذا العملاق الدولي أو ذاك .

وطالما ان الجمعية العامة (وهي التي تضم في عضويتها جميع دول الامم المتحدة) قد اوصت بقرار التقسيم ، وأحالت تنفيذه على مجلس الامن ، طالما ان جميع الدول الكبرى في مجلس الأمن ، (وفي طليعتهم الاتحاد السوفياتي) كانوا متحمسين لتنفيذ مآرب الصهيونية في التقسيم تطبيقاً ورعاية ، فان أي أمل للجانب العربي في الحصول على طرف من العدل والانصاف على يد الامم المتحدة كان بخاراً في الجو .

ومع ذلك رابطت الدول العربية وجماعة اللجنة العربيـــة العربية العليا

الفلسطينية في اعتاب الامم المتحدة تأمل العدل والانصاف ...

ومضى الغش البريطاني في نفاقه الوجداني وتدابيره السيئة ، فأعلنت الحكومة البريطانية بانها عـــازمة عزماً نهائياً على الانسحاب (ادارة وجيشاً ونفوذاً) من فلسطين في أول اغسطس من العام المقبل – عام ١٩٤٨ . وهكذا اعطت بريطانيا فرصة لكلا الجانبين العربي واليهودى أن يتطاحنا على أرض فلسطين. وأن ينتزع الحق انتزاعاً. فلينجح من هؤلاء من هو أقوى وأدهى. ودفنت بريطانيا ضميرها في رمال الصحراء أو غبار التاريخ ، ورغم كل هذه الوعود القانونية والأدبية والأخلاقية التي وعدتها للعرب ، ورغم حضانة الانتداب البريطاني للبيعة الصهيونية خلال ثلاثين عاماً متواصلة لم تبخل بريطانيـــا خلالها باعنف قوالب القمع لنضال عرب فلسطين في سبيل حقوقهم ، ولم تبخل بريطانيا بتوفير كل فرصة خطيرة وتافهة للجانب الصهيوني في وضع ركائز بارضنا في فلسطين – سواء في هذه الشخصيات البريطانية اليهودية (أمثال هربرت صموئيل اول مندوب سام أعلى لبريطانيا في فلسطين، او أمثال المستر بنتويش اليهودي البريطاني الذي صاغ القوانين وأشرف على السلطة التنفيذية للحق العام (حق الانتداب البغيض) ، وعشرات من اليهود وزبانية اليهود بريطانيين ومن جنسيات مختلفة رتعوا في أخطر مراكز السلطة الفلسطينية منذ أول يوم أسود من أيام الانتداب البريطاني ...)

... وسواء في فتح ابواب الهجرة اليهودية على مصراعيها اكثر الوقت ، وفي نصف الباب المفتوح بقية الوقت ...

... وسواء في أصرار الغش البريطاني على ان يعتبر الرأي العربي في فلسطين ممثلا في حفنة العائلات المقدسية واليافاوية والحيفاويـــة ، وذوي الافق الضيق والدماغ العنيد الذي لا يملأه إلا انانية شخصية وغباوة وحقد اتجه اكثر لمنافسة اي أصوات قومية في فلسطين لا تنطوي تحت لوائها وزعامتها .

وجدير بالتسجيل ان الخيانات القومية السياسية بين عرب فلسطين كانت منعدمة تقريباً. فندر ان وجد الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني من يتعاون معه او يخدمه من عرب فلسطين . فالاخلاق العربية لم تفسد كثيراً في ظـل الاستعمار المزدوج الذي سيطر على فلسطين. فقد هب عرب الديار للنضال منذ لحظات الانتداب الأولى واستمروا عليه لا يعرفون هوادة ولا هدنة ولا راحة واستجماماً . اما الفساد فقد كان في الفكر بين الزعامـات العربية وهو فساد مرجعه الجهل والانانية والاثرة في امتلاك الزعامات ومكافحـة كل من يحاولها في الحق القومي او في مدارج الوعي واصول المسؤوليات القومية .

وهذه الانانية والجهل والعناد الفكري الفلسطيني لعب دوراً خطيراً ايضاً في عمياء الجانب العربي كله عن رؤية الغش الدولي في اول مراحله . فأصرت الوفود العربية في الامم المتحدة (ومنها وفد عرب فلسطين) على التكلع في اعتبار الامم المتحدة تتلقى الصفعة تلو الصفعة، فلا ترى من الواجب الاخلاقي والوجداني ان تقول لأهلها وشعوبها في الوطن بان الدبلوماسية ليست سلاحاً، وإنما مخدراً يسلب الناس طاقاتهم بينما العدو يزدادا انتصاراً .

فقد وقع العكس . وظلت صحف الديار العربية تافهة في جهدهـا لسرد حقيقة ما يجري في الامم المتحدة وهزائم العرب المتوالية هناك . وكانت تلك الصحف سخية في سردها لخطاب هذا المندوب العربي او بيان هذه اللجنـة العربية او تلك .

وكاتب هذه السطور في هذا الكلام الانفعالي الذي يسجله اليوم هنـا لا يبتغي رثاء الاطلال، فقد تأبط الشر في اول ساعة لمسه في دهاليز الامم المتحدة في نيويورك ، وكان ينفق هذا القليل من مدخره كطالب محدود الطاقة المالية ليبعث بالبرقيات الطويلة الى جرائد بلده يحذر من المضي في تلمس الدول من الغش الدولي والعباطة والجهل العربي في الامم المتحـدة . فجذور الغضب الوجداني في هذه التجربة الشخصية جذور قديمة وعميقة ومتواصلة . فـاذا

انعكست في هذه الصفحات هنا ، فقد سبق لها ان جاهدت في اقصى الجهد الفردي لطالب ضعيف في ديار بعيدة ليقول: لأهله كفاكم عباطة وعبثاً وايماناً بالاطياف والمشاركة في الغش الدولي ، بما فيه غش العربي حين لا يجرؤ اللسان العربي ان يقول ما يقتضيه المعرفة والاجتهاد قولا صريحاً عنيفاً لاهله وهم في غيبوبة الجهل بالحقائق .

ونحن من المؤمنين بان الوجدان العربي في اشد ازمات النكبة الفلسطينية لم يمت عام ١٩٤٧ ولم يمت بعد ذلك ولا هو ميت الآن ولن يموت غداً .

فهذا الوجدان العربي سيظل حياً ، ما دامت جذور الثقافة العربية حية، وجذور العقيدة الدينية (بكل نحلها ومذاهبها) حية في دنيا العرب .

فالغزو الصهيوني بالامس واليوم وغداً هى غزوة قومية دينية. ولن يكافحها إلا مضاء عزم القومية العربية والنزعات الدينية الـتي هي جزء أصيل من الحضارة العربية والشخصية العربية والطبع والمزاج والقوة العربية حين تجد من يوقظها على قواعد عربية راسخة رسوخ الثقافة العربية طوال هذه الاجيـال والقرون .

ولقد استفاق الوجدان العربي بعد ان وصلت اليه (متأخرة مع الأسف الشديد) حقائق الغش الدولي شرقياً وغربياً، في ماخور العهارة الدبلوماسية في الأمم المتحدة . واشتبكت الجيوش العربية مـع الكتائب اليهودية السرية والعلنية التي دبرت لها الصهيونية العالمية والاستعمار والماركسيـة الدولية ايضاً كل حاجات الغدر المفاجيء على شعب كعرب فلسطين .

ولمأساة الحرب العربية الرسمية مـع اليهود ومن آزرهم من الشرق والغرب والمرتزقة والعون العسكري وغيره ، هذه المأساة تفاصيلها معروفة للمواطن العربي . وليست قضيتها جزءً من اغراض هذا الكتاب . فتلك الحقبة السوداء

من تاريخ الأمة العربية لا تزال تنتظر بلاغة السفير وقوة التعبير وريشة الرسام وفلسفة المفكرين العرب للتدقيق في اسبابها ونتائجاتها . ومن تفاهة التحصيل العقلي واليقظة القومية ان نقتصر في ايجاد التفسيرات لهذه النكبة العربيـة في المعارك العسكرية مع اليهود على هذه الحلول العقائدية الثورية التي تقدمها لنا الاشتراكية الماركسية العسكرية وابطالها ودعاتها واحزابها اليوم. فهذه الحلول بضاعة جهد عقلي فارغ ، وطفولة فكرية وثقافية لانفع منها ، بل ان فيهـا اذى كبيراً وغشاً آخر من جملة الآمال المغشوشة التي تباع في اسواق الوجدان العربي ـ وهو وجدان سليم في اركانه وركائزه ، رغم ما هو متراكم عليه من غبار الجهل والبيعات العقائدية المستوردة .

ومضت اللجنة الخماسية التي تولت تنفيـذ التقسيم لفلسطين وصيانة الدولة اليهودية الجديدة في العمل لايقاف الصراع الدموي في فلسطين .

ووجدت اللجنة ان السلطان البريطاني في فلسطين لا يتعاون معهـا . فمارست اللجنة [١] ما اوصت به الجمعية العامة باللجوء الى مجلس الامن ليلجأ هذا المجلس بدوره الى الجمعية العامة ، وتلجأ هذه الجمعية الى عمالقـة الامم المتحدة واقزامها لتأليف القوة الدولية العسكرية لتنفيذ قرار التقسيم وصيانة الدولة اليهودية الجديدة ازاء معارضة العرب .

وتناول مجلس الأمن طلب اللجنة الخماسية . واتخـذ في جلسة ٥ مارس ١٩٤٨ قرار الدول الكبرى (اصحاب السلطان الكامل في الامم المتحـدة) ان يتشاوروا ويتفقوا فيما بينهم ومع الاطراف الأخرى المعنية بالأمر لاستنباط الاجراءات اللازمة لايقاف النقمة العربية العسكرية على مشروع قرار التقسيم ، وصيانة « الامن والسلم في فلسطين ! ... »

(١) وثيقة الامم المتحدة ، مجلس الامن رقم ٦٧٦ بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٤٨

ولأول مرة (ولكن بعد خراب البصرة) دب الخلاف بين الأمريكان وبين الاتحاد السوفياتي حول القضية الفلسطينية . ويا ليته دب قبل ذلك ، قبل ان نال اليهود ما شاؤوا من صفة « قانونية » عبر طريق الامم المتحدة لمآربهم في افتراس ديارنا في فلسطين .

واصبحت وحدة الحـال بين الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن امراً شائكاً ، عكس ماكان عليه عندما اتحدوا وتعاونوا جميعـاً في الإلحاح على قرار التقسيم .

وامتنعت بريطانيـا (وهي من الدول الخمس الكبرى) عن المشاركة في اعمال مجلس الأمن في اي قرار او اجراء سوى تطوع بريطانيا بتقديم المعلومات للمجلس عن تطور الصراع الدموي بين العرب واليهود .

ولأول مرة ايضاً جهر مندوب الولايات المتحدة بأن فكرة التقسيم خاطئة ولاحظ لها بالنجاح ويجب البحث عن حل آخر . والقى المندوب الامريكي (المستر اوستن) خطابين طويلين في هذا المعنى [١] معبراً عن رأي الحكومة الامريكية وعن رأي حكومة الصين وفرنسا ايضـاً ـ وهما في عداد الدول اكبر ذوات حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن .

وطالبت الولايات المتحدة الامريكية رسمياً العدول عن قرار التقسيم ووضع فلسطين باسرها تحت الوصاية الدولية شرط الابقاء على وحدة البـلد الفلسطيني .

وانتفض مندوب الاتحاد السوفياتي فوراً وألح الحاحـاً شديداً على الامم المتحدة ان ترفض هـذا الموقف الأمريكي الجديد ، وان يصر مجلس الأمن والجمعية العامة وكل ما للامم المتحدة من اجهزة وطاقات على المضي العاجل

(١) المحاضر الرسمية لمجلس الامن للسنة الثالثة من صفحات ٣٦ الى ١٦٨

بتنفيذ قرار التقسيم وصيانة الدولة اليهودية .

وقال السيد « جروميكو » ما يلي في الجلسة التي عقدها مجلس الأمن يوم ١٩ مارس ١٩٤٨ (١)

« لقد تدخل مندوب الولايات المتحدة في اول لحظة عقدها مجلس الأمن (للنظر في الطوارىء العربية) فاقترح اعادة النظر في قرار الجمعية العامة الداعي الى التقسيم واقترح العدول عنه وايجاد حلول اخرى .

انني اؤكد والح على انه ليس من حق مجلس الامن ان يبدل من قرارات الجمعية العامة . فقرار التقسيم يجب ان يظل . ولا يمكن استبداله او اهماله او العدول عنه .»

واشترك مندوب « الوكالة اليهودية » الحاخام آبا هيلل سيلفر مع المندوب السوفياتي في مهاجمة الاقتراح الامريكي ، وقال بان هذا التبديل في موقف واشنطن طعنة لليهود وللحركة الصهيونية . وقرأ المندوب اليهودي القرارات التي اتخذتها الهيئات اليهودية العالمية منتقدة الموقف الامريكي الجديد انتقاداً شديداً ورافضاً اي حل امريكي او غيره يكون فيه عدول عن التقسيم (٢)

وتدخل « جروميكو » مندوب الاتحاد السوفياتي مرة اخرى (بل مراراً) ليعارض الموقف الأمريكي الجديد . فقال « جروميكو » في خطاب عنيف القاه على مجلس الأمن في جلسة ٣٠ مارس ١٩٤٨ ، يستنكر الحل المرحلي الذي اقترحه الامريكان في شكل وصاية دولية موقتة على فلسطين تصون وحدة البلد ، قال جروميكو : .

« اننا نلقي تبعة المسؤولية كلها على الولايات المتحدة الامريكية في أي

(١) المرجع السابق صفحة ١٤٣
(٢) هذه الوثيقة اليهودية مسجلة في محاضر جلسات مجلس الأمن في المرجع السابق نفسه صفحة ٢٤٤

عرقلة وافساد لمشروع التقسيم .

« ان الولايات المتحدة الامريكية قد غيرت موقفها (من مشروع التقسيم لفلسطين) بدافع المصالح البترولية وبسبب الاهمية الاستراتيجية العسكرية التي للشرق الادنى ... ان على اعضاء مجلس الأمن جميعهم ان يدركوا بان هذا التطور الجديد الذي تقوم به الولايات المتحدة (في صالح العرب) مرجعه البترول والاستراتيجية ... »

لقد انكر علينا الاتحاد السوفياتي في اشد ساعات الظلم الدولي حلكة ، وفي اول فرص الأمل العربي في العدالة والانصاف ـ لقد انكر علينا الماركسيون حقنا في آخر ما في الطاقة العربية من سلاح دبلوماسي – وهي البترول والاستراتيجية .. بينما استباح الماركسيون لأنفسهم الزمالة والتحالف مع الاستعمار واربابه في حظيرة الامم المتحدة اول الامر لنصرة اليهودية العالمية ومآرب الصهيونيون في ديار العرب . هكذا يسجل الغش الماركسي اللعنة فوق اللعنة على نفسه ومبادئه ومباذله ، وعلى الابرياء والاشقياء العرب الذين تطلعوا الى موسكو خصم الاستعمار ورب الدعوة لمكافحته في عام ١٩٤٧ كما تتطلع الاشتراكية العربية اليوم الى موسكو ايضاً او الى « بكينغ » .

وقبل العرب فوراً الاقتراح الاميريكي ، في كثير من التحفظ انتظاراً لمعرفة تفاصيل النوايا الامريكية وتفاصيل مشروع الوصاية الموقتة وتفاصيل الاسلوب الذي يقترحه الامريكان للابقاء على وحدة البلد الفلسطيني . واعرب عن هذا القبول العربي وهذا التحفظ ايضاً كل من مندوب مصر « الدكتور محمد فوزي » ، ومندوب لبنان « السيد كميل شمعون » .

فقال الدكتور فوزي في هذا الأسلوب الغامض المعقد الذي لا يضمر كثيراً ولا يفصح عن الكثير ، وهو اسلوب عانينا منه في الأمم المتحدة ارهاقاً وشوشرة وأذى كثيراً . هذا الأسلوب ليس من طبائع الدبلوماسية « العميقة » التي كان يحلو

الصحف مصر أمس واليوم وصف الدكتور فوزي بها، وإنما هو أسلوب الميوعة الفكرية والضعف الشخصي وسخافة الاحتساب بأن الأدمغة التي تشترك في أعمال الأمم المتحدة في حاجة الى لف ودوران وعقم في اللفظ والمعنى لتفهم أو لا تفهم ما يريده مندوب مصر أو أي مندوب آخر، يستعيض عن عقم الفكر وتفاهة المقدرة على التعبير اللغوي ، باسلوب شخصي خاص لا تعرف له أولاً أو وسطا أو نهاية أو معنى أو دهاء أو شعوذة أو مجرد جبن أدبي وضعف شخصي في افهام الاذكياء والاغبياء ما قصد المحدث وما كنه حديثه.

قال [١] الدكتور فوزي ، الذي لا يزال بيننا الآن وزير الخارجية مصر الاشتراكية منذ مستهل العهد اليساري الحاكم : « لست في هذه المرحلة من النقاش ، راغب في أن ابدي أي تعليق على المقترحات التي جرى ذكر لها في الاجتماع السابق (لمجلس الامن) من قبل مندوب الولايات المتحدة ولكن أرغب بان أقول الآن بان ما يمكن أخذة من قرار يعين توقيف تطبيق التقسيم سيكون اتجاهاً ذا مغزى مستقيم ... »

وكان السيد كميل شمعون أقل حذراً وأكثر ايضاحاً ، عندما تكلم باسم لبنان في نفس الجلسة لمجلس الامن . فقال :

« اذا دعيت الجمعية العامة في دورة استثنائية كما يقترح مندوب الولايات المتحدة (لحمل الجمعية العامة على الغاء قرار التقسيم) فان حكومة لبنان مستعدة لان تشارك مشاركة قلبية كاملة في مثل هذه الدورة طالما إن الاقتراح الامريكي لن يستهدف تأجيل القضية او المزايدة على نيل الاستقلال لأهل فلسطين الذي نكافح الآن من أجله . »

وجدير بالملاحظة إن الاقتراح الامريكي الذي دعا الى دورة استثنائية

(١) نفس المرجع السابق صفحة ٢٤٥ ؛

طارئة لاعادة النظر في قرار التقسيم ، كان مظهراً من مظاهر حسن النية الامريكية نحو الحق العربي في تلك الفترة بالذات من أعمال الامم، بغض النظر عما تطور اليه الموقف الامريكي فيما بعد . فمجلس الأمن لا يملك حق نقض قرارات الجمعية العامة ، فالنقض والتعديل والتبديل في تلك القرارات هو من حق الجمعية العامة التي تضم جميع اعضاء الامم المتحدة ، ومجلس الامن من احد عشر عضواً فقط ، يسود عليهم حقوق استثنائية للدول الخمس الكبرى، بما فيها الاتحاد السوفياتي . فاذا اهمل مجلس الأمن الجمعية العامة وتناولت بحث الاقتراح الامريكي الجديد للعكوف عن قرار التقسيم ، فان الاتحاد السوفياتي كان قادراً على قتل ذلك الاقتراح الامريكي حتى لو حاز أغلبية أصوات مجلس الامن . لأن الاتحاد السوفياتي بصفته دولة كبرى تملك مقعداً دائماً في مجلس الامن ، فان حق النقض (الفيتو) متوفراً دوماً وابدا له . (اسوة بالدول الخمس الكبرى جميعها) . فليس هناك من أمل في اتخاذ قرار برفض قرار التقسيم عند مجلس الامن ، طالما ان الاتحاد السوفياتي قد أعلن رسمياً وسلفاً وفي أول لحظة معارضته للاقتراح الامريكي وعزمه على نقضه واحباطه في مجلس الامن .

ولهذا أيد السيد شمعون الدعوة الى دورة استثنائية للجمعية العامة واستعدادلبنان بكل الاستحسان والشوق للمشاركة في تلك الدورة الاستثنائية.

قد تختلف آراء الجماعة العربية حول هذا المسلك السياسي او ذاك او حول مدارج التقوى الوطنية عند هذا الرجل السياسي او ذاك ، ولكن اعمال الديبلوماسية في الامم المتحدة وخارجها تتطلب موهبة حضارية عصرية دقيقة. وهي موهبة لا تكتسب بشهادة جامعية او في منصب رفيع أو في هالات التعظيم والتبجيل . وإنما في اصول الحذق والمرونة اللبقة ، وشق معارج السلوك ومداخله ، وأقساط الثقافة العامة - عربية وأجنبية معاً . ولم يكن وفد لبنان - والحق يقال، شحيحاً بمثل هذه المواهب في اعوام الصراع العربي

مع الغش الدولي كله في دهاليز الامم المتحدة ومن على منابرها .

وامتثل وفد الولايات المتحدة الامريكية لرغبات الدول العربية حول الحاجة الى مزيد من الايضاح عن المقاصد والنوايا الامريكية في موقفها الجديد من رفض مشروع التقسيم والابقاء مع وحدة البلد الفلسطيني تحت لون من الوصايا الدولية المؤقتة . وقدم المندوب الامريكي مشروعا قرار اولهما يدعو الى وقف الصراع العربي – اليهودي في ارض فلسطين ، وثانيهما يدعو الجمعية العامة للامم المتحدة الى دورة استثنائية ، خارج الموعد السنوي الاعتيادي لدوراتها – وهو سبتمبر من كل عام [١]. وكانت هذه التطوارت تجري اول الربيع من عام ١٩٤٨.ووافق مجلس الأمن على القرارين الأمريكيين في اول ابريل . وطالما ان كلا القرارين كانا يتعلقان بالناحية « الاجرائية » لا الناحية « الموضوعية » للقضية المعروضة على البحث ، لذلك لم يتأثر القراران بصوت الرفض والمعارضة التي جاءت من المندوب السوفياتي في المجلس . وكان مجلس الامن عام ١٩٤٨ مؤلفاً من الدول الاحد عشر التالية : الدول الخمس الكبرى (امريكا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين وفرنسا) وسبع دول صغرى هي: سوريا، والارجنتين، والبلجيك، وكندا، وكولومبيا، واكرانيا السوفياتية. وقد وافقت جميع الدول في المجلس على الموقف الامريكي الجديد (بما فيهم سوريا) وعارضه الاتحاد السوفياتي وربيبته اكرانيا .

فقد ظلت هاتان الدولتان الماركسيتان تناضلان الى آخر رمق لعرقلة اي جهد يتخلى عن مشروع التقسيم ويتعارض مع الحاح الوكالة اليهودية والصهيونية العالمية عليه الحاحاً بلغ الضجيج له حداً من اعنف ما شهدته العلاقات الدولية من قوة اليهودية العالمية – التي تطوع الاتحاد السوفياتي عن طيبة خاطر لتأييدها في داخل الامم المتحدة وخارجها في حين يأست الصهيونية في

(١) وثيقة مجلس الأمن رقم S / 704 ورقم S / 705 .

امريكا نفسها في تلك الآونة بالذات من التغلب على السياسة الامريكية والتحكم فيها ، لأن العرب كانوا في الميدان على ارض فلسطين يأخذون الحق العربي بأيدي مضرجة بالدم ونفس تبذل التضحيات . وليتهم ثبتوا ولم تفترسهم خديعة « الهدنة » فيما بعد ، او خديعة النفس العربية بان الحق القومي يمنحه الآخرون . فلنساوم الشرق والغرب فنرى أيهما اسخى في المزايدة، وايهما اشد واكثر استعداداً للعهارة الدبلوماسية ، وايهما قادر على ان يجود في العطاء اوفى الغزل مع غواني السياسة العربية .

خديعة الهدنة

طرأ على جو الأمم المتحدة في ربيع عام ١٩٤٨ افضل مناخ دولي توفر للحق العربي لفلسطين حين تراجع الأمريكان عن مشروع التقسيم ، ودعوا الى الابقاء على وحدة فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة الموقتة .

وكانت القوات العربية العسكرية تقول وتفعل ما يجب ان يُقال ويفعل دوماً بشأن القضايا القومية وهو : تكلم مع الكلب الفاجر وفي اليد الواحدة عصا وفي الآخر حفنة من العظام تلهيه بها ، الى ان تستحين للقضاء على الكب في أقل العناء .

ولكن هذا الموقف العربي لم يثبت طويلا . فقد عاد الضغط الماركسي الدولي على أشده لمعارضة الوحدة الجغرافية لفلسطين وصيانة الأمم المتحدة لتلك الوحدة في نوع من الوصاية المؤقتة لعل العواطف والدسائس الدولية تتضاءل ويظهر الحق ويندثر الباطل .

وتقدم مندوب كولومبيا [1] (وكان رئيساً لدورة مجلس الأمن آنئذ وممن يعطفون على وجهة النظر العربية) بمشروع قرار الى المجلس يطلب ان تتولى

(١) السنيور لوبز في وثيقة مجلس الأمن رقم ٧٥ المجلد الثالث ص ٢ .

الامم المتحدة رسمياً افساد التقسيم واتخاذ الاجراءات اللازمة بشأن ذلك ، بما فيه الدعوة الى هدنة في القتال بين العرب واليهود في فلسطين .

وتدخل مندوب السوفيات « السيد جروميكو » المرة تلو المرة ليعارض المشروع الكولومبي . وأصر المندوب السوفياتي على « ضرورة انسحاب العصابات العربية المسلحة التي غزت أرض فلسطين ، ومنعها من القيام بمثل ذلك في المستقبل » [1] .

وكان « جروميكو » يعني بالعصابات العربية المسلحة جيوش الدول العربية التي لبت النجدة لعرب فلسطين .

وقدم السوفيات مشروع قرار رسمي بهذا المعنى نصه ما يلي :

١) على مجلس الأمن ان يأمر فوراً بانسحاب العصابات المسلحة التي غزت فلسطين من الخارج ... »

٢) منع تلك العصابات من غزو فلسطين في المستقبل » .[2]

ورفض مجلس الأمن هذا الأقتراح الرسمي السوفياتي . ووافق المجلس على المشروع الكولومبي باغلبية الاصوات بما فيه صوت سوريا (وكانت عضواً في مجلس الأمن) . ورفضه السوفيات واكرانيا . وتدخل المندوب السوفياتي « جروميكو » مرة اخرى في مجلس الأمن ملحاً على ضرورة انسحاب الجيوش العربية من فلسطين كشرط اساسي ، ونعى على

(١) نفس المرجع : خطاب جروميكو في جلسة ١٦ ابريل ١٩٤٨ وهو بيان طويل عنيف .

(٢) نفس المرجع :

الامم المتحـــدة صمتها ازاء الوجود العربي العسكري في فلسطين . وقال جروميكو [١] :

« ان من المستحيل تحقيق الهدنة في فلسطين طالما ان عصابات ووحدات عسكرية دخلت البلد من الخارج (اي الجيوش العربيـــة) بقصد شن الحرب والخراب ومعارضة الأمم المتحدة في مشروع التقسيم ...

« ... ان على الامم المتحدة ان تنزل بالغزاة العرب العقـاب وتعيدهم الى الخط المستقيم ...

« ان الاقتراح الامريكي (برفض التقسيم ووضع فلسطين تحت وصايـــة دولية مؤقتة) اقتراح ضعيف فاقد الاسنان . فهو لا يحـــول بين المعتدين (العرب) وبين احلال الامن في فلسطين ، وعرقلة مصالح الشعب اليهودي» .

وانهزم السوفيات لأول مرة منذ ان حملوا الراية الصهيونية امـام الامم المتحدة . ووافق المجلس على الاقتراح الامريكي الذي ادى الى تشكيل لجنة دولية مؤلفة من قناصل الدول المحتلة في مدينة القدس مضافاً اليهم ممثلون من فرنسا وبلجيكا ، لمراقبة هدوء الموقف في الجبهة الفلسطينية .

ولم يدع المشروع الامريكي الى سحب القوات العربية العسكريـة ، كما الح السوفيات وفشلوا .

واقتضت اللوائح الداخلية لاعمال الامم المتحدة ان تحال التطورات الجديدة في المسألة الفلسطينية على الجمعية العامة اضافة الى ما قام بــه مجلس الامن من عمل وما ابداه من نشاط وما اتخذه من قرارات ونواص .

وعادت الكتلة السوفياتية الى حماسها الفائق وغشها المكشوف لحضانة المصلحة

(١) خطاب جروميكو أمام مجلس الامن في جلسة ٢٣ ابريل سنة ١٩٤٨ .

الصهونية والبيعة لها امام الجمعية العامة لعل السوفيات يكسبون لليهود نصراً اخفقوا في كسبه من مجلس الأمن .

والواقع ان القارىء لوثائق مجلس الامن والجمعية العامة عن تلـك الايام العصيبة يذهل من برود الطبـع العربي ازاء هذا الغش والتحدي السوفيـاتي المكشوف ، فلا تنشط المظاهرات والمسيرات لتحطم نوافذ السفارات والبعثات السوفياتية في العواصم العربية ، كما كانت تفعل للسفارات والبعثات الاجنبية الاخرى التي كانت تتراوح انباء فتورها للحق العربي او غموض موقفها نحوه.

ففي جلسة ١٩ مارس ١٩٤٨ قال « جروميكو » المندوب السوفيـاتي امام مجلس الأمن يهاجم المعترضين على قرار التقسيم : [١]

« ... لماذا كل هذا الصبر والتؤدة والبطء في تنفيـذ قرار التقسيم ... ولماذا هذه المماطلة في المشادات مع العرب واسترضائهم ... لقد صـدر الامر فعلى الجميـع ان يمتثلوا لأمر التقسيم ...

« ان الذين يشتكون من ان هناك تسرباً يهودياً متواصلاً الى فلسطين في هذه الآونة (الهجرة اليهودية غير الشرعية) انما يتحامـلون على الحق ، ويهدرون مصالح الشعب اليهودي في وطنه ...

« ... اني اطلب من المجلس ان يستدعي مندوب الوكالة اليهودية ليـدلي لنا بارائه ويشرح حقوقه ومطالب شعبه بهذا الخصوص ... فمن حق اليهود كل الرعاية وكل المعاملة الاستثنائية » .

وعاد السيد « جروميكو » مرة اخرى يناصر الباطل اليهودي من منابر مجلس الأمن في جلسة ٣٠ آذار ١٩٤٨ : [٢]

« ..ان عكوف حكومة الولايات المتحدة عن موقفها المؤيد لقرار التقسيم قد

(١) محاضر جلسات مجلس الامن الرسمية : السنة الثالثة الصفحة ١٤٢ - ١٤٨

(٢) نفس المرجع السابق صفحة ٢٤٩ - ٢٥٣

خلق وضعاً جديداً للقضية الفلسطينية مما يستوجب على الوفد السوفياتي استنكاره اشد الاستنكار . فموقف السوفيات نحو التقسيم هو موقف المؤيد والمناصر له والعازم على تنفيذه . فالتقسيم مشروع عادل ، لأنه يحقق آمال الشعب اليهودي ... ويحقق آمال عرب فلسطين ! ... »

« ... ان الولايات المتحدة الامريكية في موقفها الجديد لا تكتفي بمعارضة مشروع التقسيم فحسب بل تريد الابقاء على وحدة فلسطين، وترفض ارغام المعارضين (العرب) على قبول اي حل آخر ... ان امريكا بموقفها هذا انما تعارض ارادة الامم المتحدة التي اقرت التقسيم واقرت معونة اليهود على خلق وطن قومي لهم في ديارهم بفلسطين ...

« .. ان المندوب الامريكي يصر على ان مشروع التقسيم غير منصف (للعرب) وغير قابل للتنفيذ . هذا المنطق الامريكي هراء طبخوه قبل اسبوعين او ثلاثة لترضية العرب .. ان الموقف الامريكي الجديد يخالف للحقائق ويخالف للانصاف ومن المؤسف ان تؤيده دول اخرى في هذا المجلس.

« ان الذين يدّعون بان مشروع التقسيم غير قابل التنفيذ يخطئون . ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه (العرب) ... »

« ... اننا سنلجأ الى مختلف الوسائل في سبيل تلك الغاية ... والرأي العام العالمي سيجد نفسه مؤيداً لوجهة نظرنا وحرصنا على معونة الشعب اليهودي ...

« ... اننا سنكافح الوصاية الدولية على فلسطين اذا كان القصد منها عرقلة تقسيم فلسطين وترك العصابات العربية العسكرية تفسد حق الشعب اليهودي في وطنه واستقلاله ...

وفي جلسة ١٦ ابريل ١٩٤٨ لمجلس الأمن مضى السيد « جروميكو » في حماسه للصهيونية ونغمته عن التدخل العربي المسلح في فلسطين . فقال السيد

« جروميكو » شارحاً مشروع قراره الداعي الى سحب القوات العربية من فلسطين فوراً :

« يجب ان لا نكتفي هنا في الامم المتحدة بان نطلب «وقف القتال فوراً» بل يجب علينا ان نأمر العصابات والوحدات العربية العسكرية (جيوش الدول العربية) بالانسحاب فوراً من فلسطين كما يطلب منا مندوب الوكالة اليهودية ان نفعله . (١) »

وفي نفس الجلسة هذه لمجلس الأمن تدخل « جروميكو » مرة اخرى ليهاجم « التدخل » العربي العسكري في فلسطين . فقال :

« ان الهدنة » في القتال بين العرب، واليهود في فلسطين لن تكون هدنة صحيحة اذا تركنا فلسطين تحت رحمة عصابات عسكرية اجنبية (الجيوش العربية النظامية) دخلت ارض فلسطين وفي ايديهم سلاح يحاربون به الطرف الآخر (اليهود) .. اذا كان مندوب الولايات المتحدة يعتبر هذا الموقف العربي هو كيماء العدل فأننا ننظر الى ذلك الموقف نظرة مختلفة .. انه عدوان عربي سافر ».

وعاد « جروميكو » مرة اخرى في جلسة ٢٣ ابريل يقول لمجلس الامن : (٢)

« لقد طرأ على القضية موقف جديد الآن فزادها تعقيداً .. وهذا الجديد هو عدوان اجنبي (عربي) غزا البلد ، ويريد منا الامريكان ان نتجاهله .. ان هذا التجاهل زور وبهتان . ولا مجال للهدنة ان تخدم اغراضنا (او اغراض اليهود !) الا اذا انسحب المعتدون (العرب) . ولن ينفع في تبديل

(١) المحاضر الرسمية لجلسة مجلس الامن رقم ٥٨ من صفحة ٢ الى ٦. فقد كان المندوب السوفياتي اول المبادرين الى نصرة اليهود دائماً في اول اللحظات من اجتماعات مجلس الامن او الجمعية العامة ، كلما استطاع السوفيات الى ذلك سبيلا .

(٢) نفس المرجع صفحة ٢٠ الى ٢٤ .

موقفنا ازاء هذا العدوان (العربي) اي بلاغة في اللسان او منطق قانوني .

« الى متى سنظل نتجاهل قرار التقسيم ونحاول عرقلته ؟ .. اي مشروع يقدمه الوفد الامريكي لا يحقق لنا التقسيم وقيام الدولة اليهودية ليس فيه نفع او حظ من النجاح ... إن الدم يسيل اليوم في فلسطين ولن يضع حداًله سوى التقسيم ، وحزم الأمم المتحدة ووسائلها ومعونتنا جميعاً لتنفيذه .

« .. ليس صحيحاً ان يقال بأن الموقف في فلسطين قد تدهور من جراء اتخاذ الأمم المتحدة قرار التقسيم ... ان الذي يدفع الموقف الفلسطيني الى التدهور هو تقاعس بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية عن العمل الجدي لتنفيذ التقسيم ، ومعارضة الدول العربية وتدخلها السيء في فلسطين وعبثها بالرأي السديد وإقدامها على اشهار السلاح في وجه الأمم المتحدة .. »

« ... إن الولايات المتحدة لا تريد أن تؤيد حق الشعب اليهودي ... والدم في فلسطين مهدور .. وان الرأي العام العالمي يستنكر ان تضحي الولايات المتحدة بمأساة اليهود لارضاء اصحاب المنافع الرأسمالية من شركات البترول وغيرهم من الذين لهم مصلحة مع العرب .. ان الصحافة العالمية بما فيها الصحافة الأمريكية تستذكر تضحية الحقوق اليهودية من أجل شركات البترول وزبنائهم (العرب) .. ان الرأي العام في بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وغيرها يستنكر هذا الموقف الأمريكي . فقد أصاب الأمة اليهودية فواجع وآلام وأضرار كبيرة على يد العنصرية النازية ، فمن الشناعة ان نتركهم تحت رحمة عنصرية (عربية) أخرى .. أو نسخر مصائب الأمة اليهودية لمصالح البترول ورجاله العرب أو الرأسماليين .

« .. كيف نأمل حلولا منصفة (لليهود) في قضية فلسطين من هذه الدوائر الحاكمة في أمريكا التي تسيطر عليها الرأسمالية والرجعية التي تتمسح باسم « العدل » لعرب فلسطين لتنقلب على الحق اليهودي في فلسطين ..

« ... ان الولايات المتحدة في طلبها نوعان من الوصاية الدولية المؤقتة على فلسطين وصيانة وحدة البلد ، دليلا على أن واشنطون تريد دفن قرار التقسيم ودفن آمال الأمة اليهودية . . »

وفي أصول الطبع الماركسي وغشه وأنانيته ، حاول السوفيات ان يضمنوا لأنفسهم أصبعاً مستمراً في فلسطين (لنصرة اليهود) ويثبتوا قدماً ماركسية لهم في قلب الشرق العربي ، بعد أن شعر السوفيات بأن حملتهم في صالح الصهيونية على هذا الوجه السافر والمعادي للحق العربي عداوة علنية قاسية شنيعة .

ففي ثنايا مهاجمته لأمريكا وأثارة الرأي العام العالمي (واليهودي الواسع النفوذ على وجه الاخص) أشار السيد « جروميكو » الى ان أي لجنة أو هيئة تتولى الاشراف على الهدنة في فلسطين يجب ان يكون للاتحاد السوفياتي أو « الدول الاشتراكية الديمقراطية » تمثيل قوي فيها . لأن السوفيات – كما قال جروميكو – لمجلس الأمن لا يثقون بنوايا الأمريكان أو العرب أو غير الاشتراكيين في ضمان حقوق الأمة اليهودية وتنفيذ قرار التقسيم أو ما يشبه التقسيم من مشاريع تضمن للشعب اليهودي وطناً مستقلا ديمقراطياً .

واستشهد مندوب السوفيات في جلسة ٢٣ ابريل ١٩٤٨ لمجلس الأمن ، بما قامت به الأمم المتحدة في أندونيسيا وكيف انها نجحت في ضمان الاستقلال للشعب الأندونيسي ، فلماذا تتقاعس الأمم المتحدة عن القيام بمثل ذلك لصالح الشعب اليهودي ؟

وأنهى المندوب السوفياتي كلامه في تلك الجلسة قائلاً ، بعد أن لمس حتمية نجاح الاقتراح الأمريكي الداعي الى العكوف عن قرار التقسيم : قال « جروميكو » في كثير من عنف الحماس والانفعال (فقد كان مؤلف هذا الكتاب شاهد عيان) : إذا كان لا بد من « هدنة » بين العرب واليهود في فلسطين ، وإذا كان لا بد من موافقة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية

الديمقراطية على فكرة الهدنة ، فان الشرط الضروري هو إرغام الجيوش العربية على الانسحاب العسكري من فلسطين لأنها معتد أجنبي ... »

وظل الاتحاد السوفياتي ومن يدور في فلكه من « الدول الاشتراكية الديمقراطية » على الحاح عنيف متواصل في كل المناسبات وفي كل اللجان يدعو الى نصرة الصهيونية بموجب قرار التقسيم، ويثير مشاعر الرأي العام العالمي بتكرار الذكرى المرة تلو المرة لمأساة اليهود على يد النازية التي كانت انباؤها تكثر في شتى المواصلات الفكرية تلك الايام المباشرة لانهزام النازيين، ونشاط الدعوة اليهودية للكشف عن ما كان مستوراً من فظائعهم، واختلاق فظائع اخرى يتقن الفن الدعاوي وضعها على يد الفنان ولسان الشاعر وافلام السينما والروايات والمسرحيات وشتى معاول الادب والفن .

وبرز الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية و« الدول الاشتراكية الديمقراطية » السبعة الاخرى التي كانت تشكل الكتلة السوفياتية في الامم المتحدة، وكأنها الجماعة الدولية الوحيدة صاحبة الوجدان الدولي والرؤفة بآلام اليهود وآمالهم، « في بقعة من الارض يعيشون فيها اسياداً مستقلين لا يضطهدهم احد ولا يمتهن كرامتهم معتد قوي » ـ كما قال مندوب بولنده في احدى خطبه امام اللجنة السياسية في ربيع ١٩٤٨ .

واستغلت الكتلة السوفياتية اعلى منابر الرأي والسلطان الدولي في الامم المتحدة في اوج النفوذ الخارق الذي كانت تتمتع به بعد الحرب العالمية الثانية، كملاذ نهائي للامن والسلم العالمي ـ استغل السوفيات من ذلك المنبر العالمي الخطير كل لحظة وكل اسلوب وكل شاردة وواردة لاظهار العرب على نحو ما كانت تصورهم الدعاية الصهيونية : « عداة طغاة تكالبت بضعة دول منهم لتنهش الجسد اليهودي الضعيف الذي انهكه اضطهاد النازية التي كان العرب انصارها الوحيدون في العالم المتحضر » كما قال أحد خطباء اللاتين مقتبساً قصيدة كان قد اعدها له احد الدعاة اليهود (وهو طبيب)

مولود في الارجنتين استجلبته الوكالة اليهودية كضابط علاقات مع وفود امريكا اللاتينية .

وزود الاتحاد السوفياتي في خطبه وتدخلاته الطويلة المتلاحقة التي هاجمت « عصابات العرب المسلحة » الغازية لفلسطين و« الشاهرة السلاح في وجه الأمم المتحدة » ـ زود الاتحاد السوفياتي الصحافة العالمية التي لليهود عليها نفوذ واسع، ولهم فيها ملكية مباشرة، بأوسع الزاد الدعاوي، مما اثار ضجة صاخبة في صميم الوسط الامريكي نفسه ، وهو الذي كان يفترسه اصلا بطش الدعاية الصهيونية بدون الزاد السوفياتي. فكيف وقد تطور السوفيات الى « فارس شهم يرفع راية الحق ويقود حملة صليبية جديدة لنصرة المغلوب على امرهم (اليهود) امام العصبية العربية العدوانية الشنيعة » كما قالت احدى الافتتاحيات الطويلة التي كانت تمتلىء بها صحافة نيويورك آنئذ .

وتطورت قضية فلسطين من مسألة يحاول الحق العربي فيها ان يصون مقدساته القومية وواجباته الوطنية في معونة الرحم العربي في فلسطين مناشداً الأمم المتحدة العدل والانصاف أول الأمر، ومنكراً على الغش الدولي فساده وفقدان الضمير عنده اذا أصر على التقسيم لبلد يملكه العرب في حق انساني وطبيعي وتاريخي وقانوني ناصع كالشمس، تطور الموقف العربي بفضل هذا الغش السوفياتي العنيف وحضانته القوية الصاخبة لليهودية والصهيونية ومآربها في ديار العرب الى موقف « المعتدي الأجنبي » كما قال المندوب السوفياتي مراراً في وصف، « العصابات الأجنبية المسلحة» وهي جيوش الدول العربية التي تشهر السلاح أمام اليهود الضعفاء وفي وجه الأمم المتحدة ايضاً .

وسواء كان عكوف الولايات المتحدة عن تأييد قرار التقسيم والابقاء على وحدة فلسطين العربية جغرافياً وسياسياً (فقد كان اليهود لا يزالون آنئذ أقلية ضئيلة في فلسطين) ـ سواء أكان التطور النافع لنا في الموقف الأمريكي مرجعه ضغط رأسمالية البترول وشركاته لصالح العرب ، او كان التطور

الامريكي مرجعه وخز الضمير والاعتراف بالحق العربي ، او كان الأمريكان مدفوعين بالخوف من ان تهلك الجيوش العربية الأقلية اليهودية في فلسطين أو تخلق حرباً دولية في الشرق الأوسط ، فان الموقف الامريكي الجديد كان مفيداً لنا مهما كانت دوافعه آنئذ .

فاذا كان الدلال في السياسة الدولية متقلباً عاهراً لا ثبوت له ، فان تبدل الموقف الامريكي الرسمي لصالح النظرة العربية في ربيع ١٩٤٨ كان « خطوة في الطريق المستقيم » كما طلب الدكتور محمود فوزى مندوب مصر أن يتأكد منه عندما أبدى الرأي المصري أمام مجلس الامن حول هذا الموقف الامريكي الجديد .

وصمدت واشنطون طويلاً على ضغط الدعاية الصهيونية، وعلى ضغط الدعاية السوفياتية أيضاً التي كانت تصور الحق العربي في فلسطين على انه مجرد عبد للمصالح البترولية الامريكية التي ارغمت حكومتها في واشنطون لتبديل قرار التقسيم .

وقد نشط اليسار الامريكي عام ١٩٤٨ نشاطاً فائقاً لاستغلال الناحية البترولية في السياسة الامريكية نحو الشرق العربي . فنظم أهل اليسار (وكانوا أقوياء ذوي تسرب ونفوذ خارق في دهاليز الحكم والصحافة وأوساط الرأي الحكومي والشعبي في امريكا كما كشفت عنه محاكمات الجواسيس اليهود الامريكان فيما بعد) .

وأصبح موقف واشنطون الجديد المعارض لتقسيم فلسطين كما لو انه « خديعة رأسمالية تتحالف مع الرجعية العربية لهدر حقوق الشعب اليهودي المظلوم» ، كما كان شعار هذه العشرات من الجبهات اليسارية الامريكية الاوروبية التي انبثقت بين عشية وضحاها أثر حملة السوفيات في الامم المتحدة على الموقف الامريكي الجديد، وعلى نجدة الجيوش العربية لارحامهم واخوانهم عرب فلسطين.

ولم تشهد منظمات « السلام » الشيوعية وشتى الجبهات و « المؤتمرات » و « القاعدة الشعبية » اليسارية في سائر أنحاء العالم نشاطاً يعارض استغلالها لشعارات « السلام » و « التعايش السلمي » كما نشطت له في تلك الآونة .

وساد أكثر أجواء الرأي العالمي شعور عنيف ضد العنصرية والرجعية بفضل هذه الدعوة اليسارية المركزة الواسعة النفوذ بفضل الفروع العديدة التي كانت لجهاز « الكومنفورم » الشيوعي الذي كان يضم طوائف اليسار الدولي تحت أمرة موسكو .

وكاتب هذه السطور يسجل هنا في هذا الكتاب عمق الدرس في تجاربه الشخصية الخاصة في عراك متواصل مع تلك الفئات اليسارية في تلك الأيام ، مما استدعى مثوله أمام المحاكم الامريكية آنئذ بشتى قضايا « اللاسامية والعداء ضد اليهود» وهي قضايا يعاقب عليها القانون في نيويورك .فقد اقتضى الواجب القومي على الطالب وعلى غيره من أبناء فلسطين والأمة العربية كلها في أمريكا بصفة خاصة ان يستغل حرية الرأي وحرية التعبير فيتصدى لهذا الغش اليساري والصهيوني حيث يواجهه ، في قاعة الدرس ، أو في نوادي الطلبة أو في الاذاعة والتلفزيون أو في أعمدة الصحف أو أي وسط ديني أو علمي أو نسائي أو عسكري يسمع أو يستعد لسماع وجهة النظر العربية .

وكان ضغط الدعاية والغش والدسيسة الماركسية تجربة مرة لا يمكن نسيانها ، خصوصاً وأنها كانت قناعا رقيقاً لتحالف وثيق بين اليهودية العالمية والماركسية الدولية .

فقد لوثونا ولوثوا حقنا الطاهر في فلسطين بالوصمة النازية والوصمة الرجعية والوصمة الرأسمالية في أعوام ١٩٤٧ وما بعد ، كما يلوثه اليسار العربي اليوم ،

ويجعل من نفسه مطية للماركسية الدولية ، وهي حليفة وضيعة لليهودية العالمية .

فمن عميق التجربة الشخصية وفي أصول البحث والاستيعاب نستنكر اليوم على أي زعامة أو حزب أو بيعة أو فكرة عربية ان تلوث الحق الفلسطيني بالوصمة اليسارية كما لوثه الجهل والحماس الخاطىء والعباطة والأنانية العربية في الماضي بوصمة النازية والنازيين .

... واشنطون تقر الوصاية الدولية وموسكو تلح على الاعتراف باسرائيل

ومضت واشنطون جادة في مكافحة التقسيم والابقاء على الوحدة الجغرافية والسياسية لفلسطين بعد ان حاز المشروع الامريكي الاغلبية الساحقة في الامم المتحدة رغم معارضة السوفيات العنيفة له .

وأحيل الموقف الجديد على الجمعية العامة ولجانها الفرعية التي تتولى عادة النقاش المفصل حول موضوع البحث قبل ان ترفع النواصي بشأنه الى الجمعية العامة لابرام القرارت ابراماً نهائياً .

ومن دلائل الجد الامريكي في مكافحة التقسيم اقدام الوفد الامريكي في الضغط على الحكومة البريطانية ان لا تسحب قواتها العسكرية من فلسطين كما اعلنت بريطانيا عنه وحددت له ميعاداً في اول اغسطس من عام ١٩٤٨ . وكان قصد الامريكان من بقاء الجيوش البريطانية هو ضمان الوحدة الجغرافية والسياسية للبلد ، وتفادي اشتباك العرب واليهود ، وقيام انصار التقسيم باعلان الصفة الرسمية له ــ وهو مولد الدولة اليهودية .

هذه الحقائق يجب التوكيد عليها لأنها مسألة تاريخيــــة مدونة في اصرح الوثائق، وفي خواطر كل من عاصر تلك الايام العصيبة عن كثب في اروقـــة الامم المتحدة في نيويورك . فاذا كان للتاريـخ عظة في الفكر السياسي فمن الواجب تسجيل التاريخ على حقيقته ، مهما تـكاثف عليــه ضباب العاطفة وضباب الدعاية وكسل الاجتهاد .

وتقدم المستر « اوستن » رئيس الوفـــد الامريكي باقتراح [1] رسمي في الجمعية العامة (وفي اللجنة السياسية الفرعية التابعة لها اول الامر) يطلب اعتبار «الوصاية الدولية» على فلسطين ضرورة تقتضيها صيانة الوحدة الجغرافية والسياسية ومصالح أهل فلسطين . وأصر المندوب الامريكي على رفض التقسيم وطلب من الحكومة البريطانية ان تحتفظ بقواتها العسكرية ولا تنسحب قبل ان تدبر الامم المتحدة الاجراءات اللازمة لضمان الوصايا الدولية المؤقتة وابعاد اخطار التقسيم .

ولم يطلب الامريكان مطلقاً بقاء الانتداب البريطاني ، بل ان مشروع الوصاية الدولية الامريكية كان يهدف ترك المسؤليات الادارية وغيرهـــا في فلسطين لاهل فلسطين، على ان يكون وجود الامم المتحدة هنـــاك كرقيب مؤقت الى أن تستقر الاوضاع وتتطور الاجراءات الديمقراطية التي تصون البلد لاهله – لا لأي فريق دخيل عليه . فنظام الوصايا الدولية مؤقت . وقد طبق في حالات عديدة نال بعدها أهل البلد استقلالهم وسيادتهم كاملة – هذا مـــا حدث في ليبيا مثلا وفي الصومال وغيرهما . وكان الشعور والمعرفــــة كاملة وراسخة في اوساط الامم وفي الوسط الحكومي الامريكي آنئذ ايضاً ، بأن أهل فلسطين ليسوا متخلفين حتى تطول عليهم الوصايا الدوليـــة . فقد كانت

(١) المجلد الثاني من المحاضر الرسمية للدورة الاستثنائية الثانية للجمعية العامة، صفحة ٥ الى ١٠

حوالي ٧٠ بالمائة من المسؤوليات الادارية كلها في فلسطين في يد العرب، رغم قيود الاستعمار البريطاني عليهم، ورغم وجود الاقلية اليهودية التي كانت تتحايل بأعمالها وأرحامها في لندن للفوز بنصيب أكبر من المسؤوليات والوظائف في الحـكم الفلسطيني .

كان عرب فلسطين ليسوا بحاجة الى وصايا طويلة . وكان الامريكان يعرفون ذلك ويؤكدونه للوفود العربية في الامم المتحدة .

وقدم المندوب الامريكي قواعد العمل لمرحلة الوصايا الدولية على فلسطين.[1]

وقام مندوب الوكالة اليهودية « الحاخام سيلفر» فرفض الاقتراح الامريكي فوراً وعارض الوصايا الدولية معارضة شديدة، وقال بأن اليهود سيعارضونها بالقوة ، وأصر على التقسيم ، وقال بأن اليهود سيعلنون دولتهم بعد انتهاء الانتداب البريطاني رسمياً في ١٥ مايو كما جاء في البيان البريطاني حول هذا الموضوع [2] » .

وكانت الحكومة البريطانية قد أكدت عزمها النهائي على اعتبار انتدابهــا على فلسطين منتهياً في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وانجاز سحب قواتهــا العسكرية من فلسطين في أول أغسطس من العام نفسه .

ونشط الوفد السوفيـــاتي وجميع وفود الدول الاشتراكية الاخرى من أوروبا الشرقية بتأييد مندوب الوكالة اليهودية . وتزعم هذه الحمـــلة السيد « جروميكو » أكبر لسان اشتراكي في الأمم المتحدة آنئذ .

فرفض السوفيات رفضاً باتاً السماح للقوات البريطانية ان تظل في فلسطين لضمان مرحلة الانتقال الى الوصاية الدولية ومن ثم الابقاء على الوحدة الجغرافية

(١) وثيقة الامم المتحدة رقم A / C. 1 / 277

(٢) محاضر جلسات الجمعية العامة للدورة الاستثنائية الثانية : المجلد الثاني ص ٤٢ - ٤٦ .

والسياسية لفلسطين ، ومن ثم الاستقلال وبقاء فلسطين عربية الطابع الى الأبد .

وحين نستذكر ان هذا المندوب السوفياتي نفسه كان قبل بضعة أسابيع فقط يلح على بريطانيا ان لا تنسحب من فلسطين عسكرياً أو سياسياً حتى يتم تنفيذ قرار التقسيم في صالح اليهود، ندرك مدى الغش السوفياتي في الوجدان والمقاصد ، في السر والعلانية .

وأسهب « جروميكو » في هذا المنطق السوفياتي المألوف عن الاستعمار والرجعية. وأتهم أمريكا بأنها تتواطأ مع بريطانيا لاستعمال القوة الاستعمارية لمنع اليهود الضعفاء من تحقيق استقلالهم في وطنهم في فلسطين ! .

ومضى المندوب السوفياتي يتهم البترول والبنوك والرأسمالية الامريكية والبريطانية والعربية والرجعية العنصرية والدينية والاقطاع العربي بأنها هي التي تستفيد من فشل مشروع التقسيم لفلسطين ، ومولد الدولة اليهودية « الديمقراطية » .

ولاول مرة نفذ صبر العرب على هذا الافتراء الماركسي وعلى هذا الغش السوفياتي وعلى هدر الحقوق العربية الاصيلة باسم سفارات مكافحة الاستعمار والرجعية والبترول ، والموال الاشتراكي نفسه .

فأدلى ممثل عرب فلسطين (مندوب اللجنة العربية العليا السيد جمال الحسيني) ببيان امام اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة في جلسة ١٦ مايو سنة ١٩٤٨ تصدى فيه للمندوب السوفياتي ومندوبي الدول الاشتراكية الاخرى، متهما اياهم بالزور والبهتان. وقال بان الدول الاشتراكية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي تشتغل جادة في تسهيل الهجرة اليهودية السرية من موانىء البلطيق ، وانها تدرب الشبان والشابات اليهود على اعمال الحرب والارهاب.

و« المقاومة الشعبية » لتسهّل على اليهود افتراس فلسطين والغدر بعرب الديار [1]

ووافق مندوب عرب فلسطين على اقتراح المندوب الامريكي بانشاء حكومة فلسطينية مؤقتة تحتفظ بوحدة البلد الجغرافية والسياسية لمدة قصيرة، مشروطة بنيل اهل فلسطين استقلالهم في دولة واحدة ديمقراطية النظام، تكون حقوق الاقليات وغيرهم فيها محفوظة ومضمونة [2]

ويا ليت كان المتحدث باسم عرب فلسطين شخصاً آخر لم يكن له صلة شخصية وعائلية بزعامات فلسطينية وجدت في جوار النازية الالمانية ايام الحرب ملجأ او صديقاً او حامياً او حليفاً .

فقد استغلت اليهودية العالمية والماركسية الدولية صلة الزعامات الفلسطينية التي قادة الشعب الفلسطيني ايام الحرب وما بعد الحرب بالنازية الالمانية اسوأ استغلال . واستفاد اليهود والماركسيون وكثير من الابرياء ايضاً من هذه الصبغة النازية للزعامات العربية الفلسطينية اوسع الاستفادة ، لانها اعطت للسان اليهودي والماركسي سبيلا لأن يؤكد مخاوف اليهود تحت حكم عربي زعامته كانت وثيقة الصلة (في اذهان العالم الخارجي على الاقل) بالنازية الالمانية وفظائعها ضد اليهود وضد كل شعب اوروبي خضع للاحتلال النازي ابان الحرب العالمية الأخيرة .

هذه الحقيقة يجب ان تسجل. لأن الأمة العربية ترتكب اليوم نفس السوء والأذى وقصر النظر والخطأ في اتباع الاشتراكية الثورية وأربابها ومعسكراتها وابطالها وحضانتها في الوسط العربي نفسه سواء كانت تابعة لروسيا او للصين الشيوعية

(١) بيان اللجنة العربية العليا امام اللجنة السياسية ، مسجل في محاضر الجلسات الرسمية في المجلد الثاني للدورة الاستثنائية الثانية صفحة رقم ٩٧ .

(٢) نفس المرجع السابق .

أو في كل مكان. فيكرر سوء الاجتهاد وقصر النظر العربي ما سبق له وارتكبه من أخطاء قومية فاحشة بالارتباط بالنازية. فكلا البيعتين: الماركسية والنازية شذوذ شنيع في الحياة الانسانية يسيئان الى براءة الحق العربي في فلسطين. فهو ليس بحاجة الى مثل تلك البيعات الميكافيلية المتنافية مع الصالح العربي نفسه ومع الفكر الانساني كله ومع المشاعر السياسية الديمقراطية التي يجب لها ان تظل انجح النظم وأقواها وأشدها ثبوتاً واستمراراً.

ومضت الصهيونية والماركسية في اقوى اللسان وأعنف الحديث وأوسع الاعلان تستهزىء بالضمانات التي اكدتها تصريحات الزعامه الفلسطينية العربية حول سلامة الأقلية اليهودية في ظل الاستقلال العربي، رغم ان التاريخ العربي كله سجل ناصع البياض بشأن الأقليات وفي طليعتهم الأقلية اليهودية عبر الاجيال العربية كلها قبل مولد الصهيونية ومآربها في ديار العرب.

ولم يجد الوسط العربي (حكومياً وشعبياً) الجرأة الأدبية بل الواجب القومي المقدس لتنحية هذه الزعامات المستعينة بالنازية عن الحديث باسم عرب فلسطين في محافل الأمم المتحدة، كما لا يجد اكثر الوسط العربي هذه الأيام ايضاً الجرأة الأدبية بل الواجب القومي لتنحية الزعامات المتهالكة على الاشتراكية الثورية عن القيادات العربية وخصوصاً تلك التي تريد ان تحتكر القول والعمل والتمثيل لعرب فلسطين.

وانشغلت اللجنة السياسية اكثر الوقت بالدراسة والسفسطة حول مختلف المذكرات والبحوث القانونية وغيرها من التعديلات والمناوشات والمماطلة التي صاحبت الاقتراح الأمريكي لوضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة تؤدي الى استقلال البلد.

وكان للاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى نصيب الاسد من هذه المماطلة والمعاكسة، لأنها (كما قال مندوب عرب فلسطين) تدرب الشباب والشابات اليهود في اوروبا الشرقية وتسهل هجرتهم وتتعاون تعاوناً لعيناً مع

الصهيونيين في داخل فلسطين، وكانت (ولا زالت) زعاماتهم اما روسية المولد واشتراكية العقيدة، واما من الآفاقين الثوريين والارهابيين الذين تدربوا على اساليب الارهاب الماركسي في الوسط الماركسي اليهودي الذي كان (ولا يزال) له مركز السيادة على كل النظم الماركسية في اوروبا الشرقية وفي الاتحاد السوفياتي نفسه.

واتسع القتال بين العرب واليهود على اسلوب الارهاب «الثوري» نفسه، وعلى أدق وألعن نماذج الغدر الماركسي كما يحفظه الميراث الماركسي في روسيا وبولنده وغيرها من الملفات «الاشتراكية الديمقراطية».

وتعمد اليهود جعل بيت المقدس هدفاً لأعمال الارهاب والغدر لكي يثيروا حفيظة الاوساط المسيحية في العالم حول مصير المعاقل الدينية التاريخية في القدس وضواحيها، بعد ان ضمن اليهود مبكرا وسلفاً وطواعية حضانة الماركسية الدولية وأربابها وجبهاتها وحركاتها وأعوانها في كل مكان.

وتقدم مندوب فرنسا بمشروع قرار يطلب من الامم المتحدة ان تعمل على صيانة بيت المقدس بفرض الوصاية الدولية المباشرة عليها حفظاً للمعاقل الدينية هناك، او الصهيونية العالمية التي كان لها نفوذ بالغ في الحكم الاشتراكي الفرنسي تلك الأيام.

ووافقت الجمعية العمومية على الاقتراح الفرنسي (١).

وهكذا بدت أول عوارض الانشقاق في الوحدة الجغرافية والسياسية التي أوصى بها الاقتراح الأمريكي حفظاً لمستقبل فلسطين.

وفي الاقتراح الفرنسي جاءت توصية بتعيين «مفوض خاص بشؤون بلدية القدس» يشرف على صيانة البلد بعد ان اشاع فيها الارهاب اليهودي الفوضى.

(١) وثيقة الأمم المتحدة (S- 2) 182 بتاريخ ٢٧ ابريل ١٩٤٨.

ومن المؤسف ان وفد عرب فلسطين شارك في المفاوضات التي اجراهـــا المندوب الفرنسي ورئيس مجلس الوصاية حول هذا الاقتراح الفرنسي الذي وضع اول مسمار في نعش الاقتراح الامريكي للوصاية الدولية المؤقتة على كل فلسطين . لأن المأرب الفرنسي كما تبين فيما بعد ، كان منفذاً للغش الصهيوني والماركسي والاستعماري ، كذلك لإفساد ما كان يمكن للاقتراح الامريكي ان يحققه من ضمان لوحـدة فلسطين اذا اجاد الجانب العربي استغلال الظروف .

فلو ان مفاوضات الدبلوماسية العربية مع الفرنسيين ومـع رئيس مجلس الوصاية ، صاحبها توجيه دقيق للقوات العسكرية العربية في منطقة القدس ان تضبط الموقف ضبوطاً كاملا يصون المقدسات الدينية امام الغدر الصهيوني العمدي ، لإثارة مشاعر اهل الدين في كل مكان ، لو ان الدبلوماسية صاحبهـا تجانس مع العسكرية لمانجح اليهود في استغلال هذه الثغرة التي جاء بها المشروع الفرنسي حول القدس ، ولما اتخذ السوفيات واعوانهم هـــذه الثغرة مدخلا جديداً لهدم الصالح العربي فوق ما رموا عليه من غبـــار وركام وقاذورات وغش وخداع .

وفطن العرب لما قد ينتج عنه الاقتراح الفرنسي حول مدينة القـدس من ثغرات . فادخلوا تعديلات نبيهة عليه تحدد صلاحيات « المفوض البـلدي » ترقباً لنهاية الاقرار للاقتراح الامريكي كله ، الذي استهدف صيانة الوحـدة الجغرافية لكل فلسطين ، كما نصت عليه الوثائق الرسمية التي قدمها الوفـد الامريكي . وثيقة « قواعد العمل لمرحلة الوصاية الدولية المؤقتة على فلسطين » التي جاء ذكر لها آنفاً .

ومرة اخرى نشط السوفيات ومندوبو الدول « الاشتراكية الديمقراطية » الاخرى فعارضوا التعديلات العربية . وتولى الدفاع الماركسي يهودي اسمـه « جوليوس كاتز ـ سوكي » كان مسؤولاً عن الوفد البولندي في اللجنة السياسية ، وأيده في ذلك « سيمون تساراپكين » المندوب السوفياتي ، الذين قال « ان

بوادر الفشل لفكرة الوصاية الدولية قد بدأت تظهر كما كنا نترقب . فلنعد الى قرار التقسيم ونصون لأهل الدين معابدهم ومقدساتهم » [١] .

هذا الصوت الماركسي الذي استخدم شعارات مكافحـــة « الاستعمار » و« الرجعية الدينية » لنصرة الرأي الصهيـــوني مرة ، لا يجد ادنى حرج في تبديل منطقه وشعاراته في لحظة عين فيدعو الى صيانة معامل « الرجعية » في بيت المقدس عندما اقتضى الحال تأييد الصالح الصهيوني باسلوب آخر .

وصوت السوفيات واعوانهم ضد التعديلات الضامنة للصالـــح العربي في مسألة المعاقل الدينية في بيت المقدس . وأيدها المندوبون العرب في الجمعيـة العامة .

ومضت اللجنة السياسية تعد التفاصيل للحكومة الفلسطينية المؤقتـة على اساس الوحدة الجغرافية والسياسية للبلد في مرحلة الانتقـــال (خلال مدة الوصاية الدولية المؤقتة) ومرحلة الاستقلال الكامل لأهل فلسطين .

واستغلت الصهيونية الفكرة التي جاء بها الفرنسيون حول اعتبار القدس ذات مركز دولي خاص بحكم طابعها الديني بعد ان تعمد الارهاب اليهودي ان يجعل القدس وما فيها من ميراث ديني مقدس على أنه صراع المسلمين واليهود، مما ترك الجماعة المسيحية بلا فريق يدافع عن مقدساتهـــا في بيت المقدس — وأيد السوفيات الصهيونية في ذلك المسعى . فادخلت تعديلات على الاقتراح الفرنسي الخاص بالقدس مما جعله بمثابة فصل جغرافي وسياسي للقدس وضواحيها عن بقية الديار الفلسطينية .

فرفضه العرب ، وانتهز السوفيـات هذه الفرصة فتجانست أصواتهم مع أصوات العرب لسبب مختلف تماماً عن المقاصد العربية . فقد رفضت الدول

(١) ملخص محاضر اللجنة السياسية . والمحاضر الكاملة للجمعية العامة ـ الدورة الاستثنائية الثانية ، المجلد الاول .

العربية فصل القدس دولياً عن بقية فلسطين لأن في ذلك اخلالاً بالوحدة الجغرافية والسياسية والطبيعية لفلسطين، كما أوصى بذلك المشروع الأمريكي للوصاية الدولية الموقتة الحافظة للوحدة ومن ثم الاستقلال الفلسطيني الكامل.

أما السوفيات فقد رفضوا الاقتراح الفرنسي لأن موسكو وأعوانها كانوا يريدون التقسيم لفلسطين وخلق الدولة اليهودية بأي ثمن ، فأي قرار أو توصية تستبعد التقسيم فالسوفيات وبقية الاشتراكيين كافحوه ، ولكن بعد ان أدخلوا عليه (على الاقتراح الفرنسي) من التمييعات والتعديلات ما جعله غير صالح للعرب وقبولهم له .

ودخلت قضية فلسطين في مرحلة أخرى اشد تعقيداً في هذا المناخ الدولي في الأمم المتحدة، الذي أصبح يعالج قضية الحق العربي كما يعالج الثعلب شكوى القطعة التي جاءت اليه تشكو قطة اعتدت عليها حول قطعة جبن . فأخذ الثعلب ينهش قطعة الجبن كما لو أنه يحاول شطرها بالتساوي . فكانت النتيجة ان ابتلع الثعلب قطعة الجبنة كلها فضاعت على صاحبها الشرعي .

وتضاءلت أهمية مشروع الوصاية الدولية الأمريكي بعد أن حملت عليه الماركسية الدولية ، والصهيونية العالمية ، ودخلت شكوك رجال الدين المسيحيين حول سلامة الميراث الديني في بيت المقدس .

وجاءت احدى اللجان الفرعية المنبثقة عن اللجنة السياسية باقتراح تعيين « وسيط دولي » يصلح الحال بين العرب واليهود في مسألة القتال الناشب في فلسطين ، على ان لا يؤثر ذلك على مضي الامم المتحدة في متابعة الموضوع من نواحيه السياسية والقانونية وغيرها في حظيرة الامم المتحدة نفسها ، فيلجأ الى المشروع الامريكي مثلا او قد يتطور الظرف بعد قيام الوسيط الدولي بوساطته ..

وكانت اللجنة الفرعية التي اوصت بفكرة « الوسيط الدولي » مؤلفة من

الدول الخمس ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الامن وهي امريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

وكانت من مهام « الوسيط الدولي »

١ – السعي لاعادة الخدمات العامة التي تعطلت بسبب الحرب في فلسطين بعد ان نفضت بريطانيا يدها من المسؤولية على فلسطين .

٢ – ضمان حماية المؤسسات الدينية المقدسة في فلسطين .

٣ – التعاون مع لجنة الهدنة التي كان مجلس الامن قد انشأها لفلسطين .

وامتنعت الدول العربية عن التصويت على مشروع الوسيط الدولي هذا من باب التحفظ لئلا يؤثر في الحق العربي في الاستقلال الكامل فيما بعد .

وصوتت كل الكتلة السوفياتية المؤلفة من ٨ دول بزعامة الاتحاد السوفياتي ضد المشروع، على اساس انه يعرقل قرار التقسيم ويؤجل قيام الدولة اليهودية .

وظلت الجمعية العامة مجتمعة لسماع معارضة السوفيات وإلحاحهم على التقسيم وعلى صيانة الحق اليهودي في وطن قومي في فلسطين طوال يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وكان الموعد الرسمي لانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين هو منتصف الليل في اول دقيقة يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ولم يتباطأ اليهود لحظة واحدة في اعلانهم قيام حكومة يهودية مؤقتة في « دولة اسرائيل » .

ولم يتأخر الرئيس هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة في اعترافه بالدولة اليهودية ، وقصة هذا الاعتراف وصمة في تاريخ الدبلوماسية الأمريكية، التي كان مندوبوها الرسميون في منابر الأمم المتحدة الى آخر لحظة مصرين على معارضة التقسيم ، ووضع الوصاية الدولية المؤقتة ضماناً للوحدة الجغرافية لفلسطين وتمهيداً لاستقلالها على أسس ديمقراطية يؤول فيها الحكم والسيادة للأغلبية العربية .

وهذا العار الذي جلبه الرئيس ترومان على بلده والشؤم والأذى والغدر الذي جلبه على الحق العربي لا يقل في شناعته عن غدر اليابانيين بالأمريكان في فاجعة « بيرل هاربور » عندما قذفت الطائرات اليابانية هذه القاعدة البحرية الأمريكية الخطيرة والدبلوماسيون اليابانيون لا زالوا يفاوضون على « السلم » في واشنطون .

وأسرع الاتحاد السوفياتي أيضاً فاعترف بالدولة اليهودية .

وهنا مرة أخرى يظهر عنف الحقد السوفياتي على الحق العربي الى آخر لحظة .

ففي حين ان اعتراف ترومان كان على أساس «الأمر الواقع» De Facto كان اعتراف الروس أعمق التزاماً وأقوى قانونياً وأبلغ تأييداً وأشنع في الأذى لأنه جاء على أساس الحق القانوني الكامل De Jure . والاتحاد السوفياتي هو دولة بين الدول الكبرى والصغرى التي منحت دولة اليهود هذا الاعتراف القانوني الكامل ، وكانت تبعاته القانونية والدولية لا تقدر في أذاها على الحق العربي .

فسحب الاعتراف « بالأمر الواقع » كان من الممكن سحبه بدون عناء وأشكال قانوني . أما الاعتراف القانوني الكامل فدون سحبه مشاكل قانونية ودبلوماسية في منتهى التعقيد .

ونحن نسجل هذا من باب الايضاح ومن باب التوكيد على ان كلا الطرفين الرأسمالي والماركسي اساءا الينا . ولكن سوء الماركسيين كان العن وأشد أذى، لأن المفروض فيهم ان يكونوا خصوماً للاستعمار وللعنصرية اليهودية ، وللرجعية الدينية التي يستند اليها الصهيونية .

ولكن التذبذب والنفاق والغش في معسكر الاشتراكيين لم يعرف حدوداً في طعنه لأمة العرب في أدق وأحرج معارك صراعها ضد الاستعمار .

وإذاكنا نصر ما حيينا على استذكار طعنة ترومان في الخلف العربي فأن النباهة والكرامة والحذر واصول الصالح العربي اليوم وغداً يستوجب (بل يلحّ علينا) ان نتذكر أيضاً طعنات السوفيات والايدي الاشتراكية الماركسية القذرة التي لم تكل لحظة بعد لحظة ، وجلسة بعد جلسة ، ودورة بعد دورة ، في كل مراحل الغش الدولي في الامم المتحدة من ان تكيل لنا الطعنات فتسيل الدم وتستنفذ تلك الطاقات العربية المتواضعة التي كانت تتدرب على الاجواء الدولية في عام ١٩٤٧ .

ولنذكر ايضاً ان هذا الاعتراف القانوني الكامل الذي منحه السوفيات والدول الاشتراكية الاخرى للدولة اليهودية كان من ابرز نتائجه ان اول تبادل دبلوماسي كامل جرى بين الدولة اليهودية وبين العالم الخارجي كان مع المعسكر الاشتراكية . وذلك قبل الهدنة « المؤقتة » في الحرب العربية اليهودية وقبل دور الامم المتحدة في المشكلة الفلسطينية . فأول سفارة يهودية فتحت في براغ، بتشكوسلوفاكيا. وثاني سفارة خارجية يهودية فتحت في موسكو ... وبذا اذابت الكتلة الاشتراكية في ضربات متلاحقة الجليد الدولي الدبلوماسي عن «الدولة » اليهودية الجديدة، حتى قبل ان تدخل الجيوش العربية الارض المقدسة لتسعف اهلها وارحامها .

شهر الهدنة

سنغض الطرف عن مزيد من الاستشهاد بأقوال مندوبي الكتلة الاشتراكية ومندوب الاتحاد السوفياتي بصفة خاصة في الدفاع الحار المتواصل عن اليهود وصهيونيتهم من منابر الجمعية العامة، وفي كل لجنة وهيئة وحلقة تفرعت عنها، عند بحث التحدي العربي لاطماع اليهود ودسائسهم، وتجنيدهم الغرب والشرق، والكبير والوضيع في الحيـاة الدولية لتنفيذ المأرب الصهيوني على أرضنا في فلسطين .

فالمستعيد بالذكرى أو بالمطالعة لهذه المجلدات الكثيفة التي سجلتها وثائق الامم المتحدة عن مواقف الدول ، في الربـع الأخير من عـام ١٩٤٧والنصف الأول من عـام ١٩٤٨، يجد ان نصيب الدول الاشتراكية (وخطب الاتحاد السوفيـــاتي بصفة استثنائية) اكثر من نصف تلك الوثائق . فقد رفض الاشتراكيون (وألحوا في الرفض واشتدوا في العناد) لكل مشروع أو طريقة أو رأي يحاول‌ان يصون جزءاً على الاقل من الحق العربي في فلسطين، كمشروع الوصاية الدولية المؤقتة الذي جاء به الامريكان في الأسابيع الاخيرة السابقة لانسحاب القوة البريطانية عن أرض‌فلسطين، وترك المقدرات العربية في مهب الرياح الدولية العنيفة التي افتعلتها اليهودية العالمية من زاوية دولية — أعنفها زاوية الكتلة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتي ، التي قامت بدور السياف‌في أدق مراحل « القضاء » الدولي في الامم المتحدة، يقطع الرؤوس‌قبل ان أينعت ونضجت، وقبل ان يقول القضاء كلمته الأخيرة ، وقبل ان‌تدخل الجيوش العربية أرضها في فلسطين وبعد ان دخلت أيضاً .

ولقد كان التواطؤ بين « الوكالة اليهودية » وبين وفود الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى تواطؤاً سافراً علنياً في اروقة الامم المتحدة، لا يستره الطرفان حتى عن اعين الصحفيين والرقباء والدبلوماسيين الرسميين الذين كانوا يرابطون ليل نهار في تلك الايام والليالي العصبية في منتصف شهر مايو ١٩٤٨ . وكاتب هذه السطور شاهد عيان على ذلك التواطؤ .

ولنترك الوثائق تتكلم فهي ابلغ من ذكريات العين ولهفة الوجدان .

اعلن اليهود نفسهم « دولة » في فلسطين والامم المتحدة لم تقرر بعد‌الصفة الدولية لمستقبل فلسطين وأهلها، ولم‌تقرر التقسيم رسمياً بعد ان ادخل‌الامريكان مشروع الوصاية الدولية المؤقتة .

ودخلت الجيوش العربية لتنجد من تبقى من اهـــل فلسطين في ديارهم يكافحون الغدر اليهودي او ينتظرون « العدل » من الامم المتحدة .

ودعي مجلس الأمن الدولي للاجتماع العاجل بطلب من « الوكالة اليهودية » للنظر في « غزو » الجيوش العربية لفلسطين كما قال المندوب اليهودي الياهو الياش في بيانه امام المجلس يوم ١٥ مايو ١٩٤٧ [١] مطالباً برد العرب عن « عدوانهم » استناداً الى مواد في ميثاق الامم المتحدة حول « صيانـة الامن والسلم العالميين » كالمادة ٤١ و٤٢ و١٠٦ من الميثاق .

وكان مجلس الأمن مؤلفاً آنئذ من الدول الخمس الكبرى ذوات المتقاعـــد

(١) محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة من صفحة ٤ الى ٧ .

الدائمة في المجلس (وهي امريكا والاتحاد السوفياتي وبريطانيـــا وفرنسا والصين) ومن سبع دول صغرى هي الارجنتين وبلجيكا وكندا وكولومبيا واكرانيا وسوريا . وكان يرأس الوفد السوري المرحوم فارس الخوري .

وكان الرد العربي على هذه الشكوى اليهودية امام مجلس الأمن على اساس من المنطق القانوني ومن صلابة الواثق من نفسه الذي له جيوش عسكريـــة عزمت على اخذ الامور بيدها اذا انكرت الامم المتحدة الحق العربي جزئياً أو كلياً .

وقال فارس بك إن نجدة الجيوش العربية لاخوانهم وارحامهم في فلسطين امر لا يتحمل الجدل . فالاكثرية الساحقة من سكان فلسطين عرب من مواليد البلد ابا عن جد في سلالة وانساب جذورها في اعمق التاريخ الانساني . وقد وجدت هذه الاغلبية العربية الساحقة انها تواجه تحدياً من طائفة يهودية ضئيلة العدد دخلت فلسطين بمعونة الاستعمار الاجنبي وبدسائس اليهودية العالميـــة وباساليب الغش الدولي . وهذا التحدي اليهودي الاستعماري الدولي اشدخطراً من ان تصمد له الجماعة العربية الفلسطينية بمفردها . فاستعملت هذه الجماعة (وهي اغلبية سكان البلد) حقها في طلب النجدة والمعونة من ارحامهـــا العرب في الدول المجاورة بعد ان زال الانتداب البريطاني تاركـاً اهل الديار العرب عزلاً من السلاح ، ومن ابسط مقومات الدفاع عن النفس وعن المصالح القومية ازاء هذه الجبهة الصهيونية الدولية الغاشمة التي اعدت غدرها طـوال السنين، وفي ظل الاقوياء من كل الاشكال والألوان — استعماريين وشيوعيين — من اهل الدين ومن اهل اليسار ، من الاتقياء ومن الاشقيـاء ، من الرأسماليين ومن الفوضويين الآفاقيين . فالحق الطبيعي والحق القانوني وصـلة الرحم وحاجات الشرق الاوسط ومسؤوليات الامن فيه وفي العالم بأسره استوجبت الدول العربية نجدة اهل فلسطين ونصرة حقوقهم ومعونتهم على توطيدهـا . هذا فضلاً عن ان ميثاق التضامن العربي الذي اقرته جامعة الدول العربيـــة

(وهي منظمة اقليمية قانونية ذات طابع دولي) ينص على ضرورة تعاون العرب لصيانة الحقوق والمصالح والامن في المنطقة. والتدخل العربي العسكري الجماعي في فلسطين حق مشروع ومسؤولية عربية ودولية لا تتحمل النقاش ولا هراء اليهـــود ولا مفترياتهم . فهم المعتدون وهم العابثون بالقانون وهم المفسدون للأمن والسلم الدولي[1] .

واشترك في النقاش أمـام مجلس الأمن في تلك الجلسة مندوب عن اللجنة العربية الفلسطينية العليا ، مؤيداً قول المندوب السوري بان تدخل الجيوش العربية كان بطلب من أهل فلسطين العرب وهم الأكثرية الساحقة للسكان الذي ورثوا السيادة الشرعية على البلد بعد انسحاب الانتداب البريطاني وزواله قانونياً . وكان المتحدث باسم اللجنة العربية العليـا هذه المرة السيد عيسى نخله . وسنمر مر الكرام بأوجه المقارنة بين الاستعداد الفكري والمقدرة البلاغية والاعلامية لمندوبي عرب فلسطين أمـام الأمم المتحدة وبين الكفاءات التي استملكها مندوبي اليهود .

فقد كان المفروض من صاحب الحق العربي ان يزود مجلس الأمن بكل الدقيق والصحيح من تفاصيل الغدر اليهودي والارهاب اليهودي والمذابح التي أهلك بها اليهود آلاف الضحايا من عرب فلسطين العزل من السلاح قبيل الانتهاء الرسمي للانتداب والوجود البريطاني العسكري في البلد . فالغدر اليهودي كان عنيفاً واسع الحيلة كثير البطش قديماً في دسائس تدابيره لاستغلال فترة الانتقال من السلطة البريطانية الى سلطة أهـل البلد وهم الأغلبية العربية . فالحقائق الشنيعة الدامية التي هتك اليهود ومؤسساتهم الارهـــابية

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة الاجتماع السادس والستون ص ١٦ .

وجيوشهم الشبه نظامية (كالهاجانا والمالباخ وفروعها)، والتشكيلات الارهابية العديدة والمشابهة لها) حرمات السكان العرب وأعراضهم وأرواحهم، وهم عزل من أبسط مقومات الدفاع عن النفس — هذه الحقائق لم تعرض باسهاب ولا دقة ولا مستندات ولا شروح تفصيلية كاملة حتى تعطي للجانب العربي « عذراً » منطقياً لتدخل الجيوش العربية في معركة عرب فلسطين ضد الغدر الصهيوني ، بالإضافة الى المنطق القانوني الذين قدمه العرب لمجلس الأمن .

وكان من جراء هذا الاهمال والعجز في القيـــادات العربية وفي القيادة الفلسطينية السياسية بصفة خاصة ، ان بدا تدخل العرب وجيوشهم السبع كما لو أنه أمر سياسي مفتعل، لا نجدة عربية تقليدية وواجب انساني حـدا بالعرب الآخرين الى نجدة ارحامهم واخوانهم في فلسطين كما يجب ان تكون النجدة في التقليد الانساني وفي أصول المسؤليات . ولقد كان الجانب العربي يعلم تمام العلم في هذه المرحلة من معالجـة الأمم المتحدة للشر الصهيوني والحق العربي في فلسطين ان اليهودية العالمية تستملك مختلف الوان السيادة على مراكز البت وصناع السياسة في المعسكرين الاشتراكي والغربي ، الأوروبي منـه والأمريكي . وان هذه القبضة اليهودية المحكمة كانت بليغة الاثر في استغلال الغش الدولي في كلا المعسكرين استغلالاً متواصلا ساعد اليهود عليه مالهم من نفوذ تقليدي خارق في الصحافة وألسنة الرأي والاعلام الدولي في شتى بقـاع العالم . فقصور الجانب العربي الفلسطيني في شرح مصائبه ونكباته، والدم البريء وشتى المآسي، والويلات التي جلبها الغدر اليهودي المفاجيء على السكان العرب الآمنين في المدن والقرى والدساكر التي لم يتوفر لعرب فلسطين حمايتها لأن الاستعمار البريطاني كان شديد الوطأة على أي تكتـــل سياسي أو عسكري أو منظمات قومية يستعد بها العرب الفلسطينيون للطواريء بعد زوال الانتداب البريطاني ـ هذا القصور العربي الشنيع في التوكيد والالحاح في التوكيد على ان

عرب فلسطين مهدورة أرواحهم امام الغدر اليهودي المفاجيء، الذي دبرتـه الصهيونية العالمية طوال عشرين أو ثلاثين عاماً في ظل الانتداب البريطاني هذا القصور في افهام مجلس الامن والدنيا بأسرها بأن استنجاد عرب فلسطين بأرحامهم في الديار العربية الاخرى هو استنجاد البائس المستضعف في وجه غدر يهودي وعالمي لعين ـ هذا القصور والعجز الاعلامي من جانب مندوبي عرب فلسطين ومندوبي الدولي العربية الاخرى ترك انطباعاً في اذهان الرأي العالمي بأن العرب متكافلين يحاولون تكرار الحقد النازي على اليهود. ولذا فقد الجانب العربي جزءاً هاماً من منطقه القانوني، ومن شرعيـة تدخله الى جانب أرحامه العرب في فلسطين . وبدت الجيوش العربية كما لو انها « غزاة » تحاول ان تستأسد على اقلية يهودية مهيضة الجناح في فلسطين !..

هذه حقيقة يجب ان يسجلها من عاصرها عن كثب في اروقة الامم المتحدة آنئذ، ومن اختبر بنفسه (ككاتب هذه السطور) قسوة الرأي العالمي العام على الحق العربي ، لانـــه اولاً لوث نفسه بوصمة النـــازية وهي وصمة جلبتها القيادة العربيـــة الفلسطينية على الحق العربي في اتفه ثمن وفي اغلى وابشع الاخطاء السياسية في الحركات القومية .

وبين عشية وضحاها ، بين ١٥ مايو و١٧ مايو من عام ١٩٤٨ تحـــول الحق العربي في فلسطين في اذهان المجتمـــع الدولي من موقف المظلوم الذي استغلته اليهودية العالمية والانتهازية الشيوعية السوفياتية ، الى موقف العملاق المدجج بالسلاح في جيوش عربية سبعة تزحف على فلسطين لتذبح الاقليـــة اليهودية هناك كما ذبحها « هتلر » صديق العرب .

وكان هذا التحول قادراً على ان يخدم الحق العربي خدمة تاريخية جلى رغم سلبيته الدعاويـــة ، لو ان مندوبي عرب فلسطين كانوا غير ملوثين بالوصمة

النازية وكانوا على قسط معقول من النباهة والوعي لأصول الشؤون الدولية خارج هذا المألوف من تكرار الدفتر الصغير الذي حفظه رجال صغار لا يفقهون عن القضية الفلسطينية آنئذ سوى انها اخلال بوعد قطعة البريطانيون للعرب في معاهدات ماكماهون، وخديعة استعمارية بريطانية وعدت اليهود زوراً وبهتاناً بوعد بلفور .

هذا المنطق رغم صحته ورغم نفعه في الايام الاول من معالجات مجلس الامن والجمعية العامة للحق العربي في فلسطين ، إلا انه أصبح فاقد المغزى تافه الاثر كخطب الجمعة في مساجد الارياف والوعظات في كنائس القرى ، تكرار وعودة لكلام فقد معناه ومغزاه . فاذا صلح هذا الاجترار للمزارع البسيط في القرية النائية فانه اصبح عديم النفع امام مجلس الامن وما يكتنفه من ادق والعن نماذج الغش الدولي والتيارات السياسية والاساليب الاجرائية ومولد الحرب الباردة بين الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي .

والواقع ان الدعاية الصهيونية استفادت اوسع الفائدة والعنها من عجز الجانب العربي عن صحة الاستيعاب للوضع الدولي كله في اعوام ١٩٤٧/١٩٤٨، كما ان هذا الجانب العربي اليوم هو عاجز عن ادراك دقائق الوضع والتيارات الدولية في الصراعات الداخلية للمعسكر الاشتراكي الذي يعشقه الرأي العام العربي أو بعضه ، وصراع ذلك المعسكر كله مع « الغرب الاوروبي والامريكي » ، وان هذه الصراعات لا تتطلب من الجانب العربي انحيازاً كاملاً نحو الاشتراكيين مهما كان لذلك من مبررات عاطفية ، ومهما كان الغرب الاوروبي والامريكي عنيداً اليوم في تفهمه للحقائق والمشاعر العربية . فصاحب الحق العربي يجب ان لا ينتظر من الآخرين (والاقوياء منهم على وجه الخصوص) ان يجتهدوا في فهم مشاعره ، بل على صاحب الحق ان يسعى بكل الوسائل ليحتفظ برصيد

له في كل المعسكرات — رصيد لا يستجره في الانتهازية السياسية والبهلوانية الدبلوماسية وفي استجداء القروض والهبات ، وانما في رصانة الادراك بان حاجة الحق العربي في فلسطين يستوجب ابقاء ذلك الرصيد نظيفاً من اي لون او عباطة وفي اصول النضوج الفكري والمسؤولية السياسية الدولية . فنسحتاج الى ذلك الرصيد يوماً ما اشد الحاجة .

وتقدم الوفد الامريكي في ١٧ مايو ١٩٤٨ بمشروعين الى مجلس الامن : الاول يطلب وقف القتال في فلسطين على اعتبار ان ذلك التدخل العربي العسكري خرق لميثاق الامم المتحدة مما يعرض الامن والسلم العالمي الى الخطر بموجب المادة ٣٩ من ميثاق الامم المتحدة، التي كانت خمس دول عربية آنئذ ملتزمة به . والثاني مشروع قرار في شكل لائحة اسئلة يوجهها مجلس الامن الى الدول العربية (والى اللجنة العربية الفلسطينية العليا والوكالة اليهودية ايضاً) يطلب فيها معلومات وايضاحات عن الموقف السياسي والعسكري في فلسطين حتى « يتبين مجلس الأمن الحقائق الفلسطينية الراهنة » [1] .

وقد بدا العطف المستجدّ على النظرة اليهودية واضحاً في هذه المرحلة من أعمال مجلس الأمن . فقد كانت لوائح الاسئلة مشحونة بنماذج تمزز وجهة النظر الصهيونية بأن حملة الجيوش العربية على الشعب اليهودي في فلسطين كفيل بتعريض الأقلية اليهودية الى خطر المحق والزوال .

(١) محاضر مجلس الأمن ، للسنة الثالثة رقم ٦٧ ، وهذا المرجع يحتوي أيضاً لوائح الأسئلة التي وجهها المجلس الى الدول العربية (٧ أسئلة) والى اللجنة العربية العليا (٥ أسئلة) والى الوكالة اليهودية (٤ أسئلة) .

وهنـــا مرة أخرى تجدد الحماس السوفياتي لنصرة الصهيونية في أعنف أشكاله . ومع ان الذين وضعوا لوائح الأسئلة هم الامريكان ، إلا ان أشد الملحين في مجلس الأمن على ضرورة التزام العرب بهـا كان مندوب السوفيات « اندريه جروميكو ». فقد أصر جروميكو على مجلس الأمن بـأن يوافق على المشروعين الأمريكين فوراً وبلا جدال ونقاش وبلامضيعة للوقت [١]. ولكن المندوب الأمريكي نفسه صاحب الفكرة ومقدم المشروعين رأي من اللباقة على الأقل ان يسمح للجانب العربي مناقشة النص وتعديل لوائح الاسئلة .

واستغرق النقاش حول لوائح الاسئلة هذه فترة طويلة عنيفة في مجلس الامن، وأدخلت عليهـا تعديلات جذرية دقيقة عارضها بشدة مندوب الوكالة اليهودية والمندوب السوفيـاتي . وفي فترات متلاحقة وجد المندوب السوفياتي نفسه فيها أكثر دفاعـاً عن اليهود من مندوب الامريكان . وأمريكا كانت آنئذ الوالد « الشرعي » للحركة الصهيونيـة ، بينما كان المفروض من السوفيات ان يكونوا خصماً عنيداً للصهيونية ربيبة الاستعمار والرأسمالية .

ووجد البريطانيون انفسهم لأول مرة في محافل الامم المتحدة يساندون وجهة النظر العربية ويشتركون مع المندوبين العرب في معارضـة المشروع الامريكي بشأن لوائح الاسئلة عن التدخـل العربي في نصرة ارحامهم في فلسطين . وتقدم الوفد البريطاني بطائفة من التعديلات على النص الامريكي ليلطف من حدته ، كما تدخل الوفد البريطاني اكثر من مرة ليؤيد النظرة

(١) نفس المرجع ص ٣٩ – ٤٢ .

العربية امام قسوة العنف الدعاوي الذي صدر عن الوفد السوفياتي في استنكار التدخل العربي المسلح في فلسطين لأنه يؤذي اليهود ويعرض «الدولة اليهودية» الجديدة الى الاذى – كما قال السيد « جروميكو » المرة تلو المرة .

وفي حين كان الوفد السوفياتي يطالب بانزال أشد العقوبات التي يفرضهـا الميثاق على الدول العربية « التي أخلت بالأمن » حاول الوفد البريطاني ان يجعل معـالجة الامم المتحدة للتدخل العربي المسلح في فلسطين خاضعاً للمادة الخامسة من ميثاق الأمم المتحدة الذي تدعو الأطراف المعنية بالأمر الى « فض النزاعات بالطرق السلمية » ، عن طريق الوساطة والمساعي الحسنة وبدلاً من تهديد العرب بالعقوبات الإقتصادية والتدخل العسكري ضدهم ، كما طـالب مندوب السوفيات باسم بلاده وباسم الكتلة الاشتراكية وباسم الوكالة اليهودية أيضاً ، حاول الوفد البريطاني ان يبعد مسألة العقوبات الاقتصادية والعسكرية عن الموقف العربي ويستبدل ذلك بالوساطة والتفاوض عن طريق « وسيط دولي » .

ونجح هـذا المسعى البريطاني في تأييد صامت من الجانب العربي . وسواء أكان هذا النشاط البريطاني وهذا التحول المفاجيء في المسؤولية البريطانية نحو فلسطين وأهلهـا ، مدفوعاً بوخز الضمير او بادراك مريع لمآرب السوفيات في وراثة النفوذ البريطاني في الشرق الأوسط ، أو كان هذا التحول في الموقف البريطاني مدفوعـاً بدقة مؤقتة لنماذج الغدر والارهاب والمذابح اليهودية التي عقبت انسحاب الانتداب البريطاني عن فلسطين ، أو كان هذا التحول البريطاني تودداً لاصدقاء بريطانيا في العراق وفي شرقي الأردن ، فان ذلك التحول أمر يستحق التسجيل مهما كانت مآربه ودوافعه . فقد كان من جرائه ان وافق مجلس الأمن على التعديلات التي لطفت من تهديد الأمم المتحدة للعرب بعنف العقوبات وتهديد السوفيات باللجوء الى العمل العسكري المباشر لقمع التدخل العربي ضد الصهيونية .

واستمر النقاش حول هذه التعديلات وحول الحماس السوفياتي – الصهيوني لانزال العقوبات بالعرب حوالي اسبوع قبل ان يجري التصويت على المشروعين الأمريكيين بعد ان دمجا في نص قرار واحد وافق عليه مجلس الامن في جلسة ٢٢ مايو .

وفيما يلي خلاصة قرار مجلس الأمن ، وما صاحبه من كر وفر :

١ – الأخذ بعين الاعتبار التطور الذي طرأ على الوضع القانوني لفلسطين بعد زوال الانتداب البريطاني (وقد رفض هـذا التعديل . وصوت ضده الوفد السوفيابي ومندوب تابعه اكرانيا) رغم ان الجانب العربي قد أيده تأييداً حاراً ودعا الى الاصرار عليه ، لانه يعني ان مقدرات البلد قد أصبحت في يد أهلها العرب وهم الأغلبية الساحقة من سكان فلسطين . وطالما ان الانتداب قد انتهى ، فقد انتهى بذلك ايضاً الوضع الاستثنائي للوكالة اليهودية التي كانت معترفاً بها من جانب الانتداب البريطاني (ووعد بلفور) فاصبحت الوكالة اليهودية اثر زوال الانتداب هيئة خاصة ليس لها اي صفة قانونية . وطالب العرب مرة اخرى باستشارة محكمة العدل الدولية العليا حول صحة هـذا المنطق العربي القانوني بشأن الوكالة اليهودية اثر زوال الانتداب . وهذا المنطق العربي القانوني سليم . ومحكمة العدل الدولية العليا كانت قادرة على تأييده ، ولكن الوفد السوفياتي رفض هذا الحق العربي في اللجوء الى محكمة العدل الدولية العليا ، امعاناً من موسكو في حضانة الصهيونية ومآربها في الغدر وفي اختلاس الحقوق العربية .

٢ – اصر الوفد السوفياتي على الأخذ بالنص الامريكي للقسم التمهيدي لقرار مجلس الأمن ، وهو الذي يعتبر الموقف في فلسطين (اثر دخول الجيوش العربية) يعرض السلم في المنطقة الى الخطر ويستدعي لجوء الامم المتحدة الى استعمال صلاحياتها بموجب المادة ٣٩ من الميثاق . وقد عارض المندوبون العرب هذا النص معارضة شديدة ، وادخلوا عليه تعديلات (ناوأها السوفيات

مناوئة عنيفة ، بينما صمت الامريكان انفسهم بشأنها) . وقبل الأمريكان تعديلا اوصى به الجانب العربي وهو يبعد عن نص القرار مسألة المادة ٣٩ من الميثاق (التي تتحمل العقوبات) ويستبدلها بفقرة تدعو « كل الحكومات المعنية بالأمر في مسألة فلسطين ان تمتنع عن الاعمال العسكرية واعلان وقف القتال للجيوش وللمنظمات العسكرية والشبيهة بالعسكرية ، دون ان يكون في وقف القتال هذا مساس بحقوق الاطراف المشتركة في النزاع على فلسطين . »[1] واعطيت الاطراف المعينة بالامر مدة ٣٦ ساعة لتنفيذ وقف القتال .

ووافق الجانب العربي (ممثلاً من مندوب سوريا في مجلس الأمن) على النص المعدل لمشروع القرار الامريكي . بينما بقي المندوب السوفياتي (والاكراني) معارضاً له اشد المعارضة ، وملحاً على اتهام العرب ودولهم بالعدوان وتدخل الامم المتحدة بالعقوبات الاقتصادية والتأديب العسكرى ضد العرب لصيانة « الدولة اليهودية » .

وجاء في نص القرار الذي اقره مجلس الأمن توصية الى ضرورة العناية بالوضع الاستثنائي في مدينة القدس نظراً لأهمية الارث الديني ومعاقله التي توجد في بيت المقدس .

ووجد المندوب السوري (الاستاذ فارس الخوري) نفسه من باب الاستراتيجية القانونية ان لا يسجل على الوفد السوري الموافقة « الرسمية » . فامتنع الوفد السوري عن التصويت على مشروع القرار الامريكي عندما طرح المشروع باكمله للتصويت ، مع ان المندوب السوري صوت على جميع فقرات القرار عن التصويت الجزئي عليها فقرة فقرة كما هو العادة في القرارات الخطيرة .

واحب هنا ان الفت نظر اهل اليسار العربي وارباهم وحكوماتهم الى ان الحكومة السوفياتية كانت (ولا تزال) تنظر الى مطامع اليهود في ارضنا

(١) نفس المرجع ص ٥٩

العربية في فلسطين على انها « حركة تحرير وطنية » . هـذا ما وصف السيد جروميكو الحركة الصهيونية والغزو اليهودي لفلسطين في خطـاب له امام مجلس الأمن في جلسة ٢١ مايو ١٩٤٨ قال « جروميكو » :

« في اعمق الاعتقاد والقناعة دعوتي اؤكد لمجلس الأمن والرأي العالمي بان الاتحاد السوفياتي مصر على ان قرار الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ (قرار التقسيم) هو اشد الحلول انصافاً . فهو يعطي للجماعة اليهودية حقها في وطن خاص مستقل . وذلك القرار لا يضر بالعرب . فهو يمنحهم جزءاً من فلسطين ايضاً ...

«.. ولكن بعض العناصر في الجمعية العامة رفضت التقسيم وكافحته وقالت انه اصبح غير ذي موضوع . مثل هذا القول هراء لا يتجانس مـع الحق والواقع فقد اعلن اليهود دولتهم . ونحن نعترف بهم ونؤيدهم ولا يحق لمجلس الأمن ان يتدخل في الأمر الآن . ان قرار التقسيم لا يزال حقاً شرعياً لليهود ودولتهم الجديدة . فاذا تجاهل مجلس الأمن هذا الحق والحقيقة فانه يشجع العناصر المعتدية (العرب) على خلق المشاكل والمتاعب ...

« ... ان الدولة اليهودية الجديدة قائمة وقد اعترفنا بها وتبادلنا معها التمثيل الدبلوماسي الكامل . وقدمت هذه الدولة الجديدة طلب الانضمام الى الامم المتحدة . ونحن نؤيد ذلك .

« ان العدوان (العربي) على فلسطين خطر يعرقل الأمن الدولي .فاذا كان لمجلس الامن أي دور في الموقف الفلسطيني الجديد فهو دور الذي عليه ان يردع العدوان (العربي) . ونحن نؤيد مشروع القرار الامريكي الذي رفع الى مجلس الامن يطلب فرض العقوبات وردع العدوان بموجب المادة ٣٩ من ميثاق الامم المتحدة . »

(هذا المشروع الامريكي رفض امام المجلس ، وأدخلت عليه تعديلات

ابعدت صفة العدوان عن العرب والغت مسألة العقوبات . ودعت الى الوساطة الدولية السلمية . ولكن الاتحاد السوفياتي اصر على دمغ الحق العربي بالعدوان واصر على النص الامريكي الأصلي المشروع القرار حتى بعد أن قبل الأمريكان الغاءه وقبول التعديلات العربية — البريطانية الداعية الى الوساطة .)

ولكن المندوب السوفياتي مضى في حماسه للمصلحة الصهيونيـة وتعزيزه الإفتراء اليهودي واعلانه الدولة الجديدة :

نعم تابع « جروميكو » قوله امام مجلس الامن :

« ان على الامم المتحدة ان تقدر خطورة التدخل العربي المسلح وهدره لقرارات الامم (التقسيم الذي الغته الجمعية العامة واصر الاتحاد السوفياتي على اعتباره ساري المفعول) . وهذا العدوان (العربي) امر خطير جـداً . وسواء كان هذا العدوان من جيوش نظامية او غير نظامية فأنه عدوان وهتك للحق (اليهودي) .

«ان الاتحاد السوفياتي مع مراعاته لحاجات شعوب الشرق الادنى بما فيهم العرب في الاستقلال والتخلص من النفوذ الاجنبي ، إلا ان الاتحاد السوفيـاتي يؤيد حركات التحرر الوطنية كلها . وحق اليهـود في وطنهم في فلسطين هي حركة تحرير تنال من الاتحاد السوفياتي التأييد والحضانة .

« اننا لا نعترف بأن مندوبي الدول العربية هنا في الامم المتحدة يمثلون حقيقة شعور العرب ومصالحهم . فتلك الحقيقة العربيـة الشعبية لا تناويء حركة التحرير اليهودية الوطنيـة ... انما الذين يناوؤنها هم نفر من الساسة الرجعيين الذين لا يمثلون الجماهير العربية . فالجماهير العربية ومصالحها مرتبطة جذرياً بمصالح حركة التحرير اليهودية الوطنية. وحين تزول القيادات الرجعية وعملاء الاستعمار والنفوذ الاجنبي من قبضتهم على الجماهير العربية فان الوفاق سيتم بين حركات التحرير الوطنية العربية وحركة التحرير الوطنية اليهوديـة

في فلسطين وتسود الاخوة بين الطرفين ...

«.. ان الحكومة البريطانية قد اعلنت في لندن رسمياً مؤخراً بانها عازمة على معونة حكومة شرق الاردن بالسلاح . ومن المؤسف بان هذا التصريح البريطاني المؤيد للعدوان (العربي) لم يجد من ينقده ويتحداه هنا في الامم المتحدة . ولذلك من الضروري أن يتخذ مجلس الأمن قراراً يوصم العدوان العربي ، ويمنع اي دولة من تأييده عسكرياً بصفة رسمية او غير رسمية ..

«.. ان المندوب البريطاني يقول لنا هنا في مجلس الأمن بان العدوان العربي المسلح (على فلسطين) لا يشكل خطراً على الامن والسلم في المنطقة ، ويرفض المندوب البريطاني اتخاذ اي اجراءات وعقوبات ضد هذا العدوان . ان بريطانيا قد اصبحت طرفاً في العدوان العربي . (على اليهود) . فقيادة الجيش العربي الاردني في يد البريطانيين وهم بذلك يتحدون قرارات الامم المتحدة بالقوة العسكرية ويساعدون العدوان ..

«.. كل العالم يعلم الآن بان الملك عبدالله (ملك شرقي الاردن) قد اصبح بمثابة « قيصر » الشرق الادنى يتحدى قرارات الامم المتحدة بالقوة العسكرية ، والملك عبدالله غير قادر بمفرده على مثل هذا التحدي لولا مساعدة بريطانيا له ..

«.. وبريطانيا ليست وحدها التي تتحدى قرارات الامم المتحدة وتقول بان العدوان (العربي) لا يهدد الأمن في المنطقة . فمندوب بلجيكا ومندوب الارجنتين قد افتيا بمثل هذا ايضاً امام مجلس الامن وقالا بان التدخل العربي المسلح لا يشكل خطراً على الامن . ان مواقف هذين المندوبين ومن هم على شاكلتهم في مجلس الأمن مزعج وعجيب . فمجلس الامن يتلقى الانباء تلو الانباء بان العدوان (العربي) خطر جسيم يهدد الحق (اليهودي) . اني ارى ان على مجلس الأمن ان يرسل مندوب بلجيكا الى فلسطين ليرى بعينيه حقائق العدوان (العربي) .. لقد وصلتني معلومات دقيقة مسهبة عن

نماذج هذا العدوان من البر والجو ... ومن الخير ان ترسل مندوب بريطانيا ومندوب الصين الى فلسطين ليروا بأعينهم حقائق العدوان فلا يصروا على التلطيف من خطورته ومن شروره .

«.. لقد تقدم البعض هنا بمقترحات حول تعيين وسيط دولي ليعالج النزاع في فلسطين بالحسنى . ان الاتحاد السوفياتي يرى ان مثل هذه الوساطة قد تؤثر على قرار التقسيم وتلغم الحق (اليهودي) ...

«.. اني لا أدري ما سيكون موقف الدول العربية اذا طلب اليهم مجلس الأمن وقف القتال ... اني اشك في استعداد الدول العربية على احترام قرار وقف القتال بغير ضمان من الأمم المتحدة بارغامهم عليه لئلا يعرقل العرب مولد الدولة (اليهودية) الجديدة والحق الشرعي (لليهود) ..

«.. كل ما على مجلس الأمن القيام به هو وضع حد للعدوان (العربي) المسلح بصورة فورية حازمة ، وخلق جو مناسب لتنفيذ قرار الأمم المتحدة بالتقسيم .»

هكذا كانت نوايا الاتحاد السوفياتي صريحة واضحة في أشد مواقف الحق العربي حرجاً أمام المتحدة . فالوطن الأم للاشتراكية العالمية (وهو الاتحاد السوفياتي) شديد القناعة وشديد العزم وشديد الحماس لحضانة الدولة اليهودية في فلسطين رغم كل هذه السفسطة والهراء في العقيدة الاشتراكية حول مكافحة الماركسية للصهيونية واعتبارها « صنيعة الاستعمار » .

والسوفيات كانوا (ولا يزالون) يعتقدون بأن مصلحة « الجماهير » العربية ومصلحة « الجماهير » اليهودية متجانسة قلباً وقالباً . وان نصرة العرب لارحامهم في فلسطين « عدوان » على الحق اليهودي . وان هذا العدوان مرجعه ان القيادات العربية عنصرية رجعية عميلة للاستعمار . فاذا زالت هذه القيادات زال معها أسباب العداء العربي للوطن اليهودي في فلسطين . وتعانق الجماهير العربية مع الجماهير اليهودية « في أخوة الكفاح ضد الاستعمار » .

هذه الحقيقة الاشتراكية يجب ان نتذكرها امس واليوم في الليل والنهار . فمعونة السوفيات للعرب في السلاح أو في الدبلوماسية مدفوع بغرض واحد هو مكافحة الاستعمار الغربي واستمالة العرب الى الحضانة السوفياتيـــة عن طريق العقيدة الاشتراكية . فليس غرض السوفيات وكل المعسكر الاشتراكي الدولي هو معونة العرب على استعادة حقهم في فلسطين او القضاء على الدولة اليهودية باسم « مكافحة الاستعمار »او باسم مكافحة الصهيونية. فقد ناصر السوفيات وكل الدول الاشتراكية العالمية نصراً عنيفاً متواصلا الحركة الصهيونية في ادق مراحل غدرها وغزوهـــا للحق العربي في فلسطين في اعوام ١٩٤٧/١٩٤٨، دبلوماسياً ودعاوياً وفي المعونة العسكرية الاشتراكيـــة المباشرة كما سنرى فيما بعد .

فلنذكر ذلك ونتذكره دومـــاً وأبداً لكي نكون على بينة من امر الاشتراكية العالمية واربابها وتلامذتها ونظمها عربية ام اجنبية .

والواقع ان الاتحاد السوفياتي ايام حرب فلسطين كان اشد عـداءً للحق العربي من أي طرف آخر – من الامريكان ومن الوكالة اليهودية نفسها .

فقد قبل الامريكان التعديـــلات التي ادخلت على مشروع قرارهم بردع التدخل العربي المسلح . وقبــل الامريكان استعمال الوسيط الدولي والمساعي الدبلوماسية بدلا عن العقوبات الاقتصادية والعسكرية ضد نجدة الدول العربية لاخوانهم عرب فلسطين.ولكن الاتحاد السوفياتي اصرعلى الردع الكامل العنيف، والحاق اشد العقوبة بالجانب العربي اذا اصر على « عدوانــه » على « الحق » اليهودي – كما قال السيد جروميكو مراراً وتكراراً في البيان الذي سجلناه آنفاً وفي بيانات عديدة متلاحقه اخرى، وثائق الامم حافلة بها في تلك الجلسات التاريخية الخطيرة .

وازاء هذا العناد السوفياتي وحماس حضانته للصهيونية امام مجلس الامن ، طرأ على التعديلات التي ادخلهـــا العرب واصدقاؤهم على مشروع الردع او

الوساطة الدوليـــة في فلسطين تعديلات اخرى اضعفت من الموقف العربي ، قانونياً وعسكرياً ودبلوماسياً .

ورفض العرب في النهاية قبول مشروع القرار المعـــدل الذي اقره مجلس الامن .

ففي جلسة ٢٦ مايو خاطب الدكتور محمود فوزي مجلس الأمن بما يلي :[١]
« ان الحكومة المصرية وبقية الدول العربية مستعدة لقبول وقف القتال اذا كان في ذلك تمهيداً لحل عادل منصف للمسألة الفلسطينيـــة . ولو ان مجلس الأمن يمنع استيراد السلاح والعتاد من الخارج وتوصيله إلى ايدي الصهيونيـــة الارهابية ، فان الحكومة المصرية ستكون على اتم الاستعداد لوقف القتال . كل مـــا نرجوه ان لا يقوم مجلس الامن بالاجحاف بالحل المنصف للقضية الفلسطينية استناداً الى رغبة الاكثرية الساحقة من اهل البلد » .

وجدير بالذكر ان الدول الاشتراكية كانت قـد بدأت تصدير السلاح الى الصهيونيين في فلسطين، وترحيل الشباب اليهود المدربين على العمل العسكري والغدر الارهابي من بولنده ورومانيا ومن الاتحاد السوفياتي نفسه .

وتدخل مندوب العراق في المناقشة فنقل الى مجلس الامن جواباً رسمياً بعثت به جامعة الدول العربية رداً على مسألة وقف القتال ، فقال [٢]:

« باسم الدول العربية فاني مكلف بان اعلم مجلس الأمن بانها مستعـــدة للتعاون مع مجلس الامن في (وقف القتال) شرط ان لا يكـــون في الامر خديعـــة تعطي لخصوم الحق العربي فرصة استجلاب السلاح من انصارهم في الخارج والاستحكام الداخلي لاعمال الغدر والارهاب . ان القالب الذي تطور

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن – السنة الثالثة . رقم ٧٤ .
(٢) نفس المرجع صفحة ٤٩ .

اليه مشروع وقف القتـال مشروع لا يعطي لعرب فلسطين ولا لعرب الديار المجاورة اي ضمانات حول هذه الهواجس التي تخامرهم » .

حتى هذا الموقف العربي الهادىء وهذه الشكوك المعقولة التي اعرب عنها مندوب العراق وجدت معارضة شديدة عنيفة من الدول الاشتراكية في مجلس الامن . فتصدى مندوب « اكرانيا » وهي صنيعة موسكو قلبـا وقالباً فرد على المندوبين العرب امام مجلس الامن فقال المندوب الاكراني ما يلي : [1]

« اننا امام موقف (عربي) غريب . فبدلا من ان يقـوم مجلس الامن بارغام الدول المعتدية (العربية) على الامتثال لسلوك مضبوط ، وبدلا من ان يقوم مجلس الامن بفرض الشروط على الدول تقوم بكل حضانة واستهتـار بفرض شروطها على مجلس الامن .

ان الدول المعتدية (العربية) تطلب منا تحديد مدة وقف القتال لمدة ٤٨ ساعة . واكبر الظن ان هذه لعبة سيكررها المعتدون المرة تلو المرة . »

وزاد مندوب السوفيات نفسه الطعن في الموقف العربي فقـدم السيد « جروميكو » نفسه في جلسة ٢٧ مايو مشروع قرار رسمي الى مجلس الامن يطلب تأديب العرب فوراً « ووضع حد لاستهتارهم بهيبة الامم المتحدة . » وجاء في مقدمة هذا المشروع السوفياتي ما يلي :

« نظراً لان الدول العربية قد رفضت الامتثـال لقرار مجلس الامن بوقف القتال ، فان على مجلس الامن ان ... وإلا (العقوبة والقصاص ...) [2]

ورفض مجلس الامن قبول هذا المشروع السوفياتي الشديد في قساوتـه على حق العرب في الضمانات اذا اوقفت نجدتها لعرب فلسطين ـ وهو حق اقـل

---

(١) نفس المرجع السابق رقم ٧٥ ص ٧ وما بعد .

(٢) » » » في جلسة ٢٩ مايو جلسة مجلس الأمن العاشرة بعد المائة .

ما يقال فيه انه منطقي وقانوني ودبلوماسي وانساني خصوصاً وان اعمال الغدر اليهودي على عرب فلسطين العزل من السلاح كان غدراً متداخلا تذكيه المعونات العسكرية والبشرية السرية ، التي اخذت انباؤها ترد عن اوروبا الشرقية الاشتراكية في تلك الآونة الدقيقة من صراع العرب مع الغش الدولي ، والغش الماركسي بصفة استثنائية سافرة .

وفي نفس اليوم الذي قدم فيه السيد « جروميكو » مشروع قراره العنيف امام مجلس الامن (جلسة ٢٩ مايو) القى مندوب السوفيات السيد جروميكو (حبيب الاشتراكية العربية وزميلها ورائدها وشريكها في مكافحة الاستعمار والصهيونية هذه الايام) – القى السيد جروميكو بياناً عنيفاً فيه العن الاذى على الحق العربي وفيه أقسى الغدر لابسط مبادىء العدل والكياسة والانسانية :

قال « جروميكو » : [1]

« هذا الموقف الطارىء على فلسطين يجب ان لا يستمر . وعلى مجلس الامن ان يتخذ القرار ويصر على التنفيذ بكل الوسائل . فالموقف الطارىء هو قيام دول اجنبية (اي الدول العربية) بالعمليات العسكرية والعدوان ضد الدولة اليهودية الجديدة . والقصد العربي هو الحيلولة دون بقاء الدولة الـتي اوصى بقيامها قرار الجمعية العامة في ٢٩ نوفمبر (قرار التقسيم) ...

«لقد حاول مجلس الامن في قرار ٢٢ مايو وقرارات عديدة اخرى دعوة الدول المعنية بالامر (العرب) لوضع حد لعدوانهم العسكري . ولكن هذه القرارات بقيت حبراً على ورق . ان الدول العربية الـتي غزت فلسطين عسكرياً انما تتحدى قرارات مجلس الامن ...

«ليست هذه اول مرة نظمت فيها الدول العربية الغزو العسكري لفلسطين،

---

(١) محاضر جلسات مجلس الامن ـ السنة الثالثة ـ رقم ٧٧ من صفحة ١ الى صفحة ٩

او تجاهلت قرارات مجلس الامن والجمعية العامة . ان الاتحاد السوفياتي يرى ان من واجبه ان يسجل هنا رأيه الصريح والدقيق في هـذا العبث العربي بقرارات الامم المتحدة . وليست من صالح الامم المتحدة ان تصفح او تصبر طويلاً على هذا العبث العربي . بل يجب عليها ان تضع حداً نهائيـاً له . ولذا فان الاتحاد السوفياتي يقدم مشروع القرار الذي امامكم بقصد وضع حـد لهذا الاستهتار العربي .

«.. ان بعض الدول هنا في مجلس الامن تبدي ميوعـة وترددا في ردع العدوان العربي . وهذا التقاعس يضر بالامم المتحدة وهيبتها. ومن الضروري ان نردع المعتدي (العربي) . والاتحاد السوفياتي عازم على ذلك .

«.. ان اي قرار او اجراء يتخذه مجلس الامن لمعالجة هذا الموقف الطارىء (التدخل العربي) يجب ان يكون مؤيداً لا ناقضاً لقرار الجمعية العامة الداعي الى تقسيم فلسطين وصيانة الدولة اليهودية الجديدة ...

«.. ان الوفد البريطاني قد قدم مشروعاً امامنا في مجلس الامن يدعـو الدول الاعضاء للحيلولة بين مواطنيها اليهود وبين الهجرة الى فلسطين في هذه الآونة ، انتظاراً لما يرفعه الوسيط الدولي من نواصٍ عن الموقف الفلسطيني . ان وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين امر لا نرضاه . فقـد اصبح لليهود الآن دولة رسمية نحن معترفون قانونياً بها . فلا يحق لنا ان نمنع اليهود من الهجرة الى بلدهم ...

«.. قد يكون من المعقول ان نستمع الى آراء المندوب البريطاني لأن حكومته ذات معرفة وخبرة طويلة بالقضية الفلسطينية .. ولكننا لا نرى إلا الشر في دعوة المندوب البريطاني الى وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين الآن.. هل يدرك المندوب البريطاني ان وقف الهجرة اليهودية الآن معناه وضع اليهود تحت رحمة العرب ، وحدوث مذابح وضحايا من اليهود في فلسطين ... يجب

علينا ان نحذر من هذا الرأي البريطاني ... لقد لعب البريطانيون دوراً منافقاً في القضية الفلسطينية ، ومنعت أهل فلسطين من الحصول على استقلالهم ، واليوم يأتي المندوب البريطاني فيحاول عرقـلة مولد الدولة الجديدة المستقلة (اليهودية) .

«.. ان وقف الهجرة اليهودية الآن الى فلسطين كما يقترح المندوب البريطاني علينا هو عمل غير قانوني . فمن حق الدولة اليهودية ان تفعل مـا تشاء في مسألة الهجرة لديارها . ان الدولة اليهودية الجديدة حقيقة قانونية نعترف بها ، ولا يحق لمجلس الأمن ان يفرض على هذه الدولة الجديدة أموراً ليست من اختصاص الأمم المتحدة — أمور هي من الحق الداخـلي للدولة المستقلة ... وحتى لو اتخذ مجلس الأمن مثل هذا القرار (ضد الهجرة اليهودية) فإنـه سيظل حبراً على ورق ، وكلاماً أجوف لا نفع فيه ...

«.. ان بريطانيا والعرب يريدون عرقلة الدولة اليهودية الجديدة ومنعهـا من الوقوف على أقدامهـا ، وزيادة التوتر في فلسطين وحمل الأمم المتحدة على الغاء قرار التقسيم وعدم الاعتراف بالدولة اليهودية الجديدة ، وايجاد حل آخر يتوخى مثل هذا الأذى على الحقوق اليهودية . ان على الأمم المتحدة ان تناصر ضحايا العدوان وهم اليهود ، ومعاقبة المعتدين (العرب) ووضع حـد لكل مسعى آخر يناصر المعتدين ..

« .. ان المشروع البريطاني هو بمثابة فرض عقوبات على الدولة اليهودية الجديدة . مثل هذه العقوبات يجب ان تفرض على المعتدين العرب ... فهل تريد بريطانيا ان تصب الوقود على النـار الفلسطينية أم تريد نصرة الحق اليهودي ؟... ان بريطانيا أخذت الآن تغازل العرب وتتجاهل بل تهدر حقوق اليهود وتعبث بقرارات الامم المتحدة . ان مصلحة العرب واليهود هي في مكافحة الاستعمار وفي أخوة الجماهير الشعبية المتحررة من كلا الشعبين ... ان مصر لا تزال عـاجزة عن التخلص من القاعدة العسكرية البريطانية في

بلادها ... فعلى العرب ان يتخلصوا من الاستعمار الاجنبي ، وإلا سيكون الموقف مضحكاً وهزلياً ... فخصم العرب هو الاستعمار لا الجماهير اليهودية .. فمعارضة العرب لمولد دولة يهودية ودولة عربيـــة في فلسطين لا يخدم إلا الاستعمار ..

« .. إن المندوبين العرب الذين يتحدثون أمامنا باسم العـــالم العربي واسم الشرق العربي انما يخدمون الاستعمار إذا رفضوا قيام الدولة اليهودية الجديدة وستحاسبهم الاجيال القادمة على هذا الوزر .

« .. إن العدوان (العربي) المسلح على فلسطين مغامرة حاكتها الاوساط الحاكمة في البلاد العربية ومن ورائهم الحكومة البريطانية ... ولذلـك رأى الاتحاد السوفياتي تقديم مشروع قرار الى مجلس الامن يأمر الدول العربية ان توقف عدوانها على فلسطين خلال ٣٦ ساعة . ونحن نرى ان لمجلس الامن كل الحق وكل الواجب بتحميل العرب مسؤولية العدوان ... »

وهكذا رأى الغش السوفياتي بأقوال زعيم المعسكر الاشتراكي والكاهن الاكبر للعقيدة الاشتراكية الثورية بان نجدة العرب لاخوانهم في فلسطين عمل استعماري رجعي ودسيسة بريطانية ايضاً . فتحت شعار مكافحة الاستعمار والرجعية لا يجد العقل الاشتراكي أدنى حرج في تزوير الحقائق وتشويه الاهداف والمقاصد العربية وخدمة مآرب الصهيونية الاستعمارية واليهودية العالمية التي هي اصل المستنبط للفكر الاشتراكي الثوري والبيعة الاشتراكية بكل ما تفرع عنهـا من اسباط ونحل ومنهـا المدرسة الاشتراكية العربية ايضاً . وهذا الغش اليهودي الماركسي لم يجد أدنى حرج ايضاً في التمسح بالمعاذير الدينية لغدر العرب واتهامهم بالعدوان واثارة مشاعر الاوساط الدينية حول مصير الآثار الدينية وصبغة القداسة الروحية لبيت المقدس . ففي نفس الخطاب الخطير الذي نحن بصدده تابع مندوب السوفيات « اندريه جروميكو » حملته على

العرب باسم الدين هذه المرة بالإضافة الى شعار مكافحة الاستعمار . قـــال « جروميكو » :

« ان الصراع في فلسطين تتحداه الرجعية العربية والاستعمار ، مما جعل مجلس الامن مشلول النشاط التنفيذي ومقيدة ايديه لحمـاية القدس وضواحيها، وهي التي تعتبر ذات مركز استثنائي بالنسبة للاديان . فهل وصل العجز عند الامم المتحدة بحيث اخذت لا تعبؤ بالضرر الذي سيصيب العقائد الدينية في القدس بسبب العدوان العربي المسلح ؟..

«وهل نسي مندوب الارجنتين بان في بلاده اغلبية كاثوليكية كبيرة يهمها ان لا تصاب المراكز الدينية في القدس باي اذى ؟ وهل نسي مندوب الولايات المتحدة ومندوب بريطانيا ان الجماعات البروتستانية في بلادهم قلقة على مصير الاماكن المقدسة في فلسطين المعرضة الآن للعدوان (العربي) ؟ وهل نفهم من فتور هذه الدول بان الكنيسة الانجليكانية البروتسانيـة لا تهتم بأمر الاماكن المقدسة مثل ما تهتم به الكنيسة الكاثوليكية ؟ .. ام ان العالم بأسره ينتظر من دعاة الالحاد ان يقوموا بمفردهم بالدفاع عن حرمـــة الاماكن المقدسة في فلسطين ، خصوصاً وان ممثلي الدول البروتستانية والكاثوليـة في مجلس الامن هنا اختاروا ان لا يرفعوا اصابعهم في معونة الاتحاد السوفياتي على صيانـــة معاقل الدين في فلسطين . »

هذه الانتهازية الدعاوية القبيحة التي استخدم فيها مندوب السوفيـــات الالحادي مشاعر الدين واهله للطعن في الحق العربي ، هذه الوقاحة السياسية التي اندفع فيها الحماس الاشتراكي الملحد لنصرة الصهيونية باسم البروتستانيـة والكاثوليكية اثارت مشاعر المندوبين العرب آنئذ بشكل عنيف . فتدخل المرحوم السيد فارس الخوري رئيس الوفد السوري وهو من الكنيسة الارثوذكسية التي سحقها السوفيات سحقاً لعيناً . فقال فارس بك في جلسة ٢٩ مايو رداً

على تحديات السوفيات وغشه الدعاوي : [١]

« لقد وصلت الى الامين العام للامم المتحدة برقيات واخبار عن عبث الصهيونيين بالاماكن المقدسة في غدرهم الارهابي ضد اهل البلاد العرب العزل من السلاح . وقد قرأ الامين العام لكم بعض تلك البرقيات والانباء . واني اود ان اقرأ لكم نص برقية تلقيتها من الملك عبدالله ملك شرقي الاردن هذا نصها:

« استعمل اليهود كنيساً كبيراً كنقطة عسكرية لهم يتحصنون بها في مدينة القدس القديمة سيلقون منها النار على الاماكن المسيحية المقدسة وعلى مسجد الصخرة والمسجد الكبير في القدس . لقد طهرنا مدينة القدس القديمة من عصابات الهاجاناة وغيرها في الوقت الحاضر . فالاماكن المقدسة التابعة لجميع الطوائف هي الآن في امن . »

وتاريخ هذه البرقية من الملك عبدالله هو اليوم في الساعة العاشرة .

«.. ان مندوب الاتحاد السوفياتي اتهمنا صباح هذا اليوم في مجلس الامن باننا نعبث بقرارات الامم المتحدة . وقال بان وفود كندا والارجنتين والبلجيك وغيرهم متواطؤون مع العرب في هدر قرارات الامم المتحدة. واني اود ان اقول لمندوب الاتحاد السوفياتي بان هذه الدول الصغيرة لا تعبث باعمال الامم المتحدة ، وانما مصدر العبث والغش هو الدول الكبرى ..كل انسان هنا يعلم ويدرك ان هذا العبث يصدر عن دولة كبرى (هي الاتحاد السوفياتي) ...

«.. ان مندوب الاتحاد السوفياتي يذكرنا الآن بأن حكومته قد سبقت لها وايدت الدول العربية فيما يتعلق بموقف مصر من الجنود البريطانية على ارضها ... وموقف سوريا ولبنان من الجيوش الفرنسية والبريطانية ايضاً

---

(١) نفس المرجع صفحة ١٧ وما بعده ،

اننا قدرنا وشكرنا دائماً للاتحاد السوفياتي تأييده لنا في خصومتنا مع الاستعمار الاجنبي لكننا لا نفهم لماذا يعارضنا الاتحاد السوفياتي الآن في صراعنا على التخلص من الاستعمار الصهيوني وهو ايضاً احتلال اجنبي لعين ... ان الاتحاد السوفياتي يؤيد ويناصر ويحتضن اشد الحضانة هذا الاستعمار الصهيوني، ويحاول اعطاء الصهيونية حقوقاً قانونية ودبلوماسية هي ملك للعرب اهل فلسطين . انه يحاول ان يعطي لليهود موقفاً ممتازاً على حساب الجانب العربي.

« ... واستناداً الى هذا التناقض في موقف الاتحاد السوفياتي فان لنا ان نعتبر بان تأييد السوفيات للعرب (في مسألة القوات العسكرية البريطانية في مصر والفرنسية في سوريا ولبنان) لم يكن تأييداً خالصاً ولا بدافع العطف والحب للعرب وانما بدافع الحقد على بريطانيا وفرنسا . ولذلك فاننا نشك في مدى اخلاص الاتحاد السوفياتي نحو المبادىء او نحو الصالح العربي .. ويبدو ان للاتحاد السوفياتي مآرب اخرى « غير العطف والود للعرب » في مكافحة الاستعمار الاجنبي في الشرق الادنى . وهذا المأرب السوفياتي هو منافسة خصومه الغربيين . فموقف الاتحاد السوفياتي من الاستعمار في الشرق الادنى ليست مقاصده الدفاع عن حقوق الشعوب الضعيفة وانما ازالة نفوذ خصوم السوفيات في المنطقة ... هذه المآرب السوفياتية قد اصبحت واضحة جلية لنا الآن مما يدفعنا لأن نعيد النظر في تقديرنا لسياسة الاتحاد السوفياتي ومواقفه.

« ... ان مندوب الاتحاد السوفياتي يحرض الدول التي تتردد في انزال العقوبات بالعرب ويقول لهم بان مثل هذا التردد سيزيد الموقف في فلسطين تعقداً . اني اتحدى هذا المنطق السوفياتي واجادله فاقول بان الحقائق تنكر هذا الرأي السوفياتي وتنفر منه .

«نحن الآن في مجلس الأمن امام اتجاهين : احدهما يدعو الى الحزم والشدة ويقول بانزال العقوبات بالعرب اذا لم يقبلوا بمشيئة اليهود ومآربهم . ويتزعم هذا الرأي وفد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، والاتجاه الثاني يدعو

الى الوساطة الدولية وفض النزعات بالطرق السلمية .

«.. ان دعاة الشدة على العرب يقولون بان نجدة الدول العربية لاخوانهم اهل فلسطين يشكل خطراً على الامن والسلم الدولي . اني لا ارى اي وجه منطقي او قانوني لأصحاب هذا الرأي .

«.. ان الموقف في فلسطين الآن لا يعتبر « موقفاً دولياً » طالما ان النزاع ليس بين دول . وانما بين اصحاب الحق العربي وبين حركة صهيونية ارهابية. فالنزاعات لا تصبح «دولية» إلا في واحدة من حالتين : فأما ان يكون اليهود هم وحدهم ورثاء للاستقلال في فلسطين وان « دولتهم » هي النظام الشرعي الدولي لفلسطين فاذا تدخلت الدول العربية في الامر فان هذا التدخل « عدوان » على دولة اخرى هي « الدولة اليهودية » . والحالة الثانية التي يمكن ان يتطور فيها الوضع الفلسطيني الراهن الى « موقف دولي » يعرض السلم والامن الى الخطر هو في حالة قيام الولايات المتحدة او غيرها من الدول باعلان الحرب على العرب وانزال الجيوش في فلسطين .

« والواقع الان في فلسطين لا تنطبق عليه أي الحالتين . فاليهود لا زالوا شرذمة اقلية في بلد ليس لهم . فكيف يعتبرهم الاتحاد السوفياتي « دولة » شرعية يعتدي العرب عليها؟ ويطلب من الامم المتحدة انزال العقوبات بالعرب. هذه الدعوة السوفياتية مخالفة للمنطق والحقائق والقانون . ويجب على الامم المتحدة ان تكتشف مآرب السوفيات وغيرهم من هذا الهوى والغرض وتحوير الحقائق .

« فاذا كان مندوب الاتحاد السوفياتي او مندوب امريكا يعتبر الموقف في فلسطين « دولياً » يستدعي تدخل الامم المتحدة ، فيجب قبل كل شيء ان نحدد بالضبط الوضع الاساسي القانوني لفلسطين الآن (بعد زوال الانتداب البريطاني واستعادة عرب فلسطين وهم الاكثرية حقهم في السيادة مما يجعلهم

بلا جدال اصحاب البلد في الشرع والمنطق والقانون والحق الطبيعي) . ولقد طلبت مراراً من الامم المتحدة ان تسمح لنا اخذ رأي محكمة العدل الدولية العليا بصواب منطقنا فيما يتعلق بالصفة القانونية الدولية لفلسطين واهلها بعد زوال الانتداب . (ولكن الاتحاد السوفياتي كافحنا في حقنا بالحصول على مثل هذه المشورة من محكمة الدول الدولية العليا) . فلماذا اذن انشأت محكمة العدل الدولية اذا كان الاقوياء في مجلس الأمن يحولون بيننا وبين استشارة هذا المرجع القضائي العتيد في المحكمة الدولية .

«.. لقد اصبح واضحاً ان الاتحاد السوفياتي لا يريد الانصاف . فقد كرر المندوب السوفياتي قوله المرة تلو المرة بان « الدولة » اليهودية قد ولدت بموجب قرار الجمعية العامة للامم المتحدة في نوفمبر الماضي (١٩٤٧) . ولقد وجدت من واجبي ان اكرر انا ايضاً تفنيد هذا المنطق السوفياتي . فقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ليست سوى مجرد تواصي لا يمكن ان تمنح حقوقاً جديدة استثنائية لأي انسان .

«وفضلا عن هذا فان الجمعية العامة نفسها قد صححت موقفها (بشأن قرار التقسيم) فاصدرت قراراً آخر (في الجلسة الاستثنائية الثانية) فاهملت قرار التقسيم واتخذت بديلا عنه قراراً آخر يوصي بحل لجنة الأمم المتحدة لفلسطين التي كلفت بتنفيذ قرار التقسيم... وقد الغي قرار التقسيم ولجنته باغلبية اصوات الجمعية العامة (٣٢ صوتاً ضد سبعة اصوات بما فيها صوت الاتحاد السوفياتي). ثم اكدت الجمعية العامة في قرارها الصادر في ١٤ مايو ١٩٤٨ بانها قد تخلت عن مشروع التقسيم بعد ان اصدرت قرارها الداعي الى تعيين وسيط دولي لفض النزاع الفلسطيني ... ولقد شرح مندوب كولومبيا امس مقتبساً فقرات من قرار ١٤ مايو ليثبت بان الجمعية العامة قد الغت قرار التقسيم .

«.. لقد شرحنا نحن العرب بان فلسطين بلدنا بلد عربي خالص لم ينفصل عن سوريا بل كان ولاية من سوريا . ولم يطرأ عليه سوى فساد المآرب

الاستعمارية التي فرضت الانتداب الاجنبي عليه. وقد زال هذا الانتداب اليوم فمن المنطق والحق ان يعود إلى الحق العربي صفته الشرعية التاريخية الاصلية .

«.. اني اسأل مندوب الاتحاد السوفياتي : إذا لم تكن فلسطين بلداً عربياً فهي ملك لمن ؟.. هل هي ملك امريكا أم ملك الاتحاد السوفياتي حتى يمنحوها لليهود !.

«.. ولو فرضنا من باب الجدل بأن فلسطين ليست ملكاً للعرب ولا ملكاً للسوفيات فمن يملكها إذن ؟ يملكها أهلها وسكانها الذين لهم وحدهم الحق في تقرير مصير البـلد . والأغلبية الساحقة من أهل فلسطين استنجدوا بسوريا وبالدول العربية للمجيء الى فلسطين لمعونتهم في ظرف عصيب ولمساندتهم في حق تقرير مصيرهم في ديارهم .

«.. نحن العرب لا نتعامى عن بعض الظروف الخاصة التي تحيط بالقضية الفلسطينية ، كمسألة المصالح الدينية المسيحية والاسلامية واليهودية ومسائل فرعية أخرى . وقد أبدينا، استعدادنا واهتمامنا برعاية هذه الظروف والمصالح الخاصة، وقدمنـا عدة مقترحات عملية بصدد ذلك بغية الوصول الى حلول سلمية للقضية الفلسطينية . والسبب الوحيد في ان مقترحاتنا لم توافق عليها الأمم المتحدة هو ان اليهود وأنصارهم يعارضون مساعينا للوصول الى تسوية عادلة .

«لقد اقترحنا وضع دستور اتحادي لفلسطين على غرار دستور الولايات المتحدة . فرفضه اليهود .

«لقد اقترحنا خلق مناطق ذات حكم مجلس خاص في إطار الوحدة الجغرافية والاقتصادية والسياسية لفلسطين على غرار النظام السويسري الاتحـادي . فرفضه اليهود .

«ولقد استمرت مساعينا ومضينا في استنباط الجهد والمقترحات . ثم تدخل

مجلس الأمن فدعا الى الهدنة. ، فرضينا بالهدنة تحت شروط معقولة . ووافقت لجنة الهدنة الفلسطينية على ذلك . ثم عاد مجلس الأمن فخلق لنا قراراً آخر يطلب منا الهدنة بلا شروط وضمانات . حتى هذا القرار رفضه اليهود .

«فهل من العدل والانصاف ان نترك المآرب والمطامع اليهودية تفرض نفسها على الجمعية العامة وعلى مجلس الأمن بينما ينفرد البعض (كالاتحاد السوفياتي) بتحدي العرب والعرب وحدهم لكي يتركوا اليهود يأمرون وينهون ويفرضون مآربهم على فلسطين وأهلها ؟.

«.. من الطبيعي كما قال مندوب لبنان أمس هنا في مجلس الأمن بأن في استطاعة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان يفرضوا بالقوة العسكرية أي معارضة عربية لحلول لا يرضاهـا أهل فلسطين العرب . فالعرب عزل من السلاح فكيف يستطيعون ان يقفوا في وجه القوى العسكريـة الأمريكية والسوفياتية . حتى هتلر وبأسه عجز ان يصمد أمام هذه القوة المشتركة .

«ولو علم العرب مبكراً بأن خصومهم هم امريكا والاتحاد السوفياتي معاً ، لكان موقف العرب غير مـا هو عليه الآن . فقد كنا نظن اننا نتعامل في فلسطين مع جماعة من الضيوف (اليهود) يعيشون في فلسطين العربية ، ومهما اشتطوا في دلال مطالبهم فاننا نحن العرب قادرون على ضبط ذلك الشطط الصهيوني .

«ولو فرضنا بأن السوفيات وغيرهم استطاعوا حمل العرب بالقوة العسكرية على قبول مآرب الصهيونية ، فان القوة العسكرية وحدها لا تكفي لكبح الغضب العربي طويلا .فستعود قوات الأمم المتحدة من فلسطين وتتركها عاجلا أم آجلا، وسيعود الغضب العربي الى سابق حدته .فالقوة العسكرية الدولية لا تستطيع ضمان السلم غير العادل الى الأبد .. وليس من وظائف مجلس الأمن ان يقهر الحقوق بالقوة العسكرية كما يطالب مندوب السوفيات .

والسلام الذي لايستند الى العدل سلام زائف. فالسلام والأمن الصحيح هو الذي يكون اصوله العدل والانصاف . ان مندوب الاتحاد السوفياتي لم يعبأ بهذه الحقيقة . فهو لا يريد معالجة قضية فلسطين على اساس العدل ، وانما على اساس التحيز لاسرائيل او على اساس شعارات مكافحة الاستعمار والرجعية . ان الاتحاد السوفياتي في موقفه يشجع وينصر الباطل والعدوان الصهيوني، ويزيد من حـدة التوتر في الموقف الفلسطيني ، فلا يخدم السلم ولا يمتثل الى العدل والانصاف .

«.. ان على اعضاء الامم المتحدة واجبين : اولهما ابداء وجهة النظر الرسمية لحكومتهم ،والثاني الدفاع الجماعي عن مبادىء العدل والحق والانصاف. ان الاتحاد السوفياتي ومعه الولايات المتحدة الامريكية يحاولان فرض رأيهما الخاص على كل الامم المتحدة، لا نصرة العدل والانصاف . نحن نعلم ان ليس في المعمورة كلها من يستطيع ان يتحدى بنجاح القوة العسكرية الهائلة التي يمتلكها الأمريكان والسوفيات . ولكن كلا الدولتين لا يمكن ان تمثلا ارادة الدول الاعضاء في الامم المتحدة جميعاً .

« كل الذي طلبناه هو العدل والقانون . ومشروع القرار السوفياتي الذي يطلب من الامم المتحدة فرض العقوبات على العرب والزامهم بالظلم وهدر حقوقهم امر لا يستند الى العدل او القانون . ولذلك فاننا سنرفض هذا المشروع السوفياتي .»

وفي نفس الجلسة لمجلس الأمن (٢٩ مايو ١٩٤٨) نشب جدال عنيف بين المندوب المصري « الدكتور محمود فوزي » وبين المندوب السوفياتي « اندريه جروميكو » ، وكلاهما اليوم وزير للخارجية في بلد اشتراكي . وسبب الجدال ما اذيع في اوساط الامم المتحدة آنئذ بأن الاتحاد السوفياني والدول الاشتراكية الاخرى لن تكتفي بارسال المهاجرين اليهود الشبان المدربين على العمل العسكري وعلى الارهاب في اوروبا الشرقية الى فلسطين لتعزيز الغدر

الصهيوني. بل ان المعسكر الاشتراكي كان عازماً على ارسال وحدات عسكرية نظامية لنجدة اليهود في فلسطين ، او ارسال المتطوعين من الجيوش النظامية الاشتراكية .

وتقدم مندوب الولايات المتحـدة بتعديل لمشروع قراره الخاص بوقف القتال، يأخذ بعين الاعتبار هذا التطور المحتمل الذي خلقه الموقف السوفياتي، وما اشاعه من عزم على التدخل العسكري المباشر في فلسطين الى جانب اليهود اذا فشل مجلس الأمن في ردع الجيوش العربية وصيانة « الدولة اليهودية » . هذا فضلا عن ان الدول الاشتراكية نشطت نشاطاً هائلا في ارسال الشباب اليهود المدربين عسكرياً في اوروبا الشرقية الشيوعية في المنظمات الصهيونية الشبيهة بالعسكرية التي كانت لها معسكرات علنية للتدريب في كل بلد اشتراكي، رغم ما كان يشاع عن عداء الاتحاد السوفياتي والاشتراكيين الماركسيين جميعهم للحركة الصهيونية .

اما التعديل الأمريكي فقد نص على ما يلي : [1]

« ان على مجلس الأمن ان يطلب من جميع الدول والسلطات المعنية بالامر الأمتناع عن ارسال المقاتلين من الرجال ذوي السن العسكرية الى فلسطين او الى مصر والعراق ولبنان والسعودية وسوريا وشرقي الاردن واليمن . »

وطلب الدكتور فوزي ايضاحات حول معنى هذا التعديل لأنه غامض ، فقال [2] :

« قبل ان ابدأ في التعليق على هذا التعديل اود ان افهم معناه هل هذا التعديل يعني ان هناك مقاتلين في سن عسكرية يدخلون مصر الآن ؟ اود ان تشرحوا لي ماذا تريدون من هذا التعديل ؟ ربما ان لغتي الانجليزية

---

(١) جلسات مجلس الامن ـ السنة الثالثة ـ جلسة ٢٩ مايو ١٩٤٨ صفحة ٤٠ وما بعد .
(٢) نفس المرجع السابق .

ضعيفة فلا افهم كلامكم ، ولكني اريد ان تشرحوا لي ما معنى هذا التعديل الذي يقترحه الوفد الامريكي .

ولم ينتظر مندوب السوفيات « السيد جروميكو » حتى يشرح المندوب الأمريكي ما يعني بتعديله الآنف الذكر ، فانتفض « جروميكو » يقول : [١]

« في رأيي ان هذا التعديل الأمريكي هو أبعد ما يمكن ان يقبله الاتحاد السوفياتي .. لأن هذا التعديل موجه ضد المصلحة اليهودية وضد اليهود ..

« ان المندوب المصري يتظاهر بأنه معارض للتعديل . أكبر الظن ان المندوب المصري يفعل ذلك من باب التمثيل والمخادعة .. فالجميع يعلم بأن هذا التعديل الامريكي ليس موجهاً ضد العرب ، وإنما ضد مصالح اليهود . »

واستمر التدخل السوفياتي في مجلس الأمن لصالح اليهود سافراً متواصلاً ، خلق في الجو الدولي أول مرحلة خطيرة من مراحل الحرب الباردة التي قضت على زمالة السوفيات والغرب الرأسمالي في الحرب الاخيرة ضد النازية ، وهي زمالة أفادت اليهود فائدة قصوى ، كما ان زمالة السوفيات والامريكان في أول مراحل النقاش في الأمم المتحدة حول قضية فلسطين أفاد الحركة الصهيونية أفادة قصوى أيضاً. فلما صمد الحق العربي واعتمد على نفسه وأرسل الجيوش الى فلسطين لنصرة الارحام العرب تبدل موقف الامريكان نوعا ما ، واستمر السوفيات على حضانة سافرة عنيدة للمآرب الصهيونية ، التي طالما ادعى السوفيات والاشتراكيون جميعهم بأنها صنيعة الاستعمار والرأسمالية والرجعية الدينية واليهودية .

وأدرك الامريكان لاول مرة مطامع السوفيات في استغلال العرب واليهود معاً (او العناصر « التقدمية » العربية بالاحرى) للتسرب الى الشرق الادنى ، وحين حاولت واشنطون تفادي الامور وانقاذ مايمكن انقاذه من هذا التطور

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٠ وما بعد .

الجديد في المشكلة الفلسطينية ، كان النشاط الامريكي لمواجهة الظرف الطارىء نشاطاً متأخراً وضعيفاً وتافهاً أيضاً ، فقد تحالف الامريكان مع السوفيات تحالفاً كاملا في اول الأمر ، وجمعت اليهودية العالمية الغرب الرأسمالي مع الشرق الشيوعي لقهر الحق العربي في فلسطين ، ووضع دعائم الغزو الصهيوني في مستهل مراحل المسؤولية الدولية في الامم المتحدة ، وتركوا العرب بلا صديق ولا حليف ولا سند سوى قلق الآمال وسخافة الاعتقاد العربي بأن الحق يناله اللسان في مجلس الأمن وحظيرة الامم المتحدة ، لا السبق والتضحيات في ارض المعركة في فلسطين . فحين تكلم السيف العربي في فلسطين تراجع الغش الدولي نوعاً ما ، رغم الحاح السوفيات ، ورغم ضغط الدعاية اليهودية ، ورغم عهارة الرئيس ترومان في الاعتراف المبدئي بالدولة اليهودية ، وهو اعتراف اقل شأناً من الاعتراف القانوني الكامل الذي منحه الاتحاد السوفياتي للدولة اليهودية .

فبموجب قرار الهدنة كان في استطاعة امريكا ان تسحب اعترافها المؤقت « اعتراف الامر الواقع » للدولة اليهودية ، اما السوفيات والمعسكر الاشتراكي فقد كان ملتزماً قانونياً بموجب اعترافه الكامل ، بالدولة اليهودية ان يؤيدها ويقدم لها السلاح ويرسل لها الجيوش النظامية السوفياتية اذا طلبت « الدولة اليهودية » منه ذلك .

ولذا جاء مشروع قرار الهدنة المؤقتة (الذي اقترحه الامريكان في مجلس الأمن ، وجرى التصويت والموافقة عليه) مَطاطاً حاوياً لكثير من النقاط القابلة لشق التفسيرات . فلا غرابة في ذلك . فقد ادخل على مشروع القرار التعديل تلو التعديل بفضل التدخل السوفياتي وحماسه لنصرة الموقف الصهيوني ، والطعن في « عدوان » الدول العربية على فلسطين كما قال المندوب السوفياتي امام مجلس الأمن مراراً وتكراراً ، وكما رأينا في النصوص التي سجلنا طرفاً زهيداً منها في بيانات السيد جروميكو وغيره من مندوبي الكتلة الاشتراكية

التي كانت آنئذ خاضعة خضوعاً كاملا لقيادة موسكو ومشيئتها واهدافها وسياستها الخارجية والداخلية ايضاً .

وهذا نص قرار الهدنة : [١]

« ان مجلس الأمن :

رغبة منه في وضع حد للقتال في فلسطين بدون مساس لحقوق العرب او اليهود ومطالبهم ومواقفهم .

يدعو (مجلس الامن) جميع الحكومات والسلطات المعنية بالأمر باصدار التعليمات لوقف القتال لمدة اربعة اسابيع .

ويدعو جميع الحكومات والسلطات بان يتعهدوا بعدم السماح بادخال المقاتلين الى فلسطين ومصر والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وسوريا وشرقي الاردن واليمن طوال فترة الهدنة .

ويدعو جميع الحكومات والسلطات المعنية بانه في حالة قدوم رجال في سن صالحة للخدمة العسكرية ان يمتنعوا عن تجنيدهم او تدريبهم داخل اراضيهم (اي اراضي الدول المعنية بأمر فلسطين) .

ويدعو جميع الحكومات والسلطات بان تمتنع من تصدير السلاح او استيراده وكذلك العتاد العسكري من والي فلسطين ومصر والعراق ولبنان والسعودية وسوريا وشرقي الاردن واليمن طوال فترة الهدنة .

ويدعو جميع الحكومات والسلطات المعنية ان تتخذ كل الاحتياطات اللازمة لحماية الاماكن المقدسة ومدينة القدس، بما في ذلك حرية الوصول الى

(١) محاضر مجلس الامن رقم (٧٧) من صفحة ٣٨ وما بعد .

المعاقل الدينية والمزارات بقصد العبادة لمن لهم حق تقليدي بالزيارة والعبادة فيها .

ويكلف (مجلس الأمن) وسيط الامم المتحدة لفلسطين، متعاوناً مع لجنة الهدنة الفلسطينية ، بالاشراف والمراقبة لما جاء في القرار من نواص في اعلاه . كما ان على مجلس الامن ان يوفر للوسيط الدولي ولجنة الهدنة عدداً كافياً من المراقبين العسكريين .

ويكلف (مجلس الامن) الوسيط الدولي القيام بالاتصالات اللازمة مع جميع الاطراف المعنية بالأمر في حال سريان مفعول وقف القتال ، بغية قيام الوسيط الدولي بالمهام التي كلفته بها الجمعية العامة للامم المتحدة .

ويكلف (مجلس الامن) وسيط الامم المتحدة برفع تقارير اسبوعية الى مجلس الامن طوال مدة الهدنة .

ويرجو (مجلس الامن) من الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية ، ومن السلطات اليهودية والعربية في فلسطين بان يرسلوا موافقتهم على هذا القرار الى مجلس الامن في وقت لا يتجاوز الساعة السادسة مساءاً بتوقيت نيويورك من يوم اول يونيه ١٩٤٨ .

ويقرر (مجلس الامن) انه في حالة رفض الطرفين (او طرف واحد منهما) لهذا القرار ، او في حالة قبولهما له ثم التراجع عنه او خرقه ، فان الموقف في فلسطين يصبح موضع النظر (في مجلس الامن) بموجب الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة (الذي يفرض العقوبات ويسمح للامم المتحدة بالتدخل المباشر ضد الذي يخل بالقرار) .»

وقد قبل العرب واليهود هذا القرار – قرار الهدنة المؤقتة التي قرر لها اربعة اسابيع يقوم خلالها الوسيط الدولي (الكونت برنادوت) بالسعي لاحقاق الحق .

وقد باشر (الكونت برنادوت) مشاوراته مع الجانب العربي ومع اليهود حول الشروط التي تضبط عملية وقف القتال، كما اوصى قرار مجلس الامن . وكانت مشاورات الكونت برنادوت مرهقة متواصلة خلق اليهود له فيها مختلف المصاعب والمشاكل، فلم يتوصل هذا الارستقراطي السويدي الى قواعدلمهمته الا بعد عشرة أيام من اتخاذ مجلس الأمن قرار الهدنه التي اصبحت سارية المفعول ابتداء من ١١ يونية ١٩٤٨ .

ولن ندخل هنا في التعليق حول صواب الموقف العربي بقبولهم الهدنة المؤقتة والاعتماد على « عدالة » الامم المتحدة في احقاق الحق العربي ، بعد ان بدت نوايا العمالقة الكبـــار في الامم المتحدة وغشهم ودسائسهم وحضاناتهم للصهيونية جلية واضحة . فقد كان الجهد العربي كله في الحقل الدبلوماسي لخدمة القضية الفلسطينية جهداً صبيانياً لم يدرك حقيقـــة الضعف الجذري في قوة الامم المتحدة لارغام الناس على الامتثال للقرارات والنواصي والوساطات ومختلف القوالب والاساليب التي تجري عليها الامم المتحدة حين توجهها الايدي الخفية التي تعبث بالشؤون الدولية لمصالحها الانانية — سيان في ذلك المعسكر الاستعماري الغربي ام المعسكر السوفياتي الاشتراكي .

فلم تتعظ الدول العربية بالادله والقرائن والتجارب المريرة طوال عام بكامله من الكر والفر في دهاليز الامم المتحدة ومنابر الخطابة فيها . فسلمت الدول العربية مقادير الجماعة الفلسطينية الى « دهــاء » الدبلوماسيين لا الى سواعد النضال العسكري على ارض فلسطين نفسها — كما فعل اليهود ونجحوا ، ولم يجدوا ادنى حرج في اغتيال الوسيط الدولي نفسه (الكونت برنادوت) حين وقفت الدبلوماسية حجر عثرة في وجه الصهيونية الارهابية .

مساعي السوفيات لحضانة إسرائيل عسكريًا

تمشياً مع تواصي مجلس الامن في قرار ٢٩ مايو ١٩٤٨ بشأن مهام الوسيط الدولي ، قام الكونت « برنادوت » بالاتصال مع الدول الثلاث التي كانت لجنة الهدنة الفلسطينية مؤلفة منها، وهي الدول التي كان لها آنئذ قنصليات رسمية في القدس : الولايات المتحدة ، فرنسا وبلجيكا . وكان مجلس الأمن قد اوصى الوسيط الدولي بان يحصل على عدد كاف من المراقبين العسكريين لمعونته في الاشراف على هدنة وقف القتال للمدة التي اقرهـــا مجلس الأمن وهي اربعة اسابيع . واختار الكونت « برنادوت » ان يسأل حكومة السويـد ان توفر له عدداً من المراقبين العسكريين ايضاً لهذه الغايـة . والكونت « برنادوت » كما هو معروف من اعضاء الاسرة المالكة في السويد ، ورئيس لجنـة الصليب الاحمر الدولية ، وقد كان له ماضٍ جليل في اعمال السلم والخدمة الانسانيـة طوال سنوات الحرب العالمية الثانية وفي اعنف مراحل البطش النازي بالشعوب الأوروبية التي اصبحت فريسة للتوسع النازي ، بما فيهـــا مناطق شاسعة من الاتحاد السوفياتي نفسه .

ولم يكن في كل الوسط الدولي ، خارج الامم المتحدة وفي دهاليزهـا من يشك في امانة الكونت « برنادوت » في نصرة الحق او في نزاهة التنفيذ لمـا كلفه به مجلس الامن من مهام دقيقة .

ولكن الاتحاد السوفيات مضى في عناده على حضانة البيعة الصهيونية في كل صرخة وفي كل زاوية من معارج القضية الفلسطينية ومداخلها. فلم يمض على عمل الوسيط الدولي اسبوع واحد حتى نشط منــدوب الاتحاد السوفياتي « اندريه جروميكو » لوضع قدم سوفياتي في مسؤولية الكونت «برنادوت»، وهي مسؤولية المفروض فيها ان تكون منزهــة عن عبث الدول الكبرى التي اتخذت مواقف مؤيدة تأييداً سافراً لهذا الفريق او ذاك في النزاع الفلسطيني، كموقف الاتحاد السوفياتي بالنسبة للحركة الصهيونية ومآربها في فلسطين .

ففي جلسة مجلس الامن يوم ٦ يونيه ١٩٤٨ انبرى السيد « جروميكو » يتحدى الكونت« برنادوت »في مسألة المراقبين العسكريين للهدنة الفلسطينية المؤقتة . واعلن السيد « جروميكو » في كلام صريح بان الاتحاد السوفياتي على اتم الاستعداد لوضع قوات عسكرية تحت تصرف الكونت « برنادوت » لضمان انسحاب المعتدين (العرب) على فلسطين ... [(١)]

قال « جروميكو » :

« ... لقد سبق لي واشرت هنا في مجلس الامن بان الاتحاد السوفياتي على اتم الاستعداد للمساهمة الفعالة في تنفيــذ قرار مجلس الامن (لردع العرب وإخراج الجيوش العربية) .

«.. واني ارى الآن ان من واجبي التوكيد مرة اخرى على استعدادنــا لتنفيذ ما اوصى به مجلس الامن تنفيذاً كاملاً . ولذا فيجب علينا هنا في مجلس الأمن الآن ان نبحث بالتفصيل الوسائل التي يجب على الوسيط الدولي (الكونت برنادوت) ولجنة الهدنة الفلسطينية القيام بها ...

«.. هذه مسألة مهمة بالنسبة للاتحاد السوفياتي... اننا نرفض ان يكون

---

(١) بيان مندوب الاتحاد السوفياتي في محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة رقم (٨٠) صفحة (٣) وما بعد .

المراقبون العسكريون الذين سيساعدون الوسيط الدولي محصورين في الدول التي لها قناصل في مدينة القدس . ان الاتحاد السوفياتي متعاوناً مع الدول الاشتراكية الاخرى شديد الرغبة في ان يرسل المراقبين العسكريين لتنفيــذ قرار مجلس الامن والتيقن من ان مهام الوسيط الدولي يجري تنفيذها على النحو الذي ترضى عنه ... »

والشيء الوحيد الذي يرضى عنه الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تعيش في كنفه كان صيانة الدولة اليهودية الجديدة التي اعترفوا بها اعترافــاً قانونياً كاملاً ، واعلنوا في كل المناسبات داخل الامم المتحــدة وخارجها باستعدادهم لحضانتها دبلوماسياً وعسكرياً ايضاً. فقد كانت الدول الاشتراكية في تلك الآونة بالذات سخية في تزويد « الدولة » التي اعلنها الصهيونيون في فلسطين بالسلاح وبالشباب اليهودي المدرب في اوروبا الشرقية التي كانت خاضعة خضوعاً كاملاً للاتحاد السوفياتي .

وعاد مندوب السوفيات السيد « جروميكو » يلح على مجلس الامن المرة تلو المرة بضرورة مشاركة القوات العسكرية السوفياتية كمراقبين عسكريين في بطانة الكونت « برنادوت » ، ليضمن السوفيات انسحاب الجيوش العربيــة وعدم حدوث اي اذى على اليهود في فلسطين . ففي جلسة ١٠ يونيه ناشد جروميكو مجلس الامن بما يلي : [(١)]

« ... من الذي يضمن لنا ان فريقاً ضئيلا من المراقبين العسكريين يكفي لردع المعتدين (العرب) وانسحابهم ؟.. اني اناشد مجلس الامن ان يوافق على ارسال مراقبين عسكريين من الاتحاد السوفياتي للمساهمة في تنفيذ قرار ٢٩ مايو .. اني سأحتفظ بحق الاتحاد السوفياتي في متابعــة الالحاح على هذا الموضوع . »

---

(١) نفس المرجع السابق من صفحة ٤٣ الى ٤٥ .

وفي جلسة ١٥ يونيه عاد السيد « جروميكو » الى الحاجه . فقال : [١]

«نحن في مجلس الامن لم نخول الوسيط الدولي « الكونت برنادوت » ان يتصرف كما شاء ... بل ان علينا ان نضبط مهامه لكي يصح تنفيذ مشيئة الامم المتحدة (في حماية الدولة اليهودية) .»

وكان هذا الاصرار السوفيـــاتي على تقييد اعمال الكونت « برنادوت » بمثابة صدى للحملة اليهودية التي بدأت تعلم بأن الكونت « برنادوت » رجل لا يخضع الى الضغط الصهيوني او الضغط الماركسي او الغش الدولي كله الذي جندته الصهيونية وسخرته لمآربها في ارض فلسطين . وقد ذهب الكونت « برنادوت » فيما بعد ضحية الغدر اليهودي فقتلوه اغتيالاً عندما اصر على لون صادق من المسؤولية الدولية بعيداً عن العبث السياسي من كل الاطراف التي كانت تناصر العدوان الصهيوني .

واستمر « جروميكو » في نفس الجلسة يقول لمجلس الامن :

«.. يبدو أن سياسه الولايات المتحدة الامريكيةاصبحت تختلف الآن عن سياسة الاتحاد السوفياتي بشأن خلق الدولة اليهودية في فلسطين .. اذا كان التغيير في الموقف الامريكي نحو مصالح اليهود قد بلغ هذه الدرجة فلماذا لا تجرؤ الولايات المتحدة على القول بذلك علانية ... ان الاتحاد السوفياتي قد ثبت منذ البدء في الاصرار على خلق الدولة اليهودية وتأييدها والاعتراف الكامل بهـا وحمل الامم المتحدة على تنفيذ ذلك وجعل الدولة اليهودية حقيقة ثابتة ...

« ... للاتحاد السوفياتي كل الحق بان يرسل قوات عسكرية لاعمـــال المراقبة لتنفيذ قرار الامم المتحدة (فيما يتعلق بالدولة اليهودية وصيانتها)

(١) محاضر مجلس الامن رقم (٨٤) من صفحة ٦ وما بعد .

وردع المتحدين له (العرب) . وها انا اقدم لمجلس الامن مشروع قرار رسمي بشأن هذا الموضوع .

وقدم « جروميكـو » لمجلس الامن مشروع قرار يطلب ارسال المراقبين العسكريين السوفيات لضمان سلامة الدولة اليهودية التي اعترف بها السوفيات اعترافاً كاملا واصروا على حضانتها،حتى بعد ان ظهرت عند الغرب الاوروبي والامريكي رغبة في مراعاة الحق العربي بعد ان حمل اهـله السلاح ، فاقترح الامريكان مشروع الوصاية الدولية كما أشرنا في جزء سابق من هذا البحث .

وانبرى الصوت الاشتراكي الآخر في مجلس الامن (صوت مندوب اكرانيا) يؤيد المصلحة الصهيونية ويدفع عنها عزم العرب على اخذ الحق بحد السيف اذا لزم الامر : قال السيد « فازيل تارسنكو » مندوب اكرانيا في جلسة مجلس الامن يوم ١٥ يونيه [١]

« ... نحن هنا بصددسؤال جوهري:هل يريد مجلس الامن تنفيذ قرارات الامم المتحدة (الخاص بخلق اسرائيل قبل تطور الموقف وتراجـــع انصار التقسيم) ام لا يريد ؟...

«..اذا كنتم تريدون العمل الجدي فلا مفر من ارسال العسكريين للقيام بمهمة التنفيذ .. ولا بد من وجود العسكريين السوفيات للمشاركة في هذه المهمـة خصوصاً وان الاتحاد السوفياتي قد ظل منذ البدء على موقف ثابت لا يتزحزح بشأن الموضوع (تقسيم فلسطين) . فلا يستطيع اي انسان ان يتهم الاتحاد السوفياتي بانه تراجع عن هذا الموقف . فالعالم كله يعلم ذلك ... »

وتدخل « جروميكو » مرة اخرى في نفس الجلسة لمجلس الامن لينتقد التبدل الطارىء مع موقف الولايات المتحدة الامريكية للتقسيم وصيانة الدولة

(١) محاضر مجلس الامن للسنة الثالثة رقم ٨٤ الصفحة التاسعة وما بعد ،

اليهودية الجديدة . وكان في هذا النقد السوفياتي المتواصل لنصرة اليهود تودد الى العناصر اليهودية في الحكم الامريكي وفي الصحافة واوساط الرأي وغيرها التي كانت من اشدانصار الاتحاد السوفياتي كما كشفت عنه محاكمات الجواسيس اليهود الامريكان الذين سرقوا اسرار القنبلة الذرية الامريكية لمصلحة الاتحاد السوفياتي . وقد وفر هذا النقد السوفياتي المتواصل لموقف التردد الامريكي حول قرار التقسيم ، ومقترحات واشنطون الجديدة لتفادي ثورة العرب جميعهم – ثورة السلاح لا شغب الدبلوماسية والخطب والتصريحات العربية فحسب – هذا النقد السوفياتي المتواصل من منابر الامم المتحدة اعطى للدعاية الصهيونية زادا دعاويا هائلاً استعملته الصحف والألسنة القوية التي يستملكها اليهود في كل مكان للضغط على واشنطون او لندن او غيرهما من عواصم الرأسمالية الغربية مؤنبة اياها بان « من الخزي والعار ان يقف الشيوعيون موقف المناصر لليهود في مأساتهم الانسانية بينما تقف الحضارة الغربية المسيحية موقف المتردد في الامم المتحدة » كما قالت احدى افتتاحيات جريدة الهرالد تريبون ، كبرى الصحف المحافظة في المعسكر الغربي كله ..

قال جروميكو في جلسة ١٥ يونيه للمرة الثانية :

« ... ان الذين يرفضون ارسال المراقبين العسكريين السوفيات الى فلسطين (لحماية الدول اليهودية) انما قصدهم عرقلة الامور . ان الاتحاد السوفياتي شديد القناعة بان هذا الرفض للدور السوفياتي (العسكري) لتنفيذ التقسيم مرجعه التطور الجديد في موقف الولايات المتحدة . ان الامريكان اصبحوا الآن متخاذلين (بشأن تنفيذ التقسيم) بينما ظل الاتحاد السوفياتي ثابتاً في موقفه ومصراً اصراراً متواصلا على التنفيذ .

« ... ان العالم اصبح يتساءل : ما هو الغرض من هدنة الاربعة اسابيع التي جاء بها الامريكان لمواجهة العدوان (العربي) ..

«ان اصحاب هذا الرأي لا يريدون هدنة حقيقية ، ولا يريدون ردع المعتدي

(العرب) .. ان الناس يزداد الآن تساؤلهم حول هذه النوايا الامريكية ، وهل تريد إستغلال فترة الهدنة للمساومة مع العرب والوصول معهم الى إتفاق خارج الامم المتحدة وعلى حساب الطرف الآخر (اليهود) ...

«.. اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية صادقة في سابق موقفها من تأييد اليهود في دولتهم الجديدة في فلسطين ، فلماذا ترفض الولايات المتحدة وجود المراقبين العسكريين السوفيات لضمان ذلك (الدولة اليهودية) . فالسوفيات اول مؤيد وأكبر نصير واثبت من يدعو الى التنفيذ والتأييد (للدولة اليهودية) ..

« ... لقد واجهت الولايات المتحدة اعظم الصعوبات في جمع الاصوات الكافية لتأييد مشروع التقسيم في العام الماضي (قرار نوفمبر ١٩٤٧) .. وكان لأصوات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الشقيقة القول الفصل في نجاح القرار (التقسيم) ... اما اليوم فان الولايات المتحدة الامريكية لا تجد صعوبة في جمع اصوات التأييد لها في الامم المتحدة لأضعاف قرار التقسيم

« .. ان هذا التطور يسيء الى سمعة الامم المتحدة ... »

وهكذا اخذ السوفيات يكافحون على جميع الجبهات لنصرة الصهيونية – فيثيرون الرأي العام الامريكي على حكومته ، ويثيرون الدول الصغرى على امريكا ، ويزودون الدعاية الصهيونية باوفر الزاد الدعاوي ويحذرون الامم المتحدة من ان تقف مكتوفة الايدي ازاء « العدوان » العربي ، ويحذرون الأمريكان من الدخول في أي مساومة مع العرب تضر بالدولة اليهودية الجديدة ، ولقد بلغ الحماس السوفياتي للصهيونية اوجه حين قام السوفيات عن طريق ربيبتهم «اكرانيا» بحمل مجلس الامن – وهو اعلى هيئة في الامم المتحدة – على الاعتراف باسرائيل ، كما سنرى في الفصل التالي ، بعد ان فشل الاتحاد السوفياتي في ارسال قوات عسكرية سوفياتية الى فلسطين لتصون الدولة اليهودية امام الوجود العربي العسكري المشترك آنئذ .

فقد قدم السيد « جروميكو » مشروع قرار رسمي لمجلس الامن في جلسة ١٥ يونيه يطلب الموافقة على ارسال المراقبين السوفيات العسكريين في بطانة الكونت « برنادوت » . ولم ينل هذا الاقتراح السوفياتي صوتاً واحداً مؤيداً له ـ سوى صوت وفد « اكرانيا » وهي صنيعة « قانونية » خلقها السوفيات ليحصلوا على صوت اضافي للكتلة الاشتراكية في الامم المتحدة . فأكرانيا ولاية داخلية من صلب الاتحاد السوفياتي . وليس لأكرانيا تمثيل خارجي ، ولا جيش خاص ولا ميزانية خاصة ، ولا حكومة خاصة ولا صفة اقتصادية و سياسية خاصة ، سوى كونها « صوتاً » اشتراكياً في الامم المتحدة اصرت موسكو على استملاكه رغم مخالفة ذلك لأصول القانون الدولي وابسط مبادىء المنطق والعلاقات الدولية .

وترك مجلس الامن بالحاح من الوفد الامريكي [1] مطلق الحرية والصلاحية للكونت « برنادوت » ان يعالج القضية الفلسطينية ويرفع النواصي بذلك بعد فترة الهدنة المؤقتة .

(١) كما اكده البيان النهائي للحكومة الامريكية بشأن هذا الموضوع أمـــام مجلس الأمن في الجلسة الأخيرة . وقد ألقى ذلك البيان الأمريكي البرفسور « جاسوب » احد اقطاب القانون لدولي المعاصر ، واستاذ سابق لمؤلف هذا الكتاب . وقد أكد لي البرفسور (جاسوب) إن اراشنطون رفضت التقسيم نهائياً .

مناورة السوفيات لحمل الأمم المتحدة على الاعتراف باسرائيل

رأينا في سياق هذا العرض لتطور الأمور في الامم المتحدة منذ ان تناولت قضية فلسطين ، بان الانتداب البريطاني اعلن انتهائه رسمياً عن فلسطين في منتصف شهر مايو عام ١٩٤٨ . فاسرعت « الوكالة اليهودية » واعلنت نفسها « دولة » مستقلة في فلسطين بعد زوال الانتداب مباشرة ـ في اول اللحظات من يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ورغم ان الرئيس ترومان منح اعتراف واشنطون بالدولة اليهودية الجديدة اعترافاً غير رسمي « De Facto » ـ اعتراف الأمر الواقع وهـو لا يستدعي التبادل الدبلومامي ولا يستوجب الحضانة القانونية وتستطيع واشنطون اذا شاءت سحبه في اقل العناء ...

ورغم ان الاتحاد السوفياتي لم يتأخر سوى بضع ساعات حـــتى جاد على « الدولة »اليهودية الجديدةفي فلسطين بالاعتراف القانوني « De Juri »الكامل، مع التبادل الدبلوماسي الكامل ايضاً .. ثم جـادت به على اليهود ايضاً جميع

الدول الاشتراكية في اوروبا الشرقية فتبادلت معها السفارات والبعثات الدبلوماسية الرسمية .

رغم هذا التطور السيء وهذا التحيز الانتهازي السافر للصهيونية العالمية ومآربها في ديار العرب ، فقد ظلت الامم المتحدة غير معترفة بالدولة اليهودية في فلسطين . وظلت الوثائق والمراسلات الرسمية والقرارات والبيانات الصادرة عن الامم المتحدة عن منابرها وبالسنة الوفود والمتحدثين الرسميين في الامم المتحدة تخاطب « الوكالة اليهودية » لا « الدولة » اليهودية التي اعلنتها الصهيونية في فلسطين .

وظلت الامم المتحدة ثابتة في تجاهلها الكيان اليهودي « الرسمي » في فلسطين حتى شهر يوليه عام ١٩٤٨. حتى أن وفد الولايات المتحدة الامريكية كان دقيق الملاحظة لهذه النقطة القانونية . فلم يشر الى « الدولة اليهودية » ولم يسجل على نفسه وعلى الحكومة الامريكية اعترافاً قانونياً بها . وإنما ظل الجميع على استعمال كلمة « الوكالة اليهودية » في النقاش والوثائق .

وأبى الغش الماركسي وحماس السوفيات واتباعهم لنصرة الصهيونية إلا ان يمعن في اذاه على الحق العربي ، حتى في تلك الآونة العصيبة التي جند العرب فيها تقاليدهم في الكرامة القومية والثأر والتضحيات والعمل العسكري المباشر لاستخلاص الحق العربي في فلسطين والصمود للضغط والغش الدولي (وفي طليعته المعسكر الاشتراكي) في الامم المتحدة وخارجها .

وفي شهر يوليه ١٩٤٨ جاء دور مندوب « اكرانيا » لرئاسة مجلس الامن . وهذه الرئاسة تؤول في كل شهر الى دولة من الدول الاحد عشر التي تؤلف مجلس الامن . واكرانيا كانت عام ١٩٤٨ عضواً في المجلس . واكرانيا كما تعلم ليست سوى هيكل « قانوني » اجوف لا وجود له في الحقيقة الدولية . فاكرانيا ولاية من الاتحاد السوفياتي . ولكن دلال السياسة الدولية جعل منها « دولة » لها حق في مقعد في الامم المتحدة .

واجتمع مجلس الامن يوم ٧ يوليه ١٩٤٨ في جلسته رقم (٣٣٠) برئاسة مندوب « اكرانيا » واسمه الرفيق « مانيويلسكي » وهو ثوري يساري قديم ، عجوز ابيض الشعر كثير الأدمان على المسكرات ، كما كان يعرف ذلك كل من كان يراقب الوفود في اروقة الامم المتحدة في تلك الايام ، وكاتب هذه السطور واحد منهم .

وكان موضوع البحث في جلسة ٧ يوليه امام مجلس الامن هي القضية الفلسطينية . والعادة في مستهل كل جلسة ان يدعو الرئيس الأعضاء جميعهم الى الاجتماع بصورة اتوماتيكية كما تقضي بذلك اللوائح الداخلية لاعمال المجلس ، فاذا كان موضوع البحث يمس اطرافاً ليست عضواً في مجلس الامن فعلى رئيس الجلسة ان يدعوها الى المشاركة في اعمال المجلس استناداً الى الصفة القانونية التي تعترف بها الامم المتحدة بتلك الاطراف . وكان الطرف الصهيوني في النزاع الفلسطيني معترفاً به في الامم المتحدة باسم « الوكالة اليهودية » فقط . ولذا كان من الواجب على رئيس المجلس دعوة المتحدث باسم « الوكالة اليهودية » والمتحدث باسم « اللجنة العربية العليا الفلسطينية » للمشاركة في جلسة مجلس الامن .

ولكن المندوب الاكراني تعمد استغلال هذه الفرصة التي استملكها المعسكر الاشتراكي في رئاسة مجلس الأمن لمزيد من الغش الدولي وتأييد الاشتراكيين للجماعة الصهيونية المفروض فيها انها « صنيعة الاستعمار » كما يقول لنا أهل اليسار (العربي والأجنبي) أمس واليوم .

ودعا مندوب اكرانيا (كرئيس لمجلس الأمن ذلك اليوم) ممثل « الوكالة اليهودية » للمشاركة في اعمال مجلس الأمن كمندوب « لحكومة اسرائيل » . فذهل الحاضرون . وساد الجو توتر ، خصوصاً وان مندوب اكرانيا تعمد أهانة الطرف العربي إهانة عمدية : وهذا نص ما نطق به مندوب اكرانيا في

مستهل رئاسته لدورة مجلس الأمن يوم ٧ يوليه : (١)

« أدعو مندوبي الدول التالية اسماءهم والأطراف المعنية بالأمر ان يأخذوا مقاعدهم في هـــذا المجلس : مندوب حكومة اسرائيل ، وحكومة العراق والحكومة المصرية والحكومة اللبنانية ، وأرجو ان لا أكون مخطئاً ممثل اللجنة العربية العليا .

ولم تكن حكومات مصر والعراق ولبنان اعضاء في مجلس الأمن، ولكنها كانت تشارك في أعماله كطرف معني بالموضوع الفلسطيني . وهـذا حق يخوله ميثاق الامم لجميع الاعضاء .

وثارت ضجة وصخب مباشر لهذا الاستهتار الذي بدا من رئيس المجلس (مندوب اكرانيا) واستغلاله مقعد الرئاسة لاعطاء « الوكالة اليهودية » صفة المعترف بها رسمياً من الامم المتحدة كدولة رسمية باسم « حكومة اسرائيل ». وهذا مخالف قطعاً لموقف الامم المتحدة في ذلــك الحين . فلم يكن أحد من أعضائها معترف باسرائيل رسمياً وقانونياً سوى الدول الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفياتي . حتى الولايات المتحدة كان اعترافها باسرائيل تنقصه الشرعية القانونية الصحيحة .

وتدخل فوراً مندوب بريطانيا وبلجيكا والصين وكندا معارضين رئيس المجلس (مندوب اكرانيا) في توجيهه الدعوة لمندوب« حكومة اسرائيل »، لا لممثّل « الوكالة اليهودية » كما يجب ان يكون . فهناك فارق قانوني خطير بين التسميتين . وكان قصد مندوب « اكرانيا » سوء استعمال مركزه كرئيس لمجلس الامن ليسجل على الامم المتحدة اعترافاً قانونياً بحكومة « اسرائيل ». وأصر مندوب « اكرانيا » على سوء استعمال صلاحياته . وانتفض رئيس

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة رقم (٩٣) ص ٢ .

الوفد السوري المرحوم فـارس الخوري (وكانت سوريا آنئذ عضواً عاملاً في مجلس الامن) فاعترض أشد الاعتراض على هذه الخديعة الماركسية السافرة. وكذلك فعل مندوب مصر .

وأصر مندوب اكرانيــا على تجاهله احتجاج العرب واحتجاج المندوب البريطاني والبلجيكي والكندي ، والصيني أيضاً . ولجأ رئيس المجلس الى حيلة قانونية قديمة في أعمـــال مجلس الامن وهي اعتبار اي جدل يوجه الى رئيس مجلس الأمن بمثابة لمجلس الامن نفسه وللأمم المتحدة كلها .. وندر في أعمال الامم المتحدة ان فشل رئيس مجلس الامن بالإنتصار الادبي على من يتهدده اذا لجأ الى هذه الحيلة القانونية .

ونجح مندوب اكرانيا في حيلته هذه .

وانسحب ممثل اللجنة العربية العليا الفلسطينية (السيد جمال الحسيني) وأرسل كتاب احتجاج الى مندوب اكرانيا (رئيس مجلس الامن) يقول له فيه انه متحيز لليهود وعابث بمسؤوليته ومستغل أشنع استغلال لصلاحياته ومخالف لاسس القانون ، ومبادىء الامم المتحدة (١) .

وهكذا فرض السوفيات (فأكرانيا ليست سوى لساناً مستعاراً لموسكو) على مجلس الامن الاعتراف « القانوني » باسرائيل حتى قبل ان تنتهي فترة الهدنة وقبل ان تقدم اسرائيل طلب الاعتراف بها رسمياً من الامم المتحدة ، وطلب العضوية في هذه المنظمة العالمية .

وفيما يلي طرف من النقاش الذي جادل به المندوبون العرب في مجلس الامن هذه الخدعة المكشوفة التي حقّق بها المعسكر الاشتراكي نصراً ادبياً وقانونياً

(١) عاد مندوب اللجنة العربية العليا الى المشاركة في اعمال مجلس الامن عندمـــا انتهت رئاسة مندوب اكرانيا . وقد ظل المندوب الفلسطيني العربي يرفض المشاركة في اعمال مجلس الامن اذا كانت رئاستها لدولة شيوعية .

خطيراً للصهيونية العالمية .

قال فارس بك الخوري في جلسة ٧ يوليـــه يجادل رئيس مجلس الأمن (الرفيق مانيويلسكي مندوب اكرانيا) :

« ... ان مجلس الامن طوال معالجة القضية الفلسطينية حتى هذه الساعة لم يعترف قط بغير « الوكالة اليهودية » كطرف معني بالقضية الفلسطينيـــة . وعلى رئيس مجلس الامن ان يحترم هذه الحقيقة القانونية وهذا الالتزام الاساسي في اعمال الامم المتحدة » .

وأيد مندوب بريطانيا موقف فارس الخوري . وكذلك ايده مندوبا فرنسا وبلجيكا :

وقال مندوب بلجيكا : « ان موقف حكومتي يشابه موقف بريطانيا وفرنسا .

«اننا حتى الآن لا نعترف بما يعرف بحكومة اسرائيل..

ورد مندوب اكرانيا قائلا :

« سأتحدث كمندوب لحكومة اكرانيا وليس كرئيس لمجلس الامن . انا لا افهم لماذا تعارضون الاعتراف بمندوب حكومة اسرائيل . فالموقف هنـــا مماثل للموقف بشأن اعتراف المجلس بحركة التحرر الاندونيسية عندما عالـج المجلس قضية اندونيسيا فدعا ممثليها الوطنيين الى المشاركة في اعمـــال مجلس الامن كمندوبين لحكومة اندونيسيا، قبل ان تعترف اكثرية الدول بالحكومة الاندونيسية المستقلة . ان السيد فارس الخوري نفسه عندمـا كان رئيساً لمجلس الامن فرض على المجلس الاعتراف بممثل حركة التحرير الاندونيسية كمندوب لحكومة اندونيسيا . فما افعله الآن امامكم ليس سوى اقتداء بالاسبقية الـتي خلقها المندوب السوري .

فكل الحجج التي استعملها السيدفارس الخوري بشأن اندونيسيا تنطبق كل الانطباق بشأن اسرائيل ... »

كذا ساوى الاشتراكيون نضال الاندونيسيين في سبيل الحرية والاستقلال بالحركة الصهيونية الغاشمة التي طالما وضعها اليسار الدولي بانها ربيبة الاستعمار والرأسمالية .

ورد فارس بك الخوري فوراً على مندوب اكرانيا . فقال . : [1]

« ... اشار رئيس المجلس (مندوب اكرانيا) الى حادثـــة وقعت في مجلس الامن بشأن اندونيسيا مستشهداً باقوال لي حول هـذا الموضوع . ليس هنا في الواقع وجه للمقارنة (بين اندونيسيا والحركة الصهيونية) . في مسألة اندونيسيا استندت انا الى اتفاقية « لينجاداتي » التي اعترفت بهـا حكومة هولندة اعترافاً قانونياً كاملاً بجمهورية اندونيسيا الجديدة. ولما كانت هولنده هي الطرف المعني مباشرة بالنزاع الاندونيسي ، فان اعترافها القانوني الكامل بالعهد الاندونيسي المستقل الجديـد اوجب على مجلس الامن الاعتراف الرسمي باندونيسيا ايضاً .

«اما الموقف الذي خلقه مندوب اكرانيـا ورئيس المجلس الآن فمختلف كل الاختلاف ، ومهما حاول رئيس المجلس ان يشوه الحقائق فان الحقائق ستظل قائمة . »

ورد مندوب اكرانيا كرئيس لمجلس الامن على السيـد فارس الخوري قائلا :

« ... ان الشرح الذي عرضه السيد الخوري تافه الاقناع . فاندونيسيـا

---

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن السنة الثالثة رقم ٩٣ من الصفحة الاولى الى بقيـة المحضر لذلك اليوم ٧ يوليه ١٩٤٨ .

كانت من قبل جزءاً من الامبراطورية الهولندية . ونحن جميعاً نعلم ان اليهود في فلسطين لم يكونوا في وقتاً من الاوقـــات جزءاً من سوريا او من مصر .. ولهذا فلنا حق قوي في الاعتراف بدولة اسرائيل . »

وفي صفاقة ووقاحـــة وغش سافر شاء مندوب اكرانيا ان يعتبر فلسطين ملكاً حلالاً لليهود ، « حقهم » فيها أبلغ من حق الأندونيسيين في بلادهم ومضى مندوب اكرانيا من مقعد رئاسة مجلس الأمن يروج للبيعة الصهيونية فيقول مخاطباً الاستاذ فارس الخوري :

« ... واني اعتقد ان على السيد الخوري الموافقة على ان امامنا فيما يتعلق بموضوع فلسطين قرار الجمعية العـــامة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ (قرار التقسيم) الذي لم تلغه الأمم المتحدة رغم ، ان الجمعية العامة قد عقدت جلسة استثنائية أخرى من ١٦ ابريل الى ١٤ مايو من هذا العام ١٩٤٨ (لاعـــادة النظر في قرار التقسيم) . ولذا فإن من واجبنا ان نقوم بكل الوسائل لخلق دولة اسرائيل .

« ... ثم ان علينا ان نعترف بأن انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين قد أدى بصورة طبيعية الى حق اليهود في خلق دولتهم في اسرائيل .. وان هذه الدولة اليهودية معترف بها قانونياً من جانب الاتحاد السوفياتي ... ولذلك فلا يمكننا ان نتجاهل قيام الدولة اليهودية والاعتراف بحكومة اسرائيل » .

كأن عرب فلسطين وهم الأغلبية الساحقة لسكان فلسطين ليس لهم حساب ولا وجود ولا حق ولا كيان في البلد . فيتجاهلهم مندوب اكرانيا ويستغل مقعده في رئاسة مجلس الأمن لبطش المعالم والحقائق العربية كلها في فلسطين ، لان الاتحاد السوفياتي اعترف اعترافـــاً قانونياً كاملا بالدولة اليهودية ، فعلى الخليقة كلها ان تمتثل لمشيئة السوفيات .

وتدخل مندوب الصين في النقاش معارضاً موقف رئيس المجلس فقال :

« .. ان مندوب اكرانيا قد أساء استعمال منصبه كرئيس لمجلس الامن فأعطى لمندوب الوكالة اليهودية صفة قانونية ليست له . فمجلس الامن لم يعترف بدولة اسرائيل ، وتصرف رئيس المجلس الآن هو تصرف شخصي . وان الوفد الصيني يرفض الاهتمام به » .

وشاء المندوب الاكراني ان يقطع الطريق على معارضيه ويدفن الحق العربي في قسوة الاستغلال لمركز الرئاسة لمجلس الامن الـــتي تعطي للرئيس مجالات واسعة لاطالة النقاش او اختصاره في أعمال المجلس . فقال :

« لقد قاربنا على الانتهاء من هذه المناقشة التي لا لزوم لها . وقبـــل ان اغلق باب النقاش فاني امنح مندوب حكومة اسرائيل حق الكلام .. »

وتكلم المندوب اليهودي (إيبان) محاولا تحوير النقاش كله من هذا العبث الذي لجأ اليه المندوب الاكراني لتأييد الصهيونية في اعلى مراكز الامم المتحدة الى صلب موضوع القضية الفلـسطينية ، كما لو ان « دولة اسرائيل » اصبحت امراً قانونياً لا يتحمل مزيداً من النقاش . فقال المندوب اليهودي :

« ليسمح لي الرئيس تأجيل الملاحظات حول موضوع النقاش الذي انشغل به مجلس الامن هذا الصباح . ولنلتفت الى موضوع اهم وهو برقيـــة الوسيط الدولي التي بعث بها الى مجلس الامن . »

وطلب الدكتور محمود فوزي مندوب مصر الكلام . فلم يتقاعس مندوب اكرانيا عن توجيه الاهانة لمندوب مصر فقال :

« ... لقد طلب مندوب مصر حق الكلام .. واني لآمل ان لا يكـثر مندوب مصر الكلام ... »

فأجاب مندوب مصر جواباً لا ندري أهو لون من اللباقة الدبلوماسية ام هو ضعف شخصي ام تواطىء فكري وعقائدي قديم بين وزير خارجية مصر

الاشتراكية اليوم ورئيس وفد مصر ايام النكبة الفلسطينية : قال الدكتـــور فوزي جواباً على اهانة المندوب الاكراني :

« سأحاول الامتثال لرغبة رئيس المجلس واتعاون معه واوجز في الكلام.

... ان قيام رئيس المجلس بمنح المندوب اليهودي صفة ليست لهولا ويعترف بها المجلس هو عمل يستدعي النقد .. واني لا استطيـع ان افهم لماذا تصرف رئيس المجلس مثل هذا التصرف . فالاكثرية الساحقة من اعضـاء مجلس الامن لم تعترف « بالدولة » اليهودية . واني اود ان تسجل محاضر جلسات مجلس الامن بان وفد مصر يعترض على الاسلوب الذي يستعمـله رئيس مجلس الامن ويصر على استعماله ... »

بمثل هذا الكلام الضعيف شاء مندوب مصر ان يتحدى مندوب اكرانيا، وجيوش مصر تناضل في فلسطين ووحدات المتطوعين من الاخوان المسلمين وغيرهم تبذل النفس وتبحث عن مكامن الموت في الاستشهاد في سبيل عروبة فلسطين . فالذي كان يمثل مصر ايام النكبة في محافل الامم المتحدة (الدكتور محمود فوزي) هو الذي ظل يمثل مصر الاشتراكية الناصرية منذاوائل عهدها بالسلطان الاشتراكي الثوري في مصر أيضاً وفي زعامة التحدي العربي لاسرائيل وللغش الدولي كله . ودور المعسكر الاشتراكي الدولي في هـذا الغش كان (ولا يزال) دوراً رئيسياً مخيفاً .

وأجاب مندوب اكرانيا (رئيس المجلس) بما يلي :

« لا بأس من ان يعترض مندوب مصر على الاسلوب الذي لجأ اليه (في الاعتراف باسرائيل كدولة) . واني اود ان اطرح هـذه النقطة على المجلس حتى يبدي رأيه فيها.فاذا شاء مؤآزرة رئيس المجلس في موقفه كان به، وإلا.»

وكما اشرنا في مستهل هذا الفصل فان من عادة المجلس ان لا يصوت ضد تصرفات رئيسه مهما كانت شائنة . ذلك تقليد قديم في أعمال المنظمات الدولية

وكان مندوب اكرانيا مدركا له ، ومدركا بانه مهما اشتط في استغلال مركزه المؤقت كرئيس لمجلس الأمن فان المجلس لن يقصيه عن الرئاسة ولن تصوت جميـع أعضائه ضد الرئيس .

وتدخل مندوب السوفيات السيد « جروميكو » مؤيداً صنيعة موسكو وهي « دولة » اكرانيا . قال « جروميكو » .

« ... دعونا نضع حداً لهذه المماطلة (العربية) . فاذا كان في المجلس من لا يرضى عن تصرفات رئيسه فليصوت ضده !. »

ورغم دقة الموقف الاجرائي الذي استغله السوفيات واكرانيـا في تقاليد الأمم المتحدة والعرف الذي جرت عليـه في عدم احراج رئيس المجلس فإن خمسة أعضاء هم (بريطانيا ، كندا ، بلجيكا ، الصين ، وسوريا) لم يكترثوا بهيبة رئيس المجلس فصوتوا ضده . وامتنعت بقية الوفود في المجلس عن تأييده احتجاجاً .ولكن هذا الامتناع عن التأييد أعتبر (في اعمال المجلس الداخلية) بمثابة صفح عن سوء تصرف الرئيس .فاعتبر مندوب اكرانيا (زوراً وعباطة) بأن المجلس يؤيده في اعترافه بمثل « الوكالة اليهودية » كمندوب لدولة اسرائيل.

فتدخل مندوب الولايات المتحدة (الدكتور جاسوب) معارضاً تفسير رئيس المجلس (المندوب الأكراني) لنتائج التصويت . قـــال البروفسور جاسوب :

« ... ان وفد الولايات المتحدة لا يوافق على التفسير الذي شاء رئيس المجلس اعتباره مؤيداً لموقفه (بشأن دولة اسرائيل) . ان تصرفات رئيس المجلس تخلق لنا سابقة خطر مخالفة للمبدأ وما اصطلح عليه في أعمال الأمم المتحدة » .

وتجاهل مندوب اكرانيا تعليق المندوب الامريكي ، ومضى يدير الجلسة كما لو أن الأمر طبيعي، وان مناورة المعسكر الاشتراكي لحمل الامم المتحدة

في اسلوب التحايل « القانوني » على الاعتراف بالدولة اليهودية ليست سوى امر طبيعي لا يستدعي الجدال والنقاش .

ولم يجد مندوب عرب فلسطين (السيد جمال الحسيني) بدأ من ان يكون اقل ضعفاً من مندوب مصر وأقل « لباقة » منه . فطلب السيد الحسيني حق الكلام وقال مخاطباً رئيس المجلس مندوب اكرانيا » .

« ... لقد اسبغتم على « الوكالة اليهودية » صفة جديدة . فاذا وجد البعض هنا ان هذا التطور ليس مهماً ، فان عرب فلسطين يعتبرونه امر خطيراً جداً. وطالما ان رئيس المجلس شاء المضي في تصرفه (المؤيد لليهود) فاننا لا نستطيع (باسم عرب فلسطين) المشاركة في اعمال هذا المجلس طالما ان رئيس المجلس يعترف بالمندوب اليهودي على النحو اعترف الرئيس به . »

وانسحب مندوب عرب فلسطين . وارسل مذكرة بهذا المعنى الى رئيس مجلس الامن (الاكراني) مستنكراً موقفه اشد الاستنكار . (١)

(١) نص المذكرة في وثيقة الامم المتحدة (مجلس الامن رقم ٨٨٠) وتاريخ ٨ يولية ١٩٤٨ .

السوفيات يكافحون مسعى برنادوت لانصاف العرب

كان من مهام الوسيط الدولي « الكونت برنادوت » ان يسعى خلال فترة الهدنة المؤقتة في فلسطين لايجاد حلول معقولة للنزاع هناك ، وان يرفع عن مساعيه توصيات الى مجلس الامن .

وامتثل الجانب العربي للهدنة في القتال ، بينما ظل الصهيونيون على اعمال الارهاب في المدن والقرى والدساكر وحمل العرب العزل من ابسط وسائل الدفاع عن النفس بالرحيل عن المناطق التي كان المخطط الصهيوني منذ البدء عازماً على افتراسها .

ووجد الكونت «برنادوت» ان وقف القتال ليس جوهر المأساة الفلسطينية ، بل ان الحق يحتاج الى من ينصفه . وان هذا الانصاف هو اساس السلم في فلسطين .

ورفع « برنادوت » توصيات حول ما رآه مؤيداً للحق وضامناً للسلم ومنصفاً لمن هم في حاجة الى انصاف الامم المتحدة . وتتخلص مقترحات

الكونت برنادوت فيما يلي :

الابقاء على الوحدة الجغرافية والطبيعية والسياسية والاقتصادية لفلسطين.

– لا بأس من ان يحكم القطاعات التي يكثر فيها اليهود ادارة يهودية على قواعد الحكم المحلي . وكذلك يحكم العرب مناطقهم . شرط ان يندمج الطرفان في وحدة سياسية تبقى على فلسطين ولا تجزؤها وتنسق كيانها الطبيعي . فقد أصر برنادوت مثلاً على ان تظل « النقب » عربية .

– ولكي يستطيع الكيان الفلسطيني الموحد ان يضمن مقومات البقاء سياسياً واقتصادياً ، اقترح « برنادوت » ضم شرقي الاردن لفلسطين ، لأن كلا المنطقتين تؤلفان وحدة جغرافية طبيعية . كما اقترح برنادوت ترك القدس جزءاً اصيلا من الحكم العربي تحت نظام الوحدة الفلسطينية .

– واقترح برنادوت نماذج اخرى من الوسائل الاقتصادية، وفي المواصلات، وفي اسس الحكم الذاتي المحلي للعرب واليهود من شأنها ان تبعد عن فلسطين خطر التقسيم والتجزئة النهائية . (١)

ورفض اليهود مقترحات برنادوت . ورفضها العرب ايضاً ، في عداد ما رفضوه من شتى الوان الحلول في تاريخ الصراع الفلسطيني الطويل ، في عباطة الزعامات الفلسطينية التي لم تكن تملك من وسائل الفكر السياسي سوى « سلبية » كاملة لا تريد ان تضمن ما هو ممكن، لتحقق ما هو واجب تحقيقه في انسب الاوقات . فلم تكن تلك الزعامات الفلسطينية عاجزة عسكرياً فحسب بل كانت فاشلة فكرياً ايضاً ، وقصيرة النظر وجاهلة او متجاهلة لكل هذه القوى الدولية التي كانت الصهيونية تستخدمها ، مما استوجب على الحكمة السياسية العربية ان تكون اشد دهاءاً واكثر مرونة واعمق يقظة ، لما يمكن

(١) النص الكامل لمقترحات الكونت برنادوت موجودة في وثيقة الأمم المتحدة (مجلس الأمن رقم ٨٦٣ لشهر يوليه ١٩٤٨) .

وما لا يمكن العناد فيه من اساليب الدبلوماسية الدولية ، او اساليب العمل العربي نفسه في داخل فلسطين وخارجها .

وظل الكونت « برنادوت » على نوع من الامل بان من الممكن اقناع الطرفين العربي واليهودي بصحة حلوله للنزاع ، رغم رفض الطرفين لها اول الامر .

فطلب الكونت «برنادوت» من مجلس الامن ان يرجو العرب واليهود تمديد فترة الهدنة المؤقتة لوقف القتال بعد انقضاء المدة التي سبق لمجلس الامن ان حددها باربعة اسابيع انتهت بتاريخ ٩ يوليه عام ١٩٤٨ . وعقد مجلس الامن جلسة خاصة يوم ٧ يوليه للنظر في طلب الكونت « برنادوت » (١) . وشهدت تلك الجلسة هجوماً عنيفاً من الوفدين السوفياتي والاكراني على الكونت «برنادوت» وعلى مقترحاته للابقاء على الوحدة الجغرافية لفلسطين، وعلى قسط كبير من قواعدها السياسية والاقتصادية، وما في ذلك كله من عكوف فعلي عن فكرة التقسيم وما تنطوي عليه من مجالات لليهود لخلق دولتهم في ديار العرب . فمقترحات « برنادوت » وان ميعت بعض الشيء من الحق العربي الكامل في فلسطين، الا أن تلك المقترحات كانت في الواقع هدماً عمدياً مباشراً لفكرة الدولة اليهودية في فلسطين . وكان المندوب السوفياتي « جروميكو » قاسياً سليط اللسان عنيف الهجوم على الكونت «برنادوت» كوسيط دولي وكشخصية عالمية تكلفت بمهمة تحري الحقائق ورفع التوجيهات في الأزمة الفلسطينية، فلم تتأثر شخصية برنادوت بمآرب الاستعمار او ترضخ لدسائس الاشتراكيين او تلن لضغط الصهيونية العالمية .

وعاد « جروميكو » الى سابق اصرار الاتحاد السوفياتي أن لا حلول للقضية الفلسطينية إلا بدعم الدولة اليهودية الجديدة. وان لا حق للامم المتحدة ان تقوم بأي نشاط غير النشاط المؤيد لتقسيم فلسطين . وان مهمة الكونت برنادوت هي مراقبة الهدنة من العرب واليهود لمنع العرب من عرقلة قرار

(١) وثيقة الأمم المتحدة (مجلس الأمن رقم ٦٨٥) في الملحق الأضافي للسنة الثالثة لمحاضر مجلس الامن .

التقسيم او الحاق الاذى باليهود . وانه لا حق للكونت « برنادوت » ان يقدم المقترحات لحل القضية الفلسطينية بل عليه ان يكتفي بمراقبة الهدنة وردع المعتدين (العرب) العابثين بمشيئة الامم المتحدة في صيانة الدولة اليهودية الجديدة .

وكان هجوم السوفيات على الكونت « برنادوت » ومشروعه لصيانة الوحدة الفلسطينية هجوم المفترس والمتحامل على الحق وعلى صميم قرارات مجلس الامن . فمجلس الأمن لم يكلف الكونت برنادوت فقط بمراقبة الهدنة ووقف القتال بين العرب واليهود لمدة شهر واحد او اكثر او اقل وانما خول مجلس الامن الكونت برنادوت الوسيط الدولي بأن يقدم ما طاب له من مقترحات لحل القضية الفلسطينية أيضاً . فاتهام السوفيات للوسيط الدولي بأنه تجاوز صلاحياته فاقترح حلا جديداً « غير قرار التقسيم » ــ هذا الاتهام السوفياتي للكونت برنادوت كان اتهاماً باطلا وافتراء موجهاً ضد الانصاف الذي ناصره الكونت برنادوت في كثير من القوة الشخصية والجرأة الادبية، وافتراء وتحاملا سوفياتياً موجه الى صلب الحق العربي كله في فلسطين .

واستنجد « جروميكو » في هجومه [١] على « برنادوت » بهذا المألوف من المنطق الماركسي الذي يوهم كل من يخالفه في الرأي بأنه صنيعة الاستعمار وعميل الرأسمالية . فقال « جروميكو » بأن « برنادوت » عميل للاستعمار البريطاني وانه يتعمد هدم مشروع التقسيم لفلسطين وانه معاد للحقوق اليهودية . واتهم « جروميكو » الوسيط الدولي بأنه في تعديلاته الجغرافية لخريطة التقسيم انما ينسف كل امل لليهود في خلق دولة لهم في فلسطين. وإن الكونت « برنادوت » متحيز للعرب، على حساب اليهود ..

(١) هجوم « جروميكو » على الكونت برنادوت ومشروعه المناقض للتقسيم مسجل في محاضر جلسات مجلس الامن (للسنة الثالثة) من صفحة ١٧ الى ٢٢ .

وكرر مندوب اكرانيا في مجلس الأمن أعنف الهجوم على الكونت « برنادوت » ومشروعه ، في نفس الصفاقة والغش والتحايل الذي باشره مندوب السوفيات « اندريه جروميكو » . فقال المندوب الاكراني « مانيويلسكي » في جلسة يوليه لمجلس الامن [١]: بأن مشروع الكونت « برنادوت » غير قانوني، وانه يستهتر بالحق اليهودي ويخالف مبادىء الامم المتحدة، ويقضي على دولة اسرائيل ويضع اليهود تحت رحمة العرب « فيصبح مصيرهم مصير الارمن في ظل حكم الاتراك المسلمين الذي ذبحوا الارمن بلا رحمة ولا شفقة » .

هكذا لم يجد الاشتراكيون الماركسيون ادنى حرج في اثارة الضغائن الدينية والصراع الطائفي لنسف الحق العربي ونصرة الصهيونية التي ادعى الاشتراكيون بالأمس كما يدعون اليوم بانهم خصوم لها .

ووجد المرحوم فارس الخوري بأن من واجبه (وواجب الحق والصالح العربي) ان لا يصمت العرب عن هذا التحامل السوفياتي والغش الاشتراكي الموجه الى الكونت « برنادوت » وما ينطوي عليه من اذى على المصلحة العربية . فقد كانت الصحافة الصهيونية في شتى بقاع العالم قد باشرت الهجوم على الكونت « برنادوت » ومشروعه وتواصيه وتفنيده للغش الصهيوني . فالسوفيات في حملتهم على « برنادوت » من منابر الأمم المتحدة لم يكونوا سوى صدى وأبواقاً تردد الدعاية الصهيونية .

وتدخل الاستاذ فارس الخوري في النقاش متحدياً هذا الغش السوفياتي — الصهيوني المشترك . قال فارس بك في جلسة ٧ يوليه ١٩٤٨ لمجلس الأمن [٢] . « ليست غايتي الآن ان أوافق او لا أوافق على مقترحات الوسيط الدولي

(١) نفس المرجع السابق من صفحة ٢٧ الى ٣٢ .
(٢) محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة من ص ٢٣ وما بعد .

الكونت « برنادوت » فتلك المقترحات مصيرها قبول الجماعات المعنية بالامر مباشرة (عرب فلسطين) أو عدم قبولها . وسأترك لهم حقهم في التعبير عن آرائهم في الوقت المناسب .

« ولكني أتدخل في النقاش لاظهر مدى الغش والتحامل الذي بدا من المندوب السوفياتي ضد الوسيط الدولي . وهو تحامل يستوجب منا التعليق .

« ان المندوب السوفياتي أتهم الوسيط الدولي بأنه قد تخطى صلاحياته التي حددتها الجمعية العامة للوسيط الدولي . هذا الإدعاء السوفياتي باطل .

فالوسيط الدولي اختارته الدول الخمس الكبرى في مجلس الأمن (بما فيهم الاتحاد السوفياتي) وكلفوه بالوساطة. والوساطة تعني ايجاد الحلول ونصرة الحق. وليست مهمة الوسيط الدولي هي تنفيذ قرار التقسيم او تأييد المآرب الصهيونية كما يريد المندوب السوفياتي ان يحدد مهمة الوسيط الدولي .

«ولو كانت مهمة الوسيط الدولي هي تنفيذ قرار التقسيم او دعم المآرب اليهودية ، لما كان اسمه « الوسيط » الدولي .

« ان الامم المتحدة قد ابلغت قرار التقسيم الذي صدر في العام الماضي (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) بالغائها لجنة الامم المتحدة لفلسطين الذي جاء نص لها في ذلك القرار لتنفيذ التقسيم .فمشروع التقسيم قد الغي رسمياً . وكل مايدعيه مندوب الاتحاد السوفياتي من سند قانوني لبعث مشروع التقسيم هو ادعاء باطل وتحامل وشوشرة على مهام الامم المتحدة وتحيز سافر للمطامع اليهودية .

« ان للوسيط الدولي كل الحق في ان يقترح ما شاء من الحلول للازمة الفلسطينية ، وان يرفع الينا في مجلس الأمن كل ما توصل اليه ضميره ووجدانه من رأي وما استوعبه من حقائق عن الوضع الفلسطيني . فاتهام السوفيات للوسيط الدولي بأنه يتخطى صلاحياته هو اتهام لا مبرر له ولا قواعد قانونية منطقية تؤيده . وليس هذا الاتهام سوى جزء من المقاصد السوفياتية لنسف

الحق العربي وتعطيل اي اجراء يؤيد ذلك الحق ويكشف عن مآرب الصهيونية .

«.. اني اود ان اذكر مندوبي الدول التي ايدت فكرة التقسيم في العام الماضي (قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) بأن الامم المتحدة في قرارها الصادر في ١٤ مايو ١٩٤٨ الداعي الى تكليف الوسيط الدولي بايجاد حلول جديدة للازمة الفلسطينية ـ الامم المتحدة في قرار ١٤ مايو قد الغت قانونياً قرار التقسيم القديم . فاللاحق ناسخ للسابق . هذا مبدأ قانوني لا يحتمل الجدل ولا يحتمل الغش، ولا يبرّر لحلفاء اليهود وانصارهم العبث بالحق والتعطيل لأعمال الوساطة واعطاء الفرصة للمسؤولية الدولية ان تكون غير متأثرة بأهواء المغرضين فموقف الاتحاد السوفياتي وموقف اكرانيا هو موقف المغرضين والعابثين والمتحاملين على الحق .

« ... ان موقف الاتحاد السوفياتي أبعد ما يكون عن الأنصاف للحق وأبعد ما يكون عن أصول المسؤولية الدولية .

«وأحب ان أذكر مندوب الاتحاد السوفياتي بان كل المحاولات التي لجأ اليها انصار اليهود لاحياء مشروع التقسيم قد فشلت امام الأمم المتحدة هذا العام . ففي جلسة ١٤ مايو ١٩٤٨ لمجلس الأمن حاول السوفيات وغيرهم من خصوم الحق العربي ان يقدموا الى مجلس الأمن مشروع قرار يبعث فكرة التقسيم فرفض المجلس ذلك القرار . وسحبه الذين قدموه . وتراجعوا . فمشروع التقسيم قد مات . والأمم المتحدة كلفت الوسيط الدولي مطلق الحق وكل الصلاحية في ان يقدم مقترحاته عن حلول جديدة للقضية الفلسطينية.. ولا يحق لمندوب السوفيات أو سواه من أنصار اليهود ان يتحاملوا على الوسيط الدولي وان يتهموه بشتى التهم ويصفوه بشتى النعوت ..»

وتجاهل مجلس الامن هجوم السوفيات على الوسيط الدولي والضغط الدعاوي

الهائل الذي نشطت به اليهودية العالمية في كل مكان لتلويث سمعة الكونت « برنادوت » ووصفه بأنه متحيز للعرب ، وعميل للاستعمار البريطاني ..

ووافق مجلس الامن على حق الوسيط الدولي في رفع مقترحاته لحلول جديدة للأزمة الفلسطينية ، ووافق مجلس الامن على طلب الكونت «برنادوت» بأن يقوم مجلس الامن بتمديد فترة وقف القتال بين العرب واليهودية حتى يتمكن الوسيط الدولي من ان يقنع الطرفين (العربي واليهودي) بصواب مقترحاته لضمان الوحدة الجغرافية والاقتصادية وقسط هام من الوحدة السياسية لفلسطين .

ورفض العرب قبول تمديد هدنة وقف القتال . ورضي اليهود بها . وكان رفض العرب لتمديد الهدنة مرجعه توقف المساعدات العسكرية على الجانب اليهود من المصادر الشيوعية ومن مصادر اخرى . وكان اليهود في فلسطين ماضين في أعمال الارهاب والغدر ضد السكان المدنيين من عرب فلسطين . وتحديد هدنة وقف القتال كانت في تلك الاونة بالذات مضرة بالصالح العربي ، خصوصاً ان اليهودية العالمية كانت في اوج نشاطها لتعزيز يهود فلسطين بالسلاح من اوروبا الشرقية وغيرها وبالامدادات العسكرية بما فيها المقاتلون العسكريون النظاميون ، والمرتزقة الذين جندتهم اليهودية العالمية من كل مكان ومن مختلف المهن والكفاءآت – من ضباط المشاة ومن الطيارين ومن رجال المدفعيات ، هذا فضلا عن جحافل الشبان اليهود الذين تدربوا على القتال وعلى اعمال الغدر والارهاب في المعسكرات اليهودية التي كانت قائمة آنئذ في كل بلد اشتراكي يعيش في كنف الاتحاد السوفياتي – في رومانيا والمجر وبولندة ويوغسلافيا وفي تشيكوسلوفاكيا ايضاً ، فضلا عن المرتزقة من شتى الجنسيات الاوروبية والامريكية التي استخدمها اليهود وجلبوها الى فلسطين في فترة الهدنة المؤقتة وما بعد الهدنة – عام ١٩٤٨ .

وكان الوسيط الدولي الكونت « برنادوت » شديد القناعة بأن العرب على

حق في حذرهم من تمديد هدنة وقف القتال بغير ضمانات تمنع اليهود من استغلال الهدنة لكسب قوى عسكرية وتأييد سياسي من انصارهم وفي طليعتهم دول المعسكر الاشتراكي .

ففي وثيقة اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة[1] اجابت اللجنة على شكوى دول الجامعة العربية بما يلي :

« ان الوسيط الدولي (الكونت برنادوت) يدرك تمام الادراك بأن جذور المشكلة الفلسطينية هي في المساعي التي تستهدف تقسيم فلسطين وخلق الدولة اليهودية . ولذلك فان كل من يدعو الى الاحتفاظ « بالوضع الراهن » انما يدعو الى نسف قواعد الحق والديمقراطية ويضر بمصالح الاغلبية من سكان فلسطين . ولذلك فتمديد هدنة وقف القتال معناه صيانة « الوضع الراهن » . والوسيط الدولي لا يقصد صيانة « الوضع الراهن » لأنه مخالف للحق ومضر بالسلم ومجحف بمصالح سكان فلسطين .

«وفضلاً عن ذلك فان الصهيونيين ماضون في تعزيز مآربهم لتجميد «الوضع الراهن » ودعم « دولتهم » في فلسطين . وهم يستغلون فترة الهدنة ليطبقوا سياسة « الامر الواقع » .

«ان الوسيط الدولي يرى في هذا الموقف خطراً واجحافاً (بالصالح العربي) وعبثاً بمباديء الانصاف والحق والقانون » .

ولاول مرة وجد الامين العام لهيئة الامم (ترجفي لي) وكان من أنصار اليهود اول الامر ، بأن شطط الصهيونية وأنصارها في المعسكر الاشتراكي الدولي وغيره قد أصبح خطراً على قواعد المسؤولية الدولية في أعمال الأمم المتحدة . فأيدت الأمانة العامة لهيئة الأمم موقف الكونت برنادوت في

(١) الوثيقة رقم (مجلس الامن ٨٧٦) في محاضر جلسات المجلس للسنة الثالثة – ملحق شهر يولية عام ١٩٤٨ .

تخاوفه من ان تصبح هدنة وقف القتال ذريعة للغش الصهيوني في احباط مساعيه للابقاء على وحدة فلسطين وافساد الدولة اليهودية .

وعاد الجانب العربي الى معركة الكلام بدلاً من معركة السلاح التي كادت تقضي كلياً على المآرب الصهيوني سواء أيده الأمريكان والسوفيات معاً أو منفردين وسواء وجد هذا التأييد انصاراً في الأمم المتحدة أم لم يجد . فحين تكلم السيف العربي ، رجع الرشد والصواب الى صناع السياسة الأمريكية فتراجعوا عن التقسيم ودعوا الى الوصاية الدولية كما دعوا الى حل جديد عن طريق الوسيط الدولي الكونت برنادوت ، بينما أصر المعسكر الاشتراكي بزعامة السوفيات على تجاهل السيف العربي والاستهتار بالحق العربي ونصرة اليهود الى آخر لحظة وفي كل المناسبات .

ورفعت امانة الجامعة العربية مذكرة [١] تندب فيها الحظوظ وتشتكي على الغدر اليهودي ، بينما كان الواجب ان تترك الجيوش العربية في فلسطين تتكلم كلاماً يفهمه اليهود وغيرهم ، ويعبر عن العزم العربي ان لا يكون اداة في عمارة الغش الدولي ، ماركسياً ام رأسمالياً ، استعمارياً ام اشتراكياً .

وتجدد القتال بين العرب واليهود وانما على نطاق ضعيف جداً ، عندما انتهت هدنة الأربعة أسابيع لوقف القتال . وكان آخر ميعاد لانتهاء الهدنة يوم ٩ يوليه ١٩٤٨ .

وطالما ان هذا الكتاب ليس تاريخاً للحرب الفلسطينية وإنما هو تسجيل للمعركة الدبلوماسية في الأمم المتحدة وابطالها من الصهيونيين والماركسيين ، فاننا سنتفادى التعليق على الجهد العربي العسكري وما صاحبه من حذق أو غباوة ، أو من صدق المقاصد او زور النوايا . فتاريخ النكبة الفلسطينية لم يدون بعد كما يجب التدوين ، ولا تزال « حرب » فلسطين في حاجة الى دقة

(١) وثيقة مجلس الأمن رقم ٨٨٥ بتاريخ ٥ يوليه ١٩٤٨ .

الباحث وسجل الوثائق وأمانة الدرس ، في مدارج من التفكير والتدوين تتجاوز أقوال الرواة و « حديث العوانس » من رجال السياسة العرب .

وتدخل الكونت برنادوت فطالب مجلس الأمن في جلسة ١٣ يوليه ١٩٤٨ بأن تسعى الأمم المتحدة لوقف القتال مرة أخرى حتى يستطيع الوسيط الدولي ان يجدد مسعاه لصيانة الوحدة الجغرافية والسياسية لفلسطين من غير ان يتأثر هذا المسعى بالتوتر العسكري الذي يسود البلد ، ويبرر للغش الدولي الضرر بالحقوق والمصالح .

ولاول مرة في تاريخ الامم المتحدة وانشغالها بالقضية الفلسطينية ، وجدت هذه المنظمة الدولية وجداناً كوجدان الكونت برنادوت يدرك في وقت مبكر اذى الشر الصهيوني على الابرياء من اهل فلسطين . فقبل ان يفطن العرب الى خطورة رحيل العرب الفلسطينيين عن ديارهم ازاء الغدر والارهاب اليهودي ، فطن الكونت برنادوت الى ذلك ، وادرك ان الصهيونية تتعمد لمآرب سياسية وعسكرية شريرة مسح الصبغة العربية عن المناطق التي خصصها مشروع الكونت برنادوت لتظل عربية كاملة — وهذا يعني الاكثرية الساحقة من كل القطاعات الفلسطينية .

ففي بيانه امام مجلس الامن [١] الح الكونت برنادوت الحاحاً شديداً على « ضرورية العناية بعودة اللاجئين الفلسطينيين العرب الذين ارغموا (بفضل الارهاب) على الرحيل من المناطق التي احتلها اليهود » .

حتى هذه الناحية الانسانية وجدت من الاتحاد السوفيتي منذ البدء خصومة عنيفة وشراً مستطيراً اعرب عنه السيد « جروميكو » منذ اللحظة الأولى التي تلبدت فيها قضية اللاجئين العرب .

قال « جروميكو » رداً على مسعى الكونت « برنادوت » لاعادة اللاجئين

(١) وثيقة مجلس الامن رقم ٨٨٨ للسنة الثالثة بتاريخ ١٣ يولية ١٩٤٨ .

العرب فوراً الى ديارهم في تلك الساعة المبكرة ـ يوليه ١٩٤٨ . قال « جروميكو » بان اللوم في طرد العرب من المناطق التي احتلها اليهـود هو من مسؤولية الدولة اليهودية . (١)

ودار بين « جروميكو » وبين الكونت « برنادوت » الحوار التـالي في جلسة مجلس الامن التي دافـع فيهـا « برنادوت » عن حق المشردين العرب بالعودة الى ديارهم فوراً :

جروميكو ـ على الوسيط الدولي ان يعطينا جواباً واضحـاً على السؤال التالي : من هو المسؤول عن تجديد القتال في فلسطين ؟

برنادوت ـ كلا الطرفين قاما بخرق الهدنة .

جروميكو ـ لدى سؤال ثان ـ ان الوسيط الدولي يقترح اجراء استفتـاء بين شعب فلسطين حول مستقبل الحكم . فهل يريد الوسيط الدولي ان يشمل هذا الاستفتاء مدينة القدس التي اعتبرتها الامم المتحدة منطقة دوليـة ؟ وهل يريد الوسيط الدولي ان يجري الاستفتاء في منطقة القدس فقط .

برنادوت ـ ان المندوب السوفياتي يسيء تفسير مقترحاتي . انا لم اطلب تحديد منطقة الاستفتاء . ولم أُشر الى مدينة القدس بالذات او الى غيرها . كل الذي قلته هو ان من الضروري وقف القتال .. صيانة الامن واجراء استفتاء شعبي في فلسطين في جو هادىء يقرر الشعب هناك مصير الحكم .

جروميكو ـ هل يدرك الوسيط الدولي ان اجراء الاستفتاء في كل فلسطين يعني تجاهل قرار التقسيم وتجاهل قيام الدولة اليهوديـة ، ويخالف لقرارات الامم المتحدة . وهذا ما لا نرضى عنه .

برنادوت ـ لمجلس الامن ان يقرر او يرفض مقترحاتي عن الاستفتاء . اني

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن رقم ٩٥ للسنة الثالثة صفحة ٩ ما بعد .

لست مقيداً بقرار التقسيم الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وانما مهمتي مقيـدة بقرار مجلس الامن ١٤ مايو ١٩٤٨ التي كلفتني بالبحث عن حلول سلمية للنزاع الفلسطيني بغية ايجاد نظام للحكم في كل فلسطين .

وظل السوفيات الى اخر لحظة وفي اشد مواقف العرب حرصاً، على نصرة الصهيونية بشتى قوالب الضغط والالحاح الدبلوماسي (والمعونة العسكرية ايضاً) لصالح الصهيونيين .

ومرة اخرى عاد السوفيات الى التودد للأمريكان عندما كان هذا التودد مفيداً للمصلحة الصهيونية .

وبسبب الحاح الكونت برنادوت على وقف القتال تمهيداً للاستفتاء الشعبي في كل فلسطين ، ورفض العرب لوقف القتال بدافع الغدر الصهيوني وتجنيده للعتاد والرجال من الخارج ومغامراته الإرهابية الاجرامية ضد الابرياء من اهل المدن والقرى والدساكر العربية في فلسطين ـ بسبب رفض العرب وقف القتال لهذا السبب المشروع ولعجز العرب دبلوماسياً وعسكرياً عن الاستفـادة من سياسة « الامر الواقع » لو احتلت الجيوش العربية بقية قطاعات فلسطين، او ساومت الامريكان على حساب الغش الماركسي ـ الصهيوني المشترك ـ هـذه الاخطاء العسكرية والدبلوماسية التي ارتكبها العرب في تلك الآونة العصيبة ـ بالذات ادت الى تجديد التجانس بين موقف الاتحاد السوفياتي وموقف الولايات المتحدة الامريكية من قضية وقف القتال .

فادخل الوفد الامريكي امـام مجلس الامن مشروع قرار يصر على وقف القتال، والتهديد بالمقاطعة والعقوبات الاقتصادية وغيرهـا ضد من يرفض وقف القتال ـ اي الجانب العربي .

واسرع الاتحاد السوفياتي فأيد الاقتراح الامريكي بلا شرط ولا قيـد . وعارض السوفيات كل تعديل للاقتراح الامريكي عندما تطوعت بعض الدول

الصديقة ادخال تعديلات على المشروع الامريكي قبلها الامريكان انفسهم — وأصر السوفيات على رفضها حتى بعد قبول الامريكان تلك التعديلات ، لانها تخفف من مسألة العقوبات ضد العرب .

وقد تطور الاقتراح الامريكي الآنف الذكر الى وثيقة قبلها العرب ، لأن التعديلات التي ادخلت على الاقتراح الامريكي اكدت عدم التزام الامم المتحدة بالتقسيم ، وعدم الاعتراف بالدولة اليهودية على اساس سياسة « الامر الواقع » .

ونظراً لقبول الامريكان هذه التعديلات الجوهرية على نص اقتراحهم الاصلي ، رفض السوفيات تأييد الاقتراح عندما عرض للتصويت والموافقة، وقال مندوب السوفيات في مجلس الامن (وهو الرفيق يعقوب مالك) بأن الرفض السوفياتي مرجعه عدم التزام الاقتراح الامريكي في صورته المعدلة بضرورة تنفيذ قرار التقسيم والاعتراف « بدولة » اسرائيل وحمايتها من المعتدين (العرب) .[١]

وقال المندوب السوفياتي في رفضة للتعديلات التي ادخلت على الاقتراح الامريكي بأن واحدة من هذه التعديلات (في المقدمة القانونية) تلغي الاشارة الى « دولة اسرائيل » ، وطالما ان « اسرائيل » دولة تعترف بها الاتحاد السوفياتي اعترافاً قانونياً كاملا كان السوفيات يصرون على تسجيل اسم « دولة اسرائيل » تسجيلا رسمياً في صلب الاقتراح الامريكي ، وافهام العرب بأنهم في مضيهم على محاربة اليهود وانما يحاربون ايضاً الامم المتحدة ويتحدونها، وهذا يستوجب على الامم المتحدة معاقبة العرب المعتدين. وهذه العقوبة تشمل العقوبة الاقتصادية والعقوبة العسكرية ايضاً .

---

(١) العداء السافر للحق العربي ومناورات الوفد السوفياتي ونصوص التعديلات على الاقتراح الامريكي، ومعارضة السوفيات لتلك التعديلات مسجلة في محاضر جلسات مجلس الامن رقم ٩٥ للسنة الثالثة من صفحة ٤١ وما بعد .

واصر المندوب السوفياتي على ان لا تمهل الامم المتحدة المعتدين العرب سوى ثلاثة ايام للامتثال لوقف القتال .

وتدخل الكونت برنادوت فقال ان مدة الثلاثة ايام لا تكفي مطلقاً لاعطاء العرب فرصة الدرس والتفكير والبت في مسألة وقف القتال . وان ليس على الامم المتحدة ان تهدد وتنذر العرب بعظائم الامور، وانما أن تسعى لكسب ثقتهم وتطمينهم على ان حقوقهم لن تضيع اذا قبلوا هدنة ضامنة لعزم الامم المتحدة على احقاق الحق . والا فاذا ارغمت الامم المتحدة العرب على امور تضر بحقوقهم فان دور الوسيط الدولي لن يكون ذي نفع ولن يضمن التعاون مع الجانب العربي ، وهو جانب له حقوق ومطالب مشروعة لا يمكن ان تذهب هباءاً لأن بعض الاقوياء (السوفيات) يريدون فرض مقاصدهم بالقوة على الآخرين .

واستمر المندوب السوفياتي يعارض كل مقترح يخول الكونت برنادوت متابعة اعمال الوساطة او حفظ الوحدة الجغرافية والسياسية لفلسطين .

وبلغ الجدل بين مندوب السوفيات (يعقوب مالك) والكونت برنادوت درجة خطيرة من العنف . واصر المندوب السوفياتي على توجيه مختلف الشكوك حول نزاهة الكونت برنادوت وحول تحيزه للعرب .

وكانت هذه الحملة السوفياتية — الصهيونية على برنادوت حملة عنيفة وكانت بمثابة تمهيد لما قام به الارهاب اليهودي من اغتيال الكونت برنادوت في غدر اجرامي سافر .

ورغم هذه المعارضة السوفياتية الشديدة والتدخل المتواصل في مناقشات مجلس الامن حول الاقتراح الامريكي لوقف القتال وشروطه وما ادخل عليه من تعديلات تأخذ بعين الاعتبار موقف العرب ، وتعطي للكونت برنادوت

مجالاً لنوع من الانصاف للحق العربي، رغم هذه الحملة الدبلوماسية السوفياتية التي صاحبتها حملة دعاية صهيونية واسعة في صحافة العالم ودهاليز الحكم في شتى البلدان، إلا ان مجلس الأمن اقر الاقتراح الامريكي، الذي تكرر فيه بان قرار التقسيم ليس هـو القول الفصل في مسألة فلسطين، وان الباب لا يزال مفتوحاً على مصراعيه لحلول اخرى كتلك التي في جعبة الكونت برنادوت[١]

واثنـاء التصويت على فقرات مشروع القرار الامريكي كان السوفيات مصرين على نصوص قديمـة في النص الامريكي، نصوص قبل الامريكان انفسهم تعديلها، واصر السوفيات على الاحتفاظ بها لأنهـا تزيد من عنف التهديد للجانب العربي وتصون المصلحة الصهيونية .

وفي اثناء هذا الجدل العنيف وعناد السوفيات على ان يكونوا « صهيونيين اكثر من الولايات المتحدة » كما قال المرحوم فارس الخوري في تعليقه على هذه الخصومة السوفياتية العتيدة للحق العربي – اثناء هذا الجدل العنيف وجـد الجانب العربي ان من المفيد حمل الامم المتحدة على اخذ فتوى من محكمـة العدل الدولية العليا تثبت او تنفي موقف العرب من حقهم في ان يكونوا الوريث الشرعي الوحيد للانتداب البريطاني على فلسطين، وهذا يعني ان انتهاء الانتداب البريطاني قد ترك مصير فلسطين الى اهلهـا – وهم اغلبية عربية ساحقة .

وان اصرار السوفيات على اعتبار اليهود ورثاء للانتداب البريطاني هـو اجراء مخالف للقانون الدولي .

وقدم فارس بك الخوري لمجلس الامن في ١٣ يوليه مشروع قرار يطلب احالة القضية الفلسطينية الى محكمة العدل الدولية العليا ليعالجها القضاة في جو

(١) نص القرار الخاص بهذا الاقتراح الأمريكي المعدل مسجل في وثيقة مجلس الأمن (رقم ٩٠٢) كما اقره مجلس الأمن في جلسة ١٥ يوليه ١٩٤٨ .

المنطق والقواعد القانونية لا في مناخ الغش الدبلوماسي والمناورات الدعاوية والتلاعب بلوائح الامم المتحدة واجراءاتها كما كان يفعل الاتحـاد السوفياتي وغيره من الدول المؤيدة لمآرب الصهيونيين .

ووجد اقتراح المرحوم فارس بك تأييداً من عدد من الوفود في مجلس الامن، ولكن المعارضة الشديدة له كانت من الثالوث الاشتراكي – الصهيوني الذي كان له آنئذ حق الكلام والنقاش في مجلس الامن : وهذا الثالوث كان مؤلفـاً من : مندوب اليهود « ايبان »، ومندوب السوفيـات « يعقوب مالك » ومندوب اكرانيا « مانيويلسكي » . فلم يكمل الثلاثة لحظة واحـدة عن الشغب والتحدي والعرقلة لجهود السيد فارس الخوري ومن ناصر رأيه في مجلس الأمن حول ترك البت في قضية فلسطين قانونياً (لا سياسياً ودبلوماسيـاً فحسب) الى القضاء الدولي في ارفع مراتبه في محكمة العدل الدولية العليا التي خلقتها الامم المتحدة لمثل هذه الاوقات والمشاكل العصيبة .

واصر مندوب السوفيات [١] على ان لا لزوم لمشورة محكمة العدل الدولية العليا . فقد ولدت دولة اسرائيل . والسوفيات والدول الاشتراكية الاخرى معترفة بها اعترافاً قانونياً كامـلا . وليس للامم المتحدة حقـاً في ارغام اسرائيل على قبول الإفتاء القانوني من محكمة العدل الدولية العليا . وكان هذا المنطق السوفياتي هو ترديد حرفي « للمنطق » الذي تذرع به اليهود في رفضهم لأبسط مبادىء المنطق الذي يطلب مشورة اعلى مرجع قضائي في العالم حول الحق والباطل في النزاع الفلسطيني وابعاد الغش الدولي الدبلوماسي عنه . وكانت قوالب الغش السوفياتي من العن واقسى نماذج ذلك الغش الدولي وأشدها اذى بالصالح العربي .

(١) مشروع فارس الخوري والنقاش السوفياتي – اليهودي حوله مسجل في محـاضر مجلس الأمن (رقم ٩٥) للسنة الثالثة ص ٥٤ وما بعد .

وجرى التصويت على مشروع فارس بك الخوري لاستفسار محكمة العدل الدولية العليا . فصوت مندوبو ٦ دول في صالحه هي : بريطانيا ، وبلجيكا ، والارجنتين ، وكولومبيا ، والصين . وكان في حاجة الى صوت واحد فقط من مجموع الأحد عشر صوتاً في مجلس الأمن ليضمن سبعة اصوات هي اصوات الأغلبية . ولكن مندوب « اكرانيا » وهو الدولة السابعة في عداد الدول الصغرى السبعة التي ليست لها مقاعد دائمة في مجلس الامن- مندوب اكرانيا هذا كان الوحيد الذي صوّت ضد المشروع السوري فأفسده وحال بين المجلس وبين الموافقة عليه . وكان هذا الموقف السوفياتي(فاكرانيا صنيعة سوفياتية) طعنة لعينة اخرى في عداد الطعنات المتوالية التي وجهها الاشتراكيون للحق العربي ، في اوج صراع العرب ضد الاستعمار الدولي – بريطانياً او امريكياً او صهيونياً .

ولنستذكر ذلك ادق الاستذكار، وفي كل لحظة وخاطرة يكرر فيها الاشتراكيون اليوم – في كل حركاتهم ونظمهم ومعسكراتهم وجنسياتهم – بانهم خصوم للاستعمار وخصوم للصهيونية .

السوفيات وقضية اللاجئين العرب

بقيت المسألة الفلسطينية تحتل القسط الاكبر من اعمال الامم المتحدة بصفة مستديمة طوال عامين – من صيف ١٩٤٧ الى صيف ١٩٤٩ . وظل الاتحاد السوفياتي ومن يعيش في كنفه من الدول الاشتراكية الماركسية أبرز واعنف واكثر الحلقات الدولية نشاطاً وتأييداً وحضانة وحماية وسنداً للمآرب الصهيونية في فلسطين ، « وللدولة » التي خلقوها في ارضنا في تكالب وغدر وغش دولي كان للمعسكر السوفياتي دور الطليعة فيه ، وفي اقساط فتعادل مع حضانة واشنطون للحركة الصهيونية ، ومن قبلها مع حضانة الاستعمار البريطاني ايام الانتداب .

فالذين قالوا بالأمس ويقولون اليوم بان الاتحاد السوفياتي كان يقصد من حضانة الحركة الصهيونية وتأييد الدولة اليهودية في فلسطين هو طرد النفوذ البريطاني من الشرق الاوسط . الذين قالوا ويقولون بان تأييد السوفيات لليهود في فلسطين كان مجرد انتهازية دبلوماسية وسياسية هدفها خلق «صراع طبيعي» بين العرب واليهود لزعزعة الوضع التقليدي في كل الشرق الادنى على نحو ما توصي به الاشتراكية العلمية ووسائلها، للتغيير السياسي والاجتماعي في المجتمعات

التقليدية ؛ الذين قالوا بالأمس ويقولون اليوم بان عطف السوفيات على اليهود في فلسطين كان بدافع الرأفة عليهم بسبب الاضطهاد النازي لليهود وهو اضطهاد اصاب السوفيات طرف كبير منه ، الذين يقولون بمثل هذه المبررات ايضاحاً لدور السوفيات في خلق اسرائيل جدير بهم مراجعة الوثائق واستذكار الزندقة السوفياتية اللعينة التي تجاوزت كل اصول المنطق السياسي والانتهازية الدبلوماسية فضربت صميم الصالح العربي في صلب الناحية الانسانية الصرفة ناحية اللاجئين العرب . وهي ناحية اشترك الاستعمار الغربي والغش الماركسي والانتهازية السوفياتية والغدر الصهيوني في جعلها مأساة دامية يعيش فيها مئات الالوف حتى هذه الساعة عيشة الذل والبؤس ، وكل قوالب الحرمان والظلم وفقدان الكرامة وابسط الحقوق الانسانية .

ولو اكتفى السوفيات بالمشاركة في طرد الاستعمار البريطاني من فلسطين والادعاء بأن نصرة موسكو للصهيونية في فلسطين كانت مدفوعة بهذه الغاية الماركسية العقائدية فقط لجاز للمؤرخ ان يصمت عند هذا الحد من دور السوفيات في خلق اسرائيل .

ولكن تأييد المعسكر الاشتراكي بزعامة السوفيات ظل على عنف نشاطه وشطط حماسه وحضانته للحركة الصهيونية عندما تناولت الأمم المتحدة هذه المشكلة الانسانية البشعة التي خلقها اليهود لعرب الديار – مشكلة المشردين من من أهل فلسطين الذين دفعهم الارهاب الصهيوني والغباوة العربية (بما فيها غباوة الزعامة العربية الفلسطينية نفسها) الى معسكرات الذل في تخوم الوطن حيث لا زالوا يعيشون على تفاهة الإحسان الدولي بعد سبعة عشر عاماً من ألعن وأقسى ألوان التشرد .

ونحن أبناء هذه النكبة حين نتساءل اليوم كما تساءلنا بالأمس لماذا أصر الغرب الرأسمالي في أوروبا وأمريكا على حل مشكلة اللاجئين اليهود الأوروبيين على حساب أرزاقنا وديارنا وحقوقنا وميراثنا ووطننا في فلسطين ، جدير بنا

ان نتساءل أيضاً لماذا أصر السوفيات والمعسكر الاشتراكي الدولي كله على مشاركة الغرب الرأسمالي في جعل فلسطيننا وفلسطيننا فقط مأوى ليهود أوروبا وسهلوا لهم اختلاس الأرض العربية .

فدور السوفيات والدول الاشتراكية الأخرى في أوروبا الشرقية في ترحيل اليهود (لاجئين وغير لاجئين) الى فلسطين دور كبير قبل مولد الدولة اليهودية وبعد مولدها ، وبالطرق « الشرعية » طوراً وبالطرق غير الشرعية اكثر الأحيان . وطالما اننا معنيون في هذا الكتاب بدور السوفيات وأعوانهم في الحاق الأذى بالحق العربي داخل الأمم المتحدة فقط ، فسنقتصر في معالجة موقف السوفيات « الرسمي » في الأمم المتحدة حول الهجرة اليهودية الى فلسطين وحول المشردين العرب .

ولقد رأينا في فصل سابق من هذا الكتاب كيف ان الاتحاد السوفياتي اصر منذ بدء معالجة الامم المتحدة لقضية فلسطين في صيف ١٩٤٧ على جعل مشكلة اللاجئين اليهود الاوروبيين جزءً اصيلا من القضية الفلسطينية لا مسألة منفردة ذات صلة بموقف العالم المنتصر على النازية الالمانية .

واصر الوفد السوفياتي منذ البدء على استخلاص وعد وقرار من الامم المتحدة بمثابة « وعد بلفور » جديد يعطي ليهود العالم حق افتراس ارضنا في فلسطين .

وفي عنف صراع العرب المسلح ضد الصهيونية العالمية في فلسطين وضد الغش الدولي ماركسياً ورأسمالياً ، عاد الاتحاد السوفياتي الى مسعاه وحماسه والحاحه على جعل الهجرة اليهودية الاوروبية جزءاً متمماً لغزو الصهيونية لديار العرب في فلسطين .

ففي اغسطس من عام ١٩٤٨ اثار مندوب الاتحاد السوفياتي رسمياً في

مجلس الأمن ما كانت الدعاية والضغط الصهيوني يلحان على الامم المتحدة فيه – وهو السماح لعشرات الالوف من اليهود بالدخول الى فلسطين ، رغم ان مجلس الأمن كان قد اقر عدم السماح لأي دولة في العالم بتسهيل وصول المقاتلين او العتاد الى فلسطين انتظاراً لمساعي الوسيط الدولي الكونت برنادوت لحل القضية الفلسطينية في فترة الهدنة التي فرضها مجلس الامن على العرب واليهود ، والتي شاء الموقف السوفياتي ان يجعلها موجهة ضد العرب بصفة خاصة ، لأنهم هم الذين رفضوا الهدنة فهددهم السوفيات بالعقوبات العسكرية وغيرها اذا لم يمتثلوا.

وأبان الهدنة المؤقتة في صيف ١٩٤٨ كانت السلطات البريطانية تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الذي حظر ارسال القوى البشرية او المادية للطرفين المتحاربين في فلسطين – كانت السلطات البريطانية قد حجزت في قبرص حوالي ١٤ الف مهاجر يهودي (معظمهم من الشبان من اوروبا الشرقية الاشتراكية) ومنعتهم من الدخول الى شواطىء فلسطين. وكانت هجرة اليهود من الدول الشيوعية في اوروبا الشرقية تجري بصورة « سرية » انباء الصحف مليئة بها في تلك الآونة .

وقف مندوب السوفيات وحده في مجلس الأمن فارساً يدافع عن مصلحة اليهود ضد « الاستعمار البريطاني » الذي حجز المهاجرين اليهود ومنعهم من دخول « دولتهم في اسرائيل » ، كما قال مندوب السوفيات « يعقوب مالك » مراراً وتكراراً خلال معالجة مجلس الامن لهذا الموضوع في جلسات شهر اغسطس عام ١٩٤٨ [١] .

ورد المندوب البريطاني «السيد الكسندر كادوغان» على مندوب السوفيات ومندوب اليهود « ايبان » بان حجز اليهود والمهاجرين في قبرص كان تنفيذاً

(١) البيانات السوفياتية وردود المندوب البريطاني ومطالب الوفد اليهودي حول هذا الموضوع مسجلة في محاضر جلسات مجلس الأمن رقم (١٠٣) للسنة الثالثة من ص ٣ وما بعد .

لتعليمات مجلس الامن ومراعاة لشروط الهدنة المؤقتة في فلسطين .

وكانت رئاسة مجلس الامن في ذلك الشهر (اغسطس ١٩٤٨) للوفد السوفياتي . فاستغل مندوب السوفيات هذه الفرصة وكرر ما سبق لمندوب اكرانيا فعله يوم ترأس مجلس الأمن في الشهر السابق (يوليه) ، فنادى مندوب اليهود للمشاركة في اعمال مجلس الامن « كمندوب لدولة اسرائيل » وكرر العرب الاعتراض على هذا الاستغلال السوفياتي وفشلوا في تحدي مندوب السوفيات كما فشلوا في تحدي مندوب اكرانيا . فمنصب الرئاسة تقليداً لا يتحمل تحديات . فاللياقة والعرف يقتضي عدم التصويت ضد اجراءات رئيس مجلس الامن .

ورفض مندوب عرب فلسطين (مندوب اللجنة العربية العليا) المشاركة في اعمال مجلس الامن تحت رئاسة مندوب السوفيات تماشياً مع رفضهم المشاركة تحت رئاسة مندوب اكرانيا . وظل الصوت الفلسطيني شهرين كاملين لا يجد المجال لبث شكواه وعرض دفاعه على مجلس الامن بسبب هذا الغش الماركسي السافر وتحايله على المعارج القانونية وصلاحيات الرئاسة في مجلس الامن .

وانبرت في مجلس الأمن مسألة الإسعاف السريع للمشردين العرب من المناطق التي غدر الارهاب اليهودي خلال فترة الهدنة بها فدفع أهلها ، العرب الى الرحيل والتشرد . وكان رحيل العرب مدفوعاً كما نعلم بشتى نماذج الغدر والارهاب اليهودي ضد جماعة لا تملك أبسط مقومات الدفاع عن النفس، أمام حركة يهودية خبيثة استغلت كل سنوات الانتداب البريطاني لتدبر المنظمات العسكرية السرية وتخزن السلاح وتبني القلاع والمعاقل في مناطق وزوايا يسهل على الغش والغدر اليهودي استعمالها لارهاب العرب، الذي حال الاستعمار البريطاني بينهم وبين التنظيم الشعبي للدفاع عن النفس ، كما حالت العباطة والأنانية العربية نفسها في الزعامات الفلسطينية من الالتفات المبكر الى قوالب الغدر اليهودي وترك الجماعات الفلسطينية تخلق لنفسها زعامات قوية شابة .

وحين وصلت الى مسامع الامم المتحدة انباء المآسي العربية في محتشدات اللاجئين الذين طردهم اليهود من ديارهم فتركوا متاعهم وألبستهم وأموالهم ، فأصبحوا عراة يلتحفون السماء ويفترشون الارض ولا يجدون من يسعفهم سوى هـذا القليل من احسان ذوي القربى والتكافل الاجتماعي العربي التقليدي في نصرة الارحام ، وهو تكافل لم يكن معتاداً على مواجهة حالات الطوارىء المخيفة كتلك التي وصلت اليها حالة اللاجئين الفلسطينيين العرب ــ حين وصلت تقــارير الكونت برنادوت وغيره عن شناعة مأساة اللاجئين العرب وجد « الضمير » الدولي ان من الواجب الالتفات الى قضية هؤلاء اللاجئين العرب .

وكان على مجلس الامن ان يبحث قضيـــة اللاجئين من زاويتين : اولها الاسعاف المباشر لهم في المأكل والملبس والمأوى .

وثانيهما (وهو الاهم) الوصول الى حل جذري لمشكلتهم . ومثل هـذا الحل لا يكون الا بعودتهم الى ديارهم التي احتلها اليهود، وطردهم منها الارهاب الصهيوني المنتظم .

وكان الموقف العربي الرسمي في مجلس الامن جلياً واضحاً : فالمسألة في نظر المندوبين العرب مقصـــورة على عودة اللاجئين العرب الى ديارهم في فلسطين . فليس هناك حل آخر . ومسألة الاسعاف والاحسان الدولي للمشروعين مسألة ثانوية . فالحل الواجب هو عودتهم الى وطنهم . ومسؤولية الامم المتحدة في ارغام اليهود على قبول هذه العودة .

ولو ان السيف العربي وحده تكلم لإرغام اليهود آنئذ لما كنـا عشنا في مأساة المشردين العرب كل هذه السنوات المريرة الذليـلة . ولكن العباطة والغباوة العربية ظلت على اعتقادها بان في حظيرة الامم المتحدة مجـالاً بعد لأنصاف عرب فلسطين ، ان لم يكن باسم الحق الطبيعي والتاريخي والسياسي

والقانوني لأهل الديار الفلسطينية العرب، فباسم الانسانية المعذبة التي شردهـا البطش والغدر الصهيوني والغش الدولي حليفاً له .

وكان الكونت «برنادوت» كثير الإلحاح على ضرورة انقاذ عرب فلسطين من تشردهم ، وضرورة القيام بعمل دولي جماعي لارغام اليهود على قبول عودة اللاجئين . كان ذلك في الايام والاسابيـع الاولى من محنـة اللاجئين . وكان الكونت برنادوت كثير الاهتمام عنيداً في الحاحه على نصرة اللاجئين العرب . فلا غرابة ان اعتبره اليهود خصمهم اللدود فقتلوه غدراً واستهتـاراً بالضمير الدولي الذي لم يلوثه الغش الاستعماري ولا الغش السوفياتي ايضاً .

والواقع ان المستذكر لاعمال الامم المتحدة في صيف عام١٩٤٨والمستعرض لوثائقها عن تلك الفترة الدقيقة من ازمة العرب امام الغش الدولي والغــدر الصهيوني يجد ان اشد الاطراف حرصاً على ايجاد حل سريـع لمشكلة المشردين من عرب فلسطين كانوا ثلاثة :

(١) مندبو الدول العربية في الامم المتحدة .

(٢) الكونت برنادوت ــ الوسيط الدولي، والحاحــه الشديد في تقارير متواصلة مرفوعة الى مجلس الامن حول مـأساة اللاجئين وضرورة عودتهم الى ديارهم فوراً .

(٣) الوفد البريطاني في الامم المتحدة . ودور الوفد البريطاني في قضيـة اللاجئين العرب كان دوراً ايجابياً يستدعي التنويه ، مهما كان ماضي بريطانيـا شنيعاً مؤذياً في كل المأساة الفلسطينية منـذ وعد بلفور الى آخر ساعات الانتداب البريطاني .

وسواء كان حماس الوفد البريطاني لاعادة المشردين العرب مدفوعاً بوخز

الضمير او التكفير عن سيئات الاستعمار البريطاني وحنثه بالوعود لحلفائه العرب ، وقهره لحق الشعب العربي مرجعه قناعة المستر بيفان وزير خارجية بريطانيا العمالي آنئذ بشناعة الجرم البريطاني وانتهاكه لابسط حقوق العرب .

... وسواء كان البريطانيون حريصين في صيف عام ١٩٤٨ على ان يبقوا على صداقة العراق وشرقي الاردن والاوساط العربية الاخرى، التي كانت صلة ود وتحالف مع لندن ، فان موقف الوفد البريطاني في مجلس الأمن في ذلك الصيف القلق كان مؤيداً لوجهة النظر العربية وخصوصاً في مسألة اللاجئين .

ففي جلسة ٢ اغسطس ١٩٤٨ جاءت المبادرة من جانب الوفد البريطاني لحمل مجلس الامن رسمياً على الالتفات السريع الى مشكلة اللاجئين العرب .

وقدم «السيد الكسندر كادوغان» رئيس الوفد البريطاني مذكرة رسمية [1] الى مجلس الامن جاء فيها مايلي :

« ان الحكومة البريطانية تشعر اعمق الشعور بان في القضية الفلسطينية اليوم امرين يؤثران تأثيراً جذرياً في صلب الحلول للازمة . اولهما مصير هذا العدد الكبير من المشردين العرب . وثانيهما التحديات التي تواجهنا في مسألة المهاجرين اليهود الاوروبيين » .

وطالب الوفد البريطاني من مجلس الامن ان يجد الانصاف للمشردين قبل اي خطوة سياسية اخرى .

وتصدى مندوب السوفيات « يعقوب مالك » فعارض معارضة شديدة بحث موضوع اللاجئين العرب . وقال بان موضوع اللاجئين ليس مدرجاً في جدول اعمال مجلس الامن ولذا فليس لمندوب بريطانيا ومن يؤيده من المندوبين العرب والمندوبين الآخرين حق او مبرر لبحث موضوع اللاجئين . [2] وايد

(١) جاءت المذكرة في صلب بيان بريطاني رسمي مسجل في وثيقة مجلس الأمن جلسة ٣٤٣ في ٢ أغسطس ١٩٤٨ في محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة (رقم ١١٠) من ص ٤ وما بعد .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧ وما بعد .

مندوب اكرانيا في مجلس الامن موقف السوفيات المعارض لبحث مشكلة اللاجئين العرب .

ومرة اخرى وجد الصوت العربي في مجلس الامن (ممثلا في المندوب السوري المرحوم فارس الخوري) يجادل السوفيات في عنف حول هذه الناحية الهامة من الحق العربي . وقال فارس بك مخاطباً مندوب السوفيات وكانت رئاسة المجلس ذلك الشهر للاتحاد السوفياتي :

« لا ادري بالضبط ما وجه المنطق في معارضة رئيس المجلس للاقتراح البريطاني في ضرورة القيام بعمل عاجل لقضية المشردين العرب .

«.. ان في معارضة السوفيات تحاملا على الحق وعلى اصول الاجراءات في الامم المتحدة . فنحن هنا في مجلس الامن نعالج القضية الفلسطينية من جميع نواحيها . ووثائق الامانة العامة للامم المتحدة تشهد بذلك . فكيف يجوز للمندوب السوفياتي ان يستعمل مركز الرئاسة ويحول بيننا وبين بحث مسألة اللاجئين العرب ... [1]

ومضى فارس بك يشرح بعض نواحي التشرد الفلسطيني :

«.. لقد سبق لنا هنا في مجلس الأمن ان تطرقنا الى البحث الرسمي في مشكلة المشردين العرب في كثير من المناسبات الغربية . فكيف يجوز لمندوب السوفيات ان يمنعنا من حقنا في متابعة الاهتمام الرسمي بها ؟

« ... لقد طرد الارهاب اليهودي حوالي ٣٠٠ الف عربي قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ — اي قبل تدخل الجيوش العربية عسكرياً لنجدة اخوانهم في فلسطين . والواقع ان الدول العربية تدخلت في حرب فلسطين لمنع الاذى عن ارحامهم ولوضع حد للارهاب اليهودي الذي شرد الأبرياء والعزل من السلاح من مناطق دبر الغدر الصهيوني فيها قواعد الارهاب منذ زمن طويل — مثل حيفا ويافا

(١) نفس المرجع ص ١٠ وما بعد .

وطبريا وصفد وأماكن عديدة اخرى ..

« ... كيف يجوز لمندوب الاتحاد السوفياتي ان يجعلنـــا نتجاهل مأساة هؤلاء اللاجئين ومسؤولية الغدر والارهاب الذي شردهم وشتتهم بعيداً عن ديارهم .

« ... ان رئيس المجلس (المندوب السوفياتي) يتذرع بأن مسألة اللاجئين العرب لا يجوز بحثها إلا إذا جاءت التقارير عن احوالهم من الوسيط الدولي (الكونت برنادوت) . ان العرب لهم كل الثقة بالوسيط الدولي . والوسيط كثير الاهتمام بمسألة اللاجئين وهو يلح علينا بانصافهم . والذي نخشاه ان تكون مماطلة المندوب السوفياتي مماطلة عمدية اهدافها اعطاء الفرصة لليهود بتجميد الموقف وتجسيد مآربهم من طرد العرب الابرياء وافتراس ديارهم وممتلكاتهم وحقوقهم، واحلال اليهود فيها ومواجهة الامم المتحدة « بالامر الواقع » .. ان معارضة الاتحاد السوفياتي لبحث ازمة اللاجئين العرب الآن وعاجلا يساعد الغزو اليهودي على الغدر والعبث بالحقوق وعرقـــلة المساعي العربية والدولية للحلول الصحيحة ...»

وشارك مندوب مصر « الدكتور محمود فوزي » في الحملة على السوفيـــات في نفس الجلسة ، وانما في كلام اقل عنفاً . ولسنا ندري هل ذلك كان من ضعف شخصية الدكتور فوزي وغرامه بلون عنيف من « الدبلوماسية » الرقيقة التي عفا عنها الزمن امام تحديات الماركسية السوفياتية وغشها الدولي ورفعها الراية الصهيونية الى اعلى منابر الامم المتحدة ، ام ان الدكتور فوزي (وزير الخارجية الدائم في عهد الاشتراكية المصرية) كان لا يعتقد بان السوفيات يعارضون الصهيونية، رغم كل هذه الادلة والنشاط الفائق والمتواصل الذي بذله السوفيات والمعسكر الاشتراكي كله لنصرة اليهود ومآربهم في فلسطين .

قال الدكتور فوزي في جلسة ٢ اغسطس ١٩٤٨ :

« .. سأمر مر الكرام وللحظة عابرة فقط بموضوع الجدل الذي طرأ على اعمال المجلس بشأن قضية اللاجئين العرب .

« لقد اخبرنا الوسيط الدولي « الكونت برنادوت » في ١٣ يوليه بشأن اللاجئين ما يلي :

« في رأيي انه لا يجب ان يوضع اي شرط او قيد في وجه عودة اللاجئين العرب الى ديارهم »

واليوم يأتي مندوب الصهيونيين فيقول ان حل قضية اللاجئين لا تكون الا بتسوية كاملة شاملة للقضية الفلسطينية ...

« .. اننا نعلم تمام العلم بان هذه «الهدنة» في وقف القتال هي هدنة دائمة — وليست مؤقتة . وهذا يعني ان اللاجئين العرب لن يعودوا الى ديارهم . ولذلك فتوصية الوسيط الدولي بضرورة اعادة اللاجئين الى ديارهم بلا قيد او شرط توصية جديرة باهتمام المجلس .

« ... لقد قال البعض هنا في مجلس الامن — وأظن انه مندوب الاتحـــاد السوفياتي — بان قضية اللاجئين يجب ان تكون جزءاً من الحلول النهائيـــة الشاملة للقضية الفلسطينية (وهذا نفس موقف الصهيونية) فهذ يعني ان لا مجال للاجئين العرب بالعودة الى ديارهم ؟

« لقد بلغ عدد اللاجئين في آخر احصاء لهم حوالي ٣٥٠ الف لاجيء . وهؤلاء ليسوا فقط غير مرتاحين في معيشتهم وانما يجدون انه قد اصبح من المستحيل عليهم استعادة ديارهم .. ليس لدي شيئاً اضافياً اقوله بشأن اللاجئين ، ولذلك فسأنتقل الى نقطة اخرى هي مع الاسف اشبه في الازعاج لنا بالازعاج الذي تنطوي عليه قضية اللاجئين . وهذه النقطة هي غيـــاب مندوبي عرب فلسطين (اللجنة العربية العليا) عن المشاركة في اعمال مجلس الامن احتجاجاً على اعتراف مندوب السوفيات ومندوب اكرانيا (أبان

رئاستهم لمجلس الامن) بممثل اليهود على انه مندوب الدولة اليهودية الرسمية .

واني بكل احترام ارجو من رئيس المجلس (مندوب السوفيات) ان يبدل موقفه.»

ولكن هذا اللطف، في التعبير والرقة في الايضاح والاحترام لمندوب السوفيات لم يحقق للدكتور محمود فوزي ذرة واحدة من النفع ولا من الصدى ولا من اللين السوفياتي . فرد عليه « يعقوب مالك » مندوب السوفيات بمايلي:

« ... مهما حاول مندوبو بريطانيا وفرنسا والدول العربية ان يحملونا على بحث موضوع اللاجئين فاننا نعتبر ذلك تخطياً لمهام مجلس الأمن . فالوسيط الدولي له مهمة واحدة وهي مراقبة الهدنة صيانة لقرارات الامم المتحدة وهي تنفيذ التقسيم وحماية الدولة اليهودية في اسرائيل . فأي عمل آخر ، مثل قضية اللاجئين ، يتطرق اليه الوسيط الدولي فهو مخالف لمهامه .

« ... بالنسبة لما قاله مندوب مصر بالنسبة لممثلي عرب فلسطين فجوابنا عليه هو اننا لم نطرد مندوب اللجنة العربية العليا . وانما هو الذي انسحب لأننا اعترفنا بمندوب دولة اسرائيل . واعترافنا باسرائيل قائم . وسيظل قائماً ، سواء شارك مندوب اللجنة العربية العليا ام لم يشارك مجلس الامن ... [١]

وعاد المرحوم فارس الخوري الى اثارة موضوع اللاجئين العرب في جلسة ١٣ أغسطس . وكانت رئاسة المجلس لا زالت للاتحاد السوفياتي في ذلك الشهر. فرد المندوب السوفياتي على المندوب السوري قائلا بأنه لا توجد معلومات كافية عن مزاعم العرب بشأن مأساة اللاجئين . ولذلك فلا لزوم لاضاعة وقت مجلس الأمن . وانتهز مندوب السوفيات هذه الفرصة فألقى بياناً مثيراً

(١) محاضر جلسات مجلس الامن جلسة ٢ اغسطس ١٩٤٨ .

حول مصير اللاجئين اليهود الذين « يعتقلهم الاستعمار البريطاني في قبرص، ويحول بينهم وبين الوصول الى وطنهم في اسرائيل » .

وزاد المندوب السوفياتي في حماسه للصهيونية فاستغل هذه المناسبة ايضاً وندد بموقف العرب في قطعهم المياه عن القسم اليهودي من مدينة القدس [١]..

وأيد مندوب اكرانيا سيده مندوب السوفيات في الدعوة لهجرة اليهود المعتقلين في قبرص الى فلسطين ، بينما موضوع البحث هو حق عرب الديار المشردين في العراء للعودة الى ديارهم .

واستملك الغضب مندوب سوريا المرحوم فارس الخوري امام هذا الافتراء والغش السوفياتي السافر الذي يستغل كل ظرف ومناسبة (بما فيها رئاسة مجلس الأمن) للدفاع عن الصهيونية رغم جرائمها الشنيعة في حق الأبرياء من عرب فلسطين ، وهي جرائم سجلت بعض ابنائها صحف العالم آنئذ .

قال فارس بك يخاطب المندوب السوفياتي « يعقوب مالك » [٢] :

« ... ان الرئيس (مندوب السوفيات) قد افترى فأناط بي كلاماً لم يصدر عني .. انه يتحايل على الحق ويتعمد ان يحور مجرى النقاش من الموضوع الأساسي العاجل وهو مشكلة المشردين العرب الى ناحية تافهة جداً وهي مسألة مياه القدس .

فأجاب المندوب السوفياتي :

« مسألة اللاجئين اليهود والأوروبيين مسألة مهمة جداً ومن واجبنا الاهتمام بها قبل أي شيء آخر .. ومسألة مياه القدس مسألة حيوية جداً . وليس من الضروري ان نستفسر من الوسيط الدولي عن الحقائق . فنحن نعرف الحقائق

(١) محاضر جلسات مجلس الامن رقم (١٠٣) وتاريخ ١٣ اغسطس ١٩٤٨ .

(٢) المرجع السابق من ص ٤٠ وما بعد .

ولا لزوم للمندوب السوري باطالة النقاش .. »

وتدخل الدكتور محمد فوزي فقال في « لطفه » المعهود :

« أود أنا أيضاً ان اقدم بعض التصحيح الذي سها عن الالتفات اليه رئيس المجلس (مندوب السوفيات) . ان عدم حضور مندوب عرب فلسطين اجتماعات مجلس الأمن مرجعه قيام مندوب السوفيات (رئيس المجلس) بالاعتراف بممثل اليهود كمندوب لدولة اسرائيل . هذا هو سبب امتناع عرب فلسطين عن المشاركة في اعمال المجلس .. هذا الاجراء لا يليق بمجلس الأمن .

ثم تدخل المرحوم فارس الخوري مرة اخرى ليكشف لوناً آخر من الغش السوفياتي وتواطؤه مع الغش الصهيوني .

ففي أثناء النقاش خلال جلسة ١٣ أغسطس التي نحن بصددها وصلت برقية من الوسيط الدولي الكونت « برنادوت » يشرح فيها بعض نواحي الموقف في مدينة القدس . وقام بتلاوة البرقية الأمين العام المساعد للأمم المتحدة وهو روسي اسمه (سوبولوف) . وقرأ سوبولوف برقية برنادوت على النحو التالي :

« ان مجلس الأمن قد سألني بأن أزوده بمعلومات عن ... »

وانتفض فارس الخوري يقول للرفيق سوبولوف :

« لا بد وان هناك خطأ في البرقية ، او ان البرقية يقرأها الأمين العام المساعد على غير صورتها الأصلية . فالوسيط الدولي قام من تلقاء نفسه بارسال المعلومات لأن مهمته تفرض ذلك، لا لأن مجلس الأمن بعث اليه يستشيره ».

وجدير بالملاحظة أن سبب تدخل فارس بك على هذا الشكل هو ادراكه بأن السوفيات في رئاسة مجلس الأمن وفي منصب الأمين العام المساعد للأمم المتحدة كانوا يتعمدون وضع الوسيط الدولي في قالب « موظف » لا يملك

حرية التصرف ، بينما كان الوسيط الدولي شخصية مستقلة لا تتأثر باهوآء الدول ولا بالغش الدولي. ولذلك انتبه الاستاذ الخوري الى هذا الغش السوفياتي الذي اشترك فيه رئيس الوفد السوفياتي والموظف السوفياتي في أمانة الأمم المتحدة المفروض فيه ان يكون مستقلاً عن الاهواء .

وجدير بالملاحظة ايضاً ان هذا الرفيق (سوبولوف) الامين المساعد للامم المتحدة اكتشف امره فيما بعد كجاسوس شيوعي يعمل من قاعدة الامم المتحدة كموظف فيها ، ويحصل على اسرار القنبلة الذرية من العملاء اليهود الامريكان كما تبين ذلك في محاكمة الجواسيس اليهود في الأعوام التالية . وقد ترك (سوبولوف) وظيفته في امانة الامم المتحدة ورجع على عجل بعد اكتشاف المخابرات الامريكية لعلاقاته مع الجواسيس اليهود الامريكان .

* * *

ولم تفلح مماطلة رئيس مجلس الامن (مندوب السوفيات) ولا تواطؤ امانة الامم المتحدة معه (وعدد الموظفين اليهود فيها مرتفع جداً ومن مختلف الجنسيات) في تفادي الالتفات العاجل لمشكلة اللاجئين العرب .

ففي جلسة ١٨ اغسطس ١٩٤٨ ارغم مندوب السوفيات بصفته رئيساً لدورة المجلس على ان يترك باب النقاش مفتوحاً على مصراعيه بشأن ازمة اللاجئين الفلسطينيين . ولكن السوفيات استهلوا النقاش في بيان طويل عنيف اسقط الذنب عن الصهيونية في مشكلة اللاجئين ووصم « المعتدين » العرب وجيوشهم والاستعمار والرجعية الى آخر مواويل الاشتراكية الماركسية .

ولنترك مندوب السوفيات « يعقوب مالك » يتكلم عن مشكلة اللاجئين العرب من كرسي رئاسته لمجلس الأمن في ذلك الصيف القلق :

« ظل الاتحاد السوفياتي منذ البدء داعياً وعاملاً من أجل تقسيم فلسطين

والاعتراف بحق اليهود فيهـــا على ان يعيشوا في دولتهم الجديدة في سلام مع العرب .

« ولكن أعضاء مجلس الأمن لم يؤيدوا التقسيم ولا ايقاف المعتدين (العرب) عند حدهم . وكل ما عملت له الاعضاء في مجلس الأمن، بما فيهم الوفدالبريطاني، هو طلب الهدنة المؤقتة لبضعة أسابيع ، لا ردع المعتدين ردعاً نهائياً .

«ان الاتحاد السوفياتي لا يوافق على الهدنة المؤقتة ، وإنما يريد صلحاً دائماً بين العرب واليهود لأن مصلحة الجماهير العربية واليهودية مشتركة يصونهـــا التعايش السلمي ... والاخوة التقدمية .

« ... ان مندوب بريطانيا أثار مشكلة اللاجئين العرب وتجاهل مأساة اللاجئين اليهود الأوروبيين (الذين تعتقلهم السلطات البريطانية في قبرص) .

« ... ثم جـــاءنا مندوب سوريا (الاستاذ فارس الخوري) فأخبرنا في جلسة ١٣ أغسطس بأن عدد المشردين الفلسطين العرب قد بلغ أكثر من نصف مليون نسمة أغلبيتهم لا تجد وسائل العيش .

«فالسؤال الذي يجب ان نسأله : على من يقع اللوم في هذه المشكلة ؟من هو المسؤول عن تشريد نصف مليون من الناس تركوا بيوتهم واعمالهم السلمية وأصبحوا بؤساء لا مأوى لهم ؟.

«..ان الذنب يقع على شركات البترول الأمريكية التي ضغطت على حكومتها في واشنطون لتعارض تنفيذ قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العـــامة للأمم المتحدة !..

« ان أهدافنا وأهداف الأمم المتحدة من قرار التقسيم هو خلق التعايش

(١) بيان المندوب السوفياتي ، من محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة الجلسة عدد ٣٥٢ بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٤٨ .

السلمي بين العرب واليهود، وإعطاء اليهود حقهم الطبيعي والتاريخي في وطنهم بفلسطين .. واعطاء الجماهير العربية ايضاً جزءاً من فلسطين ...

« ولكن الاقطاع العربي بزعامة الملك عبدالله ملك شرقي الاردن تحدى قرارات الامم المتحدة واعتبرهـــا مجرد قصاصة من الورق يمزقها العدوان (العربي) على الجماهير (اليهودية) التقدميـــة !.. ولقد شجعت الحكومة البريطانيـــة الملك عبدالله على هذا التحدي لقرارات الامم المتحدة والحق والانصاف (لليهود) ...

« لقد قرأت في مجلة « عالم الامم المتحدة »[١] مقالا خطيراً ، عنوانـــه « تقرير عن حقائق المهزلة الفلسطينية » . وهذا المقال يكشف الستار عن العبث الذي قام به مدراء شركات البترول الانجلو – امريكية لعرقلة قرار التقسيم ومكافحة الدولة اليهودية الجديدة . وهذا المقال يشرح خفايا الدسيسة التي كان يحيكها العسكريون البريطانيون بزعامـــة الجنرال « كلوب » (ابو حنيـــك) والجيش العربي الذي يقوده لتحدي الامم المتحدة وحقوق الدولة اليهودية الجديدة .

« ان الصحافة العالمية (اي الصهيونية) مليئة بأنباء التواطيء بين العرب وبين الرأسمالية الانجليزية الامريكية للقضـــاء على حق اليهود في وطنهم . فالاسلحة التي عند الجيوش العربيـــة المعتدية على اسرائيل كلها من مصادر بريطانية –كما قالت جريدة « الهرالدتربيون» في عدد ١٩ فبراير ١٩٤٨ .

« ان معونة بريطانيا للملك عبدالله بالسلاح والقواد العسكريين هو خرق لقرارات الامم المتحدة وعدوان على مصالح الامة اليهودية .. كل العالم يعلم ان

(١) مجلة « عالم الامم المتحدة » نشرة دعاية صهيونية لا علاقة لها مطلقاً بالمنظمة الدولية، واستشهاد المندوب السوفياتى بهذه المجلة ترديد من اعلى منابر الامم المتحدة للدعاية الصهيونية السافرة .

بريطانيا تمنح حكومة شرقي الاردن مبلغ ٢ مليون جنيـــه استرليني لمعونة عسكرية يستعملها الملك عبدالله لايقاع الاذى بالشعب اليهودي البريء ويتحدى بها الملك عبدالله قرارات الامم المتحدة .

« .. هناك تواطؤ سافر بين الإقطاع العربي وبين الرأسمالية والاستعمار لخلق العداء والحقد بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية ... وهذا هو سبب التوتر الذي حصل الآن بين العرب واليهود .. وهذا هو سبب التشرد الذي أصاب الجماهير العربية في فلسطين . .»

(أما الارهاب اليهودي والغدر الصهيوني والاسلحة والعتاد والرجال الذين زود المعسكر السوفياتي بهم يهود فلسطين فلا حساب له في نكبة فلسطين)

ومضى زعيم الاشتراكية العلمية (مندوب السوفيات) يفتري على الحقائق العربية وعلى الحق وعلى التاريخ باسم مكافحة الرجعية والاقطاع والرأسمالية والاستعمار — وهذه الشعارات التي لا زال اليسار العربي يرددها الى اليوم رغم مضي ١٧ عاماً على نكبة التشرد العربي ومولد الدولة اليهودية في ارضنا العربية . وتابع « يعقوب مالك » من منصة رئاسة مجلس الامن افتراءه على الحق وترويجه للغش الماركسي :

« ... هناك نوعان من التشرد : تشرد اليهود الاوروبيين ورحيل العرب عن فلسطين لان الاقطاع والاستعمار قد سبب رحيلهم عن ديارهم !...

«والمسؤول عن مشكلة التشرد وهو الاقطاع العربي والرجعية والاستعمار الذي يحاول افساد قرار التقسيم وحق اللاجئين اليهود في الاستقرار في ديارهم والتعايش السلمي مع الجماهير العربية التقدمية !..

«حتى الكونت « برنادوت » اصبح شريكاً للاستعمار والرأسمالية، فالمخطط والمقترحات التي وضعها لحل القضية الفلسطينية معارضة لقرار التقسيم ولمصالح اليهود ، وهذا المخطط وضعه الكونت « برنادوت » بالتعـــاون مع لندن

وواشنطون وباريس .. والرجعية العربية .

«ليس هناك حل لقضية اللاجئين العرب واليهود بغير صيانة الدولة اليهودية في اسرائيل ..»

اما الاقتراح الوحيد الذي قدمه مندوب السوفيات لحل مشكلة اللاجئين العرب في ذلك البيان الهام الذي القاه في مجلس الامن فى جلسة ١٨ اغسطس ١٩٤٨ فهو الاقتراح السلبي الذي ظلت سياسة الاتحاد السوفياتي متمسكة به حتى الآن وبعد مضي ١٧ عاماً على نكبة اللاجئين ورغم هذه الاخوة والزمالة والتحالف بين انظمة اليسار العربي ، وخاصة القاهرة، وبين الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي الدولي كله .

امـــا الاقتراح السوفياتي فهو على حد تعبير مندوبه في تلك الجلسة التاريخية :

«ان الطريقة الوحيدة لحل مشكلة اللاجئين ليست في تقديم المعونات المالية لهم ورفع الضائقات عنهم ، وانما في حمل العرب على احترام قرار التقسيم (الذي خلق اسرائيل) وتوطين اللاجئين العرب على اساس برامج ومشاريع يقوم بها العرب انفسهم في الشرق الادنى ، وعلى اساس التعايش السلمي بين الجماهير العربية التقدمية والجماهير اليهودية التقدمية في اسرائيل ..»

هذا الموقف السوفياتي لم يتبدل من عام ١٩٤٨ ولن يتبدل رغم كنانة الغش السوفياتي ورواج البيعات الاشتراكية الثورية في دنيا العرب في حضانة السوفيات او في اجتهاد تلامذة الفكر الاشتراكي .

فالسوفيات لم يتبرعوا بقرش واحد لاسعاف اللاجئين من عرب فلسطين . والسوفيات كانوا أول من اعترف اعترافاً قانونياً بالدولة اليهودية . والسوفيات أول من دعا الى « التعايش السلمي » بين العرب واسرائيل — دعوة صدرت بالأمس في عـــام ١٩٤٨ ولا زالت اساس السياسة السوفياتية (وكل المعسكر

الاشتراكي الدولي) . والسوفيات – هم أول من قال بأن خصومة العرب لإسرائيل مرجعها الاستعمار والرجعية . والسوفيات هم أول من اسقط الذنب عن الغدر والغش الصهيوني في نكبة فلسطين وجعل الذنب في الرأسمالية والإقطاع ...»

فأي حركة أو نظام أو حزب أو زعيم أو لسان عربي يكرر شعارات السوفيات في اعتبار الرجعية والرأسمالية هما أساس المصيبة الفلسطينية ، انما يكرر الدعاية الصهيونية ويدعو الى بقاء اسرائيل ، ويعمل لليوم الذي يأمل الغش السوفياتي – الصهيوني المشترك ان يسود فيه على العالم العربي نظم « تقدمية » تعبر عن مشاعر «الجماهير» العربية ليتحقق لسان الحال «والاخوة» العقائدية مع « الجماهير التقدمية » في اسرائيل ، ويتصافى اليسار العربي مع اليسار اليهودي في « تعايش سلمي » . وسلام على نكبة فلسطين ، ومحنة اللاجئين وحق العرب وكرامة القومية وكل الميراث والحقوق التي لنا في أرضنا العربية في فلسطين .

فاليسار العربي اذا ظل على تلمذه وتبعيته وزمالته وصلاته العقائدية او العسكرية او الدبلوماسيه الوثيقة بالمعسكر الاشتراكي العالمي – سوفياتياً ام صينياً – فان ذلك اليسار العربي واربابه واتباعه وحركاته ونظمه شريك في التواطىء مع هذا الغش السوفياتي – الصهيوني ، سواء ادرك اليسار العربي انه شريك في هذا التواطىء ام لم يدرك .

فالسوفيات لن يتراجعوا عن حضانة اسرائيل اليوم او غداً . والسوفيات لن يساهموا في اعادة اللاجئين العرب الى ديارهم في فلسطين . والسوفيات لن يجدوا حلا لقضية الفلسطينية الا في تعايش سلمي بين اسرائيل وعالم العرب ، حين تزول المشاعر القومية العربية والنزعات الدينية الاصيلة ، وتصير مقررات الامة العربية في يد اليسار « التقدمي » الذي يستطيع ان يحقق « التعايش السلمي » مع اليسار اليهودي في اسرائيل .

الكر والفر السوفياتيان ٧
في مأساة اللاجئين العرب

تعطلت اعمال مجلس الامن فترة من الزمن في اواخر صيف عام ١٩٤٨ بسبب اقتراب موعد الجمعية العامة التي كان مقرراً عقدها في باريس في شهر سبتمبر . فقد كان على الامم المتحدة ان تخلي مقرها المؤقت في «لايك سكس». في ضواحي نيويورك .

ولكن جهود الكونت « برنادوت » لم تتوقف ، وظل يتابع ارسال التقرير تلو التقرير عن مأساة اللاجئين وعن مقترحاته للابقاء على الوحدة الجغرافية والسياسية والبشرية لاهل فلسطين وعن مساعيه للوساطة حول هذه الأمور مع الاطراف المعنية بالأمر .

ففي برقية طويلة للكونت برنادوت ارسلها الى السلطات اليهودية اصر الوسيط الدولي على ضرورة عودة اللاجئين العرب الى ديارهم في المنطقة التي سيطر عليها اليهود في فترة الهدنة المؤقتة [١] .

وأجاب اليهود على الكونت برنادوت مكررين ما سبق لمندوب الاتحاد السوفياتي تسجيله بالنيابة عنهم في مجلس الامن . وهو ان محنة اللاجئين العرب سببها الرجعية العربية والاستعمار والرأسمالية . وان الحل الوحيد هو في عقد

(١) التقرير الدوري للوسيط الدولي – الملحق رقم ١١ وثيقة الجمعية العامة رقم ٦٤٨ .

صلح دائم بين العرب واسرائيل على اساس التعايش السلمي والاعتراف بالدولة اليهودية . (١)

وعاد الكونت « برنادوت » فألح على اليهود بضرورة اعادة اللاجئين العرب بلا قيد ولا شرط . فهذا حقهم الطبيعي . وهذا حقهم القانوني فضلا عن ان مأساتهم الانسانية تستوجب عودتهم الى ديارهم ومنازلهم قبل حلول فصل الشتاء ، واللاجئون عراة بلا مأوى . وناشد الكونت الضمير الانساني في الامم المتحدة بان يسرع فيقدم الاسعاف والمعونة للمشردين العرب وان يعمل على عودتهم الى منازلهم في فلسطين .

وبعث الكونت برنادوت برقيات بهذا المعنى الى كل دولة من دول الامم المتحدة ، بما فيهم الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تعيش في كنفه وتحتل مقاعد في هيئة الامم المتحدة وهي : تشيكوسلوفاكيا، روسيا البيضاء اكرانيا ، بولندة ، رومانيا ويوغسلافيا .

وتلقى الكونت برنادوت ردوداً ودية مصحوبة بالاستعداد للعون والمعونات من كل الدول الاعضاء في الامم المتحدة . إلا دول المعسكر الاشتراكي فقد تجاهلت برقيته ونداءاته تجاهلا كلياً ولم تجب اي دولة اشتراكية عليها — حتى من باب الاعتراف باستلام البرقية فقط .

اغتيال « برنادوت »

ولكن « برنادوت » لم يفقد اعصابه، ولم يتوان في اداء مهمته، ولم يصمت على الغش الدولي ، ولم يتقاعس في مسعاه لحل قضية فلسطين بغير اسلوب التقسيم وعلى اساس الوحدة الجغرافية واعادة جميع المشردين العرب الى ديارهم في فلسطين سواء رضى اليهود بذلك ام لم يرضوا .

(١) نفس المرجع السابق – وثيقة الجمعية العامة رقم ٦٤٨ ص ٢٧ .

وفي ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ اعد الكونت « برنادوت » تقريراً شاملا يشرح اصول الموقف في فلسطين ، ويضع النقاط على الحروف ويكشف الغش الصهيوني ويسجل حقائق المظالم العربية وعبث الضمير في الامم المتحدة على تلافي مزيداً من الكوارث .

ولم يصبر الغدر الصهيوني يوماً واحداً حتى اغتال الكونت برنادوت في اليوم الثاني من صدور تقريره – فقد صدر التقرير كوثيقة من وثائق الجمعية العامة لدورة باريس في ١٦ سبتمبر ١٩٤٨ ، واغتال اليهود « برنادوت » في اليوم التالي – ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ . (١)

وعقدت الجمعيه العامة دورتها السنوية في باريس لعام ١٩٤٨ بعيداً عن هذا الجو الصهيوني الخانق الذي جعل من نيويورك عصب الجهاز لليهودية العالمية وقاعدتها المالية والدعاوية ، فخنقت انفاس الحق العربي في الامم المتحدة في معقل الرأسمالية العالمية في نيويورك ، التي لم يجد اتباع ماركس والاشتراكية العلمية من وفود المعسكر السوفياتي ادنى حرج في الاستعانة بصحافة نيويورك الرأسمالية للاستشهاد بفصاحات الصحف وافتتاحيات الكتاب والمعلقين الامريكان من اليهود وغير اليهود للحملة على عرب فلسطين وعرب الشرق الادنى باسره، باسم هذا المألوف والمحجوج من الشعارات الماركسية : مكافحة الرجعية والاقطاع والرأسمالية والاستعمار ، ليتهادى الاشتراكيون في نصرة الصهيونية العالمية ، وهي اعلى مراحل الرجعية المذهبية والعهارة الرأسمالية والغش الاستعماري والبطش السافر بحقوق شعب مغلوب على امره كشعب فلسطين العربي .

(١) التقرير الأخير للكونت برنادوت وثيقة الجمعية العامة رقم ٦٤٨ مع الملاحق . وتقرير الأمم المتحدة عن حادثة اغتيال اليهود للكونت برنادوت – وثيقة مجلس الامن رقم (١٠١٨) لملحق محاضر اكتوبر ١٩٤٨ .

وفي دورة الجمعية العـــامة بباريس في خريف عام ١٩٤٨ لاحق الغش الصهيوني الدعاوي وحلفاؤه الاشتراكيون موكب الامم المتحدة ، ونشطت الدعوة الصهيونية بتجنيد الصحافة الفرنسية (التي يملك اهمها اليهود) للاطناب على مواقف الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى من « مآساة الشعب اليهودي » ، وما انتهى اليه مطاف التشرد اليهودي الى وطنهم التاريخي في الارض المقدسة » كما قالت افتتاحيات اكبر صحف فرنسا محافظة وخصومة للفكر والبيعة الاشتراكية ، كصحيفة « فيجارو » . ولم يعبأ الضمير الفرنسي الذي كان معروفاً بنزعة الحرية والتحرر — لم يعبأ الضمير الفرنسي بأدنى الالتفات الى مصيبة مئات الالوف من المشردين العرب على يد الغدر والارهاب الصهيوني ومحالفة الغش الماركسي الاستعمار الرأسمالي الغربي له — معا وفي آن واحد في ادق مراحل القضية الفلسطينيـــه خطورة — في اعوام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ — وخصوصاً في عام ١٩٤٧ .

واحيلت قضية اللاجئين على اللجنة الاجتماعية المتفرعة عن الجمعية . وترك الجانب السياسي من القضية الفلسطينية مدرجاً في جدول اعمال اللجنـــة السياسية الاولى وهي اهم لجان الجمعية العامة . فقد كان موضوع فلسطين آنئذ اهم مادة مدرجة في جدول اعمال الدورة السنوية للجمعية العامة في تلك السنة .

وفي مستهل مناقشة اللجنة الاجتماعية لموضوع اللاجئين العرب بدا من الاغلبية الساحقة للوفود عطف حقيقي على نكبة التشرد الفلسطيني واهله ، رغم الدعاية الصهيونية العالمية الواسعة ، ورغم دعاية الاشتراكيين في الوسط الدولي بأن محنة التشرد العربي سببها الرجعية العربيـــة والاستعمار الغربي — لا الغدر اليهودي ومؤآزرة السوفيات له في اخطر اللحظات وادقها .

ووجدت وفود الكتلة السوفياتية اول الامر ان « التكتيك » الماركسي يقتضي ان تجهر الالسن الاشتراكية في منابر الامم المتحدة بخصومة علنيـــة لمحنة التشرد العربي في فلسطين . فشارك مندوبو الدول الاشتراكية في اوائل

النقاش بابداء لون من الاعتراف بأن هناك مصيبـــة حلت بعرب فلسطين — وامتنع السوفيات بضعة ايام عن الحاق هذا الاعتراف بالنكبـــة بالشروح الماركسية المألوفة بأن النكبة العربية هي وليدة الرجعيـــة والاقطاع الى آخر المـــوال .

وحتى في هذه الفترة القصيرة التي صمت فيها اللسان السوفياتي عن ربط محنة التشرد العربي بالاستعمار والرجعية ، ظل الوفد السوفياتي ومن في كنفه من الوفود الاشتراكية الاخرى يضيف الى كلام الرأفة باللاجئين العرب كلام عاطفي مثير الرأفة ايضاً بمحنة اليهود الذين اضطهدهم النازيون .

وفي جلسة ٣٠ اكتوبر ١٩٤٨ بدأت اللجنة الاجتماعية ، المتفرعـــة عن الجمعية العامة النظر المبدئي في امر اللاجئين العرب استناداً الى تقارير الكونت برنادوت وتواصيه ، والجهد الجميل الذي بذله الكونت قبل ان اطاحت بـــه رصاصات الغدر اليهودي .

وقد ورث الدكتور « رالف بانش » الزنجي الامريكي الذي كان يعمل موظفاً في امانة الامم المتحدة ورث دور الوسيط الدولي بعد وفاة الكونت « برنادوت » .

وكان الدكتور بانش آنئذ شخصية نكرة ، كل ماضيه الفكري والسياسي لا يتجاوز مشاركة هامشية في بحث دراسي وضعه خبير اجتماعي سويـــدي معروف « الدكتور ميردال » عن مشكلة الزنوج في امريكا [١] .

وطلب المندوب البريطاني في اللجنة الاجتماعية الاستماع الى تقارير جديدة

---

(١) دراسة الدكتور ميردال « المشكلة الأمريكية » . وقد قام بتحويل هذه الدراسة جماعة يهودية امريكية كانت تسعى لكسب أصوات الزنوج الأمريكان في الانتخابات التي كان يرشح بعض الزعماء اليهود الأمريكان أنفسهم لها . وقد استخدمت هذه الجماعة اليهودية الدكتور بانش ليساعد الباحث السويدي الدكتور ميردال . فصلة الدكتور بانش باليهود صلة قديمة .

عن حالة اللاجئين العرب اعدها الفريق الاخصائي من المراقبين الذين كانوا في معية الكونت « برنادوت » قبل ان اغتاله اليهود . وتقارير اخرى وضعها السير « روفائيل كيلبنتو » وهو بريطاني كان يرأس « مشروع الاسعاف للمنكوبين العرب » وهو هيئة خلقت على عجل للاشراف والاسعاف للمنكوبين من اهل التشرد في تخوم فلسطين القريبة والبعيدة عن ديارهم التي بقيت تحت سلطان الغدر الصهيوني طوال فترة الهدنة « المؤقتة » .

وعاد السوفيات الى معاكساتهم في بحث مشكلة اللاجئين العرب . فقام مندوب السوفيات في اللجنة الاجتماعية الرفيق (بافلوف) وعارض في سماع التقارير عن اللاجئين . وقال بان ذلك لا لزوم له . ورفضت اللجنة قبول هذا التحدي السوفياتي . وهزمت المندوب السوفياتي بالاغلبية الساحقة لأصوات الوفود باستثناء وفود الدول الاشتراكية التي ايدت مندوب السوفيات في حماس فائق .

وكرر مندوب السوفيات في اللجنة معارضته لبحث مسألة اللاجئين العرب، حتى بعد ان وافقت اغلبية اللجنة على ادراج الموضوع رسمياً في جدول اعمالها. وفي جلسة ٢٩ اكتوبر وقف مندوب السوفيات نفسه (بافلوف) فقال « اذا لم يكن بد من بحث مسألة اللاجئين العرب فمن الواجب الحتمي على اللجنة بحث مأساة اللاجئين اليهود الأوروبيين ايضاً . وفي نفس اللجنة ونفس الوقت ولنفس الغاية والمقاصد » .

واستشهد مندوب السوفيات بوجود المهاجرين اليهود في قبرص الذين احتجزتهم السلطات البريطانية ومنعتهم من متابعة الهجرة الى فلسطين تمشياً مع قرار مجلس الامن الذي فرض على دول الامم المتحدة ان لا تدع العتاد والرجال (في سن صالحة للقتال او للتدريب العسكري) من دخول فلسطين طوال فترة الهدنة . والمعروف ان الاغلبية الساحقة من هؤلاء المهاجرين اليهود المحتجزون في قبرص كانوا من يهود الاتحاد السوفياتي ويهود الدول الاشتراكية الاخرى في اوروبا الشرقية .

وتجاهلت اللجنة الاجتماعية هذا التحيز السوفياتي السافر لمصلحة اليهود واذى المنكوبين العرب . وصوتت اللجنة ضد الاقتراح السوفياتي . [١]

وتقدم مندوبو بلجيكا والولايات المتحدة الامريكية وهولنده بمشروع قرار الى اللجنة الاجتماعية كانت اهم نقاطه ما يلي : [٢]

اولا التوكيد على ان محنة اللاجئين العرب تستوجب على الامم المتحدة عناية فائقة لا تؤثر تأثيراً مضاداً لحقوقهم المشروعة في فلسطين .

ثانياً تخصيص مبلغ ٢٩ مليون ونصف المليون دولار لاسعاف اللاجئين العرب الذي كان عددهم يقدر آنئذ بـ ٥٠٠ الف لاجىء . على ان يخصص هذا المبلغ لبضعة اشهر فقط (من اول ديسمبر ١٩٤٨ الى آخر اغسطس ١٩٤٩) .

ثالثاً يطلب من الدول الاعضاء في الامم المتحدة ان تتبرع في المساهمة لجمع هذا المبلغ المخصص لإسعاف اللاجئين العرب .

رابعاً نظراً للحالة المريعة التي ابتلى بها اللاجئون العرب فمن الواجب عقد قرض عاجل بمبلغ ٥ ملايين دولار لمباشرة اسعاف اللاجئين انتظاراً لوصول مساهمات الدول الاعضاء في المبلغ المطلوب كله .

خامساً تقوم على ادارة الاسعاف لعرب فلسطين اللاجئين هيئة دولية تنظمها امانة الامم المتحدة وتعيّن مديراً عاماً لتلك الهيئة .

سادساً الالحاح على منظمة الصحة العالمية ، وصندوق الطوارىء التابع للامم المتحدة لاسعاف اطفال العالم ، وبقية الهيئات والمنظمات والوكالات الدولية ان تسرع بتقديم المعونات والخدمات للتخفيف من محنة اللاجئين العرب .

---

(١) ملحق محاضر جلسات اللجنة الاجتماعية (اللجنة الثالثة) لدورة الجمعية العامة السنوية الثالثة . ١٩٤٨ ص ٢١٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ـ الملاحق الاساسية ص ٥١ ـ ٥٥ .

ولم يجد هذا الاقتراح البلجيكي ـ الامريكي ـ الهولندي المشترك ادنى معارضة من اعضاء اللجنة الاجتماعية بما فيهم مندوبو الدول العربية . وانفرد مندوبو السوفيات والدول الاشتراكية في مهاجمته ومعارضته وحمل اللجنة على رفضه ـ رغم انه انساني الطابع يسعى لانقاذ ما يمكن انقاذه من مصيبة مئات الألوف من اهل النكبة التي شارك الاشتراكيون في خلقها حماساً منهم لحضانة الغدر الصهيوني فى فلسطين .

وقال المندوب السوفياتي : (١)

« ليس المسؤول عن مولد مشكلة اللاجئين العرب هو مشروع التقسيم وقيام دولة اسرائيل . انما المسؤول عن ذلك هو تحدي كل من البريطانيين والامريكان والعرب لقرار التقسيم ومولد الدولة اليهودية ومعارضتهم للوضع الجديد (الدولة اليهودية) . هؤلاء الجماعات الثلاثة : البريطانيون والامريكان والعرب هم الذين ارتكبوا جرم التحدي للحق (اليهودي) وجلبوا على عرب فلسطين التشرد . »

ولم يصبر المندوبون العرب طويلا على هذا الإفتراء السوفياتي الذي تعمد ان يبعد عن الصهيونية اي ذنب في النكبة الفلسطينية ـ وقام «عدلي اندراوس» المندوب المصري في اللجنة الاجتماعية، وكان من ابلغ واذكى المندوبين العرب واعمقهم ثقافة وأشدهم اتقاناً للمنطق القانوني وفصاحة الكلمة في عدد من اللغات الاجنبية . وقد هدرت الاشتراكية المصرية فيما بعد كرامة « عدلي اندراوس»، رغم ماضيه المجيد في الدبلوماسية المصرية قبل العهد الاشتراكي . قال « عدلي اندراوس » في جلسة ١٣ نوفمبر ١٩٤٨ رداً على مندوب السوفيات :

« ... لا ادري ما حقيقة دوافع هذا الغش (السوفياتي)، فاللجنة الاجتماعية

---

(١) ملخص محاضر اللجنة الاجتماعية (الثالثة) لجلسة ٢٠ اكتوبر ١٩٤٨ من ص ٢٩٩ وما بعد .

مطلوب منها فقط ان تعير بعض الاهتمام بمحنة نصف مليون من المشردين العرب، والسعي لازالة الظروف والمسببات التي ادت الى هذه النكبة . ولا مفر لهؤلاء اللاجئين العرب من العودة الى ديارهم واستعادة كرامتهم ..

« ... فالنظرة العربية لا تعتبر تبرعات الامم المتحدة بمبلغ ٣٠ مليون دولار او اكثر او اقل ثمناً للحق العربي او لكرامة اللاجئين وعزمهم على استعادة ديارهم .

« ... فليكن مفهوماً لدى العالم بامره باننا لا نساوم احداً على حق العرب في فلسطين بالمال او بالمعونات او باي شيء آخر ... »

هذا نوع من النبوءة السياسية جاءت على لسان دبلوماسي مصري عميق الفكر واسع الثقافة والاطلاع على الشؤون العالمية . وكأنه ادرك في ذلك الوقت المبكر ان الدهاء الماركسي يسعى لجعل الازمة الفلسطينية مجرد « دسيسة استعمارية » و « رجعية واقطاع عربي » ، فاذا زال المجتمع العربي القديم فسيكون للسوفيات شأن في مصر او في دنيا العرب يسخرونه في الدقيق من اموره ، تحت شعار مكافحة الرجعية والاقطاع والاستعمار ...

ومضى « عدلي اندراوس » يخاطب المندوب السوفياتي :

« ... لا تخلق لنا معاكسات ومشاكل لا لزوم لها ولا مكان لها في مجال الحديث عن اسعاف اللاجئين والمشردين ...

« ... فالناحية السياسية من قضية فلسطين تعالجها لجنة اخرى هي اللجنة السياسية . وفي هذه اللجنة هنا (الاجتماعية) انما نعالج فقط الناحية الانسانية في محنة عرب فلسطين ..

« فلا تخلطوا عمداً بين الأمرين لكي تروجوا لمبادىء وتعملوا لأهداف وغايات انانية، لا علاقة لها بالحق العربي او باصول الانصاف او بقواعد المسؤولية الاخلاقية والمسؤولية القانونية والمسؤولية الدولية ايضاً .. »

ورد مندوب السوفيات (بافلوف) على « عدلي اندراوس » رداً عنيفاً . وكان (بافلوف) سفير الاتحاد السوفيات في باريس ، وكان (اندراوس) سفير مصر بباريس ايضاً . فهو يعرف مقاصد المتحدث السوفياتي ونواياه :

« ... ان المندوب المصري في بياناته قد اساء تفسير المقاصد السوفياتية . اننا لانريد سوى تنفيذ قرار التقسيم الذي قال بحق اليهود في دولتهم بفلسطين »

« ان الذنب في ازمة اللاجئين العرب هو شركات البترول والشخصيات الرجعية والإقطاعية العربية التي تحدت قرار التقسيم والحق اليهودي في فلسطين. وقضية اللاجئين لا يحلها الا التعايش السلمي بين العرب واليهود في كل بلد ، تحت نظام ديمقراطي تقدمي يخدم الجماهير العربية والجماهير اليهودية ويمثلها في الحكم والعقيدة ... »

وكأن مندوب السوفيات في قوله القديم هذا يؤكد موقف الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي الدولي كله الذي لا يرى حل القضية الفلسطينية الا في تعايش سلمي بين نظم عربية « تقدمية » ونظام يهودي « تقدمي » ايضاً في اسرائيل . فعشق بعض الاوساط والزعماء العرب للبيعة الاشتراكية الماركسية ما هو الا توكيد لمخاوفنا جميعاً من ان يكون للاشتراكية العربية ونظمها نفس الدور الذي قال به السوفيات بالامس ويقولون به اليوم حول « التعايش السلمي » بين الاشتراكية العربية والاشتراكية اليهودية في اسرائيل .

وأخيراً وافقت اللجنة الاجتماعية باغلبية الاصوات على مشروع اسعاف اللاجئين وخلق وكالة الغوث . وقد صوت المندوبون العرب على هذا المشروع وابرمته الجمعية العامة في جلستها الرسمية الكاملة يوم ١٩ نوفمبر ١٩٤٨ .

نحن الآن في عام ١٩٦٧ وقد انقضت تسعة عشر عاماً تقريباً على هـذا الاحسان الدولي وعلى وصايـة الامم المتحدة في وكالة الغوث على مقدرات اللاجئين الفلسطينيين . وليس في الجو امل لهم في العودة سوى هـذا الغش والزيف الدعاوي الذي تروج له الاشتراكية بكل مدارسها وقوالبها وحركاتها

عربية واجنبية — بان حل قضية فلسطين هو في سيادة الاشتراكية الماركسية على كل دنيا العرب .

فاذا تحققت مثل هذه السيادة الاشتراكية فنخشى ان تكون حلولها للعار العربي في فلسطين هو في « تعايش سلمي » مع الآفاقيين الصهيونيين في فلسطين. فهم ايضاً سريعو التقلب ، لهم ميراث عريق في الاشتراكيـة الماركسية ، وقادرون بمفردهم وبمعونة المعسكر الاشتراكي الدولي كله على « التعايش السلمي » في ظل الاخوة الاشتراكية العالمية بما فيها الاشتراكية العربية نفسها .

معارضة السوفيات لعروبة الجليل والنقب
تحطيم مشروع برنادوت

كان من الطبيعي ان يتخذ الارهاب الصهيوني فترة الهدنه المؤقتة ووقف القتال ذريعة لتنفيذ ما بيتوا عزمهم عليه من افتراس فلسطين في مخطط وتدبير ودهاء اعدوه منذ اوائل القرن العشرين ، قبل وعد بلفور وفي عهد الانتداب البريطاني وفي فترة انشغال الامم المتحدة بالقضية الفلسطينية .

وتواردت الى الامم المتحدة في صيف ١٩٤٨ تقارير متلاحقة من الوسيط الدولي (الكونت برنادوت قبل اغتياله) ومن مراقبي الهدنة ايضاً تشير الى خرق الصهيونيين لشروط الهدنة المؤقتة .

فقد امعنوا في استيراد الرجال والعتاد من يهود اوروبا الشرقية (الاشتراكية) ، وتعمدوا ان يثيروا الارهاب والذعر في المناطق التي كان لهم قصد وتدبير قديم بإخلائها من اهلها العرب كمنطقة الجليل والنقب وغيرها من المناطق الفلسطينية التي لم يستطع ان يتسرب اليها اليهود خلال فترة الانتداب او خلال المرحلة الاولى من عملياتهم الارهابية ضد عرب الديار .

وقبل اغتيال اليهود للكونت « برنادوت » بحوالي اربعة اسابيع بعث

« برنادوت » ببرقية عاجلة في شكل تقرير دوري رسمي [١] الى مجلس الامن (بتاريخ ١٨ اغسطس) ينذر فيها الامم المتحدة بان عليها ان تفرض على العابثين بشروط الهدنة وقررات وقف القتال (وكان ذلك العبث صهيونياً في كل حادثة تقريباً) بان يكفوا عن تحدياتهم ، وان على مجلس الامن ان ينفذ العقوبات ضد المستهترين بشروط الهدنة كما يستوجب ذلك قرار مجلس الامن نصاً وروحاً. واصر الكونت برنادوت على ان لا يسمح مجلس الامن لأي فريق في فلسطين بكسب مراكز ومنافع عسكرية او سياسية مستغلا بذلك فترة وقف القتال وشروط الهدنة . وكان « برنادوت » يقصد اليهود في انذاره هذا، فهم الذين كانت مقاصدهم تركيز « مكاسب الثورة » على تعبير الاشتراكيين السوفيات واليهود في تلك الايام ، اذ انهم كانوا يعتبرون خلق الدولة اليهودية هي « نتيجة حتمية للعمل الثوري التحرري ضد الاستعمار البريطاني والرجعية العربية والرأسمالية البترولية » كما قال مندوب السوفيات مكرراً منطق الصهيونيين من اعلى منابر الامم المتحدة .

وتلبية لنداء الكونت « برنادوت » في تفادي خرق شروط الهدنة ووقف القتال في فلسطين ــ تقدم مندوبو كل من الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وكندا وفرنسا في جلسة ١٩ اغسطس ١٩٤٨ لمجلس الامن بمشروع قرار يؤيد توجيهات الوسيط الدولي ــ برنادوت . [٢]

ونص هذا المشروع الامريكي على النقاط التالية :

١ ــ كلا الطرفين (العرب واليهود) مسؤول عن اعمال الشغب والتخريب والعدوان الذي يصدر عن القوات النظامية وغير النظامية المنتمية اليه (وكانت

---

(١) وثيقة مجلس الامن رقم ٩٧٧ وتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٤٨ ـ وهي نص هذا التقرير الذي رفعه الكونت برنادوت .

(٢) نص مشروع القرار الأمريكي المشترك في ص ٥٠ من محاضر جلسات مجلس الأمن ـ السنة الثالثة ـ مجلد رقم (١٠٧) اغسطس ١٩٤٨ .

قوات الهاجانا ، والمالباخ وعصابات شترن وغيرها نشيطة في الجانب اليهودي)

٢ ـ لا يجوز لأي الطرفين افتعال العدوان وخرق وقف القتال بحجة انه انتقام لما قام به الطرف الآخر من خرق للهدنة واعتداء عمدي .

٣ ـ ينذر مجلس الأمن الطرفين بان لا يحاول اي منهما استغلال فترة الهدنة لكسب منافع عسكرية او سياسية او جغرافية على حساب الطرف الآخر .

وتصدت الكتلة الاشتراكية للحملة على الكونت «برنادوت» وعلى المشروع الأمريكي المشترك الذي صاغ توصيات الوسيط الدولي الآنفة الذكر في شكل قرار صادر عن مجلس الامن .

فقال مندوب اكرانيا (الرفيق مانيويلسكى نفسه الذي فرض على مجلس الأمن قسراً وزوراً « الاعتراف » بممثل اليهود كمندوب لدولة اسرائيل) — قال هذا الاكراني ما يلي : [١]

« ... لا نحن ولا مندوب الاتحاد السوفياتي أيدنا الوسيط الدولي «برنادوت» يوم تعيينه ولا نحن ولا الاتحاد السوفياتي راضون عن اعماله اليوم... انه يتخطى صلاحياته ويحاول ان يفرض على دولة مستقلة (اسرائيل) التزامات ضارة بالحق اليهودي ... وطالما ان الوفد الامريكي يساند الوسيط الدولي في شططه هذا فأن واشنطون يبدو انها قد تراجعت كلياً عن تأييد الحق للدولة اليهودية في اسرائيل . وهذا ظلم ونكران واجحاف ونسيان واهمال لمأساة اليهود التي حاربنا جميعاً من اجلها ضد النازيين . »

وتدخل مندوب السوفيات (وكان رئيساً لمجلس الامن في ذلك الشهر) فاستعمل منصب الرئاسة للمره المائة في تحطيم الحق العربي والتنكيل بمن يؤيده او ينصفه كما كان واضحاً في مساعي الوسيط الدولي الكونت « برنادوت » . قال « يعقوب مالك » مندوب السوفيات في جلسة ١٩ اغسطس ١٩٤٨ :

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٤٤ ـ وما بعد في جلسة ١٩ أغسطس ١٩٤٨ .

« .. ان ما يعرضه علينا الوسيط الدولي من ضرورة كبح جماح الذين يخلون بشروط الهدنة في حاجة الى شرح وتفسير . فالموقف الحالي في فلسطين مرجعه عدوان دول اجنبية (الدول العربية) على دولة سلمية (اسرائيل) . فإذا قبلنا تواصي الوسيط الدولي التي احتضنها الوفد الامريكي والوفد البريطاني والفرنسي والكندي في مشروع قرارهم الذي قدموه لمجلس الامن ، فهذا يعني ان الوسيط الدولي ومن يؤيده يطلبون منا ان نتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة هي اسرائيل .

« ومسؤولية صيانة الأمن ملقاة على عاتق الغزاة (العرب) الذين تحدوا قرار التقسيم وفي قلوبهم حقد على اليهود .

« ... ان ميثاق الامم المتحدة لا يخولنا مطلقاً ان نتدخل في الشؤون المحلية لدولة مستقلة « هي اسرائيل » . ولذلك فالمشروع الامريكي المشترك وتوصيات الوسيط الدولي مخالفة للميثاق ولذلك يجب رفضها كلياً .. »

في مثل هذه الصفاقة والوقاحة يدافع السوفيات عن « دولة » خلقتها الامم المتحدة والفش الدولي، ويحول بين الحق وبين افهام هذه الدولة الصهيونية ضرورة احترام الهدنة على الأقل لئلا تشتط في نهب جديد فوق ما نهبته من ديار العرب .

ولم تفلح محاولات السوفيات في منع مجلس الامن من الموافقة على توصيات الكونت (برنادوت) كما صاغتها وفود امريكا وبريطانيا وفرنسا وكندا .

ثم جاءت حادثة اغتيال اليهود للوسيط الدولي ـ الكونت برنادوت، وقد تركت صدى وحزناً عميقاً في جميع الاوساط الدولية، باستثناء المعسكر الاشتراكي وحلقات الصهيونية العالمية التي قتلته اصلا .

وجاء الدكتور رالف بانش ـ بصفته القائم باعمال الوسيط الدولي بعد اغتيال اليهود لبرنادوت ـ جاء « بانش » الى باريس ليعرض على مجلس الامن

تطور الموقف الناتج عن اغتيال برنادوت . وكان مجلس الامن يرافق الجمعية العامة في دورتها التي عقدت آنئذ (خريف ١٩٤٨) في العاصمة الفرنسية . [١]

وفي شروح الدكتور بانش لمجلس الامن ظهرت اول بوادر الخسارة العربية في موت « برنادوت » . فقد تعمد الدكتور بانش باديء الامر ان يدين العرب واليهود (لا اليهود وحدهم كما كان برنادوت يفعل ذلك في كثير من الصراحة) بخرق الهدنة . ولكن سرعان ما اثبت اليهود بان ليس لغطرستهم حدود، وان من ورثوا اعمال الوساطة الدولية « غير الدكتور بانش » مضطرون الى ابلاغ مجلس الامن بان خرق الهدنة مرجعه في اغلب الحالات الخطيرة الطرف الصهيوني . ففي برقية ارسلها الى مجلس الامن المستر «جون ماكدونالد» رئيس لجنة مراقبة الهدنة القى التبعة صراحة على الجانب الصهيوني . وتاريخ البرقية هو ٣٠ سبتمبر [٢] وهى تقول ما يلي :

« يتعمد اليهود افتعال القتال . ويتولى ذلك حاكم القدس العسكري للجانب اليهودي (الدكتور برنارد جوزيف) . وقصده احراج لجنة مراقبة الهدنة ووضعها في موقف شائن . ويقوم اليهود بحملة دعاية شنيعة ضد المرحوم الكونت برنادوت، فيروجون الشائعات والاكاذيب حول نزاهة الوساطة الدولية ورجالها لكي يزرعوا الشكوك في اذهان الرأي العالمي بان الوساطة الدولية لا نفع فيها، وانها لا تضمن صيانة الاماكن المقدسة في القدس ومن مآرب اليهود في هذه الحملة الدعاوية والعسكرية حمل الجمعية العامة على الاعتراف بالدولة اليهودية وتتسابق الدعاية مع العمل العسكري لكسب انتصارات دبلوماسية في الجمعية العامة للامم المتحدة » .

(١) وثيقة مجلس الأمن رقم ١٠٢٢ وتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٤٨ بعد اغتيال برنادوت باسبوعين تقريباً .

(٢) وثيقة مجلس الامن ١٠٢٣ . وقد جاءت اثر برقية الدكتور بانش المشار اليها في المرجع السابق .

وقبل ان تصل برقية المستر ماكدونالد رئيس لجنة مراقبة الهدنة الى مجلس الامن رفع الدكتور بانش برقية يشرح فيها ظروف اغتيال اليهود للكونت برنادوت [١] . والبرقية مصاغة في قالب مائع يعزو اسباب الاغتيال الى تهاون السلطات اليهودية في (ضبط الامن)، لا الى تدابير الغدر الصهيوني كما كان واقع الأمر وواقع المؤآمرة الصهيونية وطبيعة الغش التي حاكت بها غزوها لفلسطين منذ البدء وفي كل الخطوات .

واجتمع مجلس الامن بباريس في جلسة ١٤ اكتوبر ١٩٤٨ ليعالج تطور الموقف على قوة هذه البرقيات والتقارير التي تلقاها من نائب الوسيط الدولي (بانش) ومن رئيس لجنة مراقبة الهدنة المستر (جون ماكدونالد) .

وتدخل مندوب السوفيات في تلك الجلسة فطالب لجنة مراقبة الهدنة بضرورة ارسال المراقبين الى الجانب العربى في أعداد اكثر من المراقبين الذي يشرفون على الجانب اليهودي ، لان العرب هم المعتدون . وكان هذا التدخل السوفياتي بمثابة تأنيب للمستر ماكدونالد الذى اتهم اليهود صراحة بانهم سبب البلية والشر في الموقف الفلسطيني الراهن .

وفي منتصف شهر اغسطس اتسع الاشتباك العسكري على جبهة النقب التي كانت يرابط فيها الجيش المصري .. وكان قصد اليهود هو التركز في النقب على عجل كجزء من مخططهم القديم لافتراس اوسع قطاع ممكن من وطننا في فلسطين في هذه الفرصة الاستثنائية التي توفرت في فترة الهدنة المؤقتة .

وجدير بالذكر ان مشروع الكونت برنادوت اوصى بالابقاء على كل منطقة النقب عربية صافية في اطار الوحدة الجغرافية والسياسية التي اقترحها الوسيط

(١) وثيقة مجلس الامن رقم (١٠١٨) وتاريخ ٢٦ سبتمبر ١٩٤٨ اي بعد اغتيال اليهود للكونت برنادوت بعشرة ايام .

الدولي كحل للنزاع العربي اليهودي ، حيث اقترح (برنادوت) حكماً ذاتياً للمناطق التي يكثر فيها السكان اليهود (وهي ضئيلة المساحة محصورة في جغرافية طبقة) وحكماً ذاتياً لبقية فلسطين العربية ، على ان لا تتأثر بهذا الصفة الكاملة لفلسطين كما كانت قبل توصيات « التقسيم » .

ولذا تعمد اليهود افتعال سياسة الأمر الواقع في النقب قبل ان توافق الأمم المتحدة على مشروع برنادوت ، خصوصاً وان الشعور العالمي كان كثير العطف على ذكرى (برنادوت)، وكانت حية في اذهان الناس آنئذ كرمز لتضحية رجل حمل لواء السلام العادل ودفع روحه ثمناً لذلك .

ووجد الوسيط الدولي الجديد (دكتور بانش) بان من واجبه ان يبلغ الامم المتحدة في تقرير رسمي [١] وفي بيان شفهي القاه امام مجلس الامن [٢] في جلسة ١٩ اكتوبر بان اليهود افتعلوا الاشتباك العسكري في جبهة النقب . ولكن علاقة الدكتور بانش باليهودية الامريكية (أو خوفه من ان يغتالوه كما اغتالوا برنادوت) دفعه الى القاء بعض اللوم ايضاً على الجيش المصري . وقال (بانش)بان سبب الاشتباك ان لليهود بعض المستعمرات في النقب شاؤوا تزويدها بالعتاد فوجدوا ان الممرات المؤدية اليها كانت في يد الجيش المصري. كما ان الجيش المصري نفسه كانت له مراكز في بعض ارجاء النقب ولا سبيل إلى الاتصال بها بغير التغلب على التحصينات اليهودية التي تعترض ذلك السبيل . وتغاضى الدكتور بانش كلياً عن مأرب اليهود الاساسي من افتعال معارك النقب وهو تنفيذ سياسة الأمر الواقع والارتكاز العسكري هناك خشية ان يحول بينهم وبين هذه المآرب موافقة مجلس الامن على مشروع برنادوت الذي ابعد اليهود كلياً عن جميع منطقة النقب .

وكان المرحوم « برنادوت » قد اقترح على مجلس الامن بعض التدابير

(١) وثيقة مجلس الامن رقم ١٠٤٢) وتاريخ ١٨ اكتوبر سنة ١٩٤٨ .
(٢) محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة – رقم (١١٨) من ص ٢ وما بعد .

المؤقت لتسهيل وصول الزاد والماء الى الجوالي اليهودية الضئيلة العدد في بعض نواحي النقب ، تفاديا لقيام اليهود باعمال عسكرية في تلك المنطقة بحجة حماية السكان اليهود هناك .

وكانت مقترحات « برنادوت » قد اقرتها الهيئة المركزية ، لمراقبة الهدنة في فلسطين قبل اغتيال الدكتور بانش بثلاثة أيام [١] وأوصت تلك القرارات بما يلي :

اولا : يجوز لقوافل اليهود تحت مراقبة لجنة الدولية ان تحمل الزاد والماء الى ناحيتي « القرطبة » و« حتا » في النقب فيما بين الساعة الثامنة والتاسعة فقط من صباح كل يوم .

ثانياً: يجوز للقوافل المصرية تحت المراقبة ايضاً ان تتصل بمراكزها العسكرية في نفس المنطقة فيما بين الساعة الرابعة بعض الظهر والعاشرة مساءاً من كل ليلة ، بعد ان يعاكسها اليهود . وهذه التحركات العسكرية المصرية كانت ضرورية للاتصال المباشر مع المراكز العسكرية التي كانت في يد الجيش المصري في « المجدل » و « الفالوجة » . (والفالوجة كما نعلم كانت مركز الوحدة العسكرية التي كان يرابط فيها الضابط جمال عبد الناصر آنئذ مع عدد من رفاقه من جماعة الضباط الاحرار الذين خلقوا ثورة ١٩٥٢ فيما بعد وجعلوا نظام الحكم في مصر اشتراكياً ثورياً .)

ثالثاً: منع القوات اليهوية من الوصول الى مراكزهم في النقب بطريق الجو، إلا في الحالات القليلة التي لا يمكن الوصول الى تلك المراكز بالطرق البرية . والوصول اليهودي الى تلك المراكز بطريق الجو يجب ان يخضع خضوعاً كاملا لمراقبة لجنة الهدنة الدولية والمراقبين العسكريين الذين عليهم مرافقة الرحلات اليهودية الجوية .

(١) قرارات مجلس مراقبة الهدنة بالنسبة للموقف في النقب مسجلة في الملحق الخاص بذلك في محاضر جلسات مجلس الامن المشار الى رقمها في المرجع السابق .وتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٤٨.

وتعليقاً على قرارات لجنة مراقبة الهدنة الدولية هـذه وتعليمات الكونت برنادوت الآنفة الذكر ، قال الدكتور (بانش) لمجلس الأمن بان كلا الطرفين العربى واليهودي قد اخل بتلك الشروط . والذي نعلمه من مآرب الصهيونية ان مثل هذا الاخلال كان لا ُبد منه وان كان البادىء به هو الجانب اليهودي نظراً لمطامعه القديمة في النقب .

ومن المؤسف ان الباحث في حقائق تلك الايام الدقيقة والعصيبة من الصراع العربي العسكري ضد اليهود لا يجد المراجع العربية الوثيقة ليستشهد بها تفنيداً لمزاعم الدكتور بانش كما سجلتها وثائق الامم المتحـــدة . فالذين اشتركوا في معارك « الفالوجة » و « المجدل » سخوا اكثر السخاء في شروحهم الطويـلة عن فساد الذخيرة العسكرية العربية ، وعن الاقطاع والرجعية التي كانت تسود قيادة الجيش المصري العليا ، وعن شتى الوان المنطق الاشتراكي الثـوري في مبررات الفشل العربي (المصري منه بصفة خاصة) في معارك النقب . وهذا السخاء في المبررات السياسية والعقائدية للنكسات العسكريـــة في النقب لا يصاحبه شروح معقولة في اطار الحقائق العسكرية وتفاوت الدهاء والاستراتيجية الفنية والاستيعاب التاريخي الصحيح للحركة الصهيونية ومآربها في فلسطين . وكل هذه امور حيوية لأي مصير نتوخاه ونترقبه في معركة البت مع اسرائيل يوماً ما . فلا يكفي ان توزن النكسات العربية العسكرية بموازين البيعـــة الاشتراكية الثورية وشعارات الاقطاع والرجعية والاستعمار وما الى ذلك من مبررات لا تسمن ولا تغني من جوع في فهم حقيقة العقـل الصهيوني ودقائق تصرفه والمعارج والمداخل التي يلجأ اليها عسكرياً وفنياً في حبكة متقنة مع المعارج والمداخل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية ايضاً .

فحظ القيادات العربية (العسكرية والمدنية ، الحكومية والشعبية) من الاستيعاب الصحيح للفكر اليهودي والعقلية اليهودية حظ تافه . فما يتوفر في المكتبة العربية عن ذلك لا يتعدى الهجاء والشتيمة وتفسير الوجـود اليهودي

في اسرائيل بانه دسيسة استعمارية فقط ، لا غزو صهيوني خطير الدهاء معقد الاسلوب ممعن في استنباط الحيلة والتأقلم المستمر للظروف الطارئة ـ دبلوماسياً ، وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً وعقلياً ، مما يستوجب على الامة العربيـة ان لا تترك شاردة وواردة في مراقبة النشاط الصهيوني في اسرائيل وعلاقاتهـا العالمية الواسعة المتشعبة عبر اليهودية العالمية ، فضلا عن كون الجماعة اليهودية في دخيلة اسرائيل مزيج من الثقافات والاتجاهـــات والمواهب التي تحسن استيعاب ادق الشؤون العالمية من مصادرها الاصلية .

اما نحن العرب ففي تفاهة مصادر الاعلام عندنا (واكثرها واشدهـا ضجيجاً تلك التي تستملكه نظم الحكم الفردي او حكومات الحزب اليساري الواحد) نعيش على لون واحد من الغذاء الفكري ، اخطره وأشده اذى على مستقبل صراعنا مع الشر الصهيوني هو تسليمنا الفكري والعاطفي والعقائدي بان المعسكر الاشتراكي الدولي حليف لنا ومؤيد لنـا . ونحن كثيرو الاعتماد عليه في العتاد العسكري وفي السند الدبلوماسي وفي كثير من اعمال التنميـة الاقتصادية . وكل ذلك قواعد خطيرة لا يمكن ان تستند اليها النباهة العربية (عسكرية او سياسية ، اقتصادية ام دبلوماسية) مثل هذا الاستناد الكـلي ، الذي تروج له وتعمل على اساسه عدد من اقوى معاقل القوة العربية هذه الايام .

فتوزيع الاسانيد العربية على غير معسكر دولي واحد ضرورة حتميـــة تفرضها قضية الغدر او الهزيمة لمعركة البت العربي مع اسرائيل ، وتفرضهـا اصول المنطق العسكري وتفرضها اليقظة والدهاء الدبلوماسي . هذا فضلا عن ان اقوى وأهم قواعد العمل العربي كله لمواجهة التحدي اليهودي في اسرائيل وخارجها هو بناء الفكر والعمل العربي على اساس العقيدة العربية القوميـــة والدينية ايضاً ، غير ملوثة بالبيعات العقائديـــة الاخرى وفي طليعتها عقيدة الاشتراكية الثورية ، التي فتكت بنا اشد الفتك الدبلوماسي في اعوام النكبة ، كما هي تفتك بمشاعرنا وعقولنا ومقوماتنا الدبلوماسية والعسكرية ايضاً هذه

الأيام في تهالك الاشتراكيين العرب على معسكر الماركسية الدولية .

وبسبب فقدان المراجع العربية المتوفرة لكاتب هذه السطور عن حقائق الوضع العسكري في النقب في خريف ١٩٤٨ فان وثائق الامم المتحدة تركت للدكتور بانش مجاله لمساواة العرب مع الصهيونيين في الذنب الذي ادى الى خسارتنا منطقة النقب عام ١٩٤٨، كما خسرنا الساحل العربي العتيد في خليج العقبة في معارك العدوان اليهودي عام ١٩٥٦ ايضاً . فالحقائق العسكرية العربية عن معركة سيناء عام ١٩٥٦ (ايام العدوان الثلاثي على قنال السويس) لا زالت غامضة . وكل الذي نعلمه ان اليهود عام ١٩٥٦ حصلوا على ما دبروا له من غدر سياسي ونجاح عسكري ، تماماً كما فعلوا ونجحوا في معركة النقب في منتصف اكتوبر عام ١٩٤٧ امام القوات المصرية .

وقال الدكتور بانش [١] لمجلس الامن ان المصريين رفضوا السماح للقوافل اليهودية تزويد الجماعة اليهودية في النقب تحت رقابة لجنة الهدنة عن طريق البر إلا اذا توقفت الطائرات اليهودية عن النقل الجوي الى الجيوب اليهودية في النقب . وكذلك رفض اليهود تسهيل مرور القوافل المصرية إلا اذا سمح المصريون للطائرات اليهودية برحلاتها الجوية . وهكذا يقول الدكتور بانش بان تجدد القتال في النقب كان اللوم فيه على الطرفين ! ..

ويستفاد من تقارير الدكتور بانش وشهادته امام مجلس الامن، بانه كان يتعمد ان يبرر لليهود حملتهم المدبرة التي استعدّوا لها طويلا وفي اتم الدقة واوسع الموارد، رغم معرفة الدكتور بانش بذلك سلفاً كما قال (بعد خراب البصرة) في تقريره وشهادته لمجلس الامن [٢] .

وشن اليهود حملتهم العسكرية المتقنة في ١٤ و١٥ و١٦ اكتوبر ١٩٤٨ على المواقع المصرية .

---

(١) ملحق محاضر جلسات مجلس الأمن ـ شهر اكتوبر ١٩٤٨ ـ للسنة الثالثة .

(٢) نفس المرجع من ص ٥٠ وما بعد .

وامرت لجنة مراقبة الهدنة اليهود بوقف القتال . فلم يرضخوا ولم تستطع القوات المصرية ردعهم . وعاد الدكتور بانش في ١٦ اكتوبر فطلب من « المصريين واليهود معاً » وقف القتال، مع ان المعتدين الذين خرقوا الهدنة هم اليهود . وقبل الطرف المصري بوقف القتال . ورفضه اليهود . ونجحوا في التركز في النقب منذ تلك المعركة الفاصلة التي اعتمد فيها العسكريون المصريون على الدبلوماسية في الامم المتحدة لا على القول الفصل في الميدان .

هذه الحقائق يجب ان تسجل. بل يجب ان تكون موضوع دراسة وبحث وتدقيق اكثر مما تسمح به وثائق الامم المتحدة وهي تافهة الاعلام في النواحي العسكرية . فعلى العسكريين العرب (والمصريين بصفة خاصة) واجب التسجيل الصريح والدقيق للاسباب العسكرية الفنية في هزيمة النقب اول الامر وهزيمة سيناء عام ١٩٥٦ . فالوجدان العربي والنباهة العربية والتاريخ العربي والمستقبل العربي يتطلب اكثر من المبررات والمعاذير والوان « البطولات » الخيالية التي توجها العسكرية الاشتراكية في طول الدعاية « الاشتراكية الثورية » ومزاميرها . فالحاذق من يتعلم من النكبات . والحذق لا يكون إلا في استيعاب الحقائق . والحقائق قاسية لا تغمرها الدعاية الموجهة إلا ردحاً من الزمن . وستظل الحقائق قاسية عنيدة تصر على الظهور ـ ان لم يكن اليوم فغداً . وهذا الغد العربي مشحون باعظم المسؤوليات ـ العسكرية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية . فإذا كان هذا الكتاب مقصوراً على الاتعاظ من عباطتنا الدبلوماسية ، عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨، لنتفادى الثقة بالغش الاشتراكي وأهله ، فأن للأمة العربية حقاً على العسكريين بان يسجلوا الحقائق كلها صريحة واضحة ، ولو كان فيها بعض الذل والعار ، لكي نتعظ ويتعظ الجيل كله، ويستفيد من النكسات ليتفاداها في الغد القريب . إلا إذا شاءت العسكرية الاشتراكية ان تجعل الغد العربي وحقه في فلسطين مستندين الى بيعة الاشتراكيين في « التعايش السلمي » مع الشر في اسرائيل . وهذا

مـــا يأبي به الوجدان العربي ، ويأبى ان يكون مصير اي بيعة عربيـــة مهما كانت واسعة الرواج اليوم ومتقمصة احزمـة الصفة القومية وممسوح القوة والوطنية .

ان النقد الذاتي (في الدبلوماسية والسياسية والتجارب العسكرية ايضاً) واجب قومي مقدس . نصر عليه ونلح على ذوي المعرفـة ان يمارسوه — في اصرح الحديث واعنفه اذا لزم الامر . فغايتنا ثقة بالنفس مستندة الى معرفة بواطن الضعف والقوة في الحياة العربية ، لا ثقة بالبيعات العقائدية ولا عبـادة الابطال ولا الخوف من ان نعترف باسباب الهزيمة، لنجعل من اخطائنا مرشداً لأبواب النصر يوم البت العربي مع هذا الشر الصهيوني الذي لا يزال قائمـاً في قلب الدار العربية يزداد غطرسة وثبوتاً ، ونحن نلهـو ببيعات تتاجر بارقام الانتاج، وبرامج « الخطة » الاقتصادية، واحلام مجتمع « الكفاية والرفاهية » وبضاعة الكلام وقصائد المديح او الهجاء .

**

تناول مجلس الامن تقرير الدكتور بانش الذي قال بان اليهود رفضوا وقف القتال في النقب بينما قبله الجيش المصري [١].وحاول المندوب العربي في مجلس الأمن (رئيس الوفد السوري فارس الخوري) ان يدخل بعض التعديلات على مقترحات الدكتور بانش لاعطاء الجيش المصري طرفاً من الكرامـــة في الوسط الدولي .

فاقترح الاستاذ الخوري [٢] رسمياً ان يفسر قبـول الجانب العربي لوقف القتال في النقب سببه ان جماعات عربية كثيرة اصبحت بلا مورد رزق في تلك

---

(١) تقرير بانش بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٤٨ عن معركة النقب في الملحق الرسمي لمحاضر جلسات مجلس الامن رقم (١١٨) ص ٣ وما بعد .

(٢) المرجع السابق من ص ٣٤ وما بعد .

المنطقة ولا يشملها الاسعاف الدولي ، ولذلك فانها في حاجة الى وقف القتـال لكي تستطيـع ان تحصد الزرع وتجمع المحصول من القرى والحقول . وان قبول الجيش المصري لوقف القتال يجب ان يكون مشروطاً بما يلي :

١ ـ انسحاب الذين خرقوا الهدنة (اي اليهود) الى مراكزهم السابقـة بحيث لا يشكل خرقهم لوقف القتال مكاسب جغرافية او عسكرية .

٢ ـ تنفيذ التعليمات التي اوصى بها الكونت برنادوت « حول مراقبـة القوافل التي تنقل الزاد في ساعات معينة من النهار » .

٣ ـ تكليف لجنة مراقبة الهدنـــة بان تشرف على مفاوضات بين الطرفين « المصري واليهودي » العسكريين لاعادة الاحوال في النقب الى مـا كانت عليه قبل معركة اليهود هناك .

٤ ـ تكليف لجنة مراقبة الهدنة المؤقتة ان توسع من عدد المراقبين العسكريين في شتى ارجاء النقب للحيلولة دون قيام اليهود بأعمال عسكريـــة اخرى ، وحرصاً على تيقن لجنة مراقبة الهدنة بان الجانب المعتدي « اليهودي » ينفـذ انسحابه تنفيذاً صحيحاً .

وعاد الصوت السوفياتي الى مناوئة الصالح العربي في مسألة النقب بنفس العنف ونفس الحماسة والحضانة للعدوان الصهيوني الذي الفناه من الاتحـــاد السوفياتي في كل مرحلة من مراحل العمل بشأن فلسطين في الامم المتحدة .

وقال « يعقوب مالك » مندوب السوفيات بان على مجلس الأمن ان يوافق فقط على وقف القتال . وان يرفض طلب العرب بضرورة انسحاب اليهود من المواقع التي كسبوها في النقب . لأن اليهود دولة تدافع عن كيانها امام الجيش المصري المعتدي على اسرائيل . [١]

---

(١) نفس المرجع السابق من ص ٣٧ وما بعد .

ورغم معارضة السوفيات لمقترحات المندوب السوري «الاستاذ الخوري» والمندوب الاشتراكي الآخر في مجلس الأمن « مندوب اكرانيـا » الرفيق مانيويلسكي [1] معارضة شديدة ، وافق مجلس الامن على المقترحات العربية .

وانقضى اسبوع « من ١٩ الى ٢٦ اكتوبر » على قرار مجلس الامن بضرورة انسحاب القوات اليهودية من النقب . ولم يكترث اليهود باعارة هذا القرار اي اهتمام . فبقيت قواتهم العسكرية تتحصن في النقب وتتسع في استملاكها القواعد والسيطرة على مساحات شاسعة ، رغم وجود القـوات المصرية في مراكز داخلية وراء الخطوط اليهودية ايضاً .

وعاد المصريون الى مجلس الأمن يشتكون . وطلبوا في ٢٦ اكتوبر عقد جلسة عاجلة لمجلس الأمن للنظر في الشكوى المصرية حول النقب . وعندمـا اجتمع المجلس وجد امامه تقريراً من الدكتور بانش يقول فيه ان اليهود ايضاً قبول وقف القتال في النقب كما قبله المصريون . ولكن اليهود لن ينسحبوا عن مواقعهم ولن يتخلوا عما كسبوه من مساحات ومواقع ومعاقد عسكرية وغيرها .

ورضي المصريون بالسماح للقوافل اليهودية ان تمر عبر المنطقة العسكريـة المصرية في النقب ، رغم ان الدكتور بانش قال لمجلس الأمن صراحة بأن السلطات اليهودية ترفض السماح لمراقبي لجنة الهدنـة ان يرافقوا القوافل او يفتشوها ، كما يقتضى بذلك التعليمات التي كان الكونت برنادوت قد وضعها اصلاً .

وشاء الدكتور « بانش » ان يقلل من اهمية هذا الخطر اليهودي في غزوته للنقب ، فرفع « بانش » في نفس الوقت انذار الى الامم المتحدة بأن الجبهة اللبنانية تواجه خطر اندلاع الحرب ايضاً .

---

(١) من الطريف والمخيف معاً ان الرفيق « مانيويلسكي » مندوب اكرانيا ورئيس وفدها الى الامم المتحدة ، كان لفترة طويلة من اقطاب « الكومنترن » الجهاز الشيوعي الدولي الذي ربط به الاتحاد السوفياتي كل حركات اليسار الثوري في العالم باسره .

وكان قصد اليهود واضحاً اتم الوضوح من مآربهم في النقب . فقد جاء في ردود اليهود على اتصالات الدكتور « بانش » حول انسحاب اليهود عسكرياً من النقب هذا النص الصريح التالي من « موشه شرتوك » الذي تعمد ان يفسر اتفاقيات الهدنة المؤقتة « تفسيراً جديداً زعزع كل القواعد القانونية الـتي يستطيع العرب معها أن يأملوا استعادة الحق في فلسطين عن طريق «المفاوضات» قال شرتوك في مذكرة رسمية الى مجلس الأمن بتاريـخ ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٤٨ [1] .

« ... ان العودة الى الوضع السابق للعمليات العسكرية كما اوصى به مجلس الأمن هو موضوع قابل للمفاوضة . ولكن هذه التوصية من جانب مجلس الأمن لا تشكل مطلقاً أي التزام من جانب اسرائيل باعادة الوضع الى سابق ما كان عليه (مثل العمليات العسكرية) كما يبدو في تفكير الوسيط الدولي (الدكتور بانش) » .

وقام « أبا إيبان » مندوب اليهود في الامم المتحدة بالشرح التفصيلي لهذا الموقف اليهودي الجديد والشنيع [2] .

وكان لا مفر للدكتور بانش من ان يدرك خطورة هذا التفسير اليهودي للأساس الذي بنيت عليه الوساطة الدولية اصلا — وهو عودة الاطراف المتقاتلة الى الوضع الجغرافي التي كانت عليه قبل الاشتباك العسكري . واستشهد الدكتور بانش في رده على وزير خارجية اسرائيـل « شاريت » بعدد من قرارات مجلس الأمن كلها تؤكد وتشترط ان الشرط الاساسي للمفاوضات هو عودة المتقاتلين الى مواقعهم السابقة لقرار الهدنة وإلا «فان التفسير الاسرائيلي معناه ان المكافأة تمنح لمن يخترق شروط الهدنة »واسرائيل قد اخترقتهامراراً

---

(١) المرجع : وثائق مجلس الامم رقم « ١٠٤٤ »

(٢) محاضر مجلس الامن السنة الثالثة رقم ١٢٢ صفحة ١٣ - ٢٤ .

وتكراراً . وقال الدكتور بانش بانه هو نفسه مؤلف اتفاقية الهدنة المؤقتة والقرار الذي اتخذه مجلس الأمن بشأنها في ١٩ اكتوبر ١٩٤٨ ، وانه لذلك ادرى بالمضمون والنية والاهداف في ذلك القرار . وان ذلك المضمون والهدف لا يعني ابداً انسحاب اليهود من المواقع التي احتلوها . وألح الدكتور بانش على مجلس الامن بضرورة ارغام اليهود على الانسحاب من النقب وإلا فلا فائدة من اتفاقية الهدنة ولا أمل في مفاوضات مستمرة [1] .

وتدخل المندوب البريطاني (السير الكسندر كادوجان) وأيد تفسير الدكتور بانش ، كما طالب مجلس الأمن بتنفيذ ما يطلبه الوسيط الدولي من حمل اليهود على الانسحاب العسكري من النقب وغيره من المواقع التي احتلوها رغم قرار مجلس الأمن بوقف القتال ، تمهيداً للمفاوضات وإلا اجرى تطبيق العقوبات على من يخالف تعليمات مجلس الأمن [2]. واشترك مندوب الصين الوطنية (فرموزا) في تقديم مشروع هذا القرار .

وانتفض مندوب الاتحاد السوفياتي (يعقوب مالك) ليهاجم بعنف كلا من الدكتور بانش والمندوب البريطاني ويؤيد تأييداً كاملا هذا التفسير المغالط الذي جاءت به اسرائيل حول شروط المفاوضات مع العرب وهل هي ملزمة لأسرائيل ام انها مجرد توصية قد ترضى بها او ترفضها اسرائيل . وان مجلس الأمن لا يحق له ان يرغم اليهود على التراجع عن النقب كشرط لمفاوضات الهدنة مع العرب . وكان المندوب السوفياتي ومندوب اكرانيا هما المؤيدان الوحيدان لوجهة النظر اليهودية الجديدة والخطيرة هذه .

وتألفت لجنة فرعية عن مجلس الامن لأعادة صياغة مشروع القرار البريطاني ـ الصيني والنظر في مختلف التعديلات التي ادخلت على ذلك المشروع

(١) نفس المرجع الآنف الذكر .

(٢) وثائق مجلس الامن رقم ١٢٢ للسنة الثالثة صفحة ١٢ - ١٣ .

وبعضها (واعنفها ضد العالم العربي) تلك التعديلات التي قدمها مندوب السوفيات واكرانيا ليفقد مشروع القرار معناه ومغزاه أيضاً . واشترك مندوب اكرانيا في اعمال اللجنة الفرعية ليضمن مركزاً « داخلياً » يدافع فيه عن وجهة نظر اليهود . فلم يكن في اللجنة الفرعية هذه اي مندوب عربي . وكانت مؤلفة من بريطانيا والصين الوطنية وبلجيكا وفرنسا واكرانيا. ورفعت اللجنة الفرعية تقريرها وفيه الصورة الجديدة لمشروع القرار الذي يهدد اسرائيل بالعقوبات اذا لم تنسحب من النقب ومن المواقع الاخرى التي احتلتها في خرق سافر لشروط وقف القتال . وكان العضو الوحيد في اللجنة الذي اعترض بشدة على الصيغة الجديدة لمشروع القرار الجديد هو المندوب الأكراني . وأصر مندوب اكرانيا في مستهل جلسة مجلس الأمن « التي عقدت يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » للنظر في الصيغة المعدلة لمشروع قرار العقوبات بانه لن يوافق على الصيغة المقترحة وانه يؤيد وجهة النظر اليهودية وانه يعتبر العرب هم المعتدون في النقب وغير النقب ايضاً . [1] ومضى هذا الصوت السوفياتي المستعار « فأكرانيا ولاية في الاتحاد السوفياتي » في استهتاره وقدم من عنده مشروع قرار آخر يتجاهل اي ذكر للعقوبات ويوافق على وجهة النظر اليهودية في رفض الانسحاب العسكري من المواقع التي احتلتها، ويدعو العرب واليهود الى « التعايش السلمي » . وكان مشروع هذا القرار السوفياتي بمثابة وضع الدمغة الرسمية من جانب الأمم المتحدة على كل هذا الغش والعدوان الصهيوني على ديار العرب، وتعويض المعتدي اليهودي « بالتعايش السلمي » على حساب النكبة الفلسطينية واهلها ، وعلى حساب قرارات الامم المتحدة ومبادئها، وعلى حساب شروط وقف القتال ، وعلى حساب السلم والامن كله في الشرق الاوسط . وطبعاً ايد مندوب الاتحاد السوفياتي بشدة الاقتراح الاكراني . وأصبح امام مجلس الامن في جلسته يوم ٤ نوفمبر ١٩٤٨ مشروع قرارين :

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن رقم ١٢٤ للسنة الثالثة صفحة ٢ وما بعد .

البريطاني – الصيني – الفرنسي – البلجيكي – المشترك الذي يهدد بالعقوبات اذا رفضت اسرائيل الرجوع الى سابق موقفها العسكري قبل وقف القتال . والمشروع الاكراني الذي يصفح عن ذلك كله ويدعو الى « التعايش السلمي » والعفو عما مضى .

وتكلم مندوب اسرائيل «إيبان» شاكراً للحكومة السوفياتية عظيم مساعيها وحرصها على « التعايش السلمي » وتقديرها لوجهة النظر اليهودية ومثنياً كل الثناء على جهود مندوب اكرانيا في صالح اسرائيل ورغبة السوفيات في تهدئة الوضع في النزاع العربي – اليهودي ، ومؤكداً في نفس الوقت بأن اسرائيل لا تنوي الانسحاب من النقب او غيرها من المواقع العربية التي احتلتها « خرقاً لشروط وقف القتال »، او جعل مثل هذا الانسحاب شرطاً للصلح او شرطاً مسبقاً لمفاوضات « الهدنة المؤقتة » . وهذا الموقف اليهودي لا يزال حتى هذه الساعة اساساً لكل سياسة او تصريح اسرائيلي سواء في تعديل الحدود او في عودة اللاجئين العرب ...

وتدخل الدكتور محمود فوزي مندوب مصر في النقاش وأيد المشروع البريطاني المشترك الذي تبنته اللجنة الفرعية المنبثقة عن مجلس الأمن مع تعديلات بسيطة . وهاجم المندوب المصري موقف السوفيات ومقترحات لسانهم الاكراني المستعار هجوماً صريحاً – ولا نقول عنيفاً. فالدكتور فوزي لا يبلغ الانفعال عنده مرتبة الغضب . مع ان منابر الامم المتحدة كانت ولا تزال مسرحاً للدعاية والدبلوماسية المكشوفة قبل ان يكون « صالوناً » للتأديب الدبلوماسي التقليدي .

واقصى ما ذهب اليه الدكتور فوزي من عنف هو قوله بأن مصر ترفض المفاوضات مع اسرائيل في مثل هذه الظروف التي يقترحها اليهود والسوفيات .

فأجابه مندوب السوفيات « يعقوب مالك » في جلسة ٤ نوفمبر ١٩٤٨ :

« من الضروري لمصر ان توافق على التسوية السلمية مع اسرائيل ... فاذا رفض مشروع القرار الاكراني للتعايش السلمي فان شؤون المنطقة ستتضرر .. »

وتدخل مندوبا العراق – وسوريا وكانا اكثر عنفاً وتحدياً لهذا الغش السوفياتي، وقالا بان اليهود خرقوا قرارات وقف القتال ليس في النقب فحسب بل في الجليل ومناطق عربية اخرى ليس فيها اي يهودي، وليس لها اي ذكر في كل مقترحات التقسيم او غيرها . فأصرار اكرانيا والاتحاد السوفياتي على حضانة هذا الاستهتار اليهودي وتقييد ايادي الدول العربية امر مخالف ومتناقض مع اي ادعاء سوفياتي – يهودي حول « التعايش السلمي » وتسوية النزاعات بالطرق السلمية . فاليهود لا يريدون التفاوض إلا وفي ايديهم كل ورقات اللعب السياسي والدبلوماسي والعسكري . فان « التسوية السلمية » في هذا الأطار لا معنى لها بل انها غش وبهتان فاذا ايدها الاتحاد السوفياتي فانه يؤيد الغش والبهتان والزور ايضاً .

وأجاب مندوب الاتحاد السوفياتي في نفس الجلسة على مندوبي سوريا والعراق مدعياً بان ليس لديه معلومات عن الموقف في الجليل او في الحدود السورية واللبنانية (مع ان تقارير لجنة مراقبة الهدنة كانت وفيرة ومتواصلة في وثائق مجلس الامن) . وقال مندوب السوفيات (يعقوب مالك) .

« لماذا هذه العجلة والسرعة في اتخاذ اقتراح اللجنة الفرعية (الذي يهدد اسرائيل بالعقوبات) . دع الاوضاع على ما هي عليه . ولنتفادى العجلة .. فستتغير الاوضاع » [1]

« وأجاب الدكتور محمود فوزي على هذه « النصيحة » السوفياتية » .

(١) وثائق مجلس الأمن للسنة الثالثة رقم ١٢٤ جلسة ٤ نوفمبر .

« بالنسبة لما يقوله مندوب الاتحاد السوفياتي لناعن تفادي السرعة والعجلة فاني اقول له مع الاحترام العميق بان الاعتداءات الصهيونية متواصلة ومنتظمة ولها تاريخ قديم متواصل وفيها كل الوان الاذى والنكبات على اهل الديار . . » (١)

وبودي لو استذكر هذا الكلام الذي قاله بالأمس الدكتور محمود فوزي نفسه نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة للشؤون الخارجية اليوم ووزير خارجية العهد الناصري الاشتراكي منذ البدء والمشترك في كل هذه العلاقات الوثيقة الصديقة المتلاحمة بين الاشتراكية المصرية والاشتراكية السوفياتية . فقد مضت سبعة عشر عاماً على « كل هذا الاذى والنكبات على اهل الديار » في فلسطين ولا يزال الاتحاد السوفياتي يقول بسياسة « التعايش السلمي » وتسوية النزعات بالطرق السلمية بيننا وبين العدوان الصهيوني .

وكان تدخل مندوب السوفيات في مناقشات مجلس الأمن حول تهديد اسرائيل بالعقوبات تدخلا متواصلا عنيفاً ومسهباً في شروحه لوجهة النظر اليهودية وحضانتها حضانة سافرة لم يجرؤ عليها مندبو امريكا وبريطانيا وغيرهم، من المفروض فيهم ان يكونوا الآباء الشرعيين للحركة الصهيونية التي يزعم السوفيات بالأمس واليوم انهم خصوم لها .

فقد رد مندوب السوفيات مرة اخرى على مندوب مصر والمندوبين العرب الآخرين في جلسة مجلس الأمن لجلسة ١٥ نوفمبر :

« ان العمل الرئيسي لمجلس الأمن هو وقف القتال والعدوان العسكري (العربي) . وترك الأمور على ما هي عليه حتى يحين الوقت للاطراف المتنازعة في فلسطين الوصول الى التسوية السلمية . فأول خطوات التعايش السلمي هو مرحلة « الهدنة المؤقتة » ونقلها الى مرحلة « السلم » ثم الى مرحلة « الصلح » ثم « التعايش السلمي » . (٢)

---

(١) المرجع الآنف الذكر ص ٥٧ - ٥٨ .
(٢) » » »

ولكي يعطي المندوب السوفياتي الصفة الرسمية لهذه السياسة الاشتراكية أقترح استبدال كلمة « الهدنة » في قرارات مجلس الامن بكلمة « الصلح الرسمي » بين اسرائيل والدول العربية كهدف لوقف القتال وهدف للمفاوضات وهدف « للتعايش السلمي » في مفهومه الاشتراكي الذي تردده لنا حلقات الاشتراكية العربية والدولية بكل مدارسها ودولها ونظمها واسباطها . (١)

وفي هذا الايضاح السوفياتي الطويل تعرض مندوب السوفيات الى تفسيرات عديدة لوجهة النظر الاشتراكية للقضية الفلسطينية وجذورها ومستقبلها . فقال :

« ان تاريخ القضية الفلسطينية مثل صريح على تصارع القوى للسيادة على الشرق العربي . ففكرة الوساطة الدولية عن طريق الامم المتحدة فكرة خاطئة اصلا . فهي لن تستطيع حل القضية الفلسطينية او تبديل الوضع الجديد بعد مولد اسرائيل. فموقف الاغلبية في الامم المتحدة نحو هذا الوضع الجديد (مولد الدولة اليهودية) والعكوف عن قرار التقسيم واستنباط مشاريع اخرى لا نفع فيها ، لأنها لا تريد ان تعترف بان الوضع الجديد سيظل قادراً على البقاء . ونحن نؤيده . وكل تدخل لتبديل هذا الوضع ما هو إلا من قبل العبث وزيادة المتاعب والآلام التي يعانيها العرب واليهود في فلسطين ! . »

« لا تستغربوا ايها السادة اذا وجدنا انفسنا يوماً ما امام وضع تقوم فيه الأطراف المعنية بالأمر – العرب واليهود انفسهم -- مدفوعين بمصالحهم الخاصة – مصالح الجماهير التقدمية – للتفاوض السلمي والتعايش السلمي ... والاخوة التقدمية . ويفاجئوا العالم بالأمر الواقع ... ان الاتحاد السوفياتي لن يكل عن السعي للمساعدة والتأييد بالترحيب لمثل هذا المسعى العربي اليهودي ..

---

(١) جاء هذا الشرح في الخطاب الطويل الذي القاه مندوب السوفيات في جلسة ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ وسجلته وثيقة مجلس الأمن رقم ١٢٥ من صفحة ١٢ الى ٢٠ .

وان من العباطة الأصرار في هذه الآونة على امور فرعية في النزاع العربي — اليهودي مثل مسألة النقب .. فان للاستعمار البريطاني مآرب في هذه المنطقة، والوضع الجديد (اسرائيل) يكافح الاستعمار .. النقب والمناطق الاخرى المتنازع عليها ليست إلا نواح فرعية في اصول المسألة الفلسطينية .. وهذه المسألة لا يحلها الا مولد ظروف جديدة في المنطقة العربية كلها ... عندئذ فقط يستطيع العرب واليهود ان يسوّوا نزاعهم بانفسهم من غير تدخل استعماري ... ان التعايش السلمي وفض النزاعات بالطرق السلمية مبدأ من مبادىء الامم المتحدة ومبدأ من مبادىء اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ... وان واجبنا في المسألة الفلسطينية هو ان ندعو الى الهدنة اولاً ثم نترك الاحقاد تندثر وتنشأ بدلاً عنها علاقات سلمية .. علاقات تعايش سلمي ... »

هكذا كان جوهر السياسة السوفياتية يوم مولد اسرائيل وهذا هو اليوم . وهو اليوم اشد خطراً واذى على الصالح العربي نظراً لما توصلت اليه الاشتراكية السوفياتية وبيعتها وفلسفتها ونفوذها وتعاونها الوثيق مع الاشتراكية العربية المصرية في صميم الحياة السياسية والاقتصادية والعون العسكري لاهم المعاقل العربية في الشرق العربي — في مصر او في العراق او في سوريا .

والواقع ان اصرار السوفيات على توفير الفرصة لاسرائيل وتشجيعها على الاحتفاظ بكل « مكاسب الثورة » اليهودية ضد الاستعمار البريطاني (كما كان السوفيات يسمحون اغتصاب اليهود لفلسطين) ، هذا الإصرار السوفياتي كان متواصلا في كل نواحي العدوان اليهودي .

ففي جلسة ١٦ نوفمبر ١٩٤٨ تقدمت بعض الوفود الى مجلس الامن بمشروع قرار يأمر اليهود بالانسحاب من « الجليل » بعيداً عن المناطق التي ليس لهم فيها « حق » حتى بموجب قرارات الأمم المتحدة . حتى الاستعمار البريطاني وجد نفسه مضطراً لان يتزعم الحملة على اسرائيل للتراجع عن الجليل كما تسجله

جلسات مجلس الامن ومشروع القرار البريطاني الذي عرض على مجلس الامن في تلك الجلسة .

وعارض مندوب السوفيات هذا المشروع بشأن « الجليل » معارضة شديدة وقال مدافعاً عن اليهود :

« ان القوات الاسرائيلية في احتلالها منطقة الجليل انما فعلت ذلك لمقتضيات الدفاع !.. »

وكان لا بد لمندوب اسرائيل والسوفيات حمل الراية الصهيونية في مثل هذا الجهد والحماس ـ كان لا بد لمندوب اسرائيل « ايبان » من ان يطنب في الثناء وعاطر الشكر والإمتنان لهذه البيانات والخطب والدعاية السوفياتية المؤيدة لاسرائيل في مناخ عالمي كان في قطاعه الغربي (الأمريكي والأوروبي) يعطف أصلاً على الحركة الصهيونية ، فلما حمل السوفيات لواءها ايضاً (وكان الناس يعتبرون السوفيات والاشتراكية كلها معادية للصهيونية) توفر لاسرائيل سندان قويان في الشرق والغرب في معاقل الرأسمالية الغربية ومعاقل الاشتراكية الماركسية . وأصبح الموقف العربي كله في كل حلقات الرأي العالمي صعباً مؤلماً لا يجد الصدى ولا يجد العطف حتى حين بدا من الرأسمالية الغربية عكوف جدي عن حضانة اسرائيل بمثل هذا الصنف وهذا الألحاح الذي انطلق الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي الدولي كله في مناصرة الصهيونية .

وأدرك الجانب العربي في الأمم المتحدة شناعة الأذى الذي جلبه السوفيات على صميم الحق العربي في فلسطين فاتجه النشاط من جانب بعض المندوبين العرب لتركيز الهجوم والنقد لموقف الاتحاد السوفياتي — فقد كان ألعن المواقف وأخطرها بعد ان تبدل موقف الغرب الاوروبي والأمريكي تبديلا ملحوظاً في صلب القضية الفلسطينية كما تشهد به نصوص النقاش وألوان التعديلات والقرارات التي نشط المندوبون الغربيون لحمل الأمم المتحدة على اتخاذها

لاستخلاص ما يمكن استخلاصه من التوسع اليهودي الذي تجاوز (في النقب وفي الجليل وفي كل مكان) حق قرار الأمم المتحدة بالتقسيم ، وهو قرار حاول الأمريكان وأعوانهم تبديله بالوصاية الدولية بمشروع « برنادوت » وشتى الوسائل والمقترحات الأخرى، فواجهوا هذا التواطؤ اليهودي مع السوفيات ، تواطؤ يقوم به اليهود بالتوسع عسكرياً في ارض فلسطين ويقوم بها السوفيات بالدفاع دبلوماسية في منابر الامم المتحدة .

وجاء الدكتور « فؤاد عمون » مندوب لبنان وهو المعروف بهدوئه ورصانته فالقى في مجلس الأمن بياناً شديد اللهجة وفيه انفعال وجداني عميق[1] انتقد فيه « اندريه جروميكو » مندوب السوفيات انتقاداً لاذعاً في ضمير عربي لم يجد بدأ من ان يتجاوز المألوف في العرف الدبلوماسي من لباقة في الحوار . وذلك لأن السوفيات انفسهم كانوا على قسط مخيف من الحماس لليهود لا يبرره مطلقاً اي عامل ظاهري في السياسة السوفياتية ، وانما يكتنفه التزام واصرار وعزم شديد من جانب السوفيات على معونة اليهود على افتراس حقنا في فلسطين .

وسحب الوفد البريطاني مشروع اقتراحه لانسحاب اليهود من الجليل امام هذا الضجيج الذي افتعله السوفيات وانصارهم . فقد اصر السوفيات على تفسير كل جهد يأتي من جانب العرب او من جانب الآخرين (بما فيهم بريطانيا وأية دولة غربية او محايدة) على انه « دسيسة استعمارية » . ويبدو ان الوفد البريطاني قد شعر بان حكومته قد ارتكبت ما يكفي من الاوزار والغش في القضية الفلسطينية طوال تاريخ طويل حافل بحضانة اليهود وقهر الحق العربي ، فرأى مندوب البريطاني ان يتراجع لئلا يتيح المجال لفتح الهجاء عليه من جديد ... هجاء السوفيات واليهود هذه المرة بعد ان نالت الصهيونية ما

(١) محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الثالثة رقم ١٢٦ ص ٢٧ – ٤٠ .

نالته من حضانة للبريطانيين طوال سنوات الاغتصاب التدريجي لفلسطين العربية ، فلما جاء حين الغزو اليهودي المباشر وجدت الصهيونية فجأة ان بريطانيا دولة مستعمرة تعارض في تسليم فلسطين لليهود . واشترك السوفيات وكل الدول الاشتراكية في الحملة على « الاستعمار » متناسية بان هذا الاستعمار البريطاني كان الى قبل بضعة اشهر فقط موجهاً منذ زمن طويل ضد الحق العربي لا ضد الأغتصاب اليهودي الذي شاركت بريطانيا فيه مشاركة كاملة منذ وعد بلفور الى آخر لحظة ..

وبانسحاب الاقتراح البريطاني لم يبق امام مجلس الأمن سوى مشروع القرار الكندي (وآخرون مثل بلجيكا) وسوي المشروع السوفياتي . وكان فحوى المشروع السوفياتي سماً زعافاً . فهو لا يعارض انسحاب اليهود من الجليل فحسب بل يطلب حماية « مكاسب الثورة » اليهودية ضد الاستعمار البريطاني « والرجعية » العربية التي تعاونت لمكافحة حركة التحرر الوطني اليهودي كما قال مندوب السوفيات دفاعاً عن اليهود .

ورفض مجلس الامن اقتراح السوفيات . ووافق على الاقتراح الكندي الذي اكد ضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة بوقف القتال وتنفيذ اتفاقية الهدنة المؤقتة وتسهيل مهام لجان المراقبة الدولية، ويدعو الطرفين العربي واليهودي الى التفاوض عن طريق الوسيط الدولي . وامتنعت سوريا (وكانت آنئذ العضو العربي في مجلس الأمن) عن التصويت على هذا القرار الكندي.[1] وجاء هذا القرار في حد ذاته نصراً لليهود وللسوفيات بعد ان اثاروا كل هذه الضجة لمقاومة أي خطوة عملية ترغم اليهود على الانسحاب من الجليل .
سنحتاج الى صفحات عديدة لو شئنا تسجيل مقتطفات من عنف الحماس السوفياتي ضد الحق العربي في قضية انسحاب اليهود من الجليل . فقد تدخل

(١) نص القرار في ملحق شهر نوفمبر عام ١٩٤٨ لمحاضر مجلس الأمن (وثيقة رقم S/١٠٨٠ .

مندوب السوفيات اكثر من عشر مرات في النقاش ليفسد اي محاولة عربية او من الدول الصديقة للعرب او من الدول المحايدة او من الدول الغربيـــة التي اخذت تدرك سريعاً اذى هذه الحضانة السوفياتية للقضية اليهودية وعهـــارة الصهيونيين في تبديل الولاء من الغرب الى الشرق بسهولة وصفاقة وفي ازدواج علني يضع قدماً في المعسكر الرأسمـــالي الغربي وقدما في المعسكر الشيوعي السوفياتي ، فيترك العرب وحقهم في فلسطين بلا نصير ولا منصف .

ففي جلسة ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٨ لمجلس الأمن القى مندوب اليهود (أبا إيبان) بياناً مسهباً فيه عاطر الثناء على السوفيات وفيه آيات الشكر وفيـــه الغاز ورموز حول مستقبل المنطقة العربية بالنسبة « لحركات التحرير العربية » متعاونة في الخط النهائي مع « عنصر التحرر اليهـــودي التقدمي » الذي جاء بمولد اسرائيل وبمعونة الاتحاد السوفياتي كما قال مندوب اليهود .[١]

ومن الطريف والبليغ معاً ان نسجل هنا نماذج من اقوال الوفد المصري رداً على السوفيات وكان يرأسه آنئذ الدكتور محمود فوزي وزير خارجية مصر الاشتراكية منذ اوائل عهد الثورة الناصرية حتى الآن . قال الدكتور فوزي في جلسة ٤ نوفمبر ١٩٤٨ لمجلس الأمن بشأن قضية انسحاب اليهود من الجليل وغيره من المناطق الفلسطينية التي تسرب اليها اليهود في فترة الهدنة وجيوش العرب مرابطة تنتظر « خيرات » الدول الصديقة شيوعية او رأسمالية او بين بين في محافل الغش الدولي في الامم المتحدة، قال الدكتور فوزي :

« لقد سمعت الكثير من اوصاف مندوب اليهود حول« الغزو » «والعدوان» العربي، وحول« المفاوضات » و « التعايش السلمي مع اليهود » .. لسنا غزاة ولا معتدين .. ونحن لا نعترف باليهود كطرف ذي كيان يحق له ان يطلب

(١) راجع نص البيان في محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة رقم ١٢٤ . وهـــذا البيان اليهودي في عشر صفحات طوال .

منا التفاوض ... وحينما اجتمع العرب واليهود في مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ تحت اشراف بريطانيا للتفاوض حول مستقبل فلسطين قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية كانت تلك الاجتماعات تجري منفردة بين بريطانيا والعرب من جهة وبين بريطانيا واليهود من جهة اخرى .. ولم يجتمع العرب واليهود معـــاً في اي جلسة او اجتماع ... هكذا كان موقفنا عام ١٩٣٩ وهذا هو موقفنا الآن (في عام ١٩٤٨ اي بعد خراب البصرة)

« اما بشأن اوصاف المندوب اليهودي (والسوفياتي) للعرب بالعدوان فان تقارير المراقبين الدوليين تنفي هذه التهمة . فالعدوان في جميـــع المناسبات (منذ قرار وقف القتال) جاء من الجانب اليهودي .

« .. لقد تطرق المندوب الصهيوني الى الكلام عن موقف الجيش المصري في فلسطين . نحن هنا لسنا من الرجال العسكريين لنستطيع ان نحكم على هذا الجيش او ذاك ، ومن هو أقوى ومن هو أضعف ، ومن هو الجيش الصالح ومن هو الجيش الفاسد ...

« ... اني اود ان اؤكد هنا بان الجيش المصري متماسك صلب ، وعنده عزم شديد اكثر مما كان في اي وقت مضى ..فأية محاولة من الجانب اليهودي لبث الفساد السياسي في حلقات الجيش المصري هي محاولة فاشلة ! .. »

ترى هل كانت مآرب اليهود والسوفيات من احباط الجهد العربي والدولي لاحقاق الحق في فلسطين اثارة العناصر العسكرية العربية على الاوضاع السياسية للديار العربية نفسها، كما اشار اليه مندوب اليهود صراحة ومندوب السوفيات صراحة ايضاً ومراراً وتكراراً ؟ ..

هذا السؤال اجابت عليه الايام والسنوات الـتي تلت سنوات الاغتصاب اليهودي لديارنا في فلسطين ، ومولد الاشتراكية الماركسية الثوريـــة في صلب الوسط العربي . وما في ثنايا هذه البيعة الاشتراكية من روابط « اخـــوة » دولية بالسوفيات او بالعناصر الاشتراكية « التقدمية » من مختلف الأجنـــاس والهويات ـ بما فيها اليهود ايضاً .

معركة الفالوجا

لموقعة « الفالوجا » اهمية استثنائية في تاريخ القضية الفلسطينية ، اذ ان خلالها تبلورت في اذهان جماعة « الضباط الأحرار » في الجيش المصري فكرة العمل الثوري ضد الاوضاع السياسية . وفي خنادق « الفالوجا » كان الرئيس جمال عبد الناصر (الضابط في الجيش آنئذ) يجتمع ويدرس ويبحث ويتشاور[1] مع زميله الضابط خالد محي الدين احد اركان الثورة الناصرية وأحد اركان الاركان للاشتراكية المصرية اليوم وأحد كبار المخضرمين في الحركة الشيوعية المصرية ايضاً .[2]

وموقعة « الفالوجا » جاءت ابان الحملة العسكرية اليهودية التي ابتدأت يوم ١٤ اكتوبر ١٩٤٨ واستمرت حوالي عشرة أيام ، تحقق فيها لليهود انتصارات عسكرية شملت منطقة واسعة في النقب ، بحيث اصبحت منطقة « الفالوجا » محاطة بالقوات اليهودية . وكان يرابط في « الفالوجا » مجموعة لا بأس بها من

(١) فلسفة الثورة ـ لجمال عبد الناصر .

(١) قصة الثورة لأنور السادات، الذي وصف زميله السيد خالد محي الدين بانه « كان يؤمن بمبدأ معين » أي المبدأ الشيوعي .

القوة المصرية العسكرية كما تقول تقارير الامم المتحدة عن تلك الجبهة العسكرية في حرب فلسطين .

ولقد أشرنا في الفصل السابق ان مجلس الأمن كان قد اتخذ قراراً يوم ٤ نوفمبر يطلب من اليهود بصفة خاصة ان يتراجعوا الى مراكزهم العسكرية السابقة للعمليات العسكرية التي ابتدأت يوم ١٤ اكتوبر . وحدد الوسيط الدولي يوم ١٩ نوفمبر ميعاداً نهائياً لليهود كي يمتثلوا بتنفيذ قرار مجلس الامن بالانسحاب .

ورفض اليهود في الموعد المحدد . ورفضوا السماح للحامية المصرية في « الفالوجا » ان تنسحب بسلام ايضاً. وكان قصد اليهود على ما يبدو الاحتفاظ بحامية « الفالوجا » كرهينة للمفاوضات مع العرب او مع الطرف المصري على وجه التحديد . فقد كانت جبهة النقب مقصورة على عمليات الجيش المصري النظامي مع بعض المتطوعين من جماعة الاخوان المسلمين ومن عرب فلسطين ومن عرب المملكة العربية السعودية .

وظل الموقف في (الفالوجا) على حاله بعد رفض اليهود بالانسحاب او تسهيل الانسحاب للحامية المصرية هناك . وتأزم الموقف خلال شهر ديسمبر حين تجمدت العمليات العسكرية من الجانب العربي ففقدوا المبادرة ، وتركوا لليهود تعزيز مواقعهم وما اكتسبوه من نصر واستحكام رغم تدخل الامم المتحدة مراراً وتكراراً بالقرارات والانذارات .

واول ذكر عن (الفالوجا) في وثائق الامم المتحدة جاء في اشارة عابرة خلال خطاب القاه الدكتور محمود فوزي (مندوب مصر) في جلسة ١٦ نوفمبر لمجلس الامن[1]

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة رقم ١٢٦ ص ٤٣ .

« ... في هذه الآونة بالذات التي اتحدث اليكم فيها تجري عمليات الهجوم على القوات العربية في الفالوجا ، اذا صحت المعلومات التي وصلتني عن الموقف هناك . وقد يجوز ان يكون لدى الوسيط الدولي (الدكتور بانش)معلومات ادق عن الموقف هناك ، ولذا فارجو منه ان يدلي لنا هنا بما لديه من اخبار . فالاخبار التي في حيازتي ناقصة ويهمني ان اسمع ما عنده .. »

ولم يسعف الوسيط الدولي الجانب العربي في تجلية الموقف او في زحزحة اليهود عن سيطرتهم على تلك القطاعات الهامة من النقب بمـــا فيها محاصرة الحامية المصرية في الفالوجا . كما ان مجلس الامن بكل سلطانه الدبلوماسي الدولي لم يسعف الجانب العربي ايضاً .

وعادت الوفود العربية الى سفسطة الكلام في مجلس الامن . ففي جلسة ٢ ديسمبر ١٩٤٨ طالب مندوب مصر ولبنان من مجلس الامن ان يبحث مسألة « التنفيذ لقراره الذي صدر يوم ٤ نوفمبر ١٩٤٨ » والداعي الى انسحـــاب اليهود من النقب . »

واسرع مندوب السوفيات يعقوب مالك فعارض معارضة شديدة في هذا الطلب العربي ، الذي هو مجرد تذكير الامم المتحدة ان تنفذ قرارها .

قال مندوب السوفيات في جلسة ٢ ديسمبر لمجلس الامن مـــا يلي : يوم كان الرئيس جمال عبد الناصر ورفاقه من الضباط الاحرار محاصرين في «الفالوجا» على يد القوات اليهودية : (١)

« ان ما طلبه مندوبا مصر ولبنان حول تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر يوم ٤ نوفمبر (بشأن انسحاب اليهود الى مواقفهم السابقة لتوسعهم العسكري في النقب وغيره) امر لا لزوم لبحثه هنا مطلقاً .

---

(١) محاضر جلسات مجلس الأمن للسنة الثالثة رقم ١٢٨ صفحة ٦ يوم ٢ ديسمبر ١٩٤٨

«وليس من حق الوسيط الدولي ان يسعى لتنفيذ هذا القرار . بل عليه ان يستشيرنا سلفاً – يستشير اللجنة الخاصة التي الفناها هنا في مجلس الأمن لمتابعة التطورات .

« ولا يحق لأي احد ان يرغم اليهود على تنفيذ امور لا نرضى عنها هنا . »

ثم جاءت اشارة اخرى لمسألة « الفالوجـا » في مجلس الامن في جلسة ١٧ ديسمبر ١٩٤٨ عندما تدخل مندوب بريطانيا « السير الكسندر كادوجان » منتقداً معاكسة السوفيات لمهام الوسيط الدولي ومسؤولية مجلس الامن والامم المتحدة اجمالاً في مسألة تنفيذ القرارات والضغط على اليهـود بالامتثال لتلك القرارات . قال المندوب البريطاني (١) .

« اصر مندوب الاتحاد السوفياتي في بيانه هنا في مجلس الامن على انـــه لا يجوز للامم المتحدة ان ترغم اليهود على الانسحـــاب او على منعهم من تعزيز قواتهم العسكرية ، لأن ما يقوم به اليهود – في رأي المندوب السوفياتي – هو مجرد حق لدولة مستقلة اسمها اسرائيل في حرية التنقـــل العسكري داخل اراضيها . هذا المنطق والموقف السوفياتي امر غريب . ان مندوب السوفيات لا يكل عن الاشارة والتوكيد والرجوع باستمرار الى قرار الجمعية العامـة الذي صدر يوم ٢٩ نوفمبر من العام الماضي ١٩٤٧ (قرار التقسيم)، ومن الثابت الآن ان هناك قوات يهودية في « الفالوجا » . ولو تكلف مندوب السوفيات بعض العناء ونظر الى خارطة فلسطين وخارطة التقسيم الذي وضعها قرار الجمعيـة العامة الصادر يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ لوجد بان « الفالوجا » لاتقع ضمن المنطقة التي منحتها الامم المتحدة لليهود بموجب قرار التقسيم اياه . فوجود القـوات اليهودية في الفالوجا لا يستند الى اي ذريعة بما فيها قرار الامم المتحدة بالتقسيم الذي يصر مندوب السوفيات كل الاصرار على التمسك به . »

---

(١) الاجتماع ٣٨٣ لمجلس الامن الموافق ٢ ديسمبر ١٩٤٨ صفحة ١ – ٢ .

وفي نفس الجلسة تصدى مندوب سوريا المرحوم فارس الخوري وحاول اثارة مسألة « الفالوجا » في مجلس الامن ووضعها كمادة منفردة في جدول اعمال مجلس الامن ليعطيها صفة استثنائية تفرض على المجلس الالتفات السريع اليها ، رغم معاكسات السوفيات وانصار اليهود من كل جانب . وفي قضية الفالوجا بالذات كان انصار اليهود محصورين في وفد الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تعيش في كنفه .

وقال الاستاذ فارس الخوري لمجلس الامن في جلسة ١٧ ديسمبر بانه تلقى البرقية التالية من رئيس وزراء مصر هذا نصها :

« تجمعات صهيونية قوية تهاجم قواتنا في الفالوجا . ارجوكم اثارة هذا الموضوع سريعاً امام مجلس الامن » . (١)

وتدخل مندوب السوفيات بلا تردد وعارض حتى اقدام مجلس الامن على بحث موضوع الفالوجا . وادعى مندوب السوفيات بانه لا يثق باقوال العرب، لأن البرقية حول هجوم اليهود على الفالوجا مصدرها الحكومة المصرية ...

وهكذا تعمد السوفيات اذلال الجيش المصري في الفالوجا . فلا السوفيات رضوا السماح للامم المتحدة بتنفيذ القرارات الداعية الى انسحاب اليهود . ولا السوفيات اقروا بان العمل اليهودي العسكري في الفالوجا يخالف لشروط وقف القتال ، او يخل بالهدنة المؤقتة ، او يخالف لنص قرار التقسيم ذاته الذي الح السوفيات الحاحاً متواصلا على صيانته لصالح الجانب اليهودي ولصالحه فقط .

وبسبب هذه المعاكسات السوفياتية استمرت قضية « الفالوجا » وقضية التوسع اليهودي العسكري خارج حدود التقسيم نفسه معلقة في الهواء اكثر

(١) نفس المرجع السابق صفحة ١١٨ .

من شهر واحد، كان فيه الكفاية من الزمن والجهد لليهود ان يعززوا مراكزهم عسكرياً وسياسياً ودولياً في حركة الاغتصاب وعملية الزور والغش المحلي والدولي الذي شارك فيه السوفيات في السر والعلانية ضاربين عرض الحائط بكل أصول المسؤولية الدولية في مجلس الامن، وبأبسط مبادىء الحق والقانون، وبكل قواعد العدل والمنطق — غير منطق الدهاء الماركسي ، ليضع بذور العبث في دنيا العرب في وقت مبكر، حتى تختمر عوامل النقمة والاستياء وذل الهزيمة العربية ، فتتولى الطليعة الثورية الماركسية اعمال الافتراس للحياة السياسية العربية ، ويتوفر للسوفيات اصدقاء او انكشارية ماركسية ذات سلطان في دنيا العرب تعطي للسياسة السوفياتية مركز الصدارة في الحياة العربية . وقد تحققت هذه الدسيسة السوفياتية في دنيا العرب مع الاسف الشديد .

فدور السوفيات في خلق اسرائيل وتركيزها، كان اشنع من دور المستعمر الغربي لو شئت دقة المقارنة. فاسرائيل لم تكن قاعدة للاستعمار الغربي وحده. بل قاعدة للغزو الماركسي في دهاء دبره السوفيات متعاونين مع الانكشارية اليسارية الثورية في صميم الشرق العربي ، فقد كان اليهود منذ البدء في فلسطين وفي مصر وفي العراق وفي لبنان وسوريا اول من اسس حركات اليسار الماركسي الثوري الى ان اشتد ساعد التلامذة العرب فافترسوا بعض السلطان العربي وانضموا الى كنف السوفيات .

ولنعد الى متابعة هذا العبث السوفياتي — اليهودي وتشاركهما معاً في احباط اي جهد عربي او دولي قد يساعد الامم المتحدة على انقاذ ما يمكن انقاذه من ويلات التقسيم وشروره .

ففي جلسة ٢٤ ديسمبر ١٩٤٨ اصرت الحكومة المصرية على مجلس الامن ان يعالج على وجه السرعة مسألة القوات المصرية التي يحاصرها اليهود في « الفالوجا » . وتقدم الدكتور محمود فوزي بالمذكرة الرسمية التالية لمجلس

الامن بتاريخ ٢٤ ديسمبر [١] . وفيما يلي اهم ما طلبته :

« لي الشرف ان اعلمكم بان القوات الصهيونيـة قد قامت بهجمات جديدة ذات طابع خطير ضد القوات المصرية في النقب .

«فقد القيت القنابل من الجو على مطارات العريش ورفـح وكلاهما في الاراضي المصرية . وقامت القوات الصهيونية بغارات جوية عنيفة على خان يونس وعلى الفالوجا . كما قامت السفن البحرية الصهيونية بقذف المواقع المصرية على الشواطىء .

« وفي نفس الوقت الذي تتعرض فيه الفالوجا ، ودير البلح ، وخان يونس لهجمات القوات الصهيونية البرية ، يجري حشد القوة العسكرية الصهيونيـة من مختلف الاشـكال على جميـع المواقع المصرية .

«لقد جاءتني التعليمات من حكومتي ان ابلغكم عن هذه الهجمات الصهيونية الواسعة ، وان اطلب من مجلس الامن اجتماعاً عاجلا القصد منـه وضع حد سريع وحاسم لهذا التطور السيء الذي ألم بالموقف كله . »

وتأييداً لهذه المعلومات التي قدمتها الحكومة المصريـة لمجلس الامن عن تجدد العدوان والغدر الصهيـوني ، ارسل الوسيط الدولي « الدكتور بانش » تقريرين الى مجلس الامن حول التطورات العسكرية الناتجة عن تمادي اليهود في استغلال العباطة العربية في الاعتماد على الدبلوماسية الدولية لاحقاق الحق او استخلاصه من يد اليهود ..

والتقرير الاول الذي رفعه الدكتور بانش كان في تاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ حول الموقف في النقب [٢] وهو يشير الى ان اليهود منعوا قوة المراقبة الدولية

(١) ملحق محاضر جلسات مجلس الامن (للسنة الثالثة) الوثيقة S/١١٥١ - بتاريخ ٤٠ ديسمبر ١٩٤٨

(٢) وثيقة مجلس الامن رقم ١١٥٢ وتاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ .

التابعة للامم المتحدة من الدخول الى منطقة الاحتلال اليهودي للنقب للاشراف على قرارات وقف القتال . وقال التقرير بان هذا الاجراء اليهـودي المخالف مخالفة شنيعة لألتزامات اليهود بقرارات الامم المتحدة « الـتي خلقت الدولة اليهودية اصلا » ، وان قيام اليهود بمنع قوات المراقبة الدولية من الدخول الى منطقة النقب قد القى ستاراً كثيفاً على العمليات والاستعدادات اليهوديـة العسكرية وما في ذلك من خطر اكيد على المصالح العربية العسكرية وغيرها . وأكد التقرير ايضاً قيام اليهود بالغارات الجوية على مطارات العريش ، ودير البلح وخان يونس وعلى الفالوجا ايضاً التي تعرضت للهجوم اليهودي من الجو والبر .

والتقرير الثاني [١] الذي رفعه الوسيط الدولي جـاء بعد يومين من تاريـخ التقرير الاول « اي في ٢٧ ديسمبر » ، وفيه توكيد ايضاً لما جاء به الدكتور فوزي باسم الحكومة المصرية بان القوات الصهيونية لجأت الى القوات البحرية لقصف المواقع المصرية على الشواطىء . وانكر اليهود طبعاً انهم يقومون باي عمل عدواني ! .. [٢]

وتدخل المندوب البريطاني ليؤيد طلب الحكومة المصرية . وقدم مشروع قرار لمجلس الامن في جلسة ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ يطلب من الامم المتحدة القيام على الفور بوقف القتال ! .. ورجوع القوات العسكرية الى سابق مواقعهـا قبل استفحال التوسع اليهودي في النقب الذي ابتـدأ يوم ١٤ اكتوبر ١٩٤٨ وتولد عنه محاصرة اليهود للحامية المصرية في الفالوجا .

وتدخل مندوب السوفيات « يعقوب مالك » بلا تريث ولا تردد فأيـد موقف اليهود تأييداً كاملا . وتجاهل مندوب السوفيات جميـع المعلومات عن

(١) وثيقة مجلس الامن رقم ١١٥٣ وتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٢) بيان المندوب اليهودي في جلسة ٢٨ ديسمبر لمجلس الامن في الاجتماع رقم ٣٩٤

العدوان اليهودي العسكري على الفالوجا وجوارها ، رغم ان هذه المعلومات جاءت في تقارير الوسيط الدولي نفسه . وقال مندوب السوفيات (١) ما قاله مندوب اليهود من ان الاعمال العسكرية التي يقومون بها ليست سوى عمل ضروري لحماية قوافل النقل اليهودية التي توصل الغذاء للقرى اليهودية في النقب !..

ووجد مندوب السوفيات ان من السخافة ان يستمر في موقف الغش والنفاق السلبي الهدام هذا ، وكل الحقائق تشير الى ان اليهود يتوسعون عسكرياً وبموجب خطة مرسومة لاحتلال كل النقب – وهي خطة ساعد السوفيات الجانب اليهودي عليها في المماطلة والمماكسة السوفياتية لأي مسعى عربي او دولي في الامم المتحدة لضبط التوسع اليهودي العسكري خلال بضعة اسابيع خطيرة حاسمة في تاريخ الغزو اليهودي للنقب والجليل بصفة خاصة . ولذلك حاول مندوب السوفيات – بعد ان تم لليهود التوسع العسكري الشامل لكل ما خططوا له من مواقع استراتيجية في النقب – حاول مندوب السوفيات تجميد الموقف للصالح اليهودي وحده . فقال لمجلس الامن : اتركوا الموقف العسكري على علاته . وادعوا العرب واليهود الى التفاوض على اساس التعايش السلمي ! . كما اقترح السوفيات انشاء لجنة خاصة للوساطة والتفاوض بين العرب واليهود ...

كان هذا موقف السوفيات بعد النصر اليهودي مباشرة . وهذا هو موقف السوفيات اليوم – بعد بضعة عشر عاماً من التركيز اليهودي في ارض العرب.

واسرع مندوب اليهود فوافق كلياً على طلب السوفيات بالتفاوض السلمي مع العرب (٢) ، وفي مسألة لجنة الوساطة ، ورحب مندوب السوفيات بهذا الصدى اليهودي السريع – وكنا في مجلس الامن كولداننا نراقب لعبة

(١) محاضر جلسات مجلس الامن الجلسة رقم ٣٩٦ بتاريخ ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ .
(٢) « « « « « « « « « « « « «

صبيانية ومسرحية من النوع الرخيص في مشاهدتنا لهذا النوع من «التجاوب» السوفياتي – اليهودي في اعلى منابر الدبلوماسية الدولية في الامم المتحدة. وفي غش وتواطىء سافر ، يدركه اقل الناس تجربة في السلوك السياسي وفي اللف والدوران الدبلوماسي .

ولم ينس العقل الماركسي حتى في عنف هذا الغدر والغش السوفياتي– اليهودي المشترك ان يمارس الدعاية الماركسية الثورية الممجوجة نفسها ، حين كانت دماء العرب في الفالوجا وفي غير الفالوجا تذهب ضحية هذا الغش الماركسي – الصهيوني .

ففي خلال مناقشات مجلس الامن حول العدوان اليهودي على الحامية المصرية في « الفالوجا » وعلى المدنيين وغيرهم من خان يونس ورفح ودير البلح وجوارها ، جاء بوق ماركسي آخر هو مندوب اكرانيا ليقول بان كل هدف العرب والاستعمار من ارجاع اليهود الى مواقعهم و«مكاسب الثورة» في النقب هو توفير الفرصة « للرجعية » العربية في شرق الاردن لأن تقاوم العناصر « التقدمية » اليهودية والعربية التي تريد العيش في الاخوة الاشتراكية ، لأنه ليست هناك خصومات بين الجماهير العربية وبين ثورة التحرر الوطني اليهودية في فلسطين الموجهة ضد الاستعمار البريطاني وضد الرجعية العربية فقط لا ضد الجماهير العربية ؟ ... (١) »

وانتهى عام ١٩٤٨ وقد تركز اليهود عسكرياً وسياسياً في فلسطين ، ووجدوا في الاتحاد السوفياتي دولة لم تكتف فقط بمشاركة الاستعمار الغربي اوروبياً او امريكياً في التصويت على قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ ، وانما ذهب السوفيات ابعد من اي طرف استعماري بريطاني او امريكي في حضانة الدولة اليهودية ، وعرقلة اي مسعى تولد عن عبث اليهود العسكري في التوسع

(١) بيان مندوب اكرانيا الرفيق (تاراسنكو) في جلسة ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ لمجلس الامن.

والغدر والغش ، وقلق الاستعمار الغربي نفسه من هذا التوسع الصهيوني ومحاولة الامريكان والبريطانيين في تحديده لئلا يفلت زمام الامر من أيديهم ، وقد لمسوا في سياسة السوفيات بادرة غزو سياسي وعقائدي اتخذ من اسرائيل ذريعة ووسيلة سهلة للوصول الى دنيا العرب . فقد تابع السوفيات حضانة الدولة اليهودية الجديدة بكل الوسائل ورغم كل التحديات وفي غش وتحيز سافرين .

لجنة التوفيق .. ومهازل أخرى

دخلت قضية فلسطين امام الامم المتحدة في عامها الثالث ١٩٤٩ بعد ان ودعت عام ١٩٤٨ بقرار اتخذه مجلس الامن (وقدمه الوفد البريطاني) يطلب مرة اخرى من اليهود ان ينسحبوا من النقب والجليل والمناطق التي احتلوها متجاوزين ايضاً خارطة التقسيم .

ولقد سجلنا في الفصل السابق (وكل الفصول الاخرى) كيف كان هم السوفيات تدعيم الدولة اليهودية بموجب قرار التقسيم الذي اشترك في فرضه على القضية الفلسطينية الشيوعيون والرأسماليون معاً — الاستعمار الغربي الامريكي والاستعمار السوفياتي الماركسي الجديد .

ولقد بدا من السوفيات كما سجلناه ايضاً اقساط من التسامح والحضانة والتشجيع والتأييد العنيد المتواصل للدولة الصهيونية رغم خرق اليهود لكل قرار وكل توصية اتخذتها الجمعية العامة ومجلس الأمن والوسيط الدولي ولجان مراقبة الهدنة ، بما في ذلك قرار التقسيم نفسه — الذي كان المفروض فيه ان ان يحدد النطاق الجغرافي الذي يجب ان لا تتعداه المطامع اليهودية في ديارنا بفلسطين .

ولو شئت أمانة التسجيل لهذه الأحداث التاريخية لوجدت ان هذا التسامح والتأييد السوفياتي للغزو اليهودي كان اشد أذى وأخطر على الصالح العربي

وأضمن للغش اليهودي من أي تأييد استعماري أوروبي أو أمريكي جـاء بعد اتخاذ قرار التقسيم ودخول الجيوش العربية لنجدة ارحامها العرب في فلسطين .

فالدول الاستعمارية الأوروبية – الامريكية حـاولت بعد اتخاذ قرار التقسيم ان تبدل الوضع . فاقترحت الوصاية الدولية . واقترحت الدولة الاتحادية حيث للعرب الاغلبية الساحقة للسكان ، واقترحت مشروع برنادوت الذي يحصر اليهود في قطاعات لاحظ لها فيها من العيش والصمود .

ولكن السوفيات عاكسوا وعارضوا ونسفوا كل هذه المحاولات ، وأصروا على انها دسيسة يتعاون فيها الاستعمار الغربي مع الرجعية العربية للقضاء على وحدة الحال بين الجماهير التقدمية العربية واليهودية في حركة التحرير الوطني للتخلص من الاستعمار البريطاني في فلسطين ومن الرجعيـة العربية في فلسطين وفي شرق الاردن وفي كل مكان عربي يحيط باسرائيل .

ولا يزال السوفيات على موقفهم حتى الآن . ولا يزال اهل الماركسية عرباً وسوفياتاً يقولون بأن قضية فلسطين لن تحل إلا إذا زال الاستعمار وزالت الرجعية العربية من كل الشرق العربي . وهـذا الزوال لا يتم إلا بتمام بلشفة العالم العربي كله الذي يسمى الآن « بالتحويل الاشتراكي » الثوري .

واستهلت الامم المتحدة عام ١٩٤٩ ولا يزال الوفد السوفياتي اشد الوفود نشاطاً في هدم المقدرة العربية على تصحيح الوضع وانقاذ ما يمكن انقاذه من هذه الهزيمة العربية الشنيعة – دبلوماسياً في حظيرة الامم المتحدة وعسكرياً في الميدان – هذه الحقيقة تصفع العربي بين العينين عندما يطالع السجل. وهذه المطالعة ضرورية اليوم ، لان لها صلة بتطورات الغد ، خصوصاً وان الاتحاد السوفياتي يملك اليوم من النفوذ في بعض المعاقل العربية عقائدياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً مما يجعل موسكو وسياستها نحو اسرائيل عنصراً خطيراً في مستقبل القضية الفلسطينية ومستقبل العزم العربي على الثأر للعار الذي لحق بالامة العربية .

ولقد تبين لنا كيف ان السوفيـات تجاهلوا تجاهلا عمدياً وفي حضانة متناهية خرق اليهود لوقف القتال ، ورفضهم للانسحاب من النقب والجليل ، او السماح للحامية المصرية في الفالوجة ان تنسحب بشرف ، ورفضهم للمراقبين الدوليين التابعين للامم المتحدة ان يقوموا بمهمة الرقابة في المناطق التي احتلها اليهود في النقب والجليل وغيرهما بعد قرار وقف القتال .

وقام الوفد السوفياتي في خلال هذا العبث الصهيوني كله بالالحاح على التعايش السلمي بين العرب وبين الدولة اليهودية الجديدة التي اتسعت حدودها اتساعاً هائلا يفوق ضعف ما اوصى به قرار الامم المتحدة بالتقسيم .

ففكرة لجنة التوفيق الفلسطينية وضعت بذورها موسكو قبل اي طرف دولي آخر . فلقد حمل الوفد السوفياتي لواء الشعار الذي ابتدعه اليهود بعد ان خلقوا دولتهم مستغلين الشرق والغرب معاً – شعار المفاوضات السلميـة للتسوية النهائية ، وهو شعار « التعايش السلمي » الذي لا يريد اعادة النظر في أي شاردة وواردة تجعل اليهود يتزحزحون عما افترسوه غدراً وعهـارة من ارض فلسطين .

وتبنى الوفد السوفياتي رسميـاً فكرة « التفاوض المباشر » بين الدولة اليهودية (بحدودها المختلسة في العمليـات العسكرية اليهودية المخالفة لكل قرارات الامم المتحدة) وبين العرب ، بعيداً عن اي وساطة « استعمارية » او « رجعية ». وهذا يعني انه لا مانع مطلقاً ان يشرف على هذه المفاوضات عناصر او نظم او جماعات او دول « تقدمية » كالسوفيات مثلاً !..

وفي آخر جلسات مجلس العام لعام ١٩٤٨ (جلسة ٢٩ ديسمبر) نشط الوفد السوفياتي في تبنيه لدعوة اليهود بالتفاوض والتعايش السلمي . وعندما اتخذ مجلس الامن قراره الاخير يوم ٢٩ ديسمبر من عام ١٩٤٨ يدعو فيه الى وقف القتال وانسحاب اليهود ، سجل الوفد السوفياتي على نفسه بأن يعارض في الانسحاب اليهودي ، ويصر على الصلح عن طريق المفاوضات ، فالحرب واستمرارها لا تفيد الا

« الاستعمار » و « الرجعية » العربية ..

قد يكون من قبيل الرثاء على الاطلال ان نستذكر الآن عباطة الجانب العربي في رفض مشروع برنادوت الذي كان فيه مجال واسع للابقاء على الطابع العربي لفلسطين ، لو ساد الجو العربي اصول الحكمة السياسية لا سخافة الانفعال وتفسير المسؤولية السياسية في ارقى من مستوى الشارع ومعطيات المقاهي .

والمرة الوحيدة (بعد قرار التقسيم) الذي اشترك العرب واليهود والسوفيات معاً في موقف متشابه — هو رفض مشروع برنادوت . والقارىء الآن لبيانات السوفيات حول مشروع برنادوت (الذي يقطع الدولة اليهودية عن اي مجال حيوي اقتصادياً وسياسياً وفي المنافذ على خليج العقبة او على موارد نهر الاردن) يدرك بسرعة ان غرض السوفيات كان اشنع من غرض الاستعمار الغربي . (وقد وافق الغرب الاوروبي الامريكي على مشروع برنادوت) كان غرض السوفيات اعطاء اليهود فرصة (بكل وسائل الغش والحيلة والخداع العسكري والدبلوماسي) لاستملاك جغرافية معقولة للدولة — جغرافية تحقق لليهود قدما على البحر الاحمر، وتتاخم حدود الدولة اليهودية اكبر عدد ممكن من الدول العربية (عكس ما اوصى به برنادوت او حتى قرار التقسيم الاصلي) حتى تكون الدولة اليهودية مصدر تحديات لأكثر النظم العربية « الرجعية » .

فمحاضر جلسات الجمعية العامة واللجنة السياسية ومجلس الامن لاشهر نوفمبر وديسمبر ١٩٤٨ (وهي الفترة التي اتسعت فيها رقعة الدولة اليهودية اتساعاً شمل النقب والجليل وقطاعات خطيرة من شواطىء الاردن والبحر الميت) كان هم السوفيات هو تمجيد الوضع العسكري والسياسي لصيانة « مكاسب الثورة » اليهودية على اعتبار انها « حركة تحرير وطني » ضد الاستعمار البريطاني والرجعية العربية ، فكل انتصار اضافي تحققه حركة « التحرير » الثوري اليهودي يعين حركات التحرر الوطني العربية في كل المنطقة

وكلما اصيب العرب بهزائم سياسية او عسكرية كلما كان في ذلك مؤيدات لميلاد العمل الثوري اليساري في الساحة العربية ، طالما ان شعاره هو مكافحة الاستعمار « الغربي لا السوفياتي طبعاً » والرجعية العربية . هذه قاعدة رئيسية في الفكر الماركسي الثوري اصلا . وقاعدة رئيسية ايضاً في السياسة السوفياتية الخارجية منذ اول ايام « لينين » حتى الساعة الراهنة ، وان اختلف تطبيق هذه القاعدة اللينينية في هذا القطاع الخارجي او ذاك اختلافاً « تكتيكياً » .

وفي هذا الاطار من العزم السوفياتي على تدعيم الدولة اليهودية في حدودها الموسعة (في النقب والجليل) رغم فتور الاستعمار الغربي بل معارضته العنيفة في بعض الحالات (وهي حقيقة يجب تسجيلها مهما اساء الرأي العربي الاعتراف بها اليوم او بالامس) نشط السوفيات لحمل لواء « التفاوض » بين العرب واليهود .

والدعوة الى « السلم » لا مفر لها من تفوق كل الدعوات وكل المشاريع وكل المقترحات في مكان كالأمم المتحدة المفروض فيه ان يكون منبراً للمفاوضات وحل المشاكل بالطرق السلمية . لذلك استغل السوفيات بصفة خاصة هذه الثغرة الواسعة في الامم المتحدة وجوها ومناخها وميثاقها ومنابرها للدعوة الى التضامن بين العرب واليهود — تفاوض غير مشروط بتراجع اليهود عن اي شبر احتلوه بعد وقف القتال او قبل وقف القتال، سواء كان هذا الاحتلال اليهودي متفقاً مع خارطة التقسيم التي وضعتها الامم المتحدة ام لم يتفق .

وتقدم مندوب السوفيات وبولندة معاً بمشروع قرار مشترك امام اللجنة السياسية (الوثيقة رقم ١ / ١٤٠٠) يطالب الامم المتحدة بعمل جماعي مباشر هدفه انسحاب القوات العسكرية الاجنبية (العربية) من ارض فلسطين — لا انسحاب القوات الصهيونية من المناطق التي احتلتها بالخديعة والغش مخالفة حتى قرار التقسيم . الى هذه الدرجة بلغ التحيز السوفياتي البولندي في جانب اليهود والعبث بالحق العربي .

وثارت حفيظة المندوبين العرب جميعهم ازاء هذا الغش السوفياتي السافر . واشتد النقاش، وطالب الدكتور فوزي [1] في برودته الدبلوماسية المألوفة من المندوب السوفياتي ان يحدد ما تعنيه موسكو « بالقوات الاجنبية » التي يريدها السوفيات ان تنسحب من ارض فلسطين . فأجاب مندوب السوفيات « تسارابكين » :

« كل الناس تعلم ان الجيوش العربية هي القوات الاجنبية التي كانت سبباً في اندلاع الحرب والحاق الاذى والحيلولة دون اعادة السلام الى اسرائيل .

« ان مهمتنا هنا في الامم المتحدة اليوم وغداً هو الوصول الى تسوية سلمية بين اسرائيل والعرب ... وطالما ان في المنطقة كلها استعماراً ورجعية فلا يمكن ان تتم هذه التسوية بين العرب واسرائيل.. وتتفرغ الجماهير العربية واليهودية للعمل التقدمي المشترك .

ورد الدكتور فوزي على مندوب السوفيات بما يلي :

« لماذا يطلب مندوب السوفيات من القوات العربية ان تنسحب ولا يطلب مثل ذلك من القوات الصهيونية ؟ .. لماذا لا يشير مندوب السوفيات الا بالحسنى والعطف والود والرأفة بشأن اليهود ويصف الجيوش العربية بانها غزاة معتدون ؟

« ... اذا كان مندوب السوفيات يعني « بالقوات الاجنبية » اؤلئك الذين لم يولدوا في فلسطين فان القوات الصهيونية هي اول من ينطبق عليه هذا الوصف، واول من يجب امره بالانسحاب من فلسطين . فالقوات الصهيونية قوات اجنبية .. وحتى هذه « الدولة » الاسرائيلية الجديدة لم يعترف بها الا عدد ضئيل جداً من اعضاء الامم المتحدة .. فالاغلبية الساحقة من اليهود الذين تضمهم ما يسمى اليوم باسرائيل هي جماعة اجنبية ..

(١) وثيقة الامم المتحدة اللجنة السياسية ـ محاضر الجلسات القسم الاول صفحة ٧٩١ .

« .. قد يجوز ان ينظر الوفد المصري بعين الاعتبار مسألة انسحاب القوات غير الفلسطينية من ارض فلسطين ، وهذا يعني ليس فقط انسحاب الجيوش العربية بل انسحاب القوات اليهودية الجديدة التي دخلت فلسطين منذ التقسيم اي قبل ٥ اشهر « ومعظم هذه الجحافل اليهودية الجديدة جاءت من المنطقة السوفياتية في اوروبا الشرقية » [1]

فتدخل بوق آخر من ابواق السوفيات « هو مندوب روسيا البيضاء » ليرد على الدكتور فوزي . قال الرفيق كيز يليف المندوب الروسي في نفس الجلسة :

« ان الذين يعارضون اسرائيل والذين يعرقلون السلم بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية هم الانانيون من عملاء الاستعمار والرجعية العربية .. من السخافة ان يقول مندوب مصر بان الجيوش العربية قد دخلت فلسطين بدعوة من عرب فلسطين . ان دخول الجيوش العربية عدوان سافر » .

فأجاب الدكتور فوزي في نفس الجلسة :

« ان كلام مندوب روسيا البيضاء تحامل شنيع . حتى الامم المتحدة في كل قراراتها لم تدن الجيوش العربية بالعدوان ... »

« قيام الاتحاد السوفياتي بالألحاح على الامم المتحدة وتقديم مشاريع القرارات لقطع نجدة الجيوش العربية لاخوانهم عرب فلسطين هو عمل سوفياتي لا يبرره المنطق وليست له اصول في القانون ولا في الحق ولا في العدل ... وان وهم السوفيات وغيرهم من الدول الاشتراكية الجيوش العربية بانها « معتدي أجنبي » امر لا يليق بمسؤولية دولة مثل الاتحاد السوفياتي . وهذا نوع من العبث، وفيه اذى وشر على الصالح العربي .. »

(١) نفس المرجع السابق ص ٧٩٣

فرد مندوب بولنده « الدكتور لانكه » وهو قطب من اقطاب الفكر الماركسي يدرسه الاشتراكيون العرب هذه الايام دراسة متواصلة :

« ان الوفد البولندي يؤيد كل حرف وكل هدف في مشروع السوفيات لسحب القوات الاجنبية « العربية » المعتدية على اسرائيل ... ان هذه الجيوش تقوم باعمال العدوان السافر على دولة اسرائيل .. »

وادلى مندوب اكرانيا السوفياتية بدلوه ايضاً ليصف الجيوش العربية بالعدوان على اسرائيل . فقال الرفيق (اندريه كالاكان) .

« اننا نريد السلام لصيانة مكاسب ثورة التحرير الوطني التي قام بها اليهود ضد الرجعية العربية والاستعمار البريطاني . وهذه الثورة اليهودية التحررية . هي من صالح الجماهير العربية . فقيام القوات الاجنبية (العربية) بمكافحة ثورة التحرير الوطني اليهودي معناه الاضرار بصالح الجماهير العربية واليهودية التقدمية التي فرضت عليها الرجعية العربية والاستعمار الاجنبي قيوداً ثقيلة . وهذه الرجعية والاستعمار لا يريدان نجاح ثورة التحرير الوطني اليهودي لئلا يساعد هذا النجاح التقدمي على تحرير الجماهير العربية كلها في المستقبل من الرجعية والاستعمار ...»

« ... ان بقاء الرجعية والاستعمار في الشرق العربي سيظل الحائل الاول والعائق الرئيسي في قيام دولة عربية الى جانب الدولة اليهودية في اسرائيل... فيجب ان تزول الرجعية والاستعمارمن جوار اسرائيل حتى يتم قيام دولة عربية تحررية وتقدمية الى جانب اسرائيل على ما كان يعرف سابقاً بفلسطين .. وهي منطقة لليهود كل الحق في انشاء دولتهم التقدمية فيها .

وتدخل مندوب اسرائيل (ايبان) فأيد اقوال المندوب الاكراني واقوال المندوب السوفياتي الذي اكد بدوره مرة اخرى ماقاله مندوب اكرانيا .

ولنر الآن ما قاله السيد احمد الشقيري في تلك الايام حين كان السيد

الشقيري يمثل اللجنة العربية العليا (١)

« لو اننا قبلنا ما يقوله مندوب السوفيات بوجوب الاعتراف بالامر الواقع فيما يتعلق بمولد الدولة اليهودية ، فلماذا اذن حارب السوفيات والحلفاء معاً المانيا النازية التي احتلت ديار الآخرين وطالبت اعتراف العالم لها بالامر الواقع؟

« .. لقد تعرضنا في فلسطين الى غزاة اجانب هم اليهود الصيهونيون الذين سهل لهم الاستعمار غزو ديارنا ... فحين يطلب منا (السوفيات يطلبون) الاعتراف بالامر اليهودي الواقع فإنهم يناقضون كل المبادىء ... حتى الوسيط الدولي الكونت برنادوت لم يطلب بالامر الواقع ... وجميع قرارات الامم المتحدة لاتقول بان علينا قبول الامر الواقع بالنسبة لهذا الغزو الصهيوني لديارنا... ان الكونت برنادوت عارض التقسيم لأنه اعتبره بعيداً عن العدالة.

« ... الوساطة التي تكلف بها الوسيط الدولي كان يجب ان تكون وساطة بعيدة عن فكرة التقسيم ... »

« ... لقد قال الرئيس ويلسون « الامريكي » ان الناس ليست احجاراً في لعبة الشطرنج حتى نبدل ونغير في مقدراتهم واوضاعهم .

«... مهما تعاونت الدول الكبرى من مختلف المذاهب، شيوعية ورأسمالية ليقهروا حقنا في فلسطين ، فان ملايين المسلمين في جميع انحاء العالم لن يرضوا بالمساومة على الحق العربي في فلسطين وعلى الاحتفاظ بوحدتها وعروبتها .. »

« فاذا فرضت الحرب على العرب فان ملايين المسلمين ستهرع الى النجدة يوم النفير ...

« فاذا فرضت علينا الحرب سنلبي النداء . . وهذا لا يعني اننا سنتقاعس عن الترحيب بالسلم ايضاً .. »

---

(١) محاضر اللجنة السياسية الجلسة رقم ٢٢١ من ص ٦٤٧ الى ص ٦٥٣ .

ولم يدرك الشقيري او غيره من المتحدثين باسم القضية الفلسطينية آنئذ ان كلمة « السلم » والتعايش السلمي والمفاوضات وغيرها من هذه المترادفات كانت مفتاح الخطوة التالية في دهاء السوفيات وغيرهم لتركيز الدولة اليهودية على حساب العباطة العربية .

وكان اشد رجال الوفود العربية يقظة وحنكة، واكبرهم سناً واقلهم ضجيجاً هو المرحوم فارس الخوري مندوب سوريا . ففي جلسة اللجنة السياسية التي طالب فيها السوفيات بانسحاب القوات الأجنبية « العربية » من فلسطين ، تدخل فارس بك وقال ما يلي :

« اذا قبلت الجمعية العامة هذا الاقتراح الرسمي المقدم من الاتحاد السوفياتي والداعي لسحب القوات الاجنبية ، فان مثل هذا القرار يقتضي انشاء لجنة تحقيق تدرس عن كثب وتفند من هي القوات الاجنبية التي يجب ان تنسحب من ارض فلسطين ... ومثل هذا التخفيف سيؤكد بان القوات اليهودية هي وحدها القوات الاجنبية، وليس الجيوش العربية التي يصمها المندوب السوفياتي بالعدوان والغزو ...

«وحتى لو قبلنا هذا الالحاح الشديد والاصرار المتواصل من جانب الاتحاد السوفياتي على تنفيذ قرار التقسيم لصيانة الدولة اليهودية ، فان ذلك القرار نفسه يفرض على القوات اليهودية ان تنسحب من جميع المناطق (في النقب والجليل وغيرها) التي احتلتها بعد قرار وقف القتال ...

«... في موقف الاتحاد السوفياتي من هذه التطورات كلها شيء مخيف ... فموسكو لا تريد العدل ولا تريد الانصاف ولا تريد السلام ولا تريد مبادىء الامم المتحدة .. انها تريد انانية استعمارية جديدة في الوسط العربي .. فاذا كان هذا حال السياسة الدولية في الامم المتحدة فلا يلومنا احد اذا كفرنا بالشرق والغرب معاً .. »

نجح دعاة « التفاوض » المباشر بين العرب واليهود في حلقات الامم المتحدة

في تكرار رفعهم لهذا « الشعار » الذي اشترك في استنباطه اليهود والسوفيات معاً ، والالحاح على ترديده رغم زعيق الوفود العربية بان التفاوض لا معنى له، طالما دعاته لا يريدون ارغام اليهود على الانسحاب من المواقع العسكرية التي اكتسحوا بها أهم واوسع وافضل قطاعات فلسطين .

وأجاب مندوب اليهود (ايبان) بان اي اطار للتفاوض بين العرب واليهود يجب ان يكون مستنداً الى قرار التقسيم والى اعتراف العرب بالكيان اليهودي — باسرائيل .

وتعاقبت وفود الكتلة الاشتراكية بزعامة الاتحاد السوفياتي تردد هذا المطلب اليهودي ، وتصوغ من اجله مشاريع القرارات والنصوص القانونية ومختلف التعديلات والمقترحات المألوفة في اعمال الامم المتحدة . فقد نجح اليهود والسوفيات نجاحاً مباشراً في اثارة غبار كثيف حول الاحتلال العسكري اليهودي للنقب والجليل ، مدعين ان هذا الاحتلال وان خالف قرارات مجلس الأمن فان قصد اليهود من رفضهم للانسحاب هو مجرد المساومة مع العرب على حل نهائي للمشكلة التي ازدادت تعقداً بدخول القوات الاجنبية العربية ، وكون هذه القوات تأتمر بمشيئة الاستعمار والرجعية العربية ! .. ولذلك فلا بد من المفاوضات المباشرة بين اسرائيل والجانب العربي بوساطة فريق دولي « محايد » .

ونشط الاتحاد السوفياتي ليحدد ما معنى « الحياد » عند العقل الماركسي في القضية الفلسطينية . وتقدم الدكتور لانكه — مندوب بولنده، بمشروع اقتراح يحدد القواعد القانونية للمهمة التي يجب ان يتولاها اي فريق دولي «محايد» يتولى الوساطة للتوفيق بين اسرائيل والجانب العربي . وهذه المهمة هي في رأي هذه الجماعة الماركسية (كما سجلها مشروع القرار البولندي) ما يلي :

١ — صيانة مكاسب ثورة التحرير الوطني اليهودية في اسرائيل (كذا)

امام تحديات خصوم الثورة من الاستعمار الغربي وعملائه من اهل الرجعية العربية !..

٢ – لا يمكن في اي حال من الاحوال الاستناد الى اي قرار صدر عن الامم المتحدة غير القرار الذي ادى الى مولد اسرائيل .

وهذا يعني رفض اي فكرة اخرى بما فيها فكرة الوصاية الدولية على كل فلسطين والابقاء على وحدتها الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، ورفض مشروع برنادوت او اي اقتراح آخر لا يترك لليهود حرية كاملة وحضانة دولية كاملة للاحتفاظ « بمكاسب ثورة التحرير الوطني اليهودي » ! ..

واشترك مندوب الاتحاد السوفياتي في صياغة هذه «المهام» مع المندوب البولندي الدكتور لانكه – وهو قطب اشتراكي دولي عتيد له اليوم في اوساط الاشتراكية العربية تلامذة عديدون .

وردت الوفود العربية في شيء من العنف على هذا الغش السوفياتي . وبودنا لو استذكر الدكتور محمود فوزي اليوم ما قاله بالامس في تلك الايام الفاصلة من تاريخ العرب المعاصر : قال الدكتور فوزي مخاطباً مندوبا السوفيات وبولنده:

« انكما تحاولان اظهار الجيوش العربية التي دخلت فلسطين كما لو انها عناصر شغب وفساد جاءت لتعرقل السلم وتعبث بالأمن وتفسد المحاولات الصادقة للحلول السلمية لقضية فلسطين ... لماذا لا يعترف الاتحاد السوفياتي وبولندة بالحقيقة الناصعة وهي ان الصهيونيين هم المعتدون ، وانهم يتلقون العتاد والرجال والمدربين على الحرب والثورة من اوروبا الشرقية ... ان من الصعب علينا ان نفهم لماذا يصر الاتحاد السوفياتي وبولنده على انسحاب القوات العربية من ارض فلسطين ، بينما يحاول السوفيات واعوانهم بكل الوسائل غير الشرعية حشد الرجال والعتاد للجانب اليهودي الذي تدرب بعقيدة خاصة (هي العقيدة الماركسية) ، وفي جهد متواصل يبذله الاتحاد السوفياتي في دول اوروبا الشرقية لتعزيز الصهيونيين .. »

وقد بدأت حقائق هذا الغش الماركسي – الصهيوني تبدو جلية لاكثر وفود الامم المتحدة ، فحاول البعض مثل استراليا وكندا (الاولى بالنيابة عن بريطانيا والثانية بالنيابة عن امريكا) استخلاص المبادرة من يد السوفيات في محافل الامم المتحدة ، واحالة القضية الفلسطينية كلها على لجنة دولية تعمل بعيدة عن عنف الجدل والدعاية في منابر الامم المتحدة .

واقترح مندوب استراليا وكولومبيا تأليف مثل هذه اللجنة شرط الا تكون مقيدة بما حدده الوفد السوفياتي والوفد البولندي لها من مهام كلها مؤيدة تأييداً كاملا للجانب الصهيوني . وكان من رأي المقترحات الاسترالية – الكولومبية ترك بعض الحرية للجنة التوفيق في التصرف خارج قرار التقسيم للوصول الى تسوية لا تغبن الجانب العربي غبناً كلياً كما شاء السوفيات والبولنديون فعله في مشروعهم لمهام لجنة التوفيق .

وقام الجانب العربي نفسه بتقديم مقترحات تحاول افساد السعي السوفياتي – اليهودي من جهة ، وتحاول تقوية المقترحات الاسترالية من جهة اخرى لتخدم المصلحة العربية .

وتولى مندوب سوريا فارس الخوري تقديم مشروع بهذا المعنى يرفض ان تكون مهام لجنة التوفيق متقيدة بقرار التقسيم وحده ، بل شاملة لمقترحات اخرى اقرتها الامم المتحدة مثل فكرة الوصاية الدولية او مشروع برنادوت.

ورفض مندوب السوفيات كلا من مقترحات الاستراليين ومقترحات العرب ، وقال الرفيق « تسارابكين » مندوب السوفيات ما يلي :

« للمرة المائة اقول نيابة عن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التقدمية بأن مهام لجنة التوفيق يجب الا تتجاوز في اي حالة من الاحوال قرار التقسيم وصيانة مكاسب ثورة التحرير الوطني اليهودي والابقاء على الحدود الراهنة لاسرائيل .. »

حتى الوفد البريطاني وهو اصل البلاء في نكبة فلسطين استاء من هذا

العناد السوفياتي وحضانته المتطرفة للجانب اليهودي ، فقام مندوب بريطانيا بتقديم تعديل على المقترحات الاشتراكية والعربية حاول فيها البريطانيون ان يتركوا للجنة التوفيق بعض التصرف في وضع النواصي بغير التقيد الشديد بقرار التقسيم. وقد صاغ الوفد البريطاني تعديله في هذه اللغة المألوفة في الدبلوماسية البريطانية التي لم تكن صالحة لعصر الدبلوماسية المكشوفة في منابر الامم المتحدة . وهذا نص التعديل البريطاني كما قدموه في جلسة ٣٠ نوفمبر ١٩٤٨ امام اللجنة السياسية :

« يلاحظ بعين الاعتبار بان الوسيط الدولي قد اشار الى ان هناك احتمالاً في تسوية القضية الفلسطينية لصيانة حقوق اهل البلد رغم التحديدات التي جاءت في قرار الامم المتحدة الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ — وهو قرار التقسيم الاصلي . »

واسرع مندوب اليهود (إيبان) وهو نفسه حصيلة الثقافة البريطانية وربيب الاستخبارات البريطانية ايام الحرب العالمية الثانية فادرك مقاصد الوفد البريطاني من هذا التعديل. وهاجم (ايبان) الاقتراح البريطاني هجوماً عنيفاً. ومن الطريف ان (ايبان) نفسه كان في تلك الآونه يحمل الجنسية البريطانية !.

وكالعادة لم يتوان مندوب السوفيات فى سرعة التأييد للجانب اليهودي . فتدخل الرفيق « تسارابكين » مرة اخرى ليقول :

« لو قبلنا اعطاء لجنة التوفيق اي حرية للتصرف خارج الوضع الراهن لدولة اسرائيل ،فان هذا معناه ان في استطاعة لجنة التوفيق التوصية باخلاء اليهود لمنطقة النقب واعطائها للجانب العربي الذي قد يقوم بدوره بتسليمها لشرق الاردن ... اننا لا نريد توسيع الرقعة العربية في اي وجه من الوجوه على حساب اسرائيل. . ولذلك فلا يوافق الاتحاد السوفياتي على اي تعديل جذري في الوضع الراهن لحدود دولة اسرائيل ... »

لنذكر هذا القول السوفياتي القديم ،فهو لا يزال اساس السياسة السوفياتية فيما يتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية وحاضرها ايضاً .

وفي مرحلة البتّ النهائي على مختلف القرارات والمشاريع المقترحة لمهام لجنة التوفيق شهدت المهزلة في حلقات الامم المتحدة هذا اللون من الغش الدولي الذي لا يثبت قرار . فقد كان المفروض ان تكون مساعي استراليا فيها لون من الانصاف للجانب العربي ، ولكن سرعان ما تبين ان الاستراليين كانوا في الواقع يشاركون السوفيات والبولنديين وغيرهم من دول اليسار في تعزيز الصهيونيين لا في الحد من مطامعهم . ولا غرابة في ذلك فقد كان رئيس الوفد الاسترالي رئيساً ايضاً لحزب اليسار الاشتراكي في استراليا ... واحتدم الصراع بين الوفد الاشتراكي والوفد البريطاني حول هذه الحضانة السافرة من جانب الاستراليين للطرف اليهودي . ورغم ان حكومة العمال كانت مؤلفة للوزارة البريطانية آنئذ ، الا ان وزير الخارجية العمالي (ارنست بفين) كان اول مسؤول بريطاني استفاق الى خطورة الانسياق البريطاني في ركاب الصهيونية لئلا تخسر بريطانيا اي فرصة لها في صداقة مع العرب . واصر المستر بفين كما هو معروف للجميع في معارضة الضغط الصهيوني في داخل بريطانيا وخارجها مما اكسبه نقمة اليهود ومحاولة اغتيالهم له ايضاً ...

واستلهم الجانب العربي نوعاً من « الجهاد » الدبلوماسي في هذه المرحلة من اعمال الامم المتحدة التي انكشف فيها تواطؤ اليسار الدولي (سوفياتياً او استرالياً ايضاً) مع الصهيونية، وانشقاق انصار اسرائيل السابقين في المعسكر الغربي . ونشطت الوفود العربية في الوعد والوعيد والانذار ورفع راية الاسلام وما الى ذلك من ذخيرة كافية في اهمية الدنيا العربية — الاسلامية في العلاقات الدولية ، وان عجز العرب انفسهم عن حسن الاستفادة فيها في المراحل الاولى من مسرحيات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية .

واستطاع هذا الغضب العربي « وقد ساهم في اثارته مندوب الباكستان

بصفة خاصة » في حمل الوفود في ادخال تعديلات على مهام لجنة التوفيق ترضي وجهة النظر العربية في بعض النقاط الهامة ، رغم معارضة السوفيات واليهود لذلك .

وجاءت الصيغة النهائية للقرار المتعلق بلجنة التوفيق خالية من اي ذكر لقرار التقسيم الاصلي « قرار ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ » او الاشارة الى كلمة « اسرائيل » .

ولكن هذا « النصر » العربي جاء مقيداً بانتصارات اخرى للجانب السوفياتي – اليهودي . فقد جاءت الصيغة النهائية للقرار الخاص بلجنة التوفيق خالية ايضاً من اي اشارة الى مشروع برنادوت أو القرارات الداعية بانسحاب القوات اليهودية من النقب او الجليل وغيرهما من المناطق العربية التي افترسها اليهود فوق ما افترسوه من ديار العرب بموجب قرار التقسيم الاصلي ..

وكان هذا النصر السوفياتي – اليهودي اهم الف مرة من اي ترضية نالها العرب.. فقد حقق السوفيات واليهود ما دعوا اليه اصلا وهو مبدأ «التفاوض» بين العرب واليهود على اساس التعايش السلمي ! .. رغم ان الكتلة السوفياتية كلها امتنعت عن التصويت النهائي على الصيغة المعدلة لمهام لجنة التوفيق ، رغبة من السوفيات في ان يتركوا لانفسهم ولليهود حرية التصرف الواسع في مستقبل القضية الفلسطينية بغير قيد ولا شرط ، طالما ان القاعدة الاساسية للوجود اليهودي في فلسطين قد تحققت – وهي مولد اسرائيل ..

وحرية التصرف هذه التي استملكتها السوفيات واليهود لانفسهم بعد كل هذا الكر والفر في منابر الامم المتحدة وفي ميدان القتال ايضاً في ارض فلسطين – حرية التصرف هذه لم تكن مجرد عمل ارتجالي . فالعقل الماركسي (وهو عقل يهودي اصلا) لا يرتجل بل « يخطط » سلفاً .

وقد فطن السوفيات لدور عرب فلسطين في مستقبل القضية الفلسطينية . ومن نماذج هذا « التخطيط » السوفياتي لسياسته ومآربه في الشؤون العربية ما قاله مندوب السوفيات (الرفيق الكسندر بوكومولوف) في جلسة ٢٣ اكتوبر عام ١٩٤٨ للجنة السياسية الرئيسية التابع للجمعية العامة :

« الى هذه الساعة الراهنة ، نلاحظ بان وفد اللجنة العربية العليا يشارك في اعمال الامم المتحدة على انه ممثل لحكومة عموم فلسطين . هذه الحكومة هو في حد ذاته خرق لقرار الامم الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ (قرار التقسيم)

ولذلك فالاتحاد السوفياتي يرفض التعامل مع هذه « الحكومة » هنا في الامم المتحدة ... »

وتبعه « الرفيق مانويلسكي » مندوب اكرانيا فقال [1] .

« .. لا بأس ان يشارك مندوب اللجنة العربية العليا في مناقشات القضية الفلسطينية امامنا هنا في هذه اللجنة .. فضروري ان يكون لعرب فلسطين من يتحدث باسمهم .. ولكننا نرفض رفضاً باتاً ان نعترف بان لعرب فلسطين حكومة ... ومثل هذه الحكومة العربية الفلسطينية لن نعترف بها إلا بعد التعيين النهائي لحدود اسرائيل وتوفر الضمان الدولي النهائي لهذه الحدود ... ان دور اللجنة العربية العليا هنا هو مجرد دور«المراقب» لا اكثر ولا اقل..»

وجاء اللسان السوفياتي نفسه يؤكدهذا الموقف.فقال الرفيق«تشارابكين» مندوب السوفيات في جلسة ١٥ نوفمبر ١٩٤٨ للجنة السياسية الرئيسية [2] .

« .. اننا لم نعارض اشتراك ممثل اللجنة العربية العليا باسم عرب فلسطين لأنه لا يوجد طرف آخر جاء يتحدث باسمهم .. ولكننا لا نعترف ابداً بان

---

(١) الاجتماع ١٦٩ للجنة السياسية في الجمعية العامة يوم ٢٣ اكتوبر ١٩٤٨ .

(٢) محاضر الجلسات صفحة ٦٤٦ في القسم الاول من مجلد الوثائق الخاصة باللجنة السياسية للفترة ما بين ٢١ سبتمبر الى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ .

لعرب فلسطين كياناً رسمياً .. والاتحاد السوفياتي لا يعترف ولن يعترف باي تمثيل لعرب فلسطين اذا ادعى هذا التمثيل انه يشمل قطاعات خارج القطـاع الجغرافي الذى حدده قرار التقسيم الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ . ففي فلسطين اليوم دولة اسرائيل . ونحن لا نعترف ولن نعترف باي طرف آخر يدعي انه له مطلب في ما اصبح معروف الآن بدولة اسرائيل ... »

وقال مندوب بولنده الدكتور لانكه في نفس الجلسة :

« اذا كنا قد سكتنا عن مشاركة اللجنة العربية العليا في اعمـال الامم المتحدة كممثل لعرب فلسطين ، فان ذلك في رأينا اجراء مؤقتاً .. اقتضته ظروف التركيز القانوني للطرف الرئيسي والاهم في المسألة الفلسطينية — وهو الطرف اليهودي .. ان وجود ممثل لعرب فلسطين هنافي الامم المتحدة لا يعني مطلقاً اننا نعترف به او نقبل قوله بانه ممثل عموم فلسطين .. لعرب فلسطين قطعة جغرافية يمكنهم يوماً ما ان ينشئوا دولة فيها.اما ادعاؤهم بانهم اصحاب عموم فلسطين فذلك هراء وذلك عدوان على اسرائيل لن نرضى به .. بـل نـكافحه .. »

وسنترك الدكتور فؤاد عمون مندوب لبنان يجيب على هـذه التدابير والدسائس السوفياتية . قال الدكتور عمون في جلسة ٢٣ اكتوبر ١٩٤٨ :

« ... ان وفد اللجنة العربية العليا هو الممثل الشرعي لحكومة فلسطين المؤقتة .. وان الذين ينكرون على عرب فلسطين هذا الحق الطبيعي — وهو من ابسط الحقوق ومن الشناعة انكاره لا يقصدون الا هدرمزيد من حقوق عرب فلسطين .

« ... ان حكومة عموم فلسطين معترف بها من جميع الدول العربية .. فاذا كان هناك دولة غير شرعية موجودة بيننا هنا في الامم المتحدة فهي ما تسمونه بدولة « اسرائيل » .. فليس لهذه « الدولة » اساس في القانون او في العدالة .. فاليهود اليوم قد نكثوا بكل قرار صدر عن الامم بما فيه القرار

الذي قال بخلق دولة يهودية .. وان الذين ينكرون على عرب فلسطين حق القانوني الدولي لهم « كما ينكره الاتحاد السوفياتي » الان فانما يتحاملون على الحق والقانون والمنطق ..

« ان حكومة عموم فلسطين تختلف عن الحكومـة اليهودية . فاليهود اعلنوا قيام « دولتهم » قبل موافقة الامم المتحدة على ذلـك .. اما عرب فلسطين فقد كانو اكثرية شرعية ، فانتظروا قبل ان يعلنوا قيام دولتهم «حكومة عموم فلسطين » ونظرا لهذه الطريقة الشرعية التي التزم بها عرب فلسطين فان من حق حكومتهم (حكومة عموم فلسطين) ان تنال عطفاً لا يقل عن العطف السوفياتي الذي تناله حكومة اليهود التي ولدت في ظروف غير شرعية .. »

وتكلم بمثل ذلك المرحوم فارس الخوري .. ولكن مـا نفع الكلام وفي بطون الذئاب الدولية « مخططات » بعيدة المدى طويـلة الرمق لقلب كل ركائز العالم العربي متخذة قضية فلسطين ونكبة اهلها ذريعة سهلة وبضاعـة رخيصة للتجارة الدبلوماسية والعقائدية بما فيها تجارة الماركسية الثورية .

المشـــهد الأخـــير

دخول اسرائيل في عضوية الأمم المتحدة

خطوة خطوة تحقق للصهيونية كل مآربها ، في عهارة دولية ابتدأت اول الامر باستغلال الحركة الاشتراكية الدولية في مستقبل هذا القرن يوم طلى زعماء الحركة الصهيونية بيعتهم بطلاءٍ اشتراكي هدفه بناء مجتمــعٍ! تقدمي « للمشردين اليهود » في ارض الميعاد . فبدايـــة الغزو الصهيوني لفاسطين في مستهل هذا القرن ، وقبل وعد بلفور بسنوات طويلة - بداية هـذا الغزو كانت « مستعمرات » زراعية على نموذج المزارع الجماعية التي اقامها السوفيات بعد ان مارسها الصهيونيون في فلسطين بحوالي عشرة اعوام .

فنظام « الكوبوتسيم » اليهودي في فلسطين سابق لنظام المزارع الجماعيـة « كوكولز » السوفياتي .

ثم حاولت اليهودية العالمية العهارة الدبلوماسية مع السلطان العثماني لاختلاس فلسطين ففشلت ، وحاولت اليهودية العالمية مثل هذه العهارة مع القيصريـة الالمانية ففشلت . ثم التجأ اليهود الى بريطانيا فنالوا وعد بلفور . ولمــا تضاءل دور بريطانيا في السياسة الدولية في اعقاب الحرب العالميـــة الثانية تحولت العهارة اليهودية الى الولايات المتحدة الامريكية بصفتهــا اكبر دولة تزعمت الحرب ضد النازية وتأثرت لليهود وبغيرهم (بما فيهم السوفيـــات) من البطش النازي .

وفي خلال كل هذه القوالب من تبديل الولاء وممارسة العهارة الدوليـــة في هذا المعسكر او ذلك ظلت اليهودية العالمية على اوثق الصلة بالماركسية العالمية ممثلة بالاتحاد السوفياتي . فالثورة الشيوعية الروسية هي في قواعدها الفكرية وفي !ساليبها وفي زعاماتها يهودية الجذور والقيادات . هذه حقيقة لا ينكرها إلا كل جاهل بتواريخ الحركات اليسارية الثورية في العالم كله، وبأحوال الفكر الماركسي !و ما يعرف الان في الوسط العربي بالاشتراكية العلمية .

فحين قرر اليهود توجيه الضربة النهائية لافتراس فلسطين كان التأييــد لهم متوفراً ليس فحسب في امريـكا واوروبا الغربية ، بل في المعسكر الاشتراكي وهو الاهم بالنسبة لهذه المرحلة الدقيقة بالذات من تاريخ النكبة الفلسطينية . فمن المعسكر السوفياتي تلقى اليهود المعونات العسكرية في احرج الساعات ، والعتاد والرجال والتأييد والحضانة الدبلوماسية العنيفة المتواصلة في الامم المتحدة.وقد اثبتت هذه الحضانة السوفياتية في كلسنوات الاغتصاب اليهودي في حظيرة الامم المتحدة بانهـــا كانت العن في الاذى على الصـــالح العربي من اي اذى استعماري آخر .

فقد مال الامريكان والاستعمار الغربي الى التراجع في نحافل الامم المتحدة امام الغضب العربي . فاقترحوا بديلا عن التقسيم في مشاريع الوصاية الدولية على كل فلسطين ومشروع برنادوت ، وكلها كانت مؤديـــة الى ضمان الوحدة الجغرافية والبشرية لفلسطين فيحدودها الطبيعية . وبغير هذه الوحدة لم يكن لعرب فلسطين حظ في استخلاص ديارهم من الغـــدر الصهيوني

ولكن الاتحادالسوفياتي كان منذ البدء في تسلسل سياسي مخططه واساليبه محددة مآربه ، فالسياسة الخارجية لبلد دينه الاشتراكية العلمية كالاتحـــاد السوفياتي لا بد لها من ان تلتزم بكل قواعد العمل الثوري واساليبه . وهذه القواعد الماركسية ـ اللينية اقتضت في اصول العقيدة الثورية ان يفتعـــل السوفيات « متناقضات » الشرق العربي. فمساهمة السوفيات في خلق اسرائيل هذه المساهمة اللحوحة المتواصلة في محافل الامم المتحدة، وفي تزويد اسرائيل

بالسلاح وبالمهاجرين اليهود المدربين عسكرياً في عنف الحرب العربية ـ اليهودية، هذه الحضانة والتأييد السوفياتي « لثورة التحرير الوطني » اليهودية كما وصف السوفيات واعوانهم غزو اليهود لفلسطين – كان القصد منها زعزعة الوضع العربي كله في « متناقضات » الوجود اليهودي الاجنبي الدخيـــل على الصفة العربية الاسلامية للشرق الادنى .

فخلق اسرائيل نتيجة لهزيمة العرب في وطنهم التقليدي كان لا بد له وان يثير رد فعل عنيف في الساحة العربية، لتبديل الاوضاع. وطالما ان هذا التبديل لا بد له من مخاصمة الوضع العربي الراهن ، بما فيه علاقات العرب مع العالم الخارجي الاوروبي والامريكي فان الطرف الوحيد الذي ستتطلع اليه حركات التبديل العربي بعد هزيمتنا في فلسطين هو الطرف الماركسي السوفياتي .

ولذلك ركز السوفيات معاذيرهم في تأييد اسرائيل وحضانتها في الامم المتحدة على شعارين اساسيين : هي مكافحة الاستعمار ومكافحة الرجعية العربية . وانه لولا هذين الشرين لعاش العرب واليهود بسلام ، ولتم التحام اسرائيل بالوسط العربي كله في تعايش سلمي يستند الى وحدة الحال بين الجماهير العربية والاسرائيلية !..

وكان هذان الشعاران هما اساس البيعة الماركسية في دنيا العرب منذ البدء على يد الاحزاب والفئات الشيوعية واليسارية الماركسية في مركز الدعوة في فلسطين . وكانت هذه الدعوة تحت قيادة اليهود سيان في ذلك حركة اليسار المصري او العراقي او في فلسطين نفسها . وكل هذه الحركات كانت مرتبطة بمركزية الوطن الاشتراكي الثوري الام في موسكو .

ولذلك فحضانة الاتحاد السوفياتي للحركة الصهيونيـــة في ادنى واحرج ساعات الصراع العربي ضد الشر الصهيوني كانت امراً مطابقاً كل الانطباق لاصول السياسة السوفياتية الخارجية ومطامعها في الشرق العربي .

ولم يطرأ على اصول هذه السياسة والمطامع السوفياتية في دنيا العرب اي تبديل جذري . فلا زالت موسكو تؤيد بقاء اسرائيل في قلب الوسط العربي، وستدافع عن ذلك الوجود الاسرائيلي بنفس العنف الذي دافعت موسكو به عنه في محافل الامم المتحدة قبل بضعة عشر عاماً .

ورغم تحول ديار عربية هامة الى الخط الماركسي السوفياتي، فان موسكو تدرك في اصول السياسة الماركسية ايضاً بان حظ الماركسية بالعيش طويلا في المنـاخ العربي القومي – الاسلامي حظ ضعيف، ، مهما استملك اليسار العربي اليوم من شعبية او نفوذ .

فموسكو كانت منذ البدء لا تزال تعتبر وجود اسرائيـل في قلب الوسط العربي ضرورة حتمية لاشاعـة « المتناقضات » في الشرق الادنى . والسياسة الماركسية السوفياتية تعيش على المتناقضات وتفتعلها كل يوم اذا كان هناك مبرر لمثل هذا الافتعال .

فاذا حدث اليوم ووجدت اسرائيل نفسها تمارس قديم طباعها في العمارة الدولية ، فتتودّد الى الاستعمار الغربي ، فأن مثل هذا التودد اليهودي لا يعني مطلقاً عداءاً للاتحاد السوفياتي .

فاليهود (وهم الذين خلقوا الماركسية ولقنوها وطبقوها في روسيـا) يدركون بالسليقة ان مصيرهم في فلسطين مرتبط بمصير السوفيات . فاسرائيل نشاز في عالم العرب . واسرائيل « متناقضات » في الساحة العربية . وهـذه الساحة العربية ستلفظ الماركسية العربية كما لفظت كل العقائد الدخيلة . ولا بد لعرب الشرق الادنى من النقمة على السوفيات ومن يـدين بماركسيتهم من عرب الديار انفسهم . وهذه النقمة العربية على الماركسية واهلهـا ستجعل من الاتحاد السوفياتي الطرف الدولي الوحيد الذي يستطيع ان يتحالف مـع اسرائيل كقاعدة للمصالح السوفياتية في الشرق الادنى يوم تنهزم الاشتراكية

العربية الثورة التي هي نتوءمؤقت في جسم الامة العربيـــة يجهض مواليده الواحد تلو الآخر .

وطالما ان السياسة الصهيونية كانت في كل تاريخها عهارة متواصلة تضاجع هذا الفريق الدولي او ذاك لصيانة المصالح الصهيونية ، فان هـــذه العهارة الصهيونية ستتكرر مرة اخرة بين تل ابيب وموسكو .

ولا سبيل للحق العربي في فلسطين الا ان يـدرك الآن وفي اسرع وقت ممكن ان من خديعة النفس الاعتماد على السوفيات أو اي معقل ماركسي عربي اجنبي في تأييدنا يوم الفصل مع اسرائيل .

فالسجل في سياسة الاتحاد السوفياتي نحو اسرائيل واضح جلي. والسياسة السوفياتية لا ترتجل، وانما تخطط في دهاء عميق . ولكن طبيعة هذا التخطيط تدفع الباحث وترغمه على ان يعيش مستقبل السياسة السوفياتية بماضيها. ولهذا القياس اصول . فالسياسة السوفياتية تلتزم بتكتيك مهما تبدلت وسائله فان طبيعة هذه الوسائل معروفـــة لمن شاء دقة الدرس للفكر والسلوك الماركسي .

فليس في الامر اي التباس او غموض . فموسكـو لا تراهن على استتباب الماركسية في الساحة العربية لزمن طويل ، مهما كانت البيعة الماركسية رائجة في بعض حلقات الرأي والحكم العربي اليوم .

فلا بد لموسكو من ان تعتبر اسرائيل قاعدة لها في قلب الشرق العربي ، كما سبق للاستعمار الغربي ان اعتمد اليهود تبعاً له واسرائيل قاعدة للاستعمار .

ولقد جرب العرب الاستعمار الغربي فقاوموه . وتغلبوا عليه وهم اليـــوم يجربون الاستعمار الماركسي السوفياتي ولا مفر للعرب من مقاومته .

فمصير الانانية السوفياتية في دنيـــا العرب مرتبط ببقاء اسرائيل او زوالها .

فالذي يعتمد على العون السوفياتي أو المـــاركسي في كل قوالبه للفصل النهائي مع اسرائيل ، انما يخدع نفسه ويخدع الأمة .

ونحن الذين عشنـــا مأساة الغش الدولي في حلقات الامم المتحدة ، سهل علينا ان ندرك بأن حماس السوفيات لتأييد الوجود اليهودي في فلسطين كان خطة بعيدة المدى . وهذه الخطة لم تتبدل ولن تتبدل طالما ان السياسة السوفياتية خاضعة للفكر والقيادة الماركسية الثورية .

ولقد سبق ان استعرضنا في الفصول السابقة كل مراحل العبث السوفياتي في اصول القضية الفلسطينية،وفي احرج مراحل ساعات النضال العربي.ومثل هذا الاستعراض يؤكد تسلسل التدبير السوفياتي وارتباطه ارتباطـــاً بعيد المدى باسرائيل ـ لا في الحياة العربية .

فقد نكون نحن العرب جهلة او ضعفاء او فاقدين لعمق التجـــارب او عاطفيين او ما شابه ذلك من الوان التخلف .

ولكن الطبـع والمزاج والتاريخ العربي لم يرتكب يوماً اي عهارة عقائدية ليتحايل على البقاء كما يرتكب العقل والطبـع اليهودي .

فمآل البيعة السوفياتية في دنيا العرب هـــو الانحسار ، كما انحسرت بيعة الاستعمار منذ ايام الغزو الصليبي الذي استغل الدين لمآرب انانيـــة ، او منذ انحطاط البيعة العثمانية التي ثار عليها العرب ايضاً لانها ارادت ان تتحايـل على الصالح العربي او تسود عليه بمختلف الوسائل والشعارات .

وليس أدل على ادراك السوفيات لهذه الحقيقة الاساسية في الطبـع العربي وفي التاريخ العربي والمستقبل العربي — ليس ادل على شعور السوفيات بان مصيرهم السياسي في الشرق الادنى مرتبط باليهود لا باليسار العربي من هـــذه المناورات والمناقشات التي صدرت عن السياسة السوفياتيـــة في آخر مشاهد المأساة الفلسطينية في محافل الامم المتحدة يوم دخلت اسرائيل رسمياً كعضو

رسمي مكتمل الحقوق ، رغم ان اسرائيل قد عسفت وانكرت وعبثت بكل مبادىء الامم المتحدة ، وهي التي خلقت اسرائيل اصلا .

فلنرجع الى السجل والوثائق لنرى نماذج هذا الادراك السوفياتي للحقائق العربية ، وهذا التدبير والدس الماركسي السوفياتي لتركيز اسرائيل في قلب الساحة العربية كقاعدة يستعملها السوفيات في مستقبل الايام .

والمستقبل في العلاقات الدولية لا يقاس باشهر او سنوات بل بأجيال طويلة . ونحن لا زلنا في الجيل الثاني من المؤآمرة السوفياتية — اليهودية في فلسطين .

تقدم اليهود بطلب الى مجلس الامن يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٨ يبتغون فيه الدخول في غضوية الامم المتحدة .

وكان اليهود في تلك الآونة بالذات قد ارتكبوا كل جرم قانوني وخطيئة دولية تجعل من الصعب على اقل الدول اكتراثاً بالمسؤولية ان تصفح عنهم .

كانت « الدولة » اليهودية قد خرقت قرار التقسيم نفسه الذي اوجدها اصلا ، فتجاوزت حدود خارطة التقسيم واحتلت قطاعات شاسعة في النقب والجليل وغيرها .

كانت « الدولة » اليهودية قد خرقت كل قرارات وقف القتال فقذفت من الجو والبحر الاراضي العربية خارج فلسطين كلها — اراضي مصر مثلا .

كانت هذه « الدولة » اليهودية قد رفضت التعاون مع لجنة مراقبة الامم المتحدة ، ومنعتهم من الدخول الى المناطق التي احتلها اليهود عسكرياً خارج حدود التقسيم ، وذبحوا اهلها العرب وهتكوا اعراضهم واستباحوا اموالهم .

كانت هذه « الدولة » اليهودية ترفض رفضاً باتاً اي اقتراح أو قرار صادر عن الامم المتحدة يقيد نوعاً ما هذه الغطرسة اليهودية العنيفة .

ورغم ذلك كله تمادى اليهود في الصفاقة فتقدموا الى مجلس الامن بطلبهم الرسمي للانضمام الى عضوية الامم المتحدة —

وفي مثل لمح البصر اسرع الوفد السوفياتي فرفع لواء اليهود ودعا مجلس الأمن فوراً للنظر في طلب اليهود، والموافقة عليه فوراً بلا جدال او نقاش.(١) وسجل المندوب السوفياتي على نفسه هذه النبوءة التالية :

« لقد وجدت اسرائيل لتبقى حيث هي موطن اجدادها ... فوجود اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط سيكون عنصر خير وسلام وامثولة للجماهير العربية الطامحة في التخلص من الاستعمار والرجعية .

« ان اسرائيل تسعى الى السلام والتعايش السلمي مع جيرانها العرب .. هؤلاء الجيران هم الذين يرفضون التعايش السلمي مع اسرائيل ... وهذا الرفض مرجعه وجود الاستعمار والرجعية في الحكم العربي.. وستساعد اسرائيل العرب على التخلص من الاستعمار والرجعية .. وسوف لن يتوانى الاتحاد السوفياتي عن مساعدة اسرائيل وحركات التحرر العربية التقدمية على تنظيف الوسط العربي من الاستعمار ومن الرجعية العربية ... »

وعبثاً حاولت بقية الوفود (بما فيها الدول المستعمرة والدول المحايدة ناهيك بالوفود العربية) تأجيل مسألة قبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة الى ان يمتثل اليهود لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بأنسحاب القوات اليهودية من القطاعات التي احتلتها رغم قرارات وقف القتال ورغم ان تلك القطاعات خارجة عن حدود قرار الامم المتحدة الخاص بالتقسيم .

ولكن السوفيات ألحوا وألحوا وألحوا .. وكان لهم ما شاؤوا .. ولكن

---

(١) بيان المندوب السوفياتي (يعقوب مالك) في جلسة مجلس الامن يوم ٢ ديسمبر ١٩٤٨ .

بعد ثلاثة اشهر من النعيق الذي اشتركت فيه الصحافة اليهودية العالمية، وجاءت بقصائد المديح للاتحاد السوفياتي «حامي اليهود اليوم وغداً» كما قالت احدى الافتتاحيات اليهودية. ووافقت الامم المتحدة على قبول عضوية اسرائيل يوم ٣ مارس ١٩٤٩. وكان عنف الغضب العربي قد تلاشى عندما وقعت مصر اتفاقية الهدنة المؤقتة مع اسرائيل وسمح للحامية المصرية في الفالوجا ان تعود الى قواعدها في مصر سالمة.

موقف السوفيات من قضية عودة اللاجئين

توفر للغزو الصهيوني في ربيع عام ١٩٤٩ كل المؤيدات والدعائم لدولة «محترمة» تشارك العائلة الدولية في عضوية الامم المتحدة وتجلس الى جانب الابرياء والاشقياء من دول العالم على قدم المساواة، بما في ذلك الدول العربية الاعضاء آنئذ في الامم المتحدة.

وكانت هذه «الدولة» اليهودية تحتل ضعف ما خولته لها قرارات التقسيم التي صدرت عن الامم المتحدة، وثلاثة اضعاف المساومة التي اقترحها الكونت برنادوت. هذا فضلا عن عقارات واملاك واموال لعرب فلسطين تركوها يوم شردهم الغدر اليهودي الارهابي الذي مارسته العصابات اليهودية على الاسلوب الماركسي الارهابي، الذي اتقنته الحركات اليسارية الثورية في الاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية – وهى مسقط رأس الاغلبية الساحقة من الزعماء والقادة العسكريين الصهيونيين الذين تولوا ارهاب عرب فلسطين والغدر بهم – من بن غوريون الى مانيويلسكي وموشه سنه، ومناحيم بيجام، ومئات غيرهم من كبار الارهابيين وصغارهم، الذين وردوا من روسيا السوفياتية قبل عام ١٩٤٧ ومولد النكبة الفلسطينية، كما وردوا مدججين بالسلاح والتدريب الارهابي في اوج الصراع العربي – اليهودي المسلح في اعدام ١٩٤٧ و١٩٤٨.

وهذه الهجرة الارهابية اليهودية لم تتم في ابان حاجة الغدر اليهودي اليها لولا معونة السوفيات ومن يعيش في كنفهم من النظم الشيوعية التي تولدت في اوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة – وكانت زعامتها وقياداتها واهل الحكم والسلطان فيها اغلبية يهودية ساحقة .

ولم يبق لهذا الغزو اليهودي من مشكلة تواجهه بعد حصول اسرائيل على عضوية الامم المتحدة في ربيع عام ١٩٤٩ سوى هذا المليـــون من التائهين المشردين من عرب فلسطين الذين ارهبهم الغدر الدموي الذي بيته اليهود لهم طوال اكثر من عشرين او ثلاثين عامـــا من التدبير والاستحكام والاستعداد السري والعلني – تحت سمع الاستعمار البريطاني وبصره في داخل فلسطين ، وفي عشرات معسكرات التدريب العسكري والارهاب في اوروبا الشرقية وفي طليعتها الاتحاد السوفياتي .

ففي عام ١٩٤٧ كانت الاغلبية الساحقة من المهاجرين اليهود الذين جاؤوا في فلسطين بصورة « شرعية » او بالهجرة غير الشرعية – كانت هذه الاغلبية روسية الاصل روسية اللغة وروسية النسب والمحتد .

وفي الجلسة « التاريخية » التي نجح السوفيات فيها بعد صراع وإلحاح استمر ثلاثة شهور في حمل الامم المتحدة على منح الدولة اليهودية العضوية الكاملة « فوراً وبلا جدال، او نقاش » كما طالب مندوب السوفيات « يعقوب مالك » – في هذه الجلسة حاول بعض « المعتدلين » من وفود الامم المتحدة مساعدة الوفود العربية على اخذ ضمانات « قانونية » على الاقل تفرض على اسرائيـــل ضرورة قبول عودة اللاجئين العرب الى ديارهم كشرط لمنح اسرائيل عضوية الامم المتحدة .

وحتى هذا المسعى الانساني واجه اعنف المقاومة من الاتحاد السوفياتي – ومنه فقط – بالاضافة الى ابواق الشيوعية الاخرى التي تعيش في كنف الاتحاد

السوفياتي مثل بولندة وبلغاريا ويوغسلافيا والشلة الماركسية نفسها من دول اوروبا الشرقية .

فقبل تصويت مجلس الامن في صالح ادخال اسرائيل في عضويـــة الامم المتحدة ، عندما اشترطت بعض الوفود على اسرائيـــل اعلان عزمها او استعدادها على اعادة اللاجئين العرب ، تصدى مندوب السوفيات (الرفيق يعقوب، مالك الذي يحتل اليوم اكبر منصب بعد وزير الخارجية السوفياتيـة مباشرة) . وهذا ما قاله هذا المندوب السوفياتي كما سجلتـه محاضر جلسات مجلس الامن للسنة الرابعة صفحة ١٦ :

« ان الذين ادلوا ببيانات هنا يدعون فيهـا بان مسألة اللاجئين العرب هي في عنق اسرائيل ، ان الذين يتهمون اسرائيل بطرد اللاجئين العرب هم جماعة تتحدث بلغة الاستعمار والرجعية ..

« .. ان مسؤولية اللاجئين ملقـــاة اولا وآخراً على الغزاة الاجانب من الجيوش العربية التي حاولت مكافحة ثورة التحرير الوطني اليهودية ضد الاستعمار البريطاني والرجعية العربية في فلسطين وفي كل الشرق الاوسط .

« ... ان اعداء اسرائيل واعداء ثورة التحرير الوطني اليهودية هم عملاء الاستعمار وشركات البترول في الشرق الادنى .

« ... هذا النوع من الرجعية العربية والاستعمار البترولي لا يريـد السلم في فلسطين ولا يريد عناصر تقدمية مثل حركة التحرير الوطني اليهودية التي من مقاصدها بعث الاخوة والتعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهوديـة ضد الاستعمار والرجعية العربية .. »

ومن الواجب ان يذكر هذا القول السوفياتي الاقطاب والاذناب في حركات الاشتراكية العربية ونظمها وطبولها اليوم ، كلما رفعوا شعارات مـكافحـة الاستعمار والرجعية العربية باسم تحرير فلسطين .

فلقد رفع اليهود والسوفيات وكل الدول والحركات الاشتراكية الثورية في سنوات النكبة والغدر في فلسطين – رفعوا هذه الشعارات ايضاً في صالح الغزو الصهيوني – التي كانوا يسمونها ايضاً « حركة التحرير الوطني » اليهودي التي كافح ضد الاستعمار والرجعية العربية !...

ومضى مندوب السوفيات (يعقوب مالك)يؤكد لنا في نفس الجلسة هذه الحقيقة الماركسية الثالثة التي كانت ولا تزال اساس السياسة السوفياتية والماركسية كلها بجميع اسباطها فيما يتعلق بقضية اللاجئين العرب .

قال مندوب السوفيات :

« ان النظرة الموضوعية (كما يفهمها اتباع الاشتراكية العلمية) تؤكد الحقيقة التالية التي لا تتحمل تبديلا او تحويراً ، هذه الحقيقة هي ان اسرائيل لا يمكن ان تسمح للاجئين العرب الذين شردهم الاستعمار والرجعية العربية ، لا اسرائيل ولا حركة التحرير الوطني اليهودية في فلسطين... وان الحقيقة العلمية ايضاً تصر على انه لا يمكن حل مشكلة اللاجئين العرب بعد اعتراف الدول العربية اعترافاً كاملاً باسرائيل والتعايش معها في السلام والاخوة . وهذا لا يتحقق إلا بسيادة الجماهير العربية على الاستعمار والرجعية .. فحل مشكلة اللاجئين هو جزء من واجبات العرب بالتعايش السلمي مع دولة اسرائيل »!..

هذا الموقف السوفياتي في عام ١٩٤٩ لم يتبدل قيد انملة في هذه الساعة الراهنة ، رغم ارتماء القيادات العربية عقائدياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً في احضان الاتحاد السوفياتي وترويجهم لما تبشر به من الاشتراكية الثورية سواء أسميت هذه الاشتراكية عربية ام ظلت تعرف باسمها القديم وهو الشيوعية .

فلا داعي لاطالة الحديث عن موقف السوفيات والاشتراكيين الماركسيين في كل مكان من مسألة عودة اللاجئين العرب مهما اتخذت هذه العصافير السياسية اليسارية من قرارات تهاجم اسرائيل في مثل مؤتمرات تضامن الشعوب

الاسيوية الافريقية او مؤتمر هافانا او الاتحاد العالمي للطلاب او جماعة انصار السلام او غير ذلك من معطيات السياسة السوفياتية في حلقات الابرياء والاشقياء او الاغبياء العرب وغيرهم .

فموسكو لا تريد هدم اسرائيل حتى لو استطاعت مثل ذلك الهدم .

وموسكو لا تريد اعادة اللاجئين العرب إلا كجزء من اعتراف العرب باسرائيل والتعايش السلمي مع اليهود في كنف التضامن الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي .

هذا الشرط السوفياتي العن وارذل من شروط الاستعمار الغربي اوروبياً او امريكا . فهذه الدول لا تشترط سوى اخوة عقائدية بين العرب واسرائيل كثمن للصلح او لاعادة اللاجئين .

فلنكن على بينة من الامر . فالغش السوفياتي اليهودي العن الف مرة من الغش الغربي الصهيوني .

قضية اللاجئين وعودتهم

ليس في السياسة السوفياتية نحو اسرائيل اليوم اي تحول سطحي او جذري فيه أي مساس بسلامة الدولة اليهودية .

فموسكو اليوم كما كانت بالأمس حريصة على صيانة الدولة اليهودية . وكل ما يطمح له الاتحاد السوفياتي هو تبديل سياسة اسرائيل نحو التضامن الاشتراكي الدولي في كنف السوفيات ، بدلا من سياسة اللعب على الحبلين التي تمارسها حكومة تل ابيب منذ ان تشارك المعسكر السوفياتي الرأسمالي مع المعسكر الغربي الرأسمالي على معونة اليهود في اغتصاب فلسطين ان بالعمل الدبلوماسي داخل الامم المتحدة او بشتى الوسائل والاساليب والمعونات الاخرى .

ورغم كل هذه التطورات اليسارية في الساحة العربية وصلاتها وتحالفها وتتلمذها على العقيدة الماركسية السوفياتية ، فان موسكو لم تفرط بكلمة واحدة فيها اي اشارة او مضمون يهدف الى هدم الكيان اليهودي في فلسطين او يدعو الى ازالة اسرائيل .

فالاتحاد السوفياتي اليوم لا يختلف مثقال ذرة عن موقف الغرب الاوروبي والامريكي في الاعتراف القانوني الكامل باسرائيل، وفي الابتعاد عن اي التزام

او تأييد او تلميح بان السوفيات سيغضون النظر عن قيام العرب بحرب ضد اسرائيل لاستخلاص الحق العربي السليب .

فالسوفيات لا يبيعون الاسلحة لاسرائيل لأن لأسرائيل موارد اخرى اخرى تحصل منها على الاسلحة كما قال مسؤول سوفياتي مؤخراً .

وفي اوج العدوان الثلاثي على قنال السويس أكد « خروتشوف » صراحة للرئيس عبد الناصر في موسكو بان الاتحاد السوفياتي لن يدخل في حرب ضد اسرائيل ، وكل ما يستطيع الاتحاد السوفياتي عمله لنصرة الاشتراكية الناصرية هو افتعال الضجيج الدبلوماسي في مجلس الامن وفي المناورات العسكرية زيادة في خلق توتر دولي، واعراباً عن استياء السوفيات من عودة البريطانيين الى قنال السويس . وفي كل ما نشرته المصادر الناصرية نفسها والمصادر السوفياتية لا يوجد أي إشارة أو تلميح الى أن الاتحاد السوفياتي في نيته المشاركة او المعاونة او الصمت عن اي مسعى عربي يهدف الى هدم اسرائيل .

هذه الحقيقة المهمة يجب ان نستذكرها دائماً ، في ثنايا هذا الضجيج الدعاوي المتواصل الذي يشيعه الماركسيون عرباً وسوفياتاً حول معونات السوفيات للعرب في معركة الفصل مع اليهود .

وللروس نفوذ خارق في اهم قواعد العمل العربي العسكري – في اسلحة دول الاشتراكية العربية الموالية لموسكو ، فروسيا هي المصدر الوحيد لهذا السلاح ولقطع الغيار وللذخيرة وللخبرة الفنية المتصلة بهذا التسلح العربي في معاقل الاشتراكية .

واذا لم يكن هناك اي رغبة لدى السوفيات في هدم الدولة اليهودية، فان هذا السلاح السوفياتي التي تمتلكه النظم الاشتراكية العربية الثورية (ولا تمتلك غيره) سيكون عديم الجدوى في اي حرب وقائية مع اسرائيل .

ففي مقدرة الاتحاد السوفياتي إن يعطل الحرب العربية في اسرع وقت

ممكن اذ توقف السوفيات عن تقديم الذخيرة اللازمة للقوات العسكرية التابعة للنظم الاشتراكية العربية .

والحرب ليست مجرد كميات من الحديد واللعب العسكرية والطائرات والدبابات تعرض في المهرجانات العسكرية. الحرب زاد وعتاد وذخيرة مهما اختزنت منها في المستودعات فان طبيعة المعركة تفرض عليك استهلاكاً متواصلا من هذا العتاد والذخيرة لا يتوفر في مستودعات الدول الاشتراكية العربية بكميات تكفي لشن حرب لا يعلم الا الله إن كانت ستطول ام لا تكون طويلة الامد .

فعبء الاعتماد الكلي على الاسلحة السوفياتية سيجعل من موقف السوفيات اتجاه الحرب العربية مع اسرائيل موقفاً في منتهى الخطورة .

وليس في سياسة الاتحاد السوفياتي اي دليل او مستند او اشارة او تلميح بانها ستترك للاشتراكيين العرب الدخول في حرب فلسطين مع اسرائيل والاعتماد على الاتحاد السوفياتي في تزويد الجيوش العربية بحاجات العتاد والذخيرة المتواصلة كما تقتضي ذلك طبيعة الحرب .

والمرء لا يحتاج الى الاطلاع على الاسرار العسكرية ليدرك مدى تسلط السوفيات على طاقات العرب العسكرية في النظم الاشتراكية ، فتلك الطاقات العربية اسيرة ورهينة بمشيئة السوفيات .

ففي معركة اليمن كان الطيارون الروس هم الذين يقودون قيادة بعض الاعمال العسكرية التي كانت تقوم بها القوات المصرية .

فالاسلحة الحديثة لعب معقدة . ووجود الخبراء والطيارين والفنيين العسكريين الروس في حصون القوات المصرية في حرب اليمن دليل على ان للسوفيات مركزاً خطيراً في طاقة مصر العسكرية ، الامر الذي يجعل هذه

الطاقة المصرية معطلة اذا شاء الاتحاد السوفياتي الامتناع عن معونة مصر في حرب عربية ضد اسرائيل .

والمسألة الوحيدة التي يتذرع بها الماركسيون العرب في ارتمائهم في احضان السوفيات هو ان الاتحاد السوفياتي يؤيد عودة اللاجئين العرب الى ديارهم في فلسطين ، ويؤيد زوال الاستعمار الغربي عن اسرائيل .

اما قضية عودة اللاجئين فمسألة يشترك بالدعوة لها كل وفود الامم المتحدة من الشرق والغرب والوسط ، عاماً بعد عام ، جلسة بعد جلسة ، فلا تكترث اسرائيل بهذا القول الذي لم يبدل من نكبة العرب في فلسطين ذرة واحدة .

فليس في الموقف السوفياتي من تأييد عودة اللاجئين العرب اي فائدة لنا ، فهم في ذلك اشبه ببقية اعضاء الامم المتحدة الذين يوافقون اتوماتيكياً في كل دورة من دورات الجمعية العامة على قرار يذكر اسرائيل بضرورة « اتاحة الفرصة لعرب فلسطين بالعودة الى ديارهم » .

والقول بان اسرائيل قاعدة للاستعمار الغربي ، وانه اذا زال هذا الاستعمار زال الشر اليهودي من الساحة العربية — هذا القول هراء .

فإسرائيل في عمارتها الدبلوماسية المزمنة تستغل الاستعمار الغربي وتسخره لمآربها بدلا من ان تكون عميلا له .

فالعدوان الثلاثي على قناة السويس كان الرأس المدبر له اسرائيل . فاسرائيل التي اغرت بريطانيا وفرنسا بمشاركتها في العدوان على مصر . واسرائيل هي الذريعة التي حاولت بريطانيا وفرنسا عباطة ان تتخذها مبرراً للعدوان المشترك على مصر باسم حماية قناة السويس .

هذه حقائق يجب ان لا ننساها . ويجب ان لا ننسى ايضاً ان اسرائيل مستطيعة بنفسها ، وان لها اقداماً ثابتة في الشرق والغرب، وانها ليست مجرد قاعدة لنوع واحد من الاستعمار والمطامع الاجنبية في الشرق العربي .

والقول بان اسرائيل بغير معونة الاستعمار لا تستطيع البقاء قول مخادع. والاتحاد السوفياتي وكل الاشتراكيين الماركسيين من عرب واجانب يشجعون على مثل هذه الخديعة وعلى ترويجها في الوسط العربي .

فليس في موقف الاتحاد السوفياتي اليوم اي تبديل في مآربها من المساهمة القديمة في خلق اسرائيل .

ومن الاجرام في حق القضية الفلسطينية ان نسمح للماركسيين من عرب واجانب ان يوهمونا بعكس ذلك .

والباحث في حاضر العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية يزداد قناعة كلما تعمق في البحث والاستقصاء ، بان الروابط السوفياتية – الاسرائيلية تزداد وتنمو يوماً بعد يوم .

وان ليس لموسكو اي عزم على الحاق اي اذى بالوجود الاسرائيلي في قلب الوسط العربي . بل ان عزم السوفيات هو مزيد من التركيز والسيادة على مقدرات الحياة العربية السياسية والعسكرية والفكرية عبر نظم اليسار العربي وحركاته وتبعيته في الساحة العربية ، حتى اذا تحقق للسوفيات ما شاؤوا من نفوذ وسلطان في الساحة العربية ، قاموا بدور الوسيط بين العرب واسرائيل لخلق وحدة حال واخوة اشتراكية تذوب فيها الفوارق القومية والمذهبية ، ويسود « التعايش السلمي » بين اسرائيل كدولة اشتراكية موالية للسوفيات ، وبين دنيا العرب بعد ان يسود عليها السلطان الاشتراكي الموالي للسوفيات ايضاً .

وفي هذا الجزء الاخير من هذا الكتاب سنسجل من المصادر السوفياتية واليهودية نفسها ادلة وشواهد على هذه المآرب السوفياتية ، وعلى تواطىء الماركسيين بمختلف اجناسهم على تصفية القضية الفلسطينية في اطار التعايش السلمي بين اسرائيل كدولة مستقلة قائمة وطيدة الاركان ، وبين الجانب العربي بعد ان تزول منه « الرجعية » العربية ، ويكتمل فيه «التحوير الاشتراكي» على يد الاشتراكيين الثوريين العرب .

موقف الأحزاب الشيوعية العربية في مولد اسرائيل

من الضروري ان نسجل هنا كلمات قليلة حول هذا النفاق السافر الذي يتجلى اليوم في موقف الاحزاب الشيوعية العربية (الرسمية) الموالية للاتحاد السوفياتي، فهذه الاحزاب اصبحت شريكاً محترماً في اعلى مراتب الحكم والسلطان الماركسي العربي فيما يعرف بالاشتراكية العربية (المصرية اوالبعثية السورية) . والمطالع لصحف اليسار العربي في مصر او في بيروت او في الشام يقرأ مقالات خطيرة تحررها اسماء مخضرمة في عضويتها للاحزاب الشيوعية العربية الرسمية يوم كانت تلك الاحزاب ممنوعة من النشاط العلني بالامس فاصبحت اليوم محترمة المكانة والنفوذ في احزاب اليسار مثل الاتحاد الاشتراكي العربي او حركة القوميين العرب او غيرها من السنة اهل اليسار الذي لا يقول بالشيوعية الحمراء وانما « بالاشتراكية العلمية » ، في حين كلا النوعين من هذا المعتقد اليساري ماركسي الفقه والالتزام . فالشيوعي الاحمر يتكلم بلغة ماركسية لا تتقن التعريب والترجمة ، بينما الاشتراكية المصرية الناصرية او الاشتراكية البعثية السورية تجيد التعريب والترجمة للفكر واللغة الشيوعية الاصلية وتستبدل رايتها الحمراء بشعارات عربية – بما فيها (بل في طليعتها) شعار الحق العربي في فلسطين .

ولقد مر اتباع اليسار الماركسي العرب (المخضرمون في التزامهم العقائدي) بمرحلتين في كنف السياسة السوفياتية نحو فلسطين ونحو مولد الدولة اليهودية. المرحلة الاولى هي السابقة لقرار التقسيم ومشاركة السوفيات في انجاحه في الامم المتحدة . والمرحلة التي تلت مولد اليهودية وهي مرحلة تمتد حتى الساعة الراهنة .

والمراجع وافية عن موقف الماركسيين العرب المخضرمين نحو القضية الفلسطينية في السنوات السابقة لحرب فلسطين وابان تلك الحرب، يوم وقفت موسكو تحتضن اسرائيل فلم تجد الجماعات الماركسية العربية ادنى حرج في الالتزام الشنيع لموقف الاتحاد السوفياتي ضد اصول الحق العربي الوطني الذي من المفروض على الماركسي العربي ان ينتمي اليه. ولكن وطن الماركسية هو الاتحاد السوفياتي لا الوطن المألوف عند الناس في كل مكان وزمان ، وطن الآباء والاجداد والمذهب واللغة والميراث .

ولا ادري كيف تستبيح هذه الوجوه الماركسية العربية المخضرمة ان ترفع صوتها اليوم في صحف تنشر علانية، مثل النداء او الاخبار او « الى الامام » التي تصدر في بيروت ، او تنشر خفية كمجلات « طريق الشعب » العراقية « والنور » السورية « والتقدم » الاردنية « والقاعدة » وغيرها من الالسنة السرية .

فسجل هذه الجماعات الماركسية سجل مخيف، سواء في ذلك اليسار المصري المخضرم الذي يمثل الآن مكان الصدارة في طليعة الاتحاد الاشتراكي العربي في القاهرة والتي كانت السنته السرية قبل الثورة الناصرية عام ١٩٥٢ حافلة بالشيوعية القومية في مثل مجلات « الطليعة » و « الكاتب » المصريتين اللتين تصدران اليوم تحت راية الدولة الاشتراكية المصرية ، وكانتا تصدران قبل الثورة الناصرية بنفس الاسماء ونفس النزعة الماركسية .

وفي المكتبة العربية [١] نماذج مسجلة عن خيانة الالتزام الماركسي عند هؤلاء المخضرمين اليساريين العرب . ولذلك فلن نطيل الاقتباس لتلك النماذج . وسنكتفي هنا بتسجيل بعض النصوص والتصريحات الماركسية العربية الرسمية في الفترة اللاحقة مباشرة لطعن الاتحاد السوفياتي لنا في الخلف يوم احتضن الغزو الصهيوني لفلسطين ـ احتضنه في الامم المتحدة وفي المعونات العسكرية خارج الامم المتحدة .

وهذه احدى مجلات الرأي اليهودي [٢] في اسرائيل (مجلة نيواوتلوك) (عدد نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٦٢) في بحث عنوانه «عندما كان الماركسيون العرب يؤيدون الدولة اليهودية » تذكرنا بان « اليسار العربي المخضرم والمعاصر في شعاره الشيوعي الاحمر وفي شعاراته العربية القومية كان منذ البدء وفي ادق اللغة الاشتراكية العلمية لا يعارض الدولة اليهودية ، ولكن يعارض سياسة اسرائيل لانها لا تنطبق مائة بالمائة على البرنامج السوفياتي للشرق الاوسط » .

فعندما تناولت الامم المتحدة قضية فلسطين لأول مرة عام ١٩٤٧ كان شعار اليسار العربي واحزابه « مكافحة الاستعمار البريطاني » لا مكافحة حق « اليهود » في وطن قومي لهم في فلسطين بتعايش سلمي مع عرب الديار .

وتذكرنا هذه المجلة اليهودية « معززة القول بمقتبسات حرفية من النصوص الماركسية العربية المتوفرة آنئذ في فلسطين لأن القيادة المركزية لليسار في كل الشرق الاوسط كانت في يد اليهود في فلسطين قبل ان يجري تعريب الحركة الماركسية العربية وانفصال مركزيتها الاقليمية الى عواصم عربية» بان «النصوص الماركسية العربية كانت بالامس كما هي اليوم تدين الصهيونية بانها حركة رجعية تتعامل مع الاستعمار وان هناك فرقاً شاسعاً بين الجماهير اليهودية التقدمية وبين

---

(١) أشرنا الى اسماء بعض المراجع العربية عن الشيوعية المحلية وخيانتها القومية في مكان سابق من هذا البحث .

(٢) وهي مجلة علمية وليست يسارية . وتصدر باللغة الانجليزية عن تل أبيب .

سياسة الدولة اليهودية التي تتعاون مع الاستعمار ، ومعنى هذا انه اذا تحولت سياسة اسرائيل بعيداً عن الاستعمار زالت الصفة « الصهيونية » عن اسرائيل واقيمت دولة « اشتراكية » تقدمية تنطبق عليهـــا شروط الانضمام لحلقات التضامن الاشتراكي الدولي الذي يتزعمه الاتحاد السوفيات ويشترك فيه جميع اقطاب اليسار الاشتراكي العربي ونظمه اليوم » .

وفي اواخر شهر مارس واوائل ابريل من عام ١٩٤٨ والعالم العربي يعاني الهزة النفسية الشنيعة التي جاءت في مفاجأة الامم المتحدة وقراراتهـــا لخلق الدولة اليهودية في اتقان وتعاون كامل بين الاتحاد السوفياتي ودول الاستعمار الغربي ، وقف اهل اليسار العربي في اوكارهم يراجعون الموقف ، ويلتمسون المعاذير لهذا الغدر السوفياتي ، لأن المفروض في الاستعمار الغربي ان يكون وحده هو الشيطان الرجيم – لا الاتحاد السوفياتي .

وفي تلك الآونة قام اهل اليسار العربي فدعوا الى «جبهة وطنية» سموها «هيئة التحرير الوطني الفلسطينية » انشؤوا لها امانة عامة ونشرات ودعاية وتنظيماً داخلياً. واشترك في هيئة التحرير هذه اهل اليسار الماركسي المصري والسوري – اللبناني والعراقي ، ومنهم اسماء بارزة اليوم في علياء السلطان الاشتراكي والاحزاب والحركات الاشتراكية العربية . واصدرت هذه الهيئـــة قراراً « بتأييد تقسيم فلسطين على اساس دولة عربية واخرى يهودية تعيشان بسلام في ظل الاخوة الاشتراكية» وكان هذا القرار مأخوذاً بالنص والحرف من خطاب القاه المستر جروميكو رئيس الوفد السوفياتي في الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٤٧ .

والمطالع لاعداد مجلة « الجماهير » لسان حال اليسار المصري (عـــدد ١٤ ديسمبر ١٩٤٧) يقرأ عنواناً ضخماً لبيان اصدرته « جمعية وادي النيـــل » ، وهي واجهة من واجهات اليسار المصري آنئذ كانت تضم اشخاصاً هم اليـــوم في سدة الحكم الاشتراكي المصري الراهن . وهذا البيان يدعو الى « نقاش

وطني علني حول القضية الفلسطينية لأظهار دور الرجعية العربية في معارضـة تقسيم فلسطين لدولة عربية واخرى يهودية تعيشان سويـــة على المبادىء الاشتراكية التقدمية » ...

وقال البيان بان تحقيق السلم في فلسطين لا يتم إلا بالألتزام لسياسة الاتحاد السوفياتي والتعاون العربي الـكامل معه وخصوصاً في مسألة الحصـــول على السلاح لمحاربة الرجعية العربية وحماتها من حكومات الاستعمار » .

وقال البيان المصري بأنه « يعترف اعترافاً كاملا بحق اليهـود في وطن قومي تقدمي اشتراكي لهم في فلسطين، وسيسعى الى معونته بالعمل المتواصل لاستخلاص الزعامة العربية المهتمة بالقضية الفلسطينية من يد الرجعية العربية الدينية والاقطاعيه وتسليمها للتقدميين الثوريين العرب » (١) .

وفي عدد ١٨ فبراير ١٩٤٨ جاءت مجلة « روزاليوسف » التي لا تزال اليوم على قيد الحياة في مصر الاشتراكية تنقل نص ما جـــاء في جلسة لاهل اليسار المصري انعقدت آنئذ في القاهرة حول عزم العرب على التدخل العسكري لعرقلة مولد الدولة اليهودية. وقالت « روز اليوسف » بـأن هذا النوع من التدخل العربي في فلسطين لا مبرر له الا العصبية الرجعية الدينية والعنصرية العربية العتيقة ..»

وحين دخلت مصر عام ١٩٤٨ مع الدول العربية الاخرى في حرب فلسطين وخضع البلد للحكم العسكري (لأنه في حالة حرب مع العدو اليهودي) قامت السلطات المصرية فاعتقلت اعداداً كبيرة من جماعـــات اليسار المصري – وبعضهم من اوساط الجيش المصري نفسه ومن كلية اركان الحرب ..

---

(١) أود ان ألفت النظر اني اترجم هذه النصوص عن مادة أصلية نصها باللغة الانجليزية لا العربية . فمعظم النصوص الماركسية المتوفرة لدي هي بغير اللغة العربية . ولكنهـــا نصوص سوفياتية رسمية .

وفي لبنان كانت جريدة « صوت الشعب » لسان حال الحزب الشيوعي – اللبناني تقول علانية وبصوت جلي بأن التدخل العسكري العربي ضد اليهود اجرام في حق « السلام » .. وايدت هذه المجلة التقسيم وخلق الدولة اليهودية الى جانب الدولة العربية التي اقترحها قرار التقسيم .. (راجع عدد ١٠ مارس ١٩٤٧ من صوت الشعب) .

واصدر الحزب الشيوعي السوري اللبناني بياناً يدعو فيه الى سحب القوات القوات الاجنبية الغازية لفلسطين (اي الجيوش العربية)، ولعل بعض الناس في بيروت ودمشق يذكرون كيف ان الذين سمعوا بهذا المنكر اليساري العربي هاجموا اوكار الحزب الشيوعي في لبنان وسوريا وحطموها ونكلوا بالشيوعيين . وصدرت « صوت الشعب » اثر ذلك تقول بان المحرضين على هذا الاعتداء على المكاتب الشيوعية هم « عملاء الصهيونية والاستعمار ! » .

وفي العراق كرر اليسار الماركسي ما قام به زملاؤهم في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين .

ففي احد اعداد مجلة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي نشر الأمين العام للحزب (يوسف سلمان يوسف الذي كان ينتحل اسم فهد) مقالاً بعنوان « ضوء على مشكلة فلسطين » رحب فيه بانشاء دولة يهودية واخرى عربية على مبدأ التعاون الاشتراكي والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية والرجعية السياسية الهاشمية . وقال هذا اللسان الماركسي العربي بان هذه الرجعيه تتعاون مع الاستعمار للتفرقة بين « الشعب » العربي والشعب اليهودي في فلسطين .

وكان هذا الموقف الشنيع مدعاة الى نقمة الناس في كل وسط عربي ، مما اضطر الحركات اليسارية العربية نفسها ان تعلن بعض « الانشقاق » في صفوفها و«التلاحم » مع الجماهير القومية العربية في المظاهرات التي انتشرت في البلاد العربية ضد التقسيم . وكان غرض هذا التسرب اليساري العربي في النشاط

القومي هو توجيهه نحو الهتاف العدائي ضد الرجعية والاستعمار ، لا ضد الاتحاد السوفياتي » كما يقول لنا مراسل جريدة « الاومانيته » الفرنسية لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي صاحب النفوذ والسلطان الكبير على حركات اليسار العربي في مصر ولبنان وسوريا آنئذ ..

وفي الاردن وما اندمج فيه من شتات فلسطين تحولت الحركة الشيوعية من اسمها القديم الذي اتخذته في طوارىء « الجبهة الوطنية » لمواجهة مرحلة التقسيم لفلسطين الى اسم جديد. فقد كان اسم تلك الجبهة آنئذ «هيئة التحرير الوطني الفلسطينية » فاصبحت في عام ١٩٥١ تحمل اسم « الحزب الشيوعي الاردني » بعد ان استقر كيان اسرائيل رسمياً . واخذ اليسار الاردني – الفلسطيني يشغل نفسه ويشغل الناس» بالكفاح ضد الرجعية الدينية والاستعمار وحلف بغداد والملكية الهاشمية » كما تسجله المقالات المتكررة التي كانت تنشرها آنئذ لسان الحركة الماركسية الفلسطينية – الاردنية « مجلة المقاومة الشعبية ». ولم يجد جماعة « هيئة التحرير الوطني الفلسطينية » آنئذ ادنى حرج في ان يقولوا على صفحات جريدتهم :

« ان كفاحنا من اجل الاخوة والصداقة والعدالة المشتركة بين العرب واليهود تؤيده الجماهير التقدمية من كلا الأمتين بزعامة الحزب الشيوعي الاسرائيلي ... »

وكانت السياسة الرسمية لليسار الماركسي الفلسطيني – الاردني هو الصلح مع اسرائيل على اساس الدولتين: اسرائيل ودولة اخرى عربية تقام فيما تبقى من فلسطين خارج حدود شرقي الاردن . وقد سجلت مجلة « المقاومة الشعبية» هذا المبدأ، الى ان حصل تبديل على الاتجاه الحزبي لهذا اليسار الماركسي الاردني– الفلسطيني عام ١٩٥٦ ابان حملة الانتخابات للبرلمان الاردني ، وبعد ان تركزت علاقات الاتحاد السوفياتي مع الاشتراكية الناصرية ، واصبح من الضروري للاتحاد السوفياتي ان يكرس الجهد على «الوضع الثوري» في الساحة العربية على

أساس شعارات « قومية » جديدة تختلف عن الشعارات والنداءات السخيفة التي كان يرفعها اليسار العربي في كل المناطق العربية متحدياً بذلك الشعور القومي وصميم المسؤولية وقداسة الحق الوطني .

فعام ١٩٥٦ كان اول مراحل تكافل الاتحاد السوفياتي العلني مع الثورة الناصرية على قالب «الجبهة الوطنية» الواسعة النطاق الهائلة الطاقات التي افتعلها اليسار (عربياً ودولياً) في الساحة العربية ليذيب الطابع القومي والديني للشعور العربي فيما يتعلق بفلسطين، ويسهل على السياسة السوفياتية امتلاك قدم ثابت في الوسط العربي – مع احتفاظ السوفيات بقدم ثابت لهم مع اسرائيل ايضاً .

وشعارات هذه « الجبهة الوطنية » اليسارية العربية بزعامة مصر هي اليوم كما كانت قبل مولد اسرائيل : مكافحة الاستعمار (وهو يعني مكافحة كل صلة وكل معاملة وكل علاقة سياسية او اقتصادية او ثقافية شريفة او فاسدة بين العرب والعالم الخارجي خارج المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي)

ومكافحة الرجعية (وهذا يعني تذويب الطاقات الهائلة للنزعة الدينية في العمل السياسي كجزء اصيل من القومية العربية خصوصاً حين يتحداها خصم كالأتحاد السوفياتي عقيدته لاترضى عن الاديان . وخصم مثل الصهيونية اليهودية التي قوتها هي اصلا مستمدة من النعرة الدينية اليهودية وروابطها المحكمة بين جميع اليهود في كل مكان .

واشاعة «المناخ الثوري» في الساحة العربية للقضاء على أي تطور ديمقراطي قومي سليم لا حاجة له بأي ارتباط عقائدي بالاتحاد السوفياتي .

خط الظل بين الشيوعيين والاشتراكيين العرب

الغموض والابهام الوحيد الذي يعيش في اوساط الرأي العربي حول الفرق بين الشيوعيين (الرسميين) العرب وبين الاشتراكيين العرب في لسانهم المصري او السوري او غيره – هذا الغموض هو المسؤول الى ابعد حد عن كسل الرأي العربي في سرعة الادراك لهذا الزيف والخديعة المخيفة في السياسة السوفياتية اجمالا في الساحة العربية – فيما يتعلق باسرائيل، اي فيما يتعلق بمطامع السوفيات انفسهم للسيادة على الشرق الاوسط .

وليس من مقاصد هذا الكتاب بحث الجذور الشيوعية الماركسية الاصيلة للاشتراكية العربية (المصرية منها بصفة خاصة) . فنأمل ان نفعل ذلك في كتاب مستقل .

ولكن مصر الاشتراكية في فلسفتها وبيعتها ونظامها « واتحادها الاشتراكي العربي »، وفي سياستها الداخلية (التحويل الاشتراكي) ، والخارجية والعربية (الوضع الثوري في الساحة العربية) – مصر في كل هذا تقول بلا حرج ولا تردد بانها تستند الى « الاشتراكية العلمية » فكراً وتطبيقاً .

« والاشتراكية العلمية » هذه هي الماركسية الصافية ، الماركسية الرسمية، ولئن حاولت القاهرة تعريب هذه الماركسية واعطاءها طابعاً مصرياً او عربياً

او اسلامياً ، فان ذلك من قبيل خديعة النفس . وقادة مصر الاشتراكيـة يعلمون ذلك. فليس في الميراث العربي (او ميراث حضاري آخر) اي قواعد لهذه الاشتراكية العلمية . فهي مقصورة على تعاليم ماركس ولينين ومن خلفهما على العقيدة الماركسية من فقهاء ومجتهدين من شتى اوساط الحركة والنظم والثقافة الماركسية القديمة والمعاصرة .

وطالما انه ليس المجال هنا لدراسة الجذور الشيوعية للاشتراكية العربية (فكراً وتطبيقاً) فاننا سنكتفي بلفت النظر الى حقيقة يغفل عنهـا اكثر الرأي العربي الذي لم يتوفر له التفرغ لدراسة الماركسية بكل نماذجهـا . فالاشتراكية المصرية اختراع مصري خـاص ، لمصر فيه حق التأليف . ولذلك فان الشيوعيين الرسميين يخالفون مصر الناصرية ويجادلونها بل يتعرضون بين آن وآخر الى خصومة علنية معها .

هذا النوع من الخلاف والخصومة بين الشيوعية المخضرمة الحمراء ، وبـين الاشتراكية الناصرية المعربة امر مألوف في تاريخ اليسار الماركسي منذ البدء والى الساعة الراهنة . فهـو خلاف على اسلوب التطبيق الماركسي على الهدف الماركسي . خلاف على سلامة هذا الاسلوب او عقمه ، لا على فساد القناعـة الماركسية بضرورة خدمة الهدف النهائي . خلاف بين « علماء » يؤمنـون بنفس الدين ولكنهم يفسرون بعض قوالب الفقه فيه تفسيراً خاصاً يتناسب او لا يتناسب مع الظروف والاوضاع الطارئة .

فخط الظل بين الاشتراكية العربية والشيوعية (الرسمية) الحمـراء خط باهت . ففي الاعوام الاخيرة زال حتى الستار الرقيق واصبحت القاهرة مركز التشاور والتفاوض والزمالة والتحالف العلني السافر بين اقطاب الحكم والفكر والدعوة الشيوعية الحمراء من روسيا ويوغسلافيا وبولنـدة وكل دولة وحزب شيوعي اوروبي او اسيوي او افريقي معاصر .
واندماج الحزب الشيوعي المصري نفسه في « الاتحاد الاشتراكي العربي »

دليل القناعة بان الحكم الناصري اصبـح يسير بلا تردد في الخط الماركسي الصحيـح فلا لزوم لازدواج الاحزاب الماركسية في مصر [1] .

ولعل من المفيد ان نسجل هنا طرفاً من محاضر جلسات مؤتمر هام عقدته الاحزاب الشيوعية العربية جميعهـا في صيف عام ١٩٦٣ في براغ العاصمة التشيكوسلوفاكية ، والمركز الرسمي للامانة العامة للشيوعية الدوليـة السوفياتية . وقد عقد هذا المؤتمر برعاية « المجلة الماركسية العالمية » اللسان الرسمي للامانة العامة[2].

وقد عثرنا خلال البحث عن المراجع والمصادر لهذا الكتاب على تفاصيل واضحة عن محاضر جلسات هـذا المؤتمر الشيوعي العربي العام الذي انعقد في براغ وحضره اقطاب القيادات الشيوعية العربية ومشاركة القيادة اليسارية في اسرائيل ايضاً لبحث مجرى التحويل الاشتراكي على يد القـاهرة في كل الساحة العربية ـ وعن الاسلوب الدعاوي الذي يجب ان تتبعـه الاحزاب الشيوعية العربية في الساحة العربية كلها لتمضي في الايحاء بأن مركزية الدعوة الماركسية الاشتراكية المصرية في القاهرة هي عمل منفصل مستقل عن مركزية الشيوعية الدولية (السوفياتية الزعامة) .

وكان المشرف على هذا المؤتمر الشيوعي العربي العام بعض اقطاب المسؤولية السوفياتية الذين لهم دور خطير في التعامل المباشر مع اقطاب المسؤولية العليا في الاتحاد الاشتراكي العربي واهل الحكم والحل والربط في القاهرة .

---

(١) افتت بذلك كبرى مجلات العقيدة الشيوعية السوفياتية (مجلة كومونيست عدد يناير ١٩٦٦) والمجلة الماركسية الدولية ـ لسان المركزية الشيوعية الدولية عدد ينـاير ١٩٦٦ . وافتى بذلك كبير المعلقين السوفيات بالشؤون العربية جورج ميرسكين في مجلة الارمن الحديثة سبتمبر ١٩٦٥ ، والكتاب السوفياتي الرسمي عن الاقتصاد الافريقي لعام ١٩٦٥ .

(٢) World Marxist Review .

وتفاصيل هذا المؤتمر الشيوعي العربي الذي انعقد في براغ في صيف عام ١٩٦٣ (اثر اندماج الحزب الشيوعي الرسمي المصري في الاتحاد الاشتراكي العربي) نشرتها جريدة « كول هاعام » اللسان الرسمي للحزب الشيوعي الاسرائيلي ، الذي ظل منذ اعوام ١٩٢٠ الى ١٩٥٢ المركز المسؤول عن كل حركات اليسار الماركسي « السوفياتي المذهب » في كل الساحة العربيـــة ، نيابة عن الاتحاد السوفياتي، قبل ان يشتد ساعد اليسار الماركسي العربي نفسه، واصبحت قيـــادة الحزب الاسرائيلي الشيوعي لحركات اليسار العربي امراً مستحيلاً، بل مهزلة لا ترضى عنها اسخف العقول . وجماعة موسكو ليسوا سخفاء حتى لا يدركوا مثل هذه المهزلة .

والتفاصيل عن « تكتيك » اليسار العربي الشيوعي الرسمي لتأييد « الدفع الثوري » و « التحويل الاشتراكي » بزعامة القاهرة والاشتراكية المصرية في كل الساحة العربية — هذه التفاصيل نشرتها جريدة « كول هاعام » في اعداد ٩ و ١١ و ١٤ و ١٥ و ١٧ اكتوبر عام ١٩٦٣ . وكان الحزب الشيوعي الاسرائيلي نفسه حاضراً ومشاركاً في هذا المؤتمر اليساري العربي بصفة رسمية كاملة . فالاستناد الى هذا المصدر اليهودي (وهو المصدر الوحيد الذي عثرنا عليه في خلال البحث والتنقيب في معاهد العلم والمكتبات الخـــاصة) أمر لا يتحمل الشك والالتباس . فقد كان مندوب الجريدة نفسه عضواً رئيسياً في الوفد الاسرائيلي الذي شارك في هذا المؤتمر اليساري العربي . وما جاء في تفاصيله تؤيده أيضاً المقتبسات التي نشرتها المجلة الماركسية العالمية نفسها باللغة الأنجليزية، وهذه المجلة هي اللسان الرسمي للمركزية الشيوعية الدوليـة التي كانت تعرف سابقاً باسم « الكومنترن » و « الكومنفورم » . وهي تصدر بعدة لغات إلا اللغة العربية .. امثلا تحرج الاشتراكية العربية التي تقدم أفضل مناخ بتعريف الماركسية السوفياتية في قوالب عربية بليغة لا يمكن ان يجاريهـــا المخضرمون الشيوعيون العرب أنفسهم — وهم ذوو ثقافة ضحلة لا تلطفهـــا مرونة الثقافة

العربية العريقة الجذور في مصر ، او المواهب التي تتوفر للسان المصري في جودة التعريب والاقتباس .

والذي يعنينا من هذا المؤتمر الشيوعي العربي — الاسرائيلي المشترك برعاية السوفيات هو .

أولا الاعتراف الصريح بأن القاهرة تخدم الماركسية السوفياتية على أتم وجه في رفعها الشعارات العربية ومكافحتها « الرجعية » القومية والدينية في الساحة العربية .

ثانياً التحويل الاشتراكي مصري يجرى على أساس ماركسي صادق ، فلا لزوم للأحزاب الشيوعية العربية ان تتحذلق كثيراً فتنتقد أساليب الدعاية او التصريح او التطبيق المصري للاشتراكية العلمية او بعض الشعارات الغير شيوعية التي ترفعها القاهرة بين آن وآخر لاستهلاك الرأي العربي البرىء في معرفته عن تفاصيل الفكر والاسلوب الماركسي .

ثالثاً « السلام » و « التعايش السلمي » هو جزء أصيل جوهري من المسؤولية الاشتراكية العليا في مصر . وهذه المسؤولية تجعل من المستحيل ان تكون الاشتراكية المصرية الحاكمة هي البادئة بأي ضرب في المنطقة ضد اسرائيل .

وهذه المسؤولية الاشتراكية للقاهرة تستوجب القيام والمساهمة في « حروب التحرير الوطني » في المناطق التي لا يزال فيهـا استعمار اجنبي أو حكومات ونظم عربية لا تدين بالنظام الاشتراكي العلمي (الماركسي) .

وحروب التحرر الوطني لا تشمل الحرب مع اسرائيل . فالمفهوم الماركسي والقاعدة الراسخة حول مسألة « حروب التحرر الوطني » هي الدفع الثوري لمكافحة « الرجعية » العربية ومن يساندها او يزاولها من أطراف أجنبية ، شرط ان تكون هذه الأطراف الاجنبية من غير الدول الاشتراكية الصديقة بزعامة الاتحاد السوفياتي .

رابعاً يجب انشاء حركة تحرير فلسطينية في رأي المؤتمر الشيوعي العربي -- الاسرائيلي الذي انعقد في براغ. وهذا يتطلب احياء الجبهة الوطنية السابقة التي كانت تحمل عام ١٩٥١ – ١٩٥٦ اسم « هيئة التحرير الوطني الفلسطينية » . وهي التي أقامها الحزب الشيوعي الفلسطيني الأردني بعد مولد اسرائيل مباشرة، ثم استبدل اسمها باسم « الحزب الشيوعي الاردني » عـــام ١٩٥٦ بعد تحالف مصر مع موسكو في اعقاب العدوان على قنال السويس واتفاق السد العالي .

هذه الحقيقة حول حركة التحرير الفلسطينية اليسارية، كما جاء ذكر صريح لها في المؤتمر الشيوعي العربي – الاسرائيلي في براغ عام ١٩٦٣ أمر خطير .فقد جاء هذا الذكر في زمن سابق بقليل لمؤتمر القمة العربي الأول .

ومن العباطة ومن الخيانة القومية ومن العن الاذى على الوجـدان القومي وعلى اصول الصالح القومي ان يتعمد الـكاتب اهمال او تجاهل او طمس معالم الحقائق التي يعتمد عليها في المراجع – وخصوصاً مراجع الشيوعيين انفسهم – لأن تسجيل هذه الحقائق في مثل هذا الكتاب قد يسيء او يجرح شعـــور منظمة التحرير الفلسطينية .

وجماعة منظمة التحرير الفلسطينية قوم افاضل في غالبيتهم العظمى . وهم كبقية العرب فريسة الغش الماركسي الذي عبس بالقضية الفلسطينية منذ البدء، وطالما ان القصد الاول من هذا الكتاب هو تسجيل نماذج الغش الماركسي في القضية الفلسطينية فان من الكفر بالمسؤولية القوميـة ان يتعفف الـكاتب على تسجيل ما عثر عليه من امور مزعجة مؤلمة .

والقصد من هذا التسجيل هو لفت نظر الاخوان في منظمة التحرير الفلسطينية الى ضرورة تطهير المنظمة من اي عنصر او جماعة او فرد له صفة او حلة او ارتباط يساري ماركسي .

فأهل اليسار الماركسي في كل مذاهبـه « طابور خامس » ، ومن فرائض

القومية واصول المصلحة لاهل فلسطين انفسهم والمسؤولية العربية التي تشاركهم التعاون معهم وتحتضنهم وتساعدهم – من فرائض الحق العربي الذبيح في وطننا المسلوب في فلسطين ان لا نقصد في صراحة التسجيل وعنف الالحاح على تطهير منظمة التحرر الفلسطينيـــة وكل حركة او وسط او هيئة تعمل من اجل القضية الفلسطينية من عناصر اليسار الماركسي تطهيراً كاملاً ...

فالمركزية اليسارية الماركسية الدولية تؤكد لنـا صراحة في مؤتمر براغ الذي نحن بصدده بان مقصد السوفيات تحويل الجهد اليساري الماركسي الثوري في الساحة العربية كلها وبمختلف الحيلة والدعوة والاسلوب والاجراء نحو تنفيذ قرار التقسيم الأصلي الذي يقول بانشاء دولة يهودية واخرى عربية في القطـاع الفلسطيني العربي الذي اندمج في الاردن .

هذا هو الحل الماركسي للقضية الفلسطينية . والماركسيون لا يتورعـون عن استعمال اي اسلوب مهما كان خبيثاً ومخيفاً لتحقيق مآربهم .

ومن صالح اسرائيل ان تنحل ازمة فلسطين بتنفيذ قرار التقسيم واعطـاء عرب فلسطين الحق في انشاء دولة لهم في الضفة الغربية من الاردن . ومثـل هذه « الدولة » الفلسطينية لا حظ لها من البقاء اقتصادياً وعسكرياً . ولذلك فلا تخشاها اسرائيل .

هـذا النوع من التفكير الماركسي خطر ويجب اليقظة له . فالماركسيون عرب او اجانب لهم اساليبهم في التدبير والغش. وكلما ازداد الاتحاد السوفياتي نفوذاً وسلطاناً على شؤون هذا الشرق العربي مباشرة او عبر اليسار العربي الماركسي ونظمه وحركاته ، كلما ازداد خطر هـــذا اللون اللعين من التفكير والتدبير الماركسي .

ولذلك وجب علينا تسجيله بل البحث عنه في جهد دؤوب . فبعضنـــا يحاول استعادة وطنه السليب بالعمل السياسي او العسكري او بالسخاء بالمال والجيوب وبالانفس . وبعضنا يحاول القيام بهذا الواجب القومي المقـدس عن

طريق البحث والاستقصاء والكشف عن الزور والبهتان ولفت نظر الأمة العربية – وفي طليعتها الجماعة الفلسطينية ، الى بعض الخطير والمخيف من هذه الحقائق الماركسية الشريرة .

وسنري في الفصل التالي من هذا الكتاب نماذج مخيفة ومشينة اخرى من النشاط السوفياتي في وسط العدو اليهودي نفسه .

فمن العباطة ان تتعمد اليقظة العربية السعي لدقة التعرف على صلات الاتحاد السوفياتي بخصمنا الاول وهو الدولة الصهيونية ، طالما ان الاتحاد السوفياتي نفسه يحاول ان يوهمنا بأنه صديقنا الاول ايضاً ..

العلاقات السوفياتية - الاسرائيلية (١٩٥٠-١٩٥٥)

في الفترة التي جاءت بين حضانة السوفيات لمولد اسرائيل في الامم المتحدة وبين مؤتمر باندونغ عام ١٩٤٥ اعترى علاقات موسكو بتل - أبيب لون من الغموض العمدي اشترك فيه الطرفان. فالمراجع السوفياتية والصهيونية شحيحة عن هذه الفترة . ولهذا الغموض اسباب عديدة :

أولا كان من الضروري للدولة اليهودية الجديدة ان تهضم هذه اللقمة الفلسطينية السائغة في اقل الضجيج، وفي دهاء تعمدت فيه القيادة الصهيونية ان تعتمد على مواردها الخاصة (الى اموال لليهودية العالمية والى هجرة الجوالي اليهودية من الشرق الاوسط والشمال الافريقي ومن الهند وايران وغيرها الى اسرائيل) واستطاعت اسرائيل ان تحقق نجاحاً استثنائياً في كلا هذين الجهدين، وهي من النوع الذي لا يستطيع السوفيات او الغرب الاوروبي والامريكي ان يساعد اسرائيل فيه – وخصوصاً مسألة الهجرة اليهودية .

ثانياً وفي هذه الفترة كانت علاقات موسكو بتل ابيب سلسلة لا يعتريها علو كبير او انحسار ايضاً ، اللهم الا في حادثة القاء القنبلة اليهودية على سفارة السوفيات في تل ابيب عام ١٩٥٣، كلفت نظر الى حاجة اسرائيل في الضغط على السوفيات لفتح ابواب الهجرة اليهودية الروسية الى الدولة اليهودية. وكانت

موسكو في تلك الاونة تعيش في قلق داخلي مرجعه اقتراب نهاية « ستالين » ومصير هذه الشبكة الدقيقة في دولة البطش والبوليس الدموي الذي كان يعيش عليها عهد «ستالين» . فلا اليهود ولا غيرهم في الاتحاد السوفياتي او في منطقة نفوذه في اوروبا الشرقية كانوا مستطيعين الحركة او السفر او التنقل حتى في داخل الاتحاد السوفياتي .

ورغم قضية القنبلة اليهودية على سفارة السوفيات في تل ابيب فان موسكو ظلت على تأييدها المطلق لكل الوان الغدر اليهودي حتى بعد قيام الدوله اليهودية . فلم يصوت وفد الاتحاد السوفياتي ضد اسرائيل في الامم المتحدة بشأن فظائع اجرامية دامية مثل مذبحة « دير ياسين » .

ثالثاً في الواقع ان العلاقات السوفياتية الاسرائيلية ازدادت وثوقاً وصداقة اثر اعلان مشروع ايزنهاور « لصيانة الامن في الشرق الاوسط » ، وقد كان في اساسه يتعمد عصفورين بحجر واحد . صيانة اسرائيل ومساهمة الدفاع الامريكي في وضع حد لأي تسرب سوفياتي في الديار العربية وفي المداخل الجنوبية للاتحاد السوفياتي في ايران وتركيا ، فقد ظهرت حركة الدكتور مصدق آنئذ في ايران وسار في ركابها الشيوعيون الايرانيون من حزب «توده» ومن جماعات الاكراد من بقايا ثورة « اذربيجان » التي افتعلها السوفيات في اعقاب الحرب العالمية الثانية وفشلت . وكان العراق نفسه (في قضية اليسار الكردي) معرضاً لمثل ما تعرضت له ايران ايضاً . ومن دوافع مشروع ايزنهاور ايضاً مولد الثورة الناصرية . فقد ظهرت دلائل الفكر اليساري الماركسي في الثورة الناصرية في وقت مبكر (حسب اجتهاد الامريكان على الاقل رغم انهم كانوا من مؤيديها اول الامر ومن مفتعليها في بعض الروايات) فقد برزت شخصية جمال عبد الناصر في تدرج ثوري يساري على اسلوب فيه كثير من الوان التلمذ الماركسي ـ اللينيني ـ، وخصوصاً تكتيك « لينين » في اشتراكية « المراحل » وتحويل الثورة السياسية (القومية) شيئاً فشيئاً نحو

الثورة الاجتماعية الماركسية . وهذا الاسلوب يتعمد التعاون مع العناصر القومية التي لا صلة لها ولا معرفة لها بالفكر الماركسي – امثال «محمد نجيب» وجماعة « الاخوان المسلمين » وبعض عناصر « الوفد » وغيرهم ممن استند اليهم الرئيس جمال عبد الناصر اول الامر قبل ان صفاهم جميعاً –الواحد تلو الاخر .

وكان من الطبيعي ان ترحب اسرائيل بمشروع ايزنهاور لأن شطراً منه كان معنياً بسلامتها .

ولكن سرعان ما تشاورت موسكو – وتل ابيب (بحجة التسوية لقضية القنبلة اليهودية على سفارات السوفيات في تل ابيب) فاعلنت اسرائيل انها تعارض مشروع ايزنهاور ... واشترطت موسكو على تل ابيب ان لا تدخل في اي حلف عسكري او سياسي او مذهبي يعادي الاتحاد السوفياتي. وفعلا بقيت سياسة اسرائيل منذ ذلك الحين غير مقيدة او موقعة او مرتبطة باي حلف عربي او شرقي . والواقع ان شعار « عدم الانحياز » جاء اول ذكر له على لسان « موسى شاريت » وزير خارجية اسرائيل وابرز ساستها آنئذ . ومن العباطة ان يقول الماركسيون لنا بان اسرائيل « قاعدة للاستعمار » . فهي رسمياً لا ترتبط بأي حلف .

وهذا التحول العلني في سياسة اسرائيل كان في اصوله قيام السوفيات بافهام اسرائيل بان الساحة العربية ستكون موضع عمل ماركسي ثوري عنيف . وان الوجوه والحركات الثورية الجديدة في دنيا العرب (وفي مصر بصفة خاصة) ستعمل على هدم كل قوالب العداء لليهود في دنيا العرب . ألم تكن اسرائيل تدعي دوماً بان الذين يعارضونها في الساحة العربية هم الاقطاع والرجعية الدينية وعملاء الاستعمار البترولي ؟ فطالما انه قد برز في الساحة العربية زعامات ثورية « مثل ثورة مصر عام ١٩٥٢ » شعاراتها ودعوتها واعمالها موجهة ضد الاقطاع والرجعية الدينية « محاكمة الاخوان المسلمين الاولى كانت مزدهرة آنئذ في مصر » وضد الاستعمار الاجنبي – البترولي وغيره من الذين كان السوفيات والصهيونيون

معاً يقولون بانه المسؤول عن الضغط المتواصل على واشنطـــون للعكوف عن مجاملة اسرائيل او حضانتها بهذه الصورة السافرة - رغم ضغط اليهود الامريكان انفسهم على سدة الحكم الأمريكي لافساد ضغط المصالح البترولية الامريكية في دنيا العرب .

ومثل هذا المنطق السوفياتي كان له نتائجه في السياسة الاسرائيليـــة . وتركت تل ابيب لموسكو ان تتصرف في الساحة العربية متعاونة من زعمـاء اليسار العربي الثوري لخلق المجتمع الاشتراكي الجديد في كنف السوفيـات . ومثل هذا المجتمع هدفه مجتمع الكفاية والعدل والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على اسس الاشتراكية العلمية . وهذه الاسس لا تسمح مطلقاً بانزلاق البـلد الاشتراكي « في مرحلة التحويل » في اي حرب او صراع مسلح . ولذلـك كان من المعقول عند العقل الاسرائيلي « وهـو اعمق من العقل العربي في فهم الماركسية ومشاكلها ، لأن غالبية زعماء الصهيونية في اسرائيل وخارجها كانوا اما من اصل روسي يفهم كل فلسفة السوفيات وتدابيرهم ، واما من جماعـة اليسار الماركسي في شتى قوالبه — سيان في ذلك حزب « المابام » او جماعة « الهستدروت » او غيرهم من عناصر القوى والتوجيه والنفوذ البالغ في شؤون اسرائيل .

ألم يكن شعار السوفيات منذ البدء « السلم » ? ألم تؤلف موسكو لذلـك حلقات « انصار السلم » في سائر انحاء العالم تحت مختلف الشارات « والجهات » ? الم تكن سياسة اسرائيل وشعاراتها ايضاً هو « السلام » مع العرب ، بعد ان نالت الصهيونية ما تريده من اغتصاب ?

فالذي تتلمذ على الفكر الماركسي « كما تلمذت زعامات الثورة المصرية » لا بد له من ان يقول ويعمل ايضـاً تحت « شعار السلام » والتعايش السلمي . وهكذا كان .

وجاء عام ١٩٥٥ على الثورة الناصرية وقد « طهرت » الساحة المصرية من

أي زميل سياسي قديم ، من رجال الثورة انفسهم او من الآخرين الذين تعاونوا معهم في مرحلة « الثورة السياسية » ، والذين لم يكن لهم اي تتلمذ او صلة او معرفة بالفكر الماركسي وبأساليبه واهدافـه كما طبقها الرئيس عبد الناصر والقوة القديمة التي معه (امثال خالد محي الدين) منذ ان خلا لهم ميدان العمل القيادي في مصر .

وفي عام ١٩٥٥ تمت صفقة الاسلحة السوفياتية للحكومة الناصرية .

وفي نفس العام قدمت موسكو لاسرائيل نوعاً آخر من السلاح — هو البترول في اتفاقية مقدارها ٢٠ مليون جنيه في قروض سخية ، وفي وقت لم يكن لاسرائيل فيه اي مصدر آخر للحصول على البترول .

وفي نفس الشهر ايضاً فبراير ١٩٥٥ جرت مفاوضات بين موسكو وتـل ابيب « عبر الحزب الشيوعي الايطالي » لحصول السوفيات على قاعدة للتمويل والتصليـح والوقود البترولي للاسطول السوفيــاتي في شرقي البحر الابيض المتوسط . والواقع ان هذه الاتفاقية السوفياتية — الاسرائيلية وقعت في نفس الاسبوع الذي اعلنت فيه القاهرة وموسكو العزم على التعـاون في بناء السد العالي ...

وقد اثار هنا الازدواج العلني في سياسة الود السوفياتي نحو مصر العربية ونحو اسرائيل الصهيونية استياء اصوات رسمية عربية خارج مصر [١] . وكان ذلك قبل ان يشتد ساعد الاجهزة الاشتراكية الناصرية في حملات الهجـاء واسكات كل من يكشف الاعيب الماركسيين — سوفياتياً او عربياً .

والواقع ان المطالع في السجلات السوفياتية حول القضايا العربيـة يذهل كيف استطاع الاشتراكيون العرب « بعد تحالف القاهرة مع موسكو رسمياً

(١) تصريح الدكتور عبدالله اليافي رئيس وزراء لبنان في يوليه ١٩٥٥ منددأ بهـذا الغش السوفياتي وهذا اللعب الماركسي على الحبلين .

عام ١٩٥٥ » ان يطمسوا كل معالم الغش السوفياتي في الشؤون العربية ، ليس فقط فيما يتعلق بجريمة التأييد العنيف من جانب السوفيات للغزو الصيهوني وفظائعه ومذابحه – ولكن في امور اخرى سجل الغش السوفياتي فيهاشنيع لم يتوفر في المكتبة « او في سدة الحكم العربي القومي » من يستجمعه ويكشف حقائقه لكي يصح للسياسة العربية درس هذا الوجود السوفياتي في الدنيا العربية – وهو وجود خطير يستوجب علينا دراسته وتكوين فكرة كاملة عن طبائعه وتقلباته وحيله وزيفه ونفاقه .

ويستفاد من وثائق المراسلات الدبلوماسية بين موسكو وبرلين النازية التي ادت الى معاهدة « روبنتروب » عام ١٩٣٩ لعدم الاعتداء بين المانيا الهتارية وروسيا الستالينية ، يستفاد من هذه الوثائق [١] عزم الطرفين على انقسام الشرق الاوسط وديار العرب ، وترك فلسطين في ظل النفوذ السوفياتي « لمعالجة المشكلة اليهودية » . وهذا يعني ان السوفيات كانوا عازمين « لولا ان نكث هتلر المعاهدة » على منح فلسطين للصهيونين كما منحها الاستعمار البريطاني عام ١٩١٧ ، وقد تنازل الالمان كذلك عن تركيا والدردنيل للاتحاد السوفياتي واقروا المشاركة (بقيادة السوفيات) على السيطرة على قنال السويس والممرات المائية في البحر الاحمر .

وفي قضية « الاسكندرون » التي اقتطعها اليسار الفرنسي في حكومة « الجبهة الوطنية » الفرنسية ايام اليهودي اليساري « ليون بلوم » عام ١٩٣٩ ، في قضية الاسكندرون هذه ايدت موسكو رسمياً فصل هذه المنطقة عن سوريا. وجاء ذلك بعد زوال الهتارية وزوال معاهدة « روبنتروب » وفقدان موسكو الأمل في ابتلاع تركيا. وقد جاء تأييد السوفيات لفصل الاسكندرون

---

(١) مجموعة الوثائق التي صادرها الحلفاء من وزارة الخارجية النازية بعد هزيمة المانيا وكذلك مقال لمؤرخ تركي محترم هو السيد نجم الدين صادق في مجلة : Foreign Affairs مجلد عام ١٩٤٩ في مقال عنوانه « تركيا تواجه السوفيات » .

عن الوطن السوري في مقال رسمي افتتاحي لجريدة « ازفستيا » عدد ١٣ اغسطس ١٩٤٧ ..

وغرام السوفيات باقتطاع الأطراف العربية ومنحها للاخرين لم يقتصر على فلسطين او الاسكندرون فقط . فقد ايدت موسكو ايران ايضاً عام ١٩٤٧ وما بعد في امتلاك جزيرة « البحرين » يوم كان اليسار الايراني يقوم بالعمل الثوري ضد الحكومة الشرعية في ايران [١] .

والمطالع لمجموعة المراسلات والوثائق الشيوعية التي كانت تأتي الى موسكو من الاحزاب الماركسية في الشرق الاوسط ، بما فيهم جميع الاسباط الماركسية العربية ، ايام « الكومنترن » وايام « الكومنفورم » وهي الفترة التي كشفت موسكو عن خدعة معاداتها للصهيونية وقيام السوفيات بحضانة اسرائيل دبلوماسياً وبالسلاح والرجال – في هذه الوثائق السوفياتية ما يذهل العربي من مقادير الغش والخيانة [٢] التي يبيح الالتزام الماركسي لأهله ان يطعنوا اوطانهم في القلب ارضاء للخلافة السوفياتية وللدين الاشتراكي العلمي الذي يعتنقوه .

فقد كان فرح الاحزاب الماركسية العربية معادلاً لفرح الاتحاد السوفياتي نفسه « ناهيك بالصهيونية العالمية » ، يوم توطدت اركان اسرائيل في فلسطين في حظيرة الامم المتحدة وخارجها .

وبالنسبة للسوفيات انفسهم فان فرحهم بثبات اقدام اليهودية– الصهيونية العالمية في ارض عرب فلسطين ، كان فرحاً لا يبرره مطلقا ما كانت الدعاية

---

(١) مقال افتتاحي في مجلة « Trud » السوفياتية الرسمية ٣٠ نوفمبر ١٩٤٧ .

(٢) وثائق « الكومنترن » مجموعة ومطبوعة طبعاً تجارياً في موسكو ولندن : International. Correspondence 1920 - 1943 ، وكذلك مجموعة وثائق « الكومنفورم » وقد اعتمدنا على النص الرسمي السوفياتي .

الماركسية تروجه من انها خصم للصهيونية ، ولا يبرره ايضاً هـذا المألوف في هدوء العمل الدبلوماسي ، وخصوصاً في الامم المتحدة حيث مئات الصحفيين والمصورين والمراقبين ، يلاحظون كل شاردة وواردة حـول كل قطب او صعلوك له في اعمال الامم المتحدة دور او مسؤولية .

هذا احد مؤرخي الدولة اليهودية « دافيد هورفيتز في كتابـه : دولة في مرحلة الولادة » يقول لنا بان رئيس الوفد السوفياتي اسرع، إثر التصويت على قرار التقسيم في الامم المتحدة ، ودخل مكتبه وعاد يحمل زجاجة نبيذ وبضعة كؤوس قدمها لاعضاءالوفد الصهيوني ليشرب الجميع نخب هذا «النصر التاريخي الذي كانت الاخوة الاشتراكية الدولية تعمل له منذ البدء » ..

ويخبرنا مؤرخ الجيش اليهودي تفاصيل الحماس السوفياتي المنقطع النظير للاسراع في توصيل السلاح الى « الهاجاناه » و«المالباخ» وعصابة « شترن » من الوحدات الارهابية التي طبقت الغـدر الثوري على ادق تواصي « لينين » والحركات الماركسية (١) .

وقد تعمد الاتحاد السوفياتي الاستهتار السافر بقررات الامم المتحـدة الخاصة بوقف تصدير السلاح والعتاد والرجال الى الطرفين العربي واليهودي ، رغم ان موسكو كانت ترفع في نفس الوقت راية الدفاع عن هيبـة الامم المتحدة فيما يتعلق بالقرار الذي اوصى بخلق الدولة اليهودية . ويؤكد لنا هذا المؤرخ اليهودي بانه لولا مساعدة السوفيات واذنابهم في اوروبا الشرقيـة للعصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ بالسلاح والرجال المدربين على القتال ، لـكان من المشكوك فيه ان ينجح الارهاب اليهودي في «تنظيف الدولة اليهوديـة الجديدة من العرب » .

ويخبرنا كاتب يهودي آخر (٢) بان حماس السوفيات لمعونـة الصهيونيين في

(١) الكولونيل « فوسته برلمان » في كتابه The Army of Israel

(٢) جون كيمشه في كتابه Seven Fallen Pillars .

قضية السلاح والعتاد رغم الحظر الذي فرض على ذلك من جانب الامم المتحدة جعل موسكو تتجاهل اي شرطاوقيودمادية او غيرها على القيادة الصهيونية ، بحيث جرى نقل السلاح السوفياتي من اوروبا الشرقية الى فلسطين بالطائرات السوفياتية الى مطار « عفير » في قطاع من النقب كان اليهود قد احتلوه .

وتسجل « المجلة الرسمية للقيادة الصهيونية العالمية[1] كيف ان « دافيد بن غوريون » اوفد رئيس الحزب الشيوعي الاسرائيلي (صموئيل ميكونس) في رحلة سرية ابان حرب فلسطين الى السوفيات في رسالة خاصة بمستقبل التعاون بين اليسار اليهودي واليسار السوفياتي في الساحة العربية ، وكيف ان تأييد موسكو للدولة اليهودية سيجعل من الصعب على اليهود في الساحة العربية ان يستمروا في تمويلهم وتنظيمهم لحركات اليسار العربي في مصر والعراق وغيرهما ، وإن القيادةالصهيونية تقدر اي مسعى تقوم به موسكو لنشر البيعة الماركسية في الساحة العربية بغير الاعتماد على الجماعات اليهودية التي قامت بدورهـا في زرع التنظيمات الماركسية في اكثر من وسط عربي — في حلقـات الجيش وفي السنة الاعلام وفي الاوساط الحزبية وغيرها . وان هـذا التوضيب اليهودي المبكر سيساعد السوفيات على المضي قدما في متابعة الغزو الماركسي لكـل الساحة العربية عبر حركات اليسار العربي نفسها .

ولم تقتصر معونة السوفيات للغزوالصهيوني في احرج اوقات الصراع العربي على التزويد بالسلاح وعلى المناصرة الدبلوماسية والدعاوية من جانب السوفيات وكل حركة يسارية عالمية لتثبيت الدولة اليهودية — هذه المعونات السوفياتية لم تقتصر على ذلك فقط .

بل ان تدريب السوفيات للجيش اليهودي الارهابي كان يجري على قدم وساق في منطقة النفوذ السوفياتي نفسها وعلى يد الخبراء السوفيـات في فلسطين نفسها — في القطاع الذي كان يحتله اليهود .

(١) مجلة Slonist Review, May 11, 1951

فمراسل جريدة « النيويورك تايمز » في اوروبا الشرقية يسجل في عدد ٢٦ ديسمبر ١٩٤٨ ما شاهده في معسكرات التدريب العسكري التي اقامهـا السوفيات لليهود وغير اليهود من العناصر الارهابيـة ومن وحدات الجيش اليهودي ايضاً التي نقلها السوفيات بطائراتهم الى القطاع الذي احتله اليهـود من فلسطين . وفي معسكر واحد فقط استطاع هذا المراسل الامريكي « وهـو يهودي كما ان جريدة النيويورك تايمز يهودية ايضاً » ان يحصى حوالي ٦٠٠ مقاتل وضابط يهودي وشيوعي يدربهم السوفيات هناك للغدر بعرب فلسطين العزل . وكان هذا التدريب السوفياتي في ذلك المعسكر يجري على ايدي الضباط الرسميين السوفيات وهم من امهر الخبراء في حروب الغدر الارهابي ومن الذي اكتسبوا خبرتهم في حرب العصابات السوفياتيـة ابان الاحتلال النازي لأوروبا الشرقية .

ويقول المؤرخ الرسمي [1] لسيرة « دافيد بن غوريون » بالحرف الواحد :

« كان بن غوريون يعلم تمام العلم ـ فهو نفسه روسي الأصل والمولد واللغة ـ بان معونة السوفيات للدولة الصهيونية الجديدة كانت مستندة الى قناعة موسكو بان معونتها هذه هي بمثابة استثمار سياسي لمستقبل يتمكن فيه السوفيات من استعمال الدولة اليهودية كقاعدة او جسر يرابط فيه السوفيـات ليضمنوا لانفسهم نفوذا في الشرق العربي سواء نجح السوفيات في بلشفة العالم العربي ام فشلوا ...»

ومن المفيد ان نلفت النظر ايضاً الى ان اسرائيل كانت من اوائل دول العالم التي اسرعت فاعترفت بالنظام الشيوعي الصيني عام ١٩٤٩ حين نجح الحزب الشيوعي الصيني بقيادة « ماوتسي تونغ » ان يفترس الحكم هناك ، في وقت كانت جميع الدول غير الشيوعية والدول المحايدة متحفظة تحفظاً شديـداً في الاعتراف بذلك النظام الصيني الشيوعي . ولا يزال هذا الاعتراف قائماً ..

(١) B. Litvinoff « Ben - Gorion of Israel » ص ٢٢٩ .

وكم يفيد جماعة منظمة التحرير الفلسطينية من عشاق « بيكنغ » ان يستذكروا هذه الحقائق وان يتعمدوا دراسة العلاقات الاسرائيليـة مع الصين الشيوعية ، فلقد ظلت قيادة الحزب الشيوعي الصيني خاضعة طوال سنوات «الكومنترن» الى نفوذ اقطاب يهود دوليين. والمنهج الماركسي الذي تختلف فيه موسكو عن بكينغ في اصول القصيدة الماركسية اليوم هو منهاج يؤمن بتعاليم قطب الفقه الماركسي « تروتسكي » اكثر من اي مدارس الفقه الماركسي الاخرى .. والواقع ان علاقات اليسار الصيني باسرائيل وبالحركات اليسارية الدولية التي تسيطر عليها زعامات وقيادات يهودية في حاجة الى درس منفرد ليس المجال له هنا في هذا الكتاب المختص بالاتحاد السوفياتي .

والمسجل للعلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية بين اعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥ اي قبيل صفقة الاسلحة السوفياتية للعهد الناصري يدرك بأن تلك العلاقات كانت هادئة هدوء القانع بمجرى الاحداث في الشرق الاوسط من الزاويـة الماركسية . فقد نشطت الثورة الناصرية في تطهير الجو المصري نفسه من كل خصوم الاشتراكية ، كما نشطت لزعزعة اركان النظم العربية الاخرى التي تخاصم الماركسية خصومة عنيفة كحكومة العراق مثلا .

وقد استغلت القاهرة مركز المملكة العربية السعودية ومواردها المالية لتمويل حركات الدعاية والعبث الثوري في كثير من الاقطار العربية في سوريا ولبنان والاردن ، قبل ان استفاقت السعودية على هذا الاسلوب الناصري فتوقفت عن المشاركة فيه ، ولكن بعد ان استملكت البيعة الناصرية على حساب السعودية نفوذاً استثنائياً في الساحة العربية تحت ستار القوميـة لا الماركسية .

وان من العباطة ان نحسب بان صفقة الاسلحة السوفياتية لمصر عام ١٩٥٥ كانت موجهة ضد اسرائيل . بل ان موسكو كانت في ذلك العام قد قررت بان تجارة الأسلحة عمل مربح ، فنشطت الى الترويج له في حملة تجارية واسعة ،

تخدم في نفس الوقت مطامع السوفيات في السلطان السياسي والعقائـدي على الشرق الاوسط حيث لموسكو منذ زمان قديم مطامع ومآرب .

فصفقة الاسلحة السوفياتية لمصر كانت استثماراً في الوضع المصري بزعامة الرئيس عبد الناصر الذي كان واسع النشاط في زعزعة كل اركان التماسك العربي في اسلوب البيعة الثورية التي يعشقها السوفيات والتي لا تعيش السياسة السوفياتية الخارجية بدونها .

ففي نفس الاسبوع الذي قدمت فيه موسكو السلاح لمصر عـــام ١٩٥٥ قدمت موسكو سلاحاً لافغانستان وقروضاً مقدارها ٢٨٧ مليون دولار – وهي تعادل القروض التي قدمها السوفيات لمصر ، رغم ان افغانستان لم تكن تخدم البيعة الثورية الماركسية كما كانت تخدمها القاهرة آنئذ ، وفيما بعد .

فقد كان هم الروس في اعوام ١٩٥٢ وما بعد « اي منذ مولد الثـــورة الناصرية » ان يكافحوا اي مسعى تقوم به دول الشرق الاوسط متعاونة فيما بينها او في حضانة الأمريكان للحد من التوسع السوفياتي في الشرق الأوسط – هذا التوسع التي كانت ثورات الشيوعيين الفاشلة في ايران (اذربيجان) وفي شمالي اليونان من أبرز دلائله .

وقد بلغ قلق السوفيات أوجه من الخوف ان تفلت دول الشرق الأوسط (والعربية منها على وجه التحديد) من قبضة العمل الثوري الماركسي (المحلي والدولي) عندما تـكافلت تلك الدول في مؤتمر « باندونغ » في أندونيسيا لتثبت الحياد الايجابي بعيداً عن حضانة الشرق الماركسي او الغرب الرأسمالي.

فمؤتمر « باندونغ » كان نقطة التحول الرئيسية في موقف السوفيـــات من العهد الناصري في مصر . وليس لهذا التحول اي علاقة « بعداء » موسكو لأسرائيل او بمحبتها الطائرة للعرب. بل ان الأنانية والغش الماركسي السوفياتي قد بلغ اوجه اثر نجاح الدول العربية (التي لم يكن فيها اية دولة يسارية) في مؤتمر باندونغ .

مؤتمر « باندونغ » ونقطة التحوّل في العلاقات السوفياتية الناصريّة

من الملاحظ ان موسكو تعمـدت ان لا تقوم باي نشاط سياسي علني في الساحة العربية او في اسرائيل ايضاً من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٥٥ – وهو العام الذي انعقد فيه مؤتمر « باندنغ » وظهر لأول مرة اهمية استعمال القوة الكامنة في الدول الاسيوية والافريقية الجديدة التي حصلت على استقلالها وتخلصت من الاستعمار بطريقة العمل السياسي القومي التقليدي لا بطريقة العمـل الثوري الماركسي .

فالى عام ١٩٥٥ لم يكن للسوفيات اي دور علني في معونة ايـــة دولة اسيوية او افريقية على التحرر من الاستعمار او الانتداب الاجنـبي ، فحركات الاستقلال في جميع الدول الاسيوية والافريقية كانت حركات قومية لاحركات يسارية ثورية .

وفي « باندونغ » شعرت هذه الدول الجديدة (وكانت الدول العربيـــة تؤلف اغلبية الدول التي اجتمعت في ناتورنغ) بان في امكانها ان تكون قوة « ثالثة » تستطيع ان تلعب دوراً حكيمـــاً في صراع العملاقين الروسي

والامريكي . فقد كانت الحرب الباردة بين السوفيات والامريكان في اوج عنفوانها ايام « باندونغ » .

وبفضل القوة العددية للدول العربية في « باندونغ » وكونها من اوائل الشعوب الاسيوية التي حاربت الاستعمار الغربي مستطيعة بنفسها وبغير معونة اي طرف اجنبي ، استطاع هذا الوزن العربي ان يفرض نفسه على «باندونغ» وان يستخلص من المؤتمر عدة قرارات اكثرها يخدم المصلحة العربية الصرفة فوق كل المصالح الاسيوية والافريقية .

كانت هناك قضية الصراع العربي في الجزائر ومراكش وتونس ضد الاستعمار الفرنسي . وفي اعوام ١٩٥٥ لم يكن في الساحة الدولية من حركات الاستقلال غير هذه الحركات العربية ، التي ايدها مؤتمر باندونغ بطيبة قلب وفي حماس اصيل .

وفي باندونغ لم تفشل اسرائيل فقط في حضور المؤتمر ، بل ان المؤتمر اتخذ قراراً يؤيد الحق العربي .. رغم تدخلات اليسار الماركسي الهندي ممثلا من المستر (كرشنامنون) المعاون الاول للزعيم جوهر لال نهرو ..

وفي باندونغ فشلت روسيا ايضاً في الحصول على حق المشاركة في حلقات الاسيويين والافريقيين رغم الحاحها على انها دولة « اسيوية » في جغرافيتها قطاعات شاسعة تسكنها شعوب اسيوية الجنس واللغة واسلامية المذهب .

وفي « باندونغ » ظهرت الصين الشيوعية لأول مرة في الساحة الدولية الدبلوماسية، خصوصاً وان « بكينغ » كانت خارج عضوية الامم المتحدة .. واشتراك الصين الشيوعية في مؤتمر باندونغ وسعيها الحقيقي لزعامة الدول الاسيوية الافريقية تحت شعار مكافحة الاستعمار — هذا المسعى الصيني كان بادرة الانفكاك الصيني من كنف المركزية الدولية للاشتراكية الثورية التي احتكرتها موسكو طوال هذه السنين — منذ مولد الثورة البلشفية — عبر « الكومنترن » والانكشارية اليسارية في كل بلد وفي كل قارة ..

ومرة اخرى تجانست مصلحة السوفيات مع مصلحة الصهيونية . فكلاهما فشلا في الانضمام الى حلقة الاسيويين والافريقيين في مؤتمر « باندونغ » التي كان طابعها عربياً بسبب غلبة الدول العربية في عداد دول المؤتمر . وكلاهما شعر بان هذه الزعامة العربية للنشاط الاسيوي — الافريقي في باندونغ امر خطير . فأغلبية الدول العربية كانت آنئذ نافرة من اليسار الماركسي ومضطهدة له ، نفورها من الدولة الصهيونية .

واستنبط العقل اليهودي -السوفياتي فكرة تمييع النفوذ العربي في «باندونغ» بتوسعة الاطار للنشاط الاسيوي الافريقي بحيث لا يقتصر على الحكومات (كما كان في باندونغ) بل تقوم به « الشعوب ». وهذا يعني ان في استطاعة كل حركة « شعبية » يسارية مناوئة لحكومتها ان تشترك في مؤتمر «الشعوب» اسوة بما كانت تقوم به هذه الجبهات الشيوعية العديدة كجماعة « انصار السلام » ومؤتمراتها الشعبية ، ومؤتمرات « الشباب العالمي » ، ومؤتمرات « المحامين الديمقراطيين » وغيرهم من الواجهات الشيوعية واليسارية التي افتعلتها السياسة السوفياتية الخارجية (عبر الكومنترن) منذ بدء الحكم السوفياتي . واليهود كما تقول كل وثائق « الكومنترن » كانوا يحتكرون القيادة والتوجيه والعقل المدبر لهذا الجهاز اليساري السوفياتي الدولي .

وهكذا تم انعقاد اول « مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية - الافريقية » في القاهرة بعد انفضاض مؤتمر « باندونغ » ببضعة عشر شهراً . وبعد ان اتفقت القاهرة مع السوفيات على تمويل مشروع السد العالي .

وفي مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية في القاهرة رفع اليسار المصري لأول مرة راية « الاشتراكية العلمية » على المذهب السوفياتي ...

ففي مؤتمر « باندونغ » كان الطابع العربي مهيمنا على المؤتمر في اغلبية عدد الاعضاء العرب، وفي نتائج القرارات التي كان معظمها يدور حول القضايا العربية : فلسطين والجزائر وتونس ومراكش وعمان والاستعمار البريطاني في الجزيرة العربية ..

ولكن في مؤتمر « تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية » في القاهرة كانت الوفود « الشعبية » معظمها من غير العرب .. فقد تميعت الصفة العربية هناك رغم ان مقر الاجتماع كان في عاصمة عربية ..

وفي باندونغ كان لحن المؤتمر غير يساري .. بينما كان اللحن والانغام جميعها في مؤتمر «تضامن الشعوب الاسيوية والافريقية» لحناً يسارياً ماركسياً سافراً.. لحن « التعايش السلمي » الذي اخترعه السوفيات، وهولحن يوافق موافقة كاملة سياسة اسرائيل نحو العرب ايضاً ...

وفي « باندونغ » فشل السوفيات في حضور المؤتمر ، بينما كان الوجود السوفياتي في مؤتمر « تضامن الشعوب الاسيوية والافريقية » في القاهرة رسمياً ومهيمنا على جو المؤتمر – لكثرة ما حضره من العصافير والحركات اليسارية الدولية التي تتبع المركزية اليسارية الثورية في موسكو .. وجميع هذه الحركات بلا استثناء تفادت في مؤتمر القاهرة ان توافق على اي قرار فيه مساس بسيادة اسرائيل ... وكل ما اتخذه مؤتمر القاهرة من قرار حول القضية الفلسطينية هو التوكيد على قرارات الامم المتحدة – بما فيها حق اللاجئين العرب بالعودة .. وهذا هو موقف السوفيات منذ مولد الدولة اليهودية، فهو لا يلزم احداً (شعوباً اوحكومات) بمعونة العرب على هدم اسرائيل اوبالصفح او الصمت او الموافقة على قيام العرب بازالة اسرائيل من الوجود ...

وهكذا ضاعت الصفة العربية غير اليسارية في المحيط الاسيوي الافريقي التي توفرت لنا في « باندونغ » لتحل مكانها صفة دولية يسارية ثورية في مؤتمرتضامن الشعوب الاسيوية الافريقية في القاهرة، الجانب العربي فيها «وسيط» يرفع المظلة ليعمل السوفيات واتباعهم من حركات اليسار الدولي الذي لا يضمر لأسرائيل اي ستر ولا يوافق العرب على هدم اسرائيل ناهيك بمعونة العرب على هدم اسرائيل ...

وفي مؤتمر القاهرة تلونت السياسة العربية تلويناً كاملاً بالصبغة اليسارية

الثورية الماركسية لا بالصفة القومية العربية الصرفة .. فالاشتراكية العلمية لا تعترف بالقوميات المحلية وان لجأت الى رفع شعاراتها في مراحل التدبير الماركسي الثوري كوسيلة يستخدمها الاشتراكيون الثوريون في الوصول الى الحكم ...

فمؤتمر« تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية »كان اطاره الفكري وقراراته واهدافه وكل قواعد العمل والتدبير فيه يسارية ماركسية. يؤمن باخوية الاشتراكية العالمية الثورية الشعار والهدف، السوفياتية الايحاء والحضانة والزمالة ...

والواقع ان مؤتمر « تضامن الشعوب الاسيوية والافريقية » الذي انعقد في القاهرة (واتخذ مقره الدائم هناك ايضاً) كان نقطة تحول رئيسية في سياسة السوفيات نحو الشرق العربي ، كجزء من نقطة التحول الجذري الذي ألم بالسياسة السوفياتية الخارجية اجمالا عندما تولى « خروتشوف » الحكم بعد صراع داخلي في هدم الحزب الشيوعي السوفياتي .

فقد شعر « خروتشوف » بان الاتحاد السوفياتي وقد استتب له مركز دولي خطير ومحترم فان من العباطة ان تمضي السياسة السوفياتية الخارجية على مثل ما كانت عليه ايام ستالين من فرض القيود الصارمة على حركات اليسار الثوري خارج الاتحاد السوفياتي الموالية لموسكو . فمثل هذه القيود الشديدة (وخصوصاً المواد[1] الواحدة والعشرون التي اقرها المؤتمر السابع للكومنترون) على حركات اليسار الثوري لم تفلح في نجاح اي حركة أو حزب منها في الوصول الى سدة الحكم في البلد الذي يعمل فيه . فالدول اليسارية الجديدة في اوربا الشرقية قامت على رؤوس الحراب السوفياتية في خوض الحرب العالمية الثانية .

(١) مؤتمر عام ١٩٢٨ الذي وضع اسس التنظيم الثوري لاحزاب اليسار في كل مكان بحيث لا تقوم بأي حركة او نشاط الا إذا كانت مائة بالمائة متماشية مع مصالح موسكو .

ولذلك فليس من الضروري للسياسة الخارجية السوفياتية ان يكون اعوانها من اهل اليسار في الخارج ملتزمين بالصفة الشيوعية التقليدية . بل ان من المفيد لهم ولموسكو ان يرفعوا شعارات ماركسية محلية اللغة والطوابع ، ولو كان في هذه الشعارات لون من التفاوت الشكلي مع الاشتراكية السوفياتية ومع العقيدة الشيوعية التقليدية [١] .

كما ان «خروتشوف» وقد علم في وقت مبكر بان الخصومة بين الاشتراكية السوفياتية والاشتراكية الصينية ستتطور تطوراً ضاراً بالمصلحة السوفياتية (كما بدا ذلك من مواقف الصين الشيوعية في مؤتمر باندونغ) اذا لم تتعمد موسكو المرونة في حضانة حركات اليسار الخارجية وتعطيها طابعاً « محلياً » لا طابعاً سوفياتياً كاملا .

ومن بين ما وضعه « خروتشوف » من اجراءات لمرونة الزعامة السوفياتية على حركات اليسار الثوري الاجنبية (وخصوصاً في الدول الحديثة العهد بالاستقلال في آسيا وافريقيا) هو ما يلي :

اولا الاهتمام قبل كل شيء بالمناطق الحيوية التي تهم الاتحاد السوفياتي بصفة مباشرة — وفي طليعتها الشرق الاوسط . (وهنا تبرز اهمية فلسطين ومشكلتها بالنسبة للسياسة السوفياتية) .

ثانياً الالتفات الجدي الى قضية الدين الاسلامي الذي تؤمن به الشعوب الاسيوية التي تعتبر جزءاً من الاتحاد السوفياتي — مثل ازبكستان واذربيجان وتركستان وجوارها . فهذه المناطق لا زالت رواسخ الشعور والعقيدة فيها اسلامية اسيوية رغم حوالي ٤٠ عاماً من السلطان الماركسي الكامل عليها .

---

(١) وقد شرح تفاصيل ذلك بيان « خروتشوف » الخطير في المؤتمر العشرين (١٩٥٦) للحزب الشيوعي السوفياتي الذي كشف الستار عن فظائع عهد « ستالين » وطالب بسياسية ماركسية دولية جديدة .

وقد تبين للسوفيات بان الصين الشيوعية ستسعى اول ما تسعى لفصل هذه المناطق الاسيوية عن الاتحاد السوفياتي باسم « آسيا للاسيوين »، فهذه المناطق السوفياتية (الاسيوية) هي المكان الوحيد الذي تطمع الصين الشيوعية ان تحتله يوماً ما لتخفف من ضغط السكان الهائل الذي تعانيه الصين عاماً بعد عام. وليس للصين مكان آخر تتوسع فيه اقليمياً سوى آسيا الوسطى (السوفياتية)، فجنوب شرقي آسيا والهند وجوارها مكتظة اصلا بالسكان ولا تستطيع استيعاب اي هجرة صينية ، حتى لو رضخت هذه المناطق للحكم الصيني او « للاخوة » الاشتراكية الدولية في كنف الصين .

واهم نقطة ضعف تستطيع الصين الشيوعية استغلالها في الدعاية المضادة للسوفيات في المناطق الاسلامية (السوفياتية) هي الناحية الدينية ، بالاضافة الى شعار « آسيا للاسيويين » . وهذه الناحية الدينية خطيرة ومهمة . فمن واجب الاتحاد السوفياتي ان يكافح اي بعث اسلامي له طابع سياسي يستميل المسلمين في الاتحاد السوفياتي ويذكي مشاعرهم الانفصالية .

وقد يكون في استطاعة موسكو ان تكافح الدعاية الصينية في آسيا الوسطى (السوفياتية) اذا لجأ السوفيات الى اللعب بالنزعة الدينية — لأن الصين الشيوعية نفسها قد اضطهدت المسلمين وغيرهم من الجماعات الدينية .

ولكن الاتحاد السوفياتي سيعجز عن مكافحة البعث الديني في طابعه السياسي اذا كان مصدر الدعوة له جماعات اسلامية اصيلة — مثل الجماعة العربية .

ولذلك فان من مستلزمات السياسة الخارجية في الشرق العربي (وهو مركز الاشعاع الاسلامي اصلا وفي كل حقبات التاريخ) ان تقوم موسكو بدور فعال في توجيه الحياة السياسية والفكرية ماركسياً في دنيا العرب (مثل اي وسط اسلامي آخر سوآء في ايران او تركيا او باكستان او غيرها) .

ومثل هذا التوجيه الماركسي في دنيا العرب لا يمكن ان يقوم به اليهود

(كما كانوا ايام ستالين) ، ولا الأقليات الطائفية والعنصرية الاخرى التي كان النشاط الماركسي الثوري مقصوراً عليها وعلى قياداتها في دنيا العرب .

ولذلك فلا بد من معقل عربي له تقليد وميراث قيادي في الحياة العربية ثقافياً وسياسياً ودينياً لكي يتولى البيعة اليسارية الثورية ، ويبعد (بل يكافح) اي مجال في الوسط العربي لغير الاتجاه اليساري – حتى ولو لم يكن هذا الاتجاه شيوعياً في المفهوم الشيوعي التقليدي ، وحتى ولو رفع اصحاب هذه الدعوة اليسارية الثورية شعارات قومية وعنصرية عنيفة قد لا يرضى عنها المفهوم العتيق للماركسية الثورية .[1]

ولقد علقت موسكو اهمية استثنائية على زعامة القاهرة لمنظمة تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية . فالقاهرة معقل عربي واسلامي تقليدي خطير ، له نفوذ بالغ في توجيه الفكر والبعث العربي وفي الاطار الاسلامي ايضاً . فاذا تعربت الحركة اليسارية الثورية واتجهت في غير الاتجاه الاسلامي ، فان في ذلك تحقيقاً لقاعدة هامة من هذه القواعد الجديدة للسياسة السوفياتية التي صاغها « خروتشوف » . فجمع الحركات السياسية الثورية في آسيا وافريقيا معاقل الاسلام واشعاعه التقليدي في منظمة لا تسيطر عليها الصين الشيوعية ولا يمكن ان تتهم علانية بانها اداة في يد السوفيات ، وقيام هذا التكتل اليساري الثوري في ظل معقل مثل القاهرة ، يسمح للسوفيات ان تناوىء اي سياسة اسلامية بدون ادنى حرج على موسكو . فطالما ان العرب والمسلمين اليساريين انفسهم يكافحون السياسة الاسلامية ، فلا بأس من ان تجهر موسكو في مكافحة السياسة الاسلامية ايضاً . فأي شغب او حركة انفصال في المناطق الاسلامية السوفياتية سيخلق متاعب خطيرة لموسكو . فتلك المناطق هي

---

(١) هذه الاستنتاجات مستقاة من البحوث التحليلية نكتفي بذكر بعضها هنا مثل مجلة « كومونيست » ومجلة « العلم والدين » وكتاب جديد عن الاسلام كتبه الفقيه السوفياتي « كليموفيش » وهو يهودي روسي .

الامل الوحيد للطاقات السوفياتية . ففي تلك المناطق كل المعادن والوقود البترولي ، وفيها الفسحة الزراعية « في الاراضي العذراء » وبدون هذه المناطق الاسلامية فان الاتحاد السوفياتي سيصبح (اذا انفصلت تلك المناطق عنه) بلداً مسقوط الوزن – مثل فرنسا او بريطانيا بعد زوال مستعمراتها .

فهذه المناطق السوفياتية الاسلامية هي في الواقع مستعمرات لروسيا الاوروبية ، كما كانت الهند وغيرها مستعمرات لبريطانيا .

والروس يعلمون ما يعلمه كل دارس للتاريخ الاسلامي ، بان الشعوب التي تعتنق الاسلام لا يمكن ان تنسى شخصيتها وثقافتها ومذهبها الاسلامي ، مهما تعمد الحكم الاجنبي ان يقهر تلك الشخصية .

هذا ما حدث للحكم الفرنسي في الجزائر بعد مضي ١٥٠ عاماً على السيادة الفرنسية وقهر اللغة العربية واهمال التدريس الديني . وهذا ما حدث في الشرق العربي وفي كل الشمال والوسط الافريقي .

وهذه الحقيقة التي تتميز بها الجماعات الاسلامية تجعل من آسيا الوسطى السوفياتية اخطر منظمة (واهمها) في الكيان السوفياتي كله ..

ولذلك فدور السوفيات في التأييد والحضانة لحركات اليسار العربي ودوله (مهما تفاوتت تقواها الماركسية التقليدية وكثر دلالها السياسي) دور حيوي وجوهري لصميم المصلحة السوفياتية والوجود السوفياتي كله في عقر داره كدولة مكتملة الوحدة الجغرافية والموارد ، وكدولة كبرى لها وزنها في الساحة الدولية بسبب هذه السعة الجغرافية وهذه الموارد السخية التي تتوفر في القطاع الاسيوي (الاسلامي) من الاتحاد السوفياتي .

ومن هذه الحقيقة التي تزخر بتفاصيلها المراجع السوفياتية ، تبدو مرونة السوفيات في ممالأة العرب بالنسبة للنزاع العربي مع اسرائيل .

نقول « ممالأة » العرب عمداً ، فموسكو هي اليوم اشد حرصاً مما كانت

عليه في اي وقت للابقاء على اسرائيل كبلد مستقل لا يمكن ان ينسجم مع الوسط العربي الاسلامي الذي يعيش دخيلاً عليه مفترساً لارضه .

واسرائيل ستظل في حاجة الى من يحميها من الدول الاجنبية الكبرى ذوات المصالح في الشرق الاوسط .

واسرائيل بلد ميراثه السياسي يساري أصلا . فاذا مارست القيادة الصهيونية عمارة سياسية او دبلوماسية مع الغرب الاستعماري ، فان اسرائيل دوماً على استعداد لممارسة هذه العمارة مع السوفيات ايضاً .

فاذا كان هناك أي عداء من موسكو نحو اسرائيل؛ فهو عداء هدفه تحويل سياسة اسرائيل نحو السوفيات ، لا هدم اسرائيل ترضية للعرب .

فموسكو تأمل وتعمل وتعتقد (ولها ما يؤكد ذلك الاعتقاد) ، بان بقاء اسرائيل في قلب العالم العربي سيعطي للسوفيات قاعدة تستعملها موسكو يوماً، اذا افلت من يد السوفيات زمام السيادة والحضانة لحركات اليسار العربي ونظمه في وسط عربي اسلامي رفض في كل تاريخه الطويل (عاجلا ام آجلا) ان يهضم او يرضى او يقتنع باي بيعة او عقيدة غير بيعة العروبة والعقيدة الدينية السماوية .

وبوادر هذا الانفكاك العربي من بيعة اليسار الماركسي الثوري ظاهرة للعيان — للروس ولغيرهم .

فقد باء اليسار الماركسي بانحسار في الجزائر ، وفي العراق ، وهي تعاني اشنع الازمات في الصراع الاشتراكي الثوري في مصر .

فكيف يجوز اذن في صالح السوفيات (والعقل الماركسي معروف بعمق تدبيره للمستقبل البعيد لا للساعة الراهنة) ان تضع موسكو كل بيضاتها السياسية في سلة العرب ، بينما يوجد في اسرائيل وضع قلق شائك من جوهر التنازع على البقاء له ان يكافح العروبة والاسلام .

فاسرائيل اذن « احتياطي » للسوفيات يحتفظون بها ليوم الحاجة .

فالاستعمار الاوروبي والامريكي مغضوب عليه في دنيا العرب والاسلام .
ولا يمكن لهذا الاستعمار ان يعود الى الساحة العربية الاسلامية . فقد تلقن درساً بليغاً في عالم ما بعد الحرب العالمية الاخيرة .

فإذا تطورت شؤون هذا الشرق العربي والعالم الاسلامي الى درجة تطرد النفوذ السوفياتي كما طردت النفوذ الاجنبي الاوروبي والامريكي (بسبب تأصل القومية العربية والاسلام في المنطقة) مهما علاعليها الغبار وركام الدعاية الماركسية والقهر وسيادة السلطان المسكري اليساري) فان المكان الوحيد للسوفيات لكي يستطيعوا امتلاك قدم في الشرق العربي واستراتيجيته هو اسرائيل ..

وجدير بلفت النظر الى ان نزاع الصين مع السوفيات يستوجب على مسؤولية الدفاع العسكري في موسكو ان تضمن لنفسها « قواعد » عسكرية في الطريق التقليدي من اوروبا الى الشرق الاقصى اي عبر البحر الابيض والبحر الاحمر .

فاذا اندلعت حرب بين الصين الشيوعية والاتحاد السوفياتي حول المناطق الاسيوية (في منغوليا وآسيا الوسطى والشرق السوفياتي الاقصى) فان الامدادات العسكرية للجبهة الروسية في الشرق الاقصى تستلزم استعمال البحر الابيض والبحر الاحمر للوصول الى المناطق السوفياتية في الشرق الاقصى .

هذا ما قامت به روسيا ايام القياصرة والحرب مع اليابان . وما قام به السوفيات في خلال الحرب العالمية الاخيرة ايضاً .

وهذا ما لا بد للسوفيات من القيام به لضمان استملاكهم او استرجاعهم لما قد يختلسه او يهدده الصينيون من مناطق السوفيات في آسيا الشرقية الوسطى .

وهناك اعتقاد راسخ عند معظم المعلقين على الشؤون العسكرية بان الحروب القادمة لن تلجأ الى القنابل الذرية [1] .

---

1 Makers of Mobern Stratigy : princeton Universty press (١)
2 China and the Bomb, by. M. Halpria

وان اكبر احتمال لاندلاع حرب غير ذرية بين الدول الكبرى هـــو بين الاتحاد السوفياتي (منفرداً او مشتركاً مع الامريكان) ضد الصين الشيوعية، ولذلك فحاجة السوفيات الى قاعدة (تمويل وارتبـاط) على البحر الابيض والبحر الاحمر حاجة قومية هامة .

وخط السياسة السوفياتية في البقاء طويلا على مثل ما هي عليه من النفوذ اليوم في بعض ديار العرب حظ ضئيل .

فالاشتراكية المحلية في كل مدارسها ونظمها العربية والاجنبية في دنيــا العرب تسقط مواليدها الواحد تلو الاخر .

فاسرائيل « احتياطي » طبيعي للاستراتيجية السوفياتية في قلب الشرق الاوسط كله . وفي المرابع السوفياتية اشارات واضحة عن هذا الاحتمال .

ففي بحث كتبته السيدة « فالتولينـــا » وهي من ابرز واوثق الخبراء السوفيات في شؤون الشرق الاوسط في مجلة سوفياتية ذات طابـــع رسمي استثنائي [1] نقرأ ما يلي :

« الموقع الاستراتيجي لاسرائيل يتمتع بمزايا خارقة . فمن الواجب توجيه الاهتمام السوفياتي بذلك ... فاذا كان القائمون على الحكم في اسرائيل اليوم جماعة تتعاون مع امريكا لأن الاتحاد السوفياتي يساعد على التحويل الاشتراكي في الوسط العربي ولا صبر ليهود اسرائيل من البرجوازيين على اكتمال هـــذا التحويل الاشتراكي ، كان من واجبنا ان نؤكد للجماهير الاسرائيلية بان مصيرهم هو في الاعتماد على الاتحاد السوفياتي ...

« ...وصحيح ان لنا حزباً شيوعياً قديم العمل راسخ الجذور في اسرائيل يمكن الاعتماد عليه ، ولكن علينا ان نتذكر ايضـــاً بان حزب « ماباي »

(١) مجلة Voprosy Ekonomiki عدد ٤ ص ٩٤ الى ١٠٥ .

واغلبية الاحزاب والنقابات العمالية في اسرائيل يسارية .. وهذه الاحزاب اليسارية ظلت مسؤولة عن حكم اسرائيل منذ مولد هذه الدولةالذي شاركنا نحن الاتحاد السوفياتي فيه مشاركة جوهرية .. فاذا رضيت هذه الاحزاب اليسارية الاسرائيلية ان تتلقى العون من الرأسمالية الامريكية والبرجوازية الصهيونية فان من المفيد ان نقدر حاجتها الى هذا التعاون .. ولكن الكيان السياسي كله في اسرائيل اليوم وفي المستقبل فيه جميع المؤيـــدات لروابط استثنائية مع الاتحاد السوفياتي .. »

فاذا كان للعرب عظة في هذه المأساة الدامية التي تولدت عن ظهور الاتحاد السوفياتي فجأة كنصير ومؤيد رئيس للحركـــة الصهيونية في اشد ايام المحنة العربية حرجاً امام الامم المتحدة ساعة انطوى الاتحـــاد السوفياتي والماركسية العالمية كلها في صفوف الاستعمار والصهيونيـــة ضد الحق العربي في فلسطين .

واذا كان لنا درس بليغ يوم اكتشفنا عام ١٩٤٧/١٩٤٨ في الامم المتحدة بان كل هذه السنوات الطويلة من الادعاء السوفياتي والماركسي الدولي في كل مكان بانه خصم للصهيونية كان ادعاءاً زائفاً تبخر في لحظة عين يوم نصبت موسكو واعوانها الماركسيون في كل من انفسهم حماةوانصاراً للحركة الصهيونية وغدرت بارضنا في فلسطين .

... اذا كان لنا عظة في هذه الحقيقة المخيفة في الغش الماركسي التي لم تتورع عن طعننا ونحن نعاني الجراح على يد الغدر الصهيوني فان دروس هـــذا الماضي السوفياتي الماركسي الشنيع تستوجب علينا الحذر من مستقبـــله فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والكيان اليهودي في اسرائيل بصفة استثنائية ..

فالسوفيات مستخدمين دعاة الماركسية في الوسط العربي يريدون ان ننسى اليوم طعنة السوفيات القديمة لنا ايام النكبة وايام ايدوا الغدر الصهيوني وعززوه باللسان وبالسلاح وبالاعتراف القانوني الكامل ... رغم ادعـــاء السوفيات بانهم خصوم للصهيونية ...

فموسكو تكرر اليوم في اطار الدعاية الماركسية عربية وسوفياتية معاً بانها خصم للصهيونية – لا عدو لاسرائيل ...
فاذا تحولت سياسة اسرائيل نحو الاشتراكية فسيسقط الذنب عن اسرائيل، وكفى الله المؤنبين شر القتال .

هذا ما يقول به السوفيات وهذا هو محور الفكر والقول والعمل في اوساط الاشتراكية الثورية العربية نفسها ...

فكل ما ذهبت اليه معاقل الاشتراكية العربية في تهديد اسرائيل هو الاعلان بانه اذا انتجت اسرائيل القنبلة الذرية فستقوم الاشتراكية العربية « لحرب وقائيه » ...
هذا هراء لا يجب ان يستسيغه الطفل الرضيع .

فاذا نجحت اسرائيل في صنع القنبلة الذرية فلن تستطيع النظم الاشتراكية العربية عندئذ ان تقوم بحرب وقائية ضد اسرائيل .. فالقنبلة الذرية الاسرائيلية ستكون اقوى رادع لمثل هذه الحرب العربية ..

فلذا تردد العرب والتمسوا كل المعاذير في تفادي معركة الفصل مع اسرائيل بدون امتلاك اليهود للاسلحة الذرية، فان هذا التردد والزوغان العربي سيزداد اذا امتلك اليهود السلاح الذري .

فالتهديد العربي بالحرب الوقائية هراء لا معنى له – حتى من قوالب هذه الدعاية الصبيانية التي لا يكل اليسار العربي عن بثها في الوسط العربي بلا انقطاع .
وحتى اذا امتلك العرب واليهود معاً الاسلحة الذرية فسيتعادل الطرفان في « ميزان الرعب » الذري –وهو خير رادع للحرب الوقائية او غير الوقائية.
هذا النوع من الغش الماركسي الذي تمارسه الماركسية العربية نفسها مآله الانحسار في الساحة العربية، وسيكون هذا الغش من ابرز الاسباب التي سيؤدي

الى زوال البيعة الاشتراكية الماركسية واهلها من مراكز النفوذ في الساحة العربية ..

فالعبيط هو الذي يستهتر بقدرة العقل والوجدان العربي على ان يكتشف الزور والبهتان بين اهله وزعاماته العربية نفسها .

ونحن على يقين بان الامة العربية قادرة على معالجة هذا الغش الماركسي العربي عاجلا وآجلا . فبوادر الانحسار (ومن ثم الهزيمة) لحركات اليسار الماركسي العربية في الساحة العربية امر ماثل للعيان .. وزوالها من الوجود العربي امر حتمي ..

انما الذي يعنينا في نهاية هذا البحث حول الاتحاد السوفياتي ودوره في الشؤون العربية هو لفت النظر الى حقائق لا تتوفر عادة للقارىء العربي . وهي حقائق لا بد من ان تخضع للشرح والايضاح والاثبات والتعليق . لانه ليس المفروض في الرأي العربي ان يشعر بها وبغشها واخطارها فحسب من قبيل الحدس او الحذر او التخمين ..

فلا بد من سعة الاطلاع على مثل تلك الحقائق حتى يزداد الرأي العربي معرفة ووقوفاً من اساليب الذئاب الدولية ومآربهم . ومن المعرفة تنمو الثقة بالنفس . ومنها ينمو العزم على صيانة الصالح العربي وتفادي الاخطاء والزلل.

فلا بد اذن من انهاء هذا البحث بتسجيل آخر نماذج التواطؤ السوفياتي اليهودي الذي يجري في غفلة عن الرأي العربي طالما انه فريسة طوفان دعاوي ماركسي تروج له ابواق صاخبة يعم ضجيجها الآذان، ويثير في الطريق العربي غباراً كثيفاً يعمي البصائر ، ويعكر عليها صحة الرؤيا للدس الماركسي في معقله الاول – في الوطن الام للاشتراكية الثورية وهو الاتحاد السوفساتي .

حاضر العلاقات السوفياتية والاسرائيلية

من ١٩٥٦ إلى الآن

العدوان الثلاثي على قنال السويس وتآمر اسرائيل مع الاستعمار لأعادة عقارب الساعة التاريخية الى الوراء يؤكد لنا مرة اخرى ما هو ليس بحاجة الى التوكيد : وهو ان هذا الوجود اليهودي في ديارنا في فلسطين شر يجب ان يزول . وزواله لا يكون بغير الاستقلال العربي في حرية التصرف بعيداً عن اي التزام عقائدي مع ساحات دولية كالمعسكر الاشتراكي الدولي زعامة السوفيات او زعامة الصين ، او مع اي طرف اجنبي آخر .

فالاستعمار الغربي امريكياً او اوروبياً انكشفت طبائعه في الساحة العربية واصبحنا اكثر الناس مناعة ضد هذا النوع من الاستعمار .

انما المصيبة الكبرى في السياسة العربية هي اننا، وقد ساد الفكر اليساري عبر دعاته البلغاء في مصر وخارج مصر ، اصبحنا بفضل هذه البيعة اليسارية الماركسية العربية فاقدي الحذر من نوايا دولة كبرى ذات مطامع في ديارنا كالاتحاد السوفياتي ، شأنها في ذلك شأن كل الذئاب الدولية .

وفقدان الحذر في الساحة العربية نحو السياسة السوفياتية مرجعه لون من عباطة الفكر والشعور العربي بان الاتحاد السوفياتي نصير لنا ضد اسرائيل يوم الفصل العربي مع هذا الشر الصهيوني الذي اغتصب ديارنا .

ومثل هذا الاحتساب العربي في صداقة الاتحاد السوفياتي لنا جرم قومي

سندفع ثمنه غالياً يوماً، إلا اذا ادركنا نماذج الغش في السياسة السوفياتية بنفس الحذق ونفس اليقظة التي نتعمد ان ندرك بها نوايا سياسات الذئاب الدولية الاخرى .

ففي حقائق الاشياء بالنسبة لعلاقات السوفيات باسرائيل اليوم وفي هذه الساعة الراهنة ما يذهل الباحث والمدقق في تلك العلاقات . ومن الاجرام في الحق العربي ان يتعفف اللسان عن صراحة التنبيه والتحذير من هذا الانزلاق العربي في الساحة الاشتراكية الدولية ، لان مصر او غيرها تستفيد مادياً من تلك الروابط الاشتراكية في كنف الاتحاد السوفياتي .

ولقد استغل السوفيات (واعوانهم من نظم اليسار العربي وحركاته) هذا الضجيج الذي افتعله السوفيات يوم اشتركت اسرائيل في العدوان على قنال السويس لهدف مؤقت — هو فتح الممرات المائية لاسرائيل في مياه العقبه .

فلا غضبة السوفيات ولا هزيمة البريطانيين والفرنسيين في معركة القنال ولا بطولة العهد الناصري ولا شتى قوالب الدعاية والضجيج والعربدة الدبلوماسية من كل اوساط اليسار عربياً ودولياً استطاع ان يزحزح اسرائيل عن هذا النصر المركز الذي حققته من معركة القنال — وهو استملاكها منافذ مائية في خليج العقبة .

لا سلاح السوفيات ولا ضجيج السوفيات في الامم المتحدة منذ عام ١٩٥٦ حتى الآن استطاع ان يزحزح اسرائيل عن انتصارها هذا شبراً واحداً .

والمراجع للسجل في مسألة العدوان الثلاثي ودور السوفيات في تأييد مصر بشأنه ، يدرك نماذج شنيعة من الغش في السياسة السوفياتية منعنا اليسار العربي في قصائد مديحه للسوفيات ان نستذكرها ونتعظ بها .

فهناك حقيقة ثابتة في موقف السوفيات من عدوان اسرائيل على سيناء عام ١٩٥٦ وهي ان الانذار السوفياتي لاسرائيل بان تنسحب من سيناء (لا من

ميناء العقبة) جاء بعد ان قررت اسرائيل بضغط الحلفاء (وبعد ان فتحت لنفسها مياه العقبة والبحر الاحمر) ان تنسحب .

فانذار السوفيات كان لعبة مكشوفة . فلم تصدر موسكو اي انــذار لاسرائيل يوم كانت جيوشها تنسف الابرياء في سيناء . بل ان الانـذار السوفياتي جاء بعد ان انتهت اسرائيل من تحقيق كل مطامعهــا من معركة القنال — وهو فتح الملاحة في مياه العقبة والبحر الاحمر للمواصلات الاسرائيلية البحرية .

وقد وجدت المصادر الناصرية نفسها بعد معركة القنال ببضـع سنوات مضطرة ان نعترف بان موسكو لم نكن ابداً عازمة على التدخل العسكري في جانب مصر ضد اسرائيل، هذا ما اعترف به الرئيس عبدالناصر نفسه بلسان محرر « الاهرام » الذي كان حاضراً مفاوضات عبد الناصر — خروتشوف في موسكو يوم حصل العدوان الثلاثي على مصر . فكل ما اكـده خروتشوف لعبد الناصر هو استعداد موسكو للمناورة الدبلوماسية في صالــح مصر ضد الاستعمار ، البريطاني الفرنسي . اما تدخل السوفيات عسكرياً في جانب مصر ضد العدوان الثلاثي وضد اسرائيل بصفة خاصة فقد استبعده خروتشوف في صراحة تامة .

هذا الحدث التاريخي الخطير كاف لان يدفعنا الى دقــة الدرس والبحث والاستنتاج لموقف السوفيات في المستقبـل القريب او غير القريب حين يقرر العزم العربي على استخلاص الحق العربي من المغتصب الصهيوني .

وهذا الاستخلاص لا يكون الا بمبادرة العرب انفسهم في مبارزة اسرائيل، فالمنطق يقتضي ان نحتسب بان في معركة الفصل العربي مع اسرائيل سيكون الجانب العربي هو المبادر بالحرب .

فكيف اذن ننتظر من الاتحاد السوفياتي ان يساعدنا في معركة الفصل العربي مع اسرائيل ونحن اصحاب المبـادرة في الحرب ، في حين ان موسكو

رفضت التأييد العسكري لاغلى واعز حلفاء السوفيات العرب — وهي مصر الناصرية — يوم كانت اسرائيل نفسها هي المعتدية في صف واحد مع الاستعمار البريطاني — الفرنسي .

فالذي يرفض كما رفضت موسكو ان ينحــاز الى جانب الحق العربي عسكرياً يوم كانت اسرائيل في معركة سيناء معتدية عدواناً استعمارياً سافراً، الذي يرفض كما رفض السوفيات معونتنا ونحن ضحايا الغش والغدر الصهيوني- الاستعماري المشترك ، لا ينتظر منه ان يؤيدنا بالسلاح او بالعتــاد (ناهيك بشتى نماذج الخبرة العسكرية اللازمة) اذا كان « المعتدي » قانونياً على الاقل هو الجانب العربي .

هذه الصراحة في دراسة موقف السوفيات من معركتنا مع اسرائيـل في المستقبل الغريب غير القريب في حاجة الى توكيد .

ومثل هذا التوكيد من الخير له ان يدقق في شتى نماذج العلاقات السوفياتية الاسرائيلية الراهنة ، وان يدرس مدى تشعب هذه العلاقات في ثنايا هــذا الضباب الدعاوي الكثيف الذي يروج له اليسار العربي حول « انحياز » السوفيات نحر الحق العربي في فلسطين .

والواقع ان ليس هناك اي « انحياز » سوفياتي نحو الجانب العربي ، بل هناك غيوم كثيفة من الضباب الدعاوي يفتعله اليسار السوفياتي نفسه، وتشيعه في الساحة العربية انكشارية يسارية تريدنا ان لا نرى في علاقـات السوفيات باسرائيل إلا ما يطمس الحقائق ويزيد من الغش والزيف والتضحية .

ولذلك فسنتعمد في الصفحات التالية ان نجمع ما يستطيع الجهد الفردي لمثل مؤلف هذا الكتاب ان يجمعه عن حاضر العلاقات السوفياتية-الاسرائيلية — في السياسة والاقتصاد وشتى النماذج الاخرى التي تعيننا قدر المستطـاع على ان نتبين بعض الخطير من نماذج هذا الغش السوفياتي وتواطؤ اهـل اليسار العربي

نفسه في التموية والتضحية، وفي ستر حقائق الود السوفياتي نحو الدولة اليهودية اليوم كما كانت يوم انتصار السوفيات في الامم المتحدة لخلق الدولة الصهيونية. ففي ذلك الحين ايضاً كان يسود الرأي العربي غشاوة دعاوية تحتسب ان عداء الماركسية المزعوم للصهيونية سيحول بين موسكو وبين تأييد الغزو الصهيوني لفلسطين العربية .

والواقع ان البحث عن المستندات الاعلامية في علاقات السوفيات الراهنة مع الدولة اليهودية عمل يحتاج الى صبر وجهد متواصل . فموسكو تتعمد الابهام . واسرائيل تتعمد طمس المعالم . واليسار العربي يشارك في ذلك كله فلا يتعرض الى بحث الصلة السوفياتية باسرائيل لا بالقليل ولا بالكثير . والصحافة العربية اجمالا كسولة جداً في تعقبها لمثل هذه المعلومات عن علاقات السوفيات بالدولة اليهودية ، رغم اهمية هذه المعلومات لاصول الصالح العربي.

والاهتمام بهذه العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية وتعقب انبائها والسعي للتحليل والاستنتاج عن قوالبها وتسيارها ومداها وطاقاتها – كل ذلك أمر جوهري بالنسبة لمستقبل الحق العربي في فلسطين . فيهود الاتحاد السوفياتي هم الجماعة اليهودية الوحيدة التي تطمع اسرائيل ان تجلبها يوماً ما الى اسرائيل لتزيد من طاقات الدولة اليهودية في العدد والعدة . فالاتحاد السوفياتي كمصدر للهجرة اليهودية لاسرائيل حقيقة مخيفة ؛ لم يلتفت اهل اليسار العربي واقطابه من اعوان الاتحاد السوفياتي وأصدقائه لينتزعوا من موسكو وعوداً قاطعة بشأن هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل. فهذه الثلاثة ملايين ونصف المليون يهودي الذين يعيشون في الاتحاد السوفياتي اذا تيسرت لهم سبل الهجرة الى اسرائيل فإن ميزان القوى العسكرية والبشرية للدولة اليهودية سيعتريه علو يضر بأصول الوضع العربي كله – عسكرياً وسياسياً .

فالذين يقولون بأنه ليس هناك اي احتمال لهجرة يهود السوفيات لاسرائيل، بسبب صداقة موسكو للقاهرة او لأهل اليسار العربي كله، أو بسبب معارضة

السوفيات الماركسيين لفكرة « القومية » العنصرية – الذين يقولون هذا القول، من الخير لهم ان يتعرفوا على بعض الحقائق الذي تنكر هذا الإدعاء .. وهذه الحقائق مستقاة من المصادر السوفياتية نفسها .

فمن الطريف والبليغ معاً ان تقرأ في احدى أمهات الالسنة العقائدية السوفياتية (١) فتوى جديدة تقول بأن ليس في استطاعة الاتحاد السوفياتي « ان يستوعب اليهود الذين يعيشون فيه وان يجعل منهم « قومية » منفصلة ذات كيان ثقافي خاص » . فمثل هذا الكيان القومي لليهود السوفيات لا يوجد إلا في اسرائيل ..

وجدير بلفت النظر أيضاً الى ان الاتحاد السوفياتي وجميع الدول الاشتراكية الأوروبية التي تعيش فيه كنفه قررت لاول مرة في تاريخ الاشتراكية الدولية الحاكمة ان تشترك في المؤتمر الصهيوني العالمي الذي انعقد في امستردام مؤخر (صيف عام ١٩٦٦) ... فكيف يقال اذن بأن الصهيونية ربيبة الاستعمار الغربي اذا كانت الدول الشيوعية تشترك في أهم منبر دولي للصهيونية العالمية .

وفي المؤتمر الاسبق للقيادة الصهيونية العالمية الذي انعقد في القدس عام ١٩٦٢ صرح رئيسه الدكتور ناحوم جولدمان بان هناك هجرة بطيئة من يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل، رغم كل هذا الضجيج المصطنع الذي يقال عن عداء الاتحاد السوفياتي للحركة الصهيونية وتأييدها للجانب العربي في المشكلة الفلسطينية .

ولم تنشر المراجع اليهودية او المراجع السوفياتية ارقاماً عن هذه الهجرة

---

(١) مجلة « مشا كل التاريخ » السوفياتية عدد ابريل ١٩٦٦ وهي لسان حال المجمع الأعلى للعلوم التاريخية في موسكو . وقد ترجمت مقال المجلة السوفياتية عن يهود الاتحاد السوفياتي مجلة « جويش ابزرفر » اليهودية البريطانية عدد ٦ / ٥ / ٦٦ .

البطيئة من يهود السوفيات لاسرائيل ، ولكن نماذج منها مسجلة هنا وهناك في بعض الصحف اليهودية .

فجريدة « كول هاعام » لسان حال الحزب الشيوعي في اسرائيل تخبرنا في عدد ٣٠ اكتوبر ١٩٦٥ بان « لرئيس جمهورية اسرائيل « شازار » شقيقاً اسمه ابراهام وصل الى اسرائيل للاستيطان الدائم ، وترافقه عائلته وعائلة ابنته « صوفيا » .

وتقول جريدة « الجروزاليم بوست » عدد ١٠ سبتمبر ١٩٦٥ بان المدعو « يهودا روبيشوف » وهو ابن اخ رئيس جمهورية اسرائيل قد هاجر من الاتحاد السوفياتي مع عائلته للاستيطان الدائم في اسرائيل . وتقول الجريدة ان هذا الرجل خبير بالشؤون الصينية وسيكون في خدمة الدولة اليهودية .

ونشرت هذه الصحيفة في ١٢ مايو ١٩٦٥ بان شقيق رئيس وزراء اسرائيل (اشكول) قد هاجر هو وعائلته من الاتحاد السوفياتي للاستيطان الدائم في اسرائيل ...

فاذا كانت الصحف عادة لا تنشر الا اخبار « الوجهاء » فان لنا نستنتج بان اعداداً اخرى من المهاجرين السوفيات اليهود ينزحون الى اسرائيل فلا تنشر اسمائهم ...

والواقع ان المراجع السوفياتية نفسها رغم هذه الدعاية المغلوطة التي يروجون لها حول موقف السوفيات من القومية اليهودية في فلسطين وفي كل مكان – هذه المراجع السوفياتية تتعمد ان تؤكد سماحة الاتحاد السوفياتي نحو القومية اليهودية في كل قوالبها وتبعياتها .

ففي ١١ سبتمبر عام ١٩٦٥ (اثر عودة الرئيس عبد الناصر مباشرة من مفاوضاته الاخيرة في موسكو) نشرت جريدة « برافدا » مقالا افتتاحياً هاماً (اعادت نشره صحف الاقاليم في السوفيات ايضاً)حول عطف السوفيات

على اسرائيل وعلى اليهود اجمالا . وهدف المقال هو التفرقة بين « انتقاد السوفيات لسياسة اسرائيل الرسمية وبين موقف السوفيات من اليهود ودولتهم »

وقالت « برافدا »: ان من الضروري جداً ان تفهم الجماهير الكادحة في كل مكان ان هناك فرقاً بين السياسة الرسمية للدولة وبين المصير الجماهيري في اطار الاخوة الاشتراكية العالمية . ونحن نحرص على اخوة الجماهير (العربية والاسرائيلية) وان عارضنا سياسة الدوائر الحاكمة في اسرائيل .. وسيأتي يوم تتبدل فيه مثل هذه السياسة ...

وفي ابان زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو في صيف عام ١٩٦٥ تخبرنا مجلة فرنسية تنطق بلسان يهود فرنسا [1] بان السلطات السوفياتية استدعت كبير الحاخاميين اليهود في السوفيات (الحاخام يهودا ليفين) « وطمأنته بان السياسة السوفياتية في الشرق الادنى لا تشكل عداوة للدولة اليهودية او المصالح اليهودية . بل ان العكس هو الاصح. وتوكيداً لذلك اعلمت السلطات السوفياتية الحاخام المذكور بانها قد اصدرت الاوامر الى اللجنة السوفياتية العليا للشؤون الدينية في موسكو بان تزيل اي قيود على النشاط اليهودي «القومي» في الاتحاد السوفياتي ... » .

وفي عدد ٢٢ اكتوبر ١٩٦٥ من مجلة « جويش كرونيكل » اللسان الرسمي ليهود بريطانيا جاء وصف لمسيرة اشترك فيها عشرة آلاف يهودي من السوفيات في موسكو وبرخصه من الدولة احتفالا باحدى الاعياد الاسرائيلية القومية . وتبع هذه المسيرة حلقة نقاش كبرى اشترك فيها اقطاب الدولة السوفياتية توكيد ازدواج الشخصية السوفياتية والاسرائيلية معاً ليهود الاتحاد السوفياتي . وانتهى النقاش الى ان لليهودية فضلاً بليغاً على السوفيات، لأن الامام الاول « كارل ماركس » وهو يهودي نفسه استجمع زبدة التراث

(١) عدد ١٨ سبتمبر ١٩٦٥ من مجلة Presse Nouvelle .

اليهودي لاستنباط الماركسية – كما تقول المجلة .

وفي مايو من عام ١٩٦٥ وضعت الكاتبة السياسية السوفياتية المعروفة « نينا اليكسيفا » بحثاً رسمياً تؤكد فيه باسم الدولة السوفياتية دين الاتحاد السوفياتي لدور اليهود في كل اوجه الحياة السوفياتية . فقالت :

« اليهود في الاتحاد السوفياتي لا يتجاوزون واحد بالمئة من مجموع السكان ولكونهم يمثلون ٦٠ بالمئة من هيئة التدريس في معاهد العلم العليا . وحوالي ٨٠ بالمائة من مسؤولية التوجيه العقائدي في حلقات الحزب الحاكم في السوفيات وفي السياسة السوفياتية الخارجية . ولليهود ايضاً نسبة اعلى من ذلك في الدوائر السوفياتية المعنية بروابط الصداقة والتنسيق العقائدي بين الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى – بما في ذلك الشرق الاوسط . »

وتقول هذه الكاتبة السوفياتية بان « نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي لكل الاتحاد السوفياتي يهودي اسمه « بنيامين ديمشيتز » وهو يحمل وسام « بطل الاتحاد السوفياتي » الذي يحمله الرئيس السابق « بن بلا » والرئيس جمال عبد الناصر .. وقد شارك هذا القطب اليهودي السوفياتي في كل مراحل المفاوضات الاقتصادية والسياسية التي قام بها الرئيس عبد الناصر مع الاتحاد السوفياتي ..

(وذكرت جريدة « لا مرحاف » التي تصدر في تل ابيب (عدد ٢٦ يوليه ١٩٦٥ والرئيس عبد الناصر يفاوض السوفيات في موسكو) بان لهذا القطب السوفياتي اليهودي (بنيامين ديمشتز) اشقاء واقرباء في اسرائيل منهم المدعو « مناحم سافيدو » مدير السكة الحديدية في اسرائيل . وان القطب السوفياتي اليهودي المذكور على اتصال مع اشقائه واقربائه في اسرائيل وبعضهم يحتل مراكزاً سياسية في دولة اسرائيل ..)

وقالت الكاتبة السوفياتية الآنفة الذكر بأن لليهود السوفيات تمثيلاً مرموقاً في علياء القيادة العسكرية السوفياتية مثل الجنرال « يعقوب كريزر » وهو

أيضاً يحمل لقب « بطل الاتحاد السوفياتي » ، وقد اشترك في المفاوضات العسكرية التي أجراها الرئيس عبد الناصر في موسكو في صيف عام ١٩٦٥ وفي المفاوضات السابقة المصرية السوفياتية في موسكو نفسها وفي القاهرة .

وذكرت جريدة « أحارونوت » اليهودية التي تصدر في تل أبيب (عدد ٦ يوليه ١٩٦٥) بأن الحكومة السوفياتية قد أعارت حكومة اسرائيل أحد أقطاب علم الذرة السوفيات، وهو يهودي اسمه الدكتور « لاندو » للتدريس في معهد وايزمان وللمشاركة في عملية الانتاج الذري الاسرائيلي ..

وفي متناول يدنا معلومات واسعة عن التبادل « الثقافي » بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل، وهو يتزايد يوماً عن يوم رغم كل هذه الادعاءات حول خصومة الاتحاد السوفياتي لاسرائيل « قاعدة الاستعمار » . ففي معاهد العلم ودوائر الجامعات الأوروبية المعنية بالتاريخ المعاصر نماذج لا حصر لها بمثل هذه الانباء السياسية والثقافية والعسكرية ، وهي متوفرة لمن شاء ان يتعمد بعض الجهد وبعض الدقة في دراسة الشؤون السياسية .وسنغض النظر عن هذه العلاقات « الثقافية » بين موسكو وتل أبيب ونقتصر على الامور السياسية والعسكرية . فمثل هذه الامور حجة في تفنيد مزاعم السوفيات واليسار العربي كله بأن موسكو تعتبر اسرائيل « قاعدة للاستعمار » فلا تتعاون معها سياسياً أو عسكرياً وعقائدياً.

فقد نشرت جريدة « كول هاعام » في عدد ١١ مارس ١٩٦٥ بأن « منظمة النساء الصهيونية العالمية » قد تبادلت الزيارة مع منظمات النساء السوفيات . وان الخطب والمناقشات التي تبودلت بين الطرفين كانت في منتهى الود ووحدة الحال. فقد أكد الطرف السوفياتي بأن للحركة الصهيونية كما طبقت في اسرائيل جذوراً اشتراكية وانسانية يقدرها الاتحاد السوفياتي (حكومة وشعباً) تقديراً كبيراً ، ويشجعها ويود المساهمة فيها كنموذج للتحويل الاشتراكي في كل منطقة الشرق الاوسط .

وتقول الجريدة المذكورة بأن وفداً من منظمات النساء السوفياتية زار

اسرائيل في ربيع العام الماضي ١٩٦٥ وكان يضم زبدة من كبيرات الفكر الاشتراكي المعنيات بالاشتراكية العربية ، وفي طليعتهم المؤرخة « جالينا نيكيبانا » المسؤولة عن أكاديمية العلوم الآسيوية الاشتراكية ومؤلفة دراسات عديدة عن الاشتراكية العربية ..

وفي عدد ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ ذكرت جريدة « كول هاعام » بأن دور النشر الحكومية السوفياتية قامت بترجمة وطبع ديوان من القصائد القومية لشاعر صهيوني مرموق هو « الكسندر بان » ووزعته على مختلف الاقاليم السوفياتية في طبعة تجاوزت المألوف في هذا النوع من الترجمات . وقد وضع المقدمة لديوان هذا الشاعر الصهيوني المتطرف احد كبار الادباء السوفيات المدعو (سامولوف) وتناولته كبرى مجلات الادب السوفياتي الرسمية بالتقريظ والاكبار « لروح البناء الاشتراكي العظيم الذي تقوم به اسرائيل وكما يعرب عنه هذا الشاعر الفحل » ..

وتخبرنا جريدة « الهامشمار » التي تصدر في تل أبيب (عدد ٦ ديسمبر ١٩٦٥) بأن السفارة السوفياتية في «رامات غان» في اسرائيل تنظم باستمرار حلقات أدبية يشارك فيها اقطاب الفكر الصهيوني مع الزائرين من أدباء السوفيات وفقهاء العقيدة الماركسية ...

ونقلت جريدة « كول هاعام » عدد ١٣ ديسمبر ١٩٦٥ نص مقال هام صدر في كبرى السنة الحكومية التشيكوسلوفاكية (مجلة مازيناروداني بوليتكا) الشهرية عن « القوات العسكرية الاسرائيلية » وهذا المقال يشرح بالتفصيل تكوينات الجيش الاسرائيلي ويطنب عليه وبشتى اعمق الثناء ، ويؤكد بان « الروابط التاريخية التي جمعت بين القوات التشيكوسلافية وبين جيش التحرير الوطني اليهودي (الهاجاناه) ايام حرب الاستقلال اليهودية ضد العدوان العربي الرجعي عام ١٩٤٨ -١٩٤٩ لم يعتريها اي فتور ، وان العلاقة والزمالة بين المعسكر الاشتراكي بزعامة السوفيات وبين اسرائيل لا يمكن ان تتأثر بسبب معونة المعسكر الاشتراكي للنظم التقدمية الاشتراكية

العربية كالجمهورية العربية المتحدة لانجاح التحويل الاشتراكي في كل العالم العربي . فمثل هذا التحويل ضروري لسلامة اسرائيل. فالذي يعارض اسرائيل من الجانب العربي هم فقط الرجعية وعملاء الاستعمار . اما النظم والحركات التقدمية مثل الجمهورية العربية فلا يمكن ان تكون طرفاً في عدوان على اسرائيل .. والا لما قام الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الاخرى مثل تشيكوسلوفاكيا في الاخذ بيد الاشتراكية العربية التقدمية في مصر ومساعدتها على النجاح ... فمقدرات اسرائيل متجانسة تجانساً كلياً مع مدى نجاح التحويل الاشتراكي التقدمي في البلاد العربية بزعامة الجمهورية العربية المتحدة ومعونة الشقيق الاكبر في الاتحاد السوفياتي ...»

وفي ٢٢ يونيه ١٩٦٤ اجرى مراسل جريدة « معاريف » التي تصدر في تل ابيب حديثاً صحفياً مع الملحق العسكري السوفياتي في باريس (اثناء زيارة رئيس وزراء اسرائيل ليفي اشكول لشراء السلاح الفرنسي لاسرائيل) وجاء في هذا الحديث التصريح التالي ، الذي لا يصدره المسؤولون السوفيات ابدا بدون موافقة المراجع العليا في موسكو :

« في استطاعة اسرائيل ان تشتري السلاح ايضاً من الاتحاد السوفياتي وليس فقط من المصادر الغربية .. القضية بالنسبة لنا هي المتاجرة بالسلاح في صفقات تجارية . فنحن نبيع للجمهورية العربية المتحدة ولغيرها من الدول التي تبحث عن السلاح .. وليس في تعاملنا التجاري بالسلاح مع مصر اي التزام بالنسبة للمشكلة الفلسطينية .. فنحن على اتم الصلات مع اسرائيل .. ولم يصدر ولن يصدر عنا اي عمل او معونة او تواطؤ مع مصر او مع غيرها للاضرار بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل .. هذه هي القاعدة الحقيقية في السياسة السوفياتية نحو الشرق الاوسط .. اننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فقط .. ولا نشاركهم ولا يمكن ان نشاركهم في العدوان على اسرائيل .. ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضاً معارضة شديدة

للعدوان العربي الرجعي في اكثر من العمل الدبلوماسي في الامم المتحدة لتأييد اسرائيل .. اعربنا عن تأييد اسرائيل بالسلاح والعتاد والرجال في اشد اوقات الازمة الفلسطينية يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودية في امس الحاجة الى هذا العون ..

فما قدمنا وما نقدمه للجمهورية العربية المتحدة اليوم من سلاح هو لاغراض دفاعية فقط ... ولا يمكن ان نسمح باستعماله للعدوان على اسرائيل .. ليس لدى موسكو اي رغبة او اي تفكير في منع السلاح السوفياتي عن اسرائيل اذا احتاجت اليه .. ولكن اسرائيل الآن ليست بحاجة الى سلاح السوفيات . فهي تحصل على حاجتها وما يفوق عن حاجتها من السلاح من مصادر صالحة للحاجة الاسرائيلية .. وليس لدينا ادنى معارضة على هذا المسعى الاسرائيلي. اننا نريد سلامة اسرائيل .. بل نعمل لسلامتها ... فلا تنزعجوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية . هـذه السياسة متممة بل ضرورية لسلامة اسرائيل .. »

وانهى المتحدث السوفياتي قوله مخاطباً مندوب الجريدة اليهودية :

« هل تظن اننا جاهلون اهمية اسرائيل بالنسبة لنا .. هل تظننا لا نعلم علم اليقين ما هو نوع الحكم الاشتراكي السليم الذي تبنونه في اسرائيل بايديكم .. وهل تظن اننا مهملون لاهمية الوجود الاسرائيلي في المنطقة الهامة في الشرق الاوسط .. وهل تفكر اننا مجانين حتى نهدم اسرائيل او نسمح لأي طرف آخر بان يمسها باي اذى ... اطمئنوا ... اطمئنوا ان الاتحاد السوفياتي مع اسرائيل وسيؤيدها اليوم وغداً كما ايدها ورعاها بالامس ... ان وجود اسرائيل قوية عزيزة حيث هي الآن امر ضروري جداً لسياسة السوفيات في كل المنطقة العربية ... فمصالحنا ومصالحكم في اسرائيل متجانسة .. فنحن نرعى الاشتراكية العربية لان في ذلك تعزيزاً لمصلحة اسرائيل ايضاً ... »

وفي عدد ٤ فبراير ١٩٦٥ نشرت جريدة « هآرتس » كبرى صحف اليهودية

في الوطن المحتل تفاصيل محاضرة القاها المستشار الاكبر للسفارة السوفياتية في اسرائيل على جمع من الطلبة والاساتذة في الجامعة العبرية ، واقتبست الجريدة على لسان المستشار السوفياتي ما يلي :

« لم نقدم لمصر من الاسلحة إلا ما يكفي لحاجات الدفاع لا الهجوم .. وعلى الشعب في اسرائيل ان يتذكر بان الاتحاد السوفياتي كان اول من دعا الى حظر توريد السلاح على دول الشرق العربي عام ١٩٥٧ ونحن مستعدين لحظر السلاح عن المنطقة العربية ، ولكن حركات التحرير الوطني اليسارية في العالم العربي تحتاج الى السلاح لكي تكافح الرجعية العربية وتقضي عليها وعلى من يساعدها من الاستعمار .

فالقضاء على الرجعية العربية سيزيل عن اسرائيل خطر العدوان العربي .. النظم التقدمية اليسارية مثل الجمهورية العربية المتحدة لا تريد العدوان على اسرائيل ... نحن نعلم ذلك تمام العلم .. فالتجربة الاشتراكية وعملية التحويل الاشتراكي في مصر وفي بقية الاقطار العربية ستفرض على جارات اسرائيل الانهاك المتواصل وتوفير المال اللازم للتحويل الاشتراكي .. وشعار الاشتراكيين العرب والاشتراكيين في كل مكان هو « السلام » والتعايش السلمي .. وهذا ليس مجرد شعار بل هو مبدأ اساسي في الاشتراكية العلمية .. فالجمهورية العربية المتحدة لا يمكن ان تقوم بعدوان على اسرائيل .. ولا يمكن ان تستعمل السلاح والعتاد السوفياتي لمثل هذه العدوان .. نحن في الاتحاد السوفياتي ادرى من غيرنا بطاقات الاشتراكية المصرية ونوايا الاشتراكية المصرية ... وليس في ذلك اي ضرر على اسرائيل او خوف عليها .. »

وفي عدد ١٠ يونيه ١٩٦٥ قالت جريدة « كول هاعام » الوثيقة الصلة بالاتحاد السوفياتي لأن هذه الجريدة لسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي الموالي منذ البدء لموسكو — قالت :

« قد لا يعلم الكثيرون بان الاتحاد السوفياتي لا يدع اي فرصة تمر دون

ان يؤكد على اصدقائه من النظم والحركات الاشتراكية العربية بان التعايش السلمي بين العرب واسرائيل جزء جوهري من السياسة السوفياتية ، وان تزويد موسكو للاشتراكيين العرب بالسلاح مقيد تقيداً كاملا بهذا الاعتبار السياسي الهام بالنسبة لسلامة اسرائيل .

وآخر نماذج هذا التوكيد السوفياتي ما حمله نائب رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي الرفيق « نوفيكوف » في زيارة للقاهرة مؤخراً حيث تناول الحديث هذه المسألة بالذات . ووجد الرفيق « نوفيكوف » بانه لم يطرأ على السياسة المصرية اي تبديل فيه خطر على اسرائيل .. بل على العكس .. فان الرفيق نوفيكوف وجد لدى القاهرة استعداداً اكثر من ذي قبل لتمييع القضية الفلسطينية في سلسلة من الاجراءات العربية مثل مؤتمر القمة ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تعرقل ولا تجعل اي صراع مسلح بين العرب واسرائيل .. »

وقد ظهرت هذه التفاصيل ايضاً عن مباحثات الرفيق «نوفيكوف» مع الاشتراكيين العرب في احد كبريات الصحف الايطالية غير اليسارية جريدة « الجيورنو » عدد ٨ يونيه ١٩٦٥ من مراسلها في موسكو ...

حتى جريدة « حيروت » اعنف صحف اليهود في اسرائيل عداءاً نحو العرب لانها لسان حال الارهابيين القدامى الذين في اعناقهم دماء الابرياء في « دير ياسين » ، تشارك صحف اليسار اليهودي في الاطمئنان نحو النوايا السوفياتية بشأن اسرائيل . قالت « حيروت » في عدد ٥ فبراير ١٩٦٥ .

« اننا نرحب ترحيباً كلياً بكل هذه القرارات والنواصي التي تتزعمها الجمهورية العربية المتحدة فى الدعوة الى التعايش السلمي والى فض المنازعات بالطرق السلمية ، فهذه القرارات ترددها دوماً السياسة السوفياتيه كلما سنحت الفرصة لافهام العرب بان هدم اسرائيل ليس من سياسة الاتحاد السوفياتي ولا يمكن ان يكون .

«وجميل جداً ان تقتبس الاشتراكية العربية التقدمية في مصر هذه المبادىء

الداعية الى السلام وفض النزعات بالطرق السلمية . ورغم اننا (في حزب حيروت) خصوم للاشتراكية العربية الا اننا نرحب بتصريحاتها . والفضل في هذا النضوج السياسي عند القادة العرب يرجع الى تتلمذهم على السياسة السوفياتية وعلى الماركسية العلمية التي لا تعرف الرجعية العربية الدينية ان تستفيد منها كما تستفيد منها العناصر التقدمية العربية في مصر او في سوريا او في الجزائر .

«ليس من المهم ان نتزعج لتصريحات العداء الموجهة ضد اسرائيل من بعض الزعماء العرب الاشتراكيين . فمثل هذه التصريحات هي للاستهلاك المحلي .. وليس منها اي ضرر ، طالما ان مصدر السلاح واكثر المال للنظم والحركات الاشتراكية العربية رهينة برضى الاتحاد السوفياتي او عدم رضاه ... وطالما ان موسكو حريصة على ضمان سلامة اسرائيل ، وان السلاح السوفياتي التي اشترته مصر وغيرها من الدول العربية مقيد في الذخيرة وقطع العيار والامور الفنية الاخرى بمشيئة الاتحاد السوفياتي ، فلا خوف على اسرائيل من اي عدوان عربي طالما ان الاتجاه في المنطقة العربية يسير نحو الماركسية وفي رعاية الاتحاد السوفياتي ..

« اننا نرحب ونميل الى تصديق هذه التصريحات المطمئنة التي جاءت على لسان المسؤولين السوفيات في احاديثهم الخاصة مع حكومة اسرائيل ومبعوثيها ، وفي الاحاديث والتصريحات والبحوث والتقارير التي تظهر في حذر شديد بين آن وآخر في ألسنة الرأي السوفياتي الرسمية ..

« وكل ما بيننا وبين الاتحاد السوفياتي من خلاف هو حاجة اسرائيل الى مزيد من هجرة يهود الاتحاد السوفياتي .. ولكن هذه المسألة لن تكون حجر عثرة في سبيل الود والتعاون السوفياتي – الاسرائيلي . فالاتحاد السوفياتي الذي بذل كل الجهد في تدعيم اسرائيل في أعنف أيام العدوان العربي سيبذل جهداً مماثلا في صيانة اسرائيل امام أي عدوان عربي جديد . ومركز السوفيات اليوم في المنطقة العربية مركز ممتاز . وأقوى الدول العربية كمصر مثلا

أصبحت بمثابة رهينة في يد موسكو لا تستطيع ان تتصرف كثيراً (وخصوصاً في مسألة الحرب والاقتصاد) إلا بمشيئة موسكو . وفي هذا ضمان لأسرائيل. ولم يصدر بالأمس أو باليوم عن موسكو أي تصريح أو تلميح أو اشارة فيها خطر على اسرائيل . ولذلك فاننا واثقون بأن حسن النية السوفياتية نحو اسرائيل ستظل كما كانت عليه .. وتستطيع موسكو ان تفرض على المنطقة العربية ما يشاؤه الاتحاد السوفياتي من سياسات .. فلموسكو أعوان وتلامذة وقواعد هامة في قلب المنطقة العربية . وفي هذا اكبر ضمان لأسرائيل ..»

ولو ان لحكومة الاتحاد السوفياتي اي فكرة في معاداة الدولة اليهودية أو معونة النظم الاشتراكية العربية على تصفية الوجود الصهيوني في الوطن المحتل حتى لو أصبح الوطن العربي كله يعيش على أدق النظام والعقيدة الشيوعية لما كانت موسكو تبذل هذا الجهد المتواصل لتعزيز صلاتها باسرائيل (حتى في هذه الساعة الراهنة التي بلغت فيها العلاقات السوفياتية مع العرب اوج النفوذ) وتعزيز العلاقات السوفياتية الاسرائيلية يسير سيراً مطرداً كلما ازداد النفوذ السوفياتي السياسي والاقتصادي والعقائدي في الساحة العربية .

ففي مجال العلاقات الاقتصادية بين السوفيات واسرائيل نجد في الصحف اليهودية والصحف السوفياتية نماذج وادلة متواصلة من المفيد ان نسجلها هنا من باب الحرص على الاستيعاب في موضوع اهمله الرأي العربي اهمالاً شنيعاً .

ففي صيف عام ١٩٦٤ ذكرت جريدة « دافار » عدد ٤ يوليه بأن الاتحاد السوفياتي قد عقد معاهدة تجارية مع اسرائيل لاستيراد السوفيات بعض الكيماويات من منتجات البحر الميت ، والشحنة الاولى مقدارها حوالي مليون دولار امريكي دفعه السوفيات نقداً بالعملة الصعبة . وتقول جريدة « دفار » ان هذه الاتفاقية لم تنشر على الملأ لان حكومة السوفيات وحكومة اسرائيل معاً حريصتان على ان لا يعلم العرب بها .

وفي عدد ٢ اكتوبر ١٩٦٤ نشرة جريدة « لامرحاف » اليهودية اليسارية

نبأ عقد معاهدة تجارية اخرى وقعها السفير السوفياتي في تل ابيب (الرفيق ميخائيل بودرف) مع جولدا ماير وزير خارجية اسرائيل. وتشمل هذه المعاهدة امرين : اولهما تسليم الاتحاد السوفياتي كل ممتلكات الكنيسة الارثوذكسية الروسية في القدس والناصرة وحيفا واماكن فلسطينية اخرى لحكومة اسرائيل . وتقدر كل هذه الممتلكات بحوالي ٤ ١/٢ مليون دولار، وهو مبلغ تافه بالقياس الى اهمية هذه الممتلكات التاريخية وبعضها يقع في اهم مناطق القدس مما لو بيعت تجارياً لجلبت اضعاف ذلك المبلغ – كما تقول هذه الجريدة اليهودية .

وسوف لن تدفع اسرائيل هذا المبلغ نقداً وانما في شكل صادرات يهودية للاتحاد السوفياتي ..

والقى السفير السوفياتي بهذه المناسبة خطاباً رسمياً قال فيه : ان هذه الاتفاقية تعد بمثابة اعتراف راسخ من جانب الحكومة السوفياتية بان اسرائيل كيان سياسي مستقل كل الاستقلال، وله كل الحق في وراثة اي ممتلكات او نفوذ تقليدي لأي طرف اجنبي كان له في الماضي بعض المزايا فيما يعرف بالاراضي المقدسة ...

ونشرت جريدة « جروزاليم بوست » في نفس الوقت تعليقاً أدلت به « جولدا ماير » بشأن هذه الاتفاقية فقالت :

« الواقع اننا عقدنا ثلاث اتفاقيات مع الاتحاد السوفياتي خلال بضعة الأيام الماضية . وأنا لا أحب ان ادخل في التفاصيل حرصاً على رغبة الاتحاد السوفياتي في أن لا نذيع التفاصيل ... ولكني أحب أن أؤكد للشعب الاسرائيلي بأن اسرائيل في أمن وسلام على الأقل من جانب السياسة السوفياتية في المنطقة العربية .. »

وقالت جريدة « دافار » تعليقاً على هذه الاتفاقيات الجديدة بين موسكو

وتل ابيب (عدد ٦ اكتوبر ١٩٦٤) ما يلي :

« ان استعداد الاتحاد السوفياتي لقبول المدفوعات الاسرائيلية في شكل بضائع ومنتجات اسرائيلية هو في حد ذاته دلالة عمدية على عودة السوفيات الى سابق الجهر بمودتهم لأسرائيل– هذه المودة التي بلغت ذروتها يوم احتضنت موسكو القضية الصهيونية في الأمم المتحدة اكثر من حضانة الأمريكان وفي ساعات الحرج الصهيوني يوم ارتدت الولايات المتحدة عن فكرة التقسيم وقالت بايقاف تنفيذه في مشروع الوصاية ومشروع برنادوت ، بينما ظل الاتحاد السوفياتي يناضل حثيثاً من أجل صيانة مكاسب حرب التحرير الوطني اليهودية ضد العدوان العربي .

« .. ولئن اعترى العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية لون من الصمت بعد حرب سيناء عام ١٩٥٦ ، واتجاه الروس الى تثبيت نفوذهم في المنطقة العربية وفي قلبها بالذات في مصر – فان عودة السوفيات الى التعاون المستمر مع اسرائيل اليوم لدليل على ان موسكو قد وضعت أركان النفوذ في المنطقة العربية بحيث أصبحت لا تخشى كثيراً عودة السياسة السوفياتية الى العمل العلني مع حكومة اسرائيل .

« .. ولقد أحسنت موسكو في أنها قد استبدلت سفيرها في اسرائيل بسفير جديد بلغ النشاط عنده حداً جميلا لتعزيز العلاقات السوفياتية – الاسرائيلية ، هـذا السفير هو الرفيق (ميخائيل بودرف « صاحب الفضل في الاتفاقية الجديدة » .

وقالت جريدة « الهامشهار » لسان حزب الماباي الاشتراكي ، اكبر واهم الاحزاب السياسية في اسرائيل (عدد ٧ اكتوبر ١٩٦٤) ما يلي :

« هذه الاتفاقيات الجديدة مع الاتحاد السوفياتي تتجاوز المألوف في العلاقات التجارية . ولها معانٍ بليغة . وهي دليل عملي على ان تفسير العرب وخصوصاً

الاشتراكيين منهم لسياسة الاتحاد السوفياتي نحو اسرائيل هي تفسيرات خاطئة ، فالاتحاد السوفياتي بفضل ماله من نفوذ واتباع في البلاد العربية اصبح اليوم اقدر من اي دولة اخرى على فرض القيود على العربدة العربية – وخصوصاً عربدة النظم الاشتراكية العربية ..

فهذه النظم وهي تعيش على السلام السوفياتي والذخيرة والمعونات والقروض السوفياتية وعلى العقيدة السوفياتية ايضاً فانها (اي النظم الاشتراكية العربية) عاجزة عن حرية التصرف في اي عـدوان عسكري على اسرائيل . ونحن نميل الى تصديق القول السوفياتي الرسمي عندما يؤكد لحكومة اسرائيل بانه ليس في علاقات الاتحاد السوفياتي مع مصر او مع الدول العربية الاخرى في مسألة بيع السلاح والقروض المالية والتعاون العقائدي ما يؤذي اسرائيل في المرحلة النهائية . بل ان المرحلة النهائية سيكون فيها كل الخير والامن والسلامة لاسرائيل ... »

وقالت جريدة « أومير » لسان حال نقابات العمال الاسرائيلية (الهستدروت) في عدد ٨ اكتوبر ١٩٦٤ ما يلي :

« سواء أطلع العرب ام لم يطلعوا على هذا التعاون الوثيق بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل ، فان الحقيقة التي تؤكدها هذه الاتفاقيات الجديدة هي ان حكومة السوفيات ترفض رفضاً كلياً ان تنساق مع الموقف العربي في المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل .. ومن الطريف ان الجانب العربي وخصوصاً صوت مصر الاذاعي والاعلامي الواسع لم ينشر أو يعلق بكلمة واحدة على هذا العداء السوفياتي العربي للمقاطعة العربية لاسرائيل .. »

ويبدو ان هذه الاتفاقيات التي امتنعت « جولدا مـاير » عن الدخول في تفاصيلها تجانساً مع الرغبة السوفياتية تشمل أموراً خطيرة كقضية الملاحة بين البلدين وما فيها من خرق سافر لسياسة المقاطعة العربية لكل سفينة أجنبية تتعامل مع اسرائيل .

فقد نشرت جريدة « يديعوت احرنوت » التي تصدر في تل أبيب في عددي ٢٣ و ٢٨ اكتوبر توكيدات صريحة بأن هناك اتفاقاً جديداً بين موسكو وتل أبيب بشأن الملاحة التجارية وغير التجارية بين البلدين . وبموجب هذه الاتفاقية فان في استطاعة السفن الروسية ان تستعمل موانىء اسرائيل للوقود وللنقل التجاري للبضائع من والى اسرائيل عبر قنال السويس . وبذلك تكسب اسرائيل منفذاً مضموناً لتجارتها مع البلدان الافريقية التي تصل اليها السفن السوفياتية عبر قنال السويس . وهذه السفن لا تخضع عادة الى تفتيش السلطات المصرية كما تخضع له سفن الدول الاخرى التي قد تتعامل مع اسرائيل، فللاتحاد السوفياتي مركز ممتاز في مصر الاشتراكية . وهذا المركز يمنع السلطات المصرية من مساس السفن السوفياتية حتى لو علمت مصر بأن هذه السفن تنقل بضائع اسرائيل ..

وقالت هذه الصحيفة بأن هذا الترتيب الجديد بين موسكو وتل أبيب ما هو الا تجديد لاتفاقيات سابقة تعطلت مؤقتاً (ومؤقتاً فقط) إثر مسرحية « الخصومة » الشكلية التي بدت من الاتحاد السوفياتي نحو اسرائيل يوم اشتركت اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في محاربة مصر . فالاتفاقية القديمة التي وقعت بين السوفيات واسرائيل عام ١٩٥٦ كانت تنص ايضاً على قيام السفن السوفياتية باستعمال الموانىء الاسرائيلية لاغراض تجارية وأغراض الاسطول البحري السوفياتي أيضاً ، فضلا عن قيام السفن السوفياتية التجارية بنقل البضائع الاسرائيلية للأسواق العالمية . ولدينا ما يدعو الى الاعتقاد الراسخ بأن المعاهدة الجديدة التي وقعت خلال هذا الشهر (اكتوبر ١٩٦٤) تشمل كل الشروط والنصوص التي كانت في اتفاقية عام ١٩٥٦ . فالسوفيات على ما يبدو لا يعتمدون على بقاء النظم الاشتراكية العربية في الحكم ولذلك فان موسكو تعتبر اسرائيل أكثر صمودا وأثبت للتعاون الجدي ..»

وذكرت مجلة « جويش كرونيكل » عدد ١١ سبتمبر ١٩٦٤ النبأ التالي :

« وصلت الى لينينغراد » هذا الاسبوع اول باخرة يهودية يستعملها الاتحاد السوفياتي لنقل الفحم البريطاني الى الاتحاد السوفياتي ، وذلك تنفيذاً لاتفاقيات سوفياتية ـ اسرائيلية سارية المفعول منذ وقت قديم، رغم ما يقال عن عداوة السوفيات للسياسة الاسرائيلية . وقد فرغت كل من موسكو وتل ابيب من صياغة نص جديد لاتفاقية الملاحة التجارية وغير التجارية بين البلدين يتعاون فيه الطرفان في النقل البحري على اسس تستفيد منها اسرائيل افادة جمة ...

واسم الباخرة التي نقلت البضائع الى لينينغراد هي « عمال » وحمولتها ٤ آلاف طن وهي تابعة للشركة « عتيد » الاسرائيلية الحكومية . وتقوم السفن الاسرائيلية بالتعاقد الطويل الامد لخدمة التجارة السوفياتية كما تقوم السفن السوفياتية في نفس الوقت لخدمة التجارة الاسرائيلية .. وقد احتفلت نقابات عمال السفن السوفياتية احتفالاً جميلا بهذه الباخرة الاسرائيلية وشاركهم في ذلك بعض اقطاب الحكومة السوفياتية ... وكانت البواخر الاسرائيلية في السنوات الماضية تدخل وتخرج من الموانىء السوفياتية في أقل الضجيج والاعلان خشية ان يعلم بها المراقبون العرب . ولكن يبدو ان الاتحاد السوفياتي قد اطمئن الى ان نفوذه في المنطقة العربية قد توطد وخصوصاً في مصر زعيمة الشرق العربي بحيث أصبحت موسكو لا تجد أي حرج أو حذر من التعامل والحفاوة العلنية بالتعاون مع اسرائيل ..»

وفي عدد ١٥ سبتمبر ١٩٦٤ ذكرت جريدة « كول هاعام » نبأ وصول شحنة من الفرو السوفياتي لتصنيعه في اسرائيل ثم اعادة بيعه لحساب السوفيات في الاسواق الأوروبية والامريكية .

وفي عدد ١٠ نوفمبر ١٩٦٤ ذكرت جريدة « لامرحاف » بأنه أصبح من الضروري الآن ان نشير الى تزايد التبادل التجاري بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية للدلالة على ان ازدياد النفوذ

السوفياتي ورواج الماركسية في البلاد العربية يفيد اسرائيل اكثر من أي لون آخر من السياسات ..

فقد علم مندوب الجريدة (لامرحاف) ان ابراهام جولدبرغ مدير شركة « الكيماويات والفوسفات » في منطقة البحر الميت قد عاد من موسكو وأوروبا الشرقية وفي يده عقود جديدة سخية سيزداد بموجبها شراء الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية من الفوسفات والكيماويات الاسرائيلية .. وقالت المصادر الحكومية بأنها لا تريد ان تنشر التفاصيل عن هذه الصفقات حرصاً على رغبة السوفيات والدول الاشتراكية الاخرى في عدم نشر التفاصيل لأسباب سياسية تتعلق بمركز السوفيات ودور المعسكر الاشتراكي في المنطقة العربية .. ولكن نستطيع ان نؤكد بأن هذا التعامل بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي أنفع لنا الف مرة من كل ألوان التعامل التجاري أو العسكري أو السياسي الذي يجري بين الدول العربية وبين الاتحاد السوفياتي ..

وفي عدد ١٠ فبراير ١٩٦٤ ذكرت جريدة « كول هاعام » تفاصيل مباحثات السفير السوفياتي في تل أبيب مع « جمعية الصناعيين » في اسرائيل ليستطيع السفير السوفياتي ان يتيقن من دقة مواعيد التسليم والشحن والتفاصيل الأخرى لشحنات كبيرة من البضائع الاسرائيلية كان الاتحاد السوفياتي قد تعاقد مع اسرائيل على شرائها في اتفاقية تمتد عدة سنوات ... ورغم حرص المصادر الاسرائيلية والمصادر السوفياتية نفسها على عدم نشر التفاصيل إلا أن متحدثاً دقيق الاطلاع والمعرفة في « جمعية الصناعيين » الاسرائيليين قد أكد لنا بأن هذا التبادل التجاري والصناعي بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي ستكون له نتائج بليغة في صالح اسرائيل ..

وفي قضية السياحة تحظى أسرائيل من أموال الاتحاد السوفياتي ما لم تحظ به زعيمة الاشتراكية العربية في مصر ، حيث المناخ والمعالم الاثرية والتسهيلات السياحية أعظم الف مرة مما يوجد عند اليهود في الوطن المحتل .

ففي أول يوليه ١٩٦٤ ذكرت جريدة « لامرحاف » اليسارية التي تصدر في تل ابيب بان دفعة جديدة من السياح السوفيات قد وصلت ميناء حيفا وعلى ظهرها ١٢٠٠ شخصاً . وهذه اول دفعة سياحية سيعقبها دفعات اخرى تزداد شهراً بعد شهر . فاسرائيل هي من البلدان القلائل التي يأمن الاتحاد السوفياتي على مواطنيه زيارتها والتجول فيها، لأن التجربة الاشتراكية في اسرائيل امر يستفيد السائح السوفياتي في الاطلاع عليه ، وخصوصاً في المزارع الجماعية « كيديويم » وفي منظمات الشباب ونقابات العمال اليهودية « هستدروت » .

وصرح المندوب السوفياتي الحكومي الذي يرافق هذا الفوج من السياح السوفيات بان البرنامج السوفياتي السياحي لمواطنيه يعتبر اسرائيل في رأس البلدان التي يجب الاطلاع عليها . وأن التجربة الاشتراكية الاسرائيلية ليست امثولة للبلدان العربية فحسب بل ايضاً لدول اشتراكية اخرى احدث عهداً بالتطبيق الاشتراكي من اسرائيل، حيث التطبيق الاشتراكي عريق ودقيق . وقال هذا المتحدث السوفياتي بان اللغة الروسية واسعة الانتشار والتداول في اسرائيل مما يسهل على الزوار السوفيات التخاطب مع الشعب الاسرائيلي، وكانت اوائل الهجرة اليهودية الى فلسطين غالبيتها من العناصر السلافية السوفياتية . وهذا امر نعتز به ونحرص على تعزيزه في كل النواحي . وقال هذا المتحدث ايضاً بان عدد الزوار اليهود من اسرائيل للاتحاد السوفياتي يفوق عدد الزوار العرب عدة اضعاف ... فالعلاقات بين السوفيات واسرائيل اقوى واوسع بكثير مما يحسبه الجهلاء وخصوم الأمتين ...

وفي الصحف اليهودية انباء لا حصر لها عن افواج السواح السوفيات وعن زيارات الهيئات والمنظمات والافراد اليهود للاتحاد السوفياتي والحفاوة البالغة التي يقابلون بها هناك .

فجريدة « كول هاعام » تذكر قراءها في عدد ١٨ أغسطس ١٩٦٥ قبيل زيارة الرئيس عبد الناصر الأخيرة لموسكو ببضعة أيام بما يلي :

« حين يأتي رئيس الجمهورية العربية المتحدة الى موسكو لتوطيد الصداقة والتعاون السوفياتي – العربي سيجد في الاتحاد السوفياتي أفواجاً من الجماعات الاسرائيلية سبقته الى هناك . فاذا احتفت الحكومة السوفياتية بالوفدالمصري رسمياً فإن مختلف الأوساط الحكومية والشعبية في الاتحاد السوفياتي منهمكة انهاكاً متواصلا بالاحتفال والتقارب مع أفواج عديدةمن الجماعات والشخصيات الاسرائيلية وفي مجالات أهم وأدق من هذه الصفة الرسمية التي سيلقاهـا الوفد المصري المفاوض ..

«ففي كل من اسرائيل والاتحاد السوفياتي بضعة عشر مكتباًوهيئة ومنظمة رسمية وشبه رسمية متفرغة كلياً لتعزيز الصلات السوفياتية – الاسرائيلية في جهد متواصل ومنظم لا يعكره ولا يؤثر فيه نشاط السوفيـات في الوسط العربي . واسرائيل حكومة وشعباً تعلم أتم العلم بأن ازدياد النفوذ السوفياتي في الوسط العربي وزيادة اعتماد العرب على الاتحاد السوفياتي عسكرياً ودبلوماسياً واقتصاديـاً هو في المرحلة النهائية وفي المرحلة الراهنة أيضاً يعزز سلامة اسرائيل تعزيزاً أكيداً متواصلا ..

وذكرت جريدة « دافـار » ان المجلس التنفيذي لاتحاد نقابات العمل اليهودي (الهستدروت) قد قرر التوسع في مراكز السياحة والراحـة التي انشأها الهستدروت في الاتحاد السوفياتي لتسهيل اقـامة العمال اليهود هناك وتمضية فرصهم السنوية للاطلاع والاستفادة وزيادة الود والصداقة مع نقابات العمال السوفياتية ومع الشعب السوفياتي اجمالا ..

وقالت « دافار » ايضاً ان نفقات هذا المركز العمالية الاسرائيليـة في الاتحاد السوفياتي تتحمل موسكو معظم تكاليفها . وتقضي افـواج العمال اليهود اسبوعين من كل عام في الاتحاد السوفياتي ضيوفاً على الاتحاد السوفياتي في كرم وحفاوة لا تحظى بها وفود العمال الاشتراكية الاخرى الـتي لا تلقى من الاتحاد السوفياتي سوى هذه الصورة الرسمية المألوفة التي يقصد منها الدعاية.

اما بالنسبة الى افواج العمال الاسرائيليين فالعلاقات والحفـاوات والصلات طبيعية صادقة لا يدخلها البرود الرسمي ولا قوالب الدعاية والغش والاعلان... فذلك النوع من الحفاوة السوفياتية الرسمي تخصص فقط لاستهلاك وفود العمال العرب الذين تستعملهم موسكو للدعاية لا اكثر ولا اقل.. فالعمال الاسرائيليون ليسوا بحاجة الى النفاق .. فهم يعلمون اتم العلم بان الاتحاد السوفيـاتي يكن لهم ولاسرائيل اعمق الود والاحترام . فالتجربـة الاشتراكية في اسرائيل أقدم من أي تجربة اخرى . حتى النموذج السوفياتي لهذه التجربة الاسرائيلية الاشتراكية يستطيـع ان يستفيد من الخبرة الاسرائيلية . ولذا فان حكومة السوفيات تحرص على ان يزور مواطنوها اسرائيل قبل اي بلدخارجي آخر، كما تحرص على ان تطلق لوفود العمال الاسرائيليين كل حريات التجول والاتصال مع المواطنين السوفيات. .لأن الاتحاد السوفياتي يعتبر اسرائيل دعامة اشتراكية عتيدة ليس فقط في الشرق الاوسط وانما في الوسط الاشتراكي العالمي كله ، رغم كل هذا الهراء الذي يقول بان اسرائيل « قاعدة للاستعمار » . فالاتحاد السوفياتي يدرك كل الادراك ان هذا القول هراء .. وان اضطرت السياسة السوفياتية أن تردده للاستهلاك عند العرب بين آن وآخر ... »

وذكرت احدى النشرات اليهودية التي يصدرها الصهيونيون في باريس (مجلة «نوفيل برسي» عدد ٣١اغسطس١٩٦٥) بان مديرقسم السياسة في اسرائيل « بليتور » وقع اتفاقية رسمية مع الحكومة السوفياتية للتوسع في التبـادل السياحي بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي ، وان موسكو سمحت لأول مرة بأن تشمل زيارة الاسرائيليين للاتحـاد السوفياتي اكثر من ٥٠ بلدة سوفياتية اكثرها محظور رسمياً على الاجانب زيارته .. وهـذه المعاملة الاستثنائية التي يحظى بها الاسرائيليون في الاتحاد السوفياتي من أدلة الثقة الكبيرة التي تكنهـا حكومة موسكو نحو اسرائيل والاسرائيليون .. »

ولو تركنا أمور السياحة والعلاقات العمالية الوطيدة بين اسرائيل والاتحاد

السوفياتي والتفتنا الى المنافع الاقتصادية التي يحصل عليها يهود اسرائيل من الاتحاد السوفياتي لوجدنا نماذج لا يمكن ان تتحقق بغير معاملة الحظوة الاستثنائية من جانب الاتحاد السوفياتي للجانب اليهودي .

فجريدة « لامرحاف » في عدد ١١ اغسطس ١٩٦٥ تعلمنا بما يلي :

« منحت الحكومة السوفياتية شركة « مسوليل بونيه » الاسرائيلية عقداً سخياً لتقوم هذه الشركة بموجبه ببناء دار ضخمة للسفارة السوفياتية في « لاجوس » عاصمة نيجيريا، وتبلغ تكاليف البناء ما يزيد على ٨٠٠ ألف دولار سيدفعها السوفيات بالعملة الصعبة .. »

وذكر راديو اسرائيل في اذاعته الانجليزية يوم ١٠ اكتوبر ١٩٦٥ بأن الحكومة السوفياتية قد عقدت اتفاقية تجارية خاصة باستيراد المنسوجات الاسرائيلية والأدوية الطبية المصنوعة في اسرائيل بمبلغ يزيد على مليون ونصف المليون دولار . وسيكون الدفع بالعملة الصعبة ايضاً .. »

وفي ١٥ اكتوبر ١٩٦٥ ذكرت مجلة « جويش كرونيكل » بأن المكتب التجاري في سفارة السوفيات في تل أبيب قد بدأ المفاوضات مع السلطات الاسرائيلية لشراء منتجات اسرائيلية صناعية تبلغ اثمانها مليون و ٧١ الف دولار ...

هذا التصاعد المستمر في العلاقات التجارية والسياحية والعمالية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل يصاحبه اتساع كبير ايضاً في التبادل الثقافي وفي زيارات الفنانين ورجال العلم السوفيات (بما فيهم علماء الذرة) للمعاهد الاسرائيلية . وسنكتفي بهذا القدر من المعلومات المستقاة من المصادر اليهودية والسوفياتية نفسها لاعلى سبيل الحصر، وانما من باب الاشارة والتدليل . فالعلاقات والصلات بعد ان اطمأنت موسكو الى قبضتها المحكمة على الاقتصاد وعلى السلاح وعلى القروض المالية في الوسط العربي — وفي القطاعات الاشتراكية العربية على وجه التحديد .

ولكن نعطي صورة كاملة عن هذا التزايد في صلات السوفيات بالدولة الصهيونية في الآونة الراهنة وليس فقط في الفترات السابقة لمولد اسرائيل كدولة ذات نفوذ في الساحة العربية — فاننا نقتطف من المصادر السوفياتية المعلومات التالية في الحقل الثقافي اسوة بما اقتطفناه من معلومات عن العلاقات التجارية والعلاقات السياحية والعلاقات العلمية .

فمراسل جريدة «نيويورك تايمس» في موسكو يخبرنا في عدد ١١ يونيه ١٩٦٥ بان نفوذ الشخصيات اليهودية السوفياتية اخذ في الآونة الاخيرة يتصاعد الى اعلى قمم ذروات المسؤولية الحكومية والحزبية في السوفيات فوق ما كان عليه ذلك النفوذ اليهودي منذ ايام « لينين » وايام ستالين وخروتشوف .

ويقول المراسل ان من بين ١٠٣ مرشحين سوفيات لعضوية اكاديمية العلوم ٦٠ بالمائة اسماء يهودية . وان من مجموع ٤٣٨ مرشحاً للهيئات التنفيذية في اجهزة التلقين الدعاوي في داخل الاتحاد السوفياتي وفي المعسكر الاشتراكي الدولي وخصوصاً في الدول الاشتراكية الاسيوية والعربية والافريقية تبلغ نسبة اليهود حوالي ٧٠ بالمائة ...

وفي عدد ٢٠ نوفمبر ١٩٦٤ قال مراسل جريدة « كول هاعام » في موسكو بان عدد المرشحين اليهود السوفيات لجوائز «لينين» في الادب والفن والسياسة والعلوم يبلغ ٨٠ شخصاً، وهو اعلى رقم في تاريخ المرشحين لهذه الجوائز الهامة في النظام السوفياتي ..

وقالت جريدة « لا مرحاف » في عدد ٦ يوليه ١٩٦٥ بان ٧٦٤٧ يهودياً سوفياتياً جرى تعيينهم حديثاً وفي دفعة واحدة لمراكز المسؤوليات في الحكم السوفياتي. وتقول هذه الجريدة اليهودية انها تنقل هذه المعلومات عن كتاب عن «اليهود في الاتحاد السوفياتي» نشرته الحكومة السوفياتية في العام الماضي ١٩٦٥ وقد طبع هذا الكتاب السوفياتي باللغات العبرية والانكليزية والفرنسية والروسية .

ويقول مراسل « نيويورك تايمس » في موسكو عدد ٧ نوفمبر ١٩٦٥ بان البروفسور « ليبرمان » صاحب النظرية الاقتصادية الماركسية الجديدة حول اللامركزية في الصناعة والتجارة الداخلية السوفياتية هو يهودي سوفياتي . ومن غير المألوف في اجهزة الدعاية السوفياتية ان تذكر مذهب الاقطاب السوفيات عند الحديث عنهم وعن اجتهادهم . ولكن الحكومة السوفياتية تريد ان تؤكد بانها اليوم كما كانت بالامس مدينة للاجتهاد اليهودي في صميم الفكر والتطبيق الماركسي – منذ مولد كارل ماركس وفلسفته الى الساعة الراهنة ..

ونقلت مجلة « جويش كرونيكل » في عدد ٢٣ يوليه ١٩٦٥ تصريحاً للرفيق « كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي اكد فيه بان سياسة الاتحاد السوفياتي نحو اليهود السوفيات ونحو اسرائيل ويهود العالم بصفة عامة هي سياسة ود وصداقة وحضانة ودفاع . وان تاريخ السوفيات كان منذ البدء يرعى الوضع اليهودي العالمي ويؤيده بكل الوسائل .

وان الاتحاد السوفياتي في حربه ضد النازية كان يحارب خصوم اليهود ايضاً . وان تأييد موسكو للدولة اليهودية في الامم المتحدة وخارجها هو جزء من رعاية الاتحاد السوفياتي للمصلحة اليهودية .

وتقول هذه المجلة بان تصريح « كوسيجين » جاء في خطاب له القاه في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في «لاتفيا» وهي احدى دول البلطيق التي ضمها الاتحاد السوفياتي اليه ابان الحرب العالمية الاخيرة . وفي «لاتفيا» هذه توجد جالية يهودية كبيرة ، كما ان قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هناك معظمها من اليهود .

وفي ١١ سبتمبر ١٩٦٥ نشرت جريدة «برافدا» السوفياتية مقالا افتتاحياً هاماً كررت فيه ان سياسة الاتحاد السوفياتي نحو اليهود عامة بما في ذلك الدولة اليهودية في اسرائيل هي سياسة صداقة وتعايش سلمي، وانه ليس في السياسة السوفياتية نحو العرب والشرق الاوسط كله ما يدفع الى اي شك او

خوف من جانب الجماعات اليهودية ، بان الاتحاد السوفياتي سيشارك او يسمح بالحاق اي اذى بسلامة اسرائيل .(وقد نقلت جريدة جروزاليم بوست ١٣ سبتمبر ١٩٦٥ مقالة « برفدا » وعلقت عليها مؤكدة قناعة اسرائيل حكومة وشعباً في صدق نوايا السوفيات نحو اسرائيل ومقدرة السوفيات على احباط اي جهد عربي وخصوصاً الاشتراكية العربية في الحاق الاذى باسرائيل).

وتقول جريدة « كول هاعام » اليهودية تعليقاً على ازدياد التعاون السوفياتي مع الاشتراكيين العرب بان موسكو لا تريد دعاية واسعة او اعلاناً متواصلا عن مجهود السوفيات في سبل الصيانة الدائمة للكيان الاسرائيلي سياسياً وعسكرياً . ولكن موسكو تترك الحقائق تتكلم بنفسها لمن شاء دقة الدرس للموقف السوفياتي نحو اسرائيل .

وان على الشعب الاسرائيلي ان يفهم اسباب تفادي موسكو الاعلان المستمر عن حضانتها لليهود وعن ايكالها للجماعات اليهودية بمراكز البت والسلطان الحكومي والادبي والثقافي في داخل الاتحاد السوفياتي وفي بعض الخطير والدقيق من المسؤوليات السوفياتية ، وخصوصاً فيما يتعلق بسياسة السوفيات نحو الشرق العربي وقضايا الدول الاسلامية ، حيث لليهود يقظة خاصة في تلك الامور العربية الاسلامية . وموسكو تدرك اهمية هذه اليقظة الفكرية عند يهود السوفيات ، ولذلك تشجعهم على المضي في التخصص في الشؤون العربية والشؤون الاسلامية، وبذلك تضمن موسكو لنفسها فريقاً يجتهد في الحصول على ادق التفاصيل والمعلومات عن الوضع العربي والاسلامي . ومثل هذا الاجتهاد لا يبلغ مرتبة الكمال إلا اذا كان هناك حافز يدفعهم الى مراقبة الشؤون العربية والاسلامية، ولذلك تحرض موسكو على توكيل اليهود السوفيات باكثر المسائل السياسية المتعلقة بعالم العرب وعالم المسلمين .

وتقول هذه الجريدة اليهودية ايضاً (وهي وثيقة الصلة بالاتحاد السوفياتي

لأنها لسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي الموالي للسوفيات) بان بعض اقطاب الحكم والحركات الاشتراكية العرب قد لا يعلمون انهم عندما يفاوضون او يستقبلون او يتزاورون ويتعاملون مع الحكومة السوفياتية في موسكو او في القاهرة والعواصم الاشتراكية العربية الاخري، بان الجانب السوفياتي فيهذه المفاوضات والزيارات والمعاملات هم عادة عن اليهود السوفيات .

فالعقيدة الماركسية لا تفرق بين هذا المذهب او ذلك . ومثل هذه التفرقة منعدمة تماماً في الاتحاد السوفياتي . وموسكوتتعمد ان يكون الطرف السوفياتي المفاوض للاشتراكيين العرب مؤلفاً من عناصر يهودية سوفياتية زيادة في تطمين اليهود وتطمين اسرائيل بان معاملة السوفيات مع اليسار العربي خالية خلوا كاملا من اي دسيسة او تواطىء ضد المصالح اليهودية او ضد سلامة اسرائيل .

وارتياح الصهيونيين في اسرائيل نحو الاتحاد السوفياتي وسياسته في الشرق العربي واتساع النفوذ السوفياتي اوساط عربية خطيرة المكانة في كل الشؤون العربية – هذا الارتياح اليهودي لسياسة السوفيات تعبر عنه مختلف الاوساط اليهودية من شتى الاحزاب والهيئات والاتجاهات ، وليس فقط اوساط اليسار الشيوعي اليهودي الرسمي في اسرائيل ، رغم تعامل السوفيات مع العرب في السلاح والدبلوماسية .

ففي عدد ١٣ نوفمبر ١٩٦٤ نشرت جريدة « كول هاعام » نصوصاً كاملة لاستفتاء دقيق اجراه مراسلوها مع عدد واسع من اصحاب المسؤوليات اليهود- وزراء وعلماء وكتاب وسياسيين من مختلف الاحزاب والنزعات، حول الصداقة السوفياتية ، الاسرائيلية، وسياسة السوفيات في الساحة العربية وتأثير ذلك كله على سلامة اسرائيل ومستقبلها ومستقبل القضية الفلسطينية وحلها لصالح اسرائيل على يد النفوذ السوفياتي المتزايد في الشرق العربي . وحين يكتمل هذا النفوذ السوفياتي عبر اليسار العربي ونظمه وانصياعهم لمشيئة السوفيات

عقائدياً وفي الحاجات الاقتصادية وفي الزاد والعتاد العسكري ايضاً ، فان السوفيات سيكونون في مركز الفصل النهائي للقضية الفلسطينية لصالح «التعايش السلمي » . ويوم الفصل هو اليوم الذي يتفق فيه الاتحاد السوفياتي مع الغرب الاوروبي والامريكي على سياسة موحدة نحو القضية الفلسطينية ، كما اتفقوا على مولد اسرائيل عام ١٩٤٧ .

ولذلك قال كل قطب اسرائيلي استفتته هذه الجريدة اليهودية بان من واجب يهود العالم ان يسعوا اشد السعي للتقارب بين الاتحاد السوفياتي وبين الغرب الاوروبي والامريكي . وان يساهم يهود الاتحاد السوفياتي نفسه (وهم اصحاب نفوذ بليغ في السياسة والفكر والحكم والحزب) مع يهود امريكا واوروبا في السعي الحثيث لهذا التقارب السوفياتي – الغربي ، كما ساهموا ايام الحرب ضد النازية وجمعوا الطرفين في صف واحد لمكافحة خصوم اليهود . وقد اجتمع الطرفان السوفياتي والغربي كذلك لتأييد اسرائيل في الامم المتحدة . فالتقارب مرة اخرى بين السوفيات والغرب الاوروبي والامريكي ضرورة حتمية للمصالح اليهودية ضد اي مجال للعرب لاستخلاص فلسطين بحد السيف . وكلما أزداد نفوذ السوفيات في الساحة العربية كلما كان في ذلك ضمان لسلامة اسرائيل .

ومن نماذج اقوال هؤلاء الزعماء الصهيونيين الذين اشتركوا في الاستفتاء ما يلي :

الكاتب « مردخاي أبي – شاؤول» احد زعماء جمعية الصداقة السوفياتية- الاسرائيلية التي لها في اسرائيل ٢٥ فرعاً يضم ٢٠٠ الف عضواً .. قال :

« طالما ان القاهرة تردد شعارات موسكو حول السلم والتعايش السلمي وفض المنازعات الاقليمية بالطرق السلمية فنحن على يقين بان سياسة الاتحاد السوفياتي في المنطقة العربية تخدم مصالح اسرائيل ايضاً . فاعتماد الاشتراكية-

العربية على معونات السوفيات وعقيدة السوفيات وسلاح السوفيات يجعلنا نؤمن بان القاهرة تعني ما تقوله عن السلاح والتعايش السلمي وفض النزعات بالطرق السلمية ... وهذا بالطبع يشمل اسرائيل .

« ... لقد اكد لي اكثر من مسؤول سوفياتي كبير في جميع المناسبات بان موسكو لن تخذل اسرائيل ابداً .. وسيجدد السوفيات يوماً ما معونتهم الخطيرة لاسرائيل لتصفية القضية العربية (الفلسطينية) على مثل المعونة السوفياتية الخطيرة الذي قدمتها موسكو للدولة اليهودية يوم مولدها في الامم المتحدة .. »

وقال « موشه أموتا » عضو البرلمان الاسرائيلي عن الحزب الديني وعضو لجنة السياسة الخارجية في البرلمان :

« كل شيء يجري على ما يرام بالنسبة لعلاقات السوفيات باسرائيل. ونحن واثقون من ان ازدياد النفوذ السوفياتي في الشرق العربي مفيد لنا . وليس لدينا من مطلب عند الاتحاد السوفياتي سوى إفساح المجال لهجرة يهودية متزايدة من يهود السوفيات الى اسرائيل ..

وقال وزير العمل الاسرائيلي « يجال ألون » .

« هل تظن ان ازدياد التبادل السياحي والثقافي والعمالي بينناوبين السوفيات هو مجرد لعبة اطفال . انه جزء من سياسة متقنة تخدم مصلحتنا ومصلحتهم ومصلحة التصفية للمسألة العربية المعادية لاسرائيل .. ان سياسة اسرائيل الرسمية تستلزم عليها اتخاذ الموقف الغامض الذي تتخذه الآن بالنسبة للاتحاد السوفياتي . وموسكو تعلم تمام العلم اسباب هذا الموقف وتقدره وان اضطرت بين آن وآخر ان تظهر لوناً من التصريح المنتقد لسياسة اسرائيل ارضية العرب، وطالما ان العرب منساقون في بطانة السوفيات فنحن مطمئنون الى ذلك . وفيه نفع عظيم لنا ولسلامة اسرائيل ... انا مع كل الوسائل لتعزيز الصلة

السوفياتية الاسرائيلية من غير ضجيج يثير مخاوف العرب ويعرض موقف زعماء الاشتراكية العربية المتعاونين مع السوفيات الى نقمة العصبة العربية الرجعية والدينية ... »

وقال «يوخانان بادر» عضو البرلمان الاسرائيلي عن الحزب اليميني المتطرف (حزب حيروت) .

« ليس بيننا وبين السوفيات اي اختلاف في السياسة السوفياتية مع العالم العربي ... انها عظيمة النفع لنا ولمصالحنا وسلامتنا . ولكن علينا ان نصر على الاتحاد السوفياتي بضرورة فتح باب الهجرة اليهودية السوفياتية لاسرائيل الآن وعدم الاكتراث بمعارضة العرب ... والعرب واهم اقطارهم اصبحت الآن رهينة في يد الاتحاد السوفياتي ولا حول لها ان تعارض او تؤثر في عزم السوفيات على فتح الهجرة الواسعة ليهود السوفيات للاستيطان في اسرائيل .. »

وقال البرفسور « يشوعا اريبلي » استاذ التاريخ المعاصر في الجامعة العبرية « كل معالم الحياة والحكم في هذا البلد الاسرائيلي متشابه ومتجانس مع الاشتراكية السوفياتية . فمن السخافة ان يتساءل الناس حول محبة السوفيات لأسرائيل، ناهيك بمشاركة السوفيات في اي مجهود عربي للعدوان على اسرائيل. على العكس .. السوفيات اشد حرصاً من اي جهة اخرى على صيانة اسرائيل، وهي نموذج بديع للتجربة الاشتراكية . والشعب اليهودي لا يمكن ان يخاصم زعيمة الماركسية » .

وقال « دافيد هاكوهين » احد اقطاب حزب « المابام » الحاكم وزعيم الهستدروت ورئيس لجنة الشؤون الخارجية ولجنة الدفاع من البرلمان اليهودي.

« اسرائيل في حاجة الى الاتحاد السوفياتي مثل حاجة الاتحاد السوفياتي لأسرائيل . هذه قاعدة قديمة وراسخة في العلاقات بين البلدين ، ولا تنسى

ان موسكو كانت اول من اعترف باسرائيل وايدهـــا تأييداً كاملا قبل ان تولد وابان الولادة ..

« .. وحين يجيء الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفياتي اكبردور في تصفية المسألة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعية العربية .. ونحن وموسكو على يقين بأنه لن يكون هناك اي خلاف او اصطدام بيننـا وبين السوفيات في المشاريـع المرسومة والمفهومة سلفاً علىالسلاح والتعايش السلمي وتصفية المشاكل في الشرق الاوسط .

« .. ان شعب اسرائيل يلاحظ ازدياد الاتصال السياحي والعمالي والثقافي والتجاري بين البلدين .. وهذا امر ليس مجرد نتيجة عقوبة ، وانمـا جزء من مخطط ثابت . ونحن والسوفيات طويلوا الصبر . ومصالحنا ومصالحهم متجانسة ، سواء في الموقف نحوالمانيا الغربية او فيالموقف نحوالرجعية والعنصرية العربية .. وكلما ارتفعت اسهم السوفيات وعقيدتهم الاشتراكية وسياستهم في المنطقـــة العربية كلما ازدادت اسرائيل ثبوتاً وسلامة .. »

وقال « موشه كول » عضو البرلمان عن حزب الاحرار : « المعرفـــة الدقيقة هي اساس الصداقة والتعــاون – ونحن نعرف الاتحاد السوفياتي وسياسته – وهم يعرفون حاجاتنا وسياستنا . ولذلك فلا خوف على اسرائيل ابداً . بل لها كل المصلحة في انلا تعرقل المسعى الجميل الذي تحققه موسكوفي الاقطار العربية .. »

وقال « يعقوب ريفتين » عضو البرلمان عن حزب « مابام » .

«ليس من باب الارتجال ان اقترحت موسكو وتل ابيب معاً حظر السلاح في الشرق الاوسط .. ان بيننا تفاهماً سيزداد اهمية في المستقبـــل .. لم تقرأ البيان السوفياتي – المصري المشترك حول حظر السلاح وحول التعايش السلمي وحول فض المنازعات بالطرق السلمية .. حتى العرب اخذوا ينادون بـه ..

فسياسة السوفيات في المنطقة العربية مفيدة لنا جـداً .. وفي كل حلقـــات الاشتراكيين وحلقات «عدم الانحياز» يجري ترديد هذه النداءات التي هي ايضاً مبادىء اصيلة في سياسة اسرائيل .. نحن نريد السلام والتعايش السلمي وفض المنازعات بالطرق السلمية .. ولهذا فسياسة السوفيات في الشرق العربي عظيمة النفـع والفائدة لنا .. وستظهر ثمارها على أطيب لون وقالب لصالـــح اسرائيل .. »

وقال البروفسور « غابرييل شتاين » احد اقطاب علم الفيزياء في اسرائيل والذين يشرفون على التجارب الذرية هناك (وهو عضو بارز في حزب الاحرار)

« حين يقوم الروس بالدعوة الى اعلان منطقـة الشرق الاوسط مجردة من السلاح النووي فان موسكو قادرة على ان تخدم اسرائيل والسلم العالمي اجـل الخدمات .. فمقدرات العرب العسكرية تزداد يوماً عن يوم في يد الاتحـاد السوفياتي .. ولا بأس ايضاً ان تساعد موسكو القاهرة على نوع الانتـاج الذري . فبذلك يتحقق « ميزان الذعر » .. فلا تعبئوا بكل ما يقـولـه الاشتراكيون العرب في تهديدات نحو اسرائيل .. فذلك بضاعة سياسيـــة ودعاوية مألوفة .. والعلم بالحقائق يدفعنا الى القناعة بان السوفيات سيخدمون اسرائيل وسلامتها اكثر من اي طرف اجنبي آخر ... انا مـع الصداقة السوفياتية – الاسرائيلية الى ابعد حد ... والسوفيـــات حريصون حرصاً في اسرائيل على هذه الصداقة ... فهي ضرورية لهم . ولولا ذلك لمـا ساهموا في توطيد سلامة اسرائيل يوم ولادتها –بالسلاح والرجال والعمل الدبلوماسي . لا تكترث للقول الدعاوي الذي يوجهه السوفيات للعرب .. فالسوفيات قوم يعلمون مواطن الضعف والقوة في الدول الضعيفة .. واسرائيل ليست جاهلة ولا متجاهلة للسياسة السوفياتية .. ونحن نعلم اتم العلم بان هذه السياسة مؤيـــدة اشد التأييد لسلامة اسرائيل .. »

هذه العناية السوفيـاتية الفائقة في مراعاة خاطر اسرائيل مراعاة استثنائية

رغم معرفة السوفيات بان الحاجز الرئيسي في الوسط العربي للود نحو السوفيات هو اعتقاد العرب بان موسكو ستؤيدهم في معركة الفصل العربي مع المغتصب الصهيوني لفلسطين العربية – هذه العناية السوفياتية الاستثنائية نحو اليهود ونحو اسرائيل في حاجة الى ادق الدراسة والاستيعاب والتحليل والاستنتاج . وان من الاجرام في اصول المصلحة العربية كلها ان نتغاضى عن هذه الحقيقة السوفياتية التي تغمرها الدعاية اليسارية (العربية السوفياتية) في كل الساحة العربية .

والواقع ان من قداسة الواجب القومي في الوسط الغربي ان نعيد النظر سريعاً وبصورة حتمية صارمة حول دور اليسار في حاضر الحياة العربية السياسية والفكرية .

فاليسار العربي الذي يتخفى وراء الاشتراكية ، لا يروج فقط لبيعة سوفياتية اجنبية لها كل معالم الغزو الاستعماري في اشنع قوالبه ، وانما يروج ايضاً لنفوذ اجنبي سوفياتي يؤكد المرة تلو المرة بانه سيقف حائلا دون اي جهد عربي فيه اي اذى على المغتصب الصهيوني ارضنا العربية بفلسطين ..

فالحاجة العربية القومية ماسة لدقة الدرس وصراحة الجهر بالحقائق اليسارية عربية وسوفياتية ويهودية . ومن قداسة الواجب القومي العربي من اجل فلسطين ومن اجل التنازع على البقاء الشريف في كل هذا الشرق العربي ان يتعمد الرأي والاجتهاد العربي دقة الفحص الشديد للروابط الاشتراكية بين مختلف اسباطها – عرب واجانب . وهي روابط ادق وامتن واعم واشمل من اي حلف سياسي وعسكري ومذهبي عرفه العالم . فرابطة الدين الجديد للاشتراكية العلمية حدث مخيف في صميم الحياة العربية ، طالما ان في الوسط العربي اصواتاً محترمة القدر بليغة المقام والنفوذ تكرر من اعلى المنابر بانها في وحدة حال ووحدة فكر ووحدة عقيدة اشتراكية ثورية مع السوفيات

وغيرهم من جماعات « التضامن الاشتراكي » .

فاهل الحل والربط في مصر الاشتراكية مثلا قوم ملتزمون باعنف قوالب الالتزام لبيعة مصدر ايحائها اجنبي ، ومصدر هدايتها لها اجنبي ، ومصدر الاقتباس عندها اجنبي . ومصدر العون لها اجنبي – واشد روابطها خطورة هي الارتباط الفكري والوجداني والسياسي مع الاشتراكية السوفياتية الدولية – حيث لليهود نفوذ بليغ المكانة خطير الذيول على اصول البقاء العربي كله .

فقبل ان ترفع القاهرة راية « القومية العربية » في الخطاب الجماهيري الذي شن فيه الرئيس عبد الناصر افتتاح الحملة الرسمية على السياسة الاسلامية في ٢٢ شباط ، وقبل ان يطمئن الاشتراكيون في كل مكان عبر جريدة « ازفستيا » السوفياتية بان المعقل الاشتراكي المركزي للشرق الاوسط في القاهرة يستعد للمعركة مع الاسلام وسياسته ، قبل ان تخاطبنا مصر في صريح العبارة بان مرحلة الانفكاك من وحدة الصف لهدف مؤقت التي صاغوها في الدار البيضاء قد انتهت ، وانتهى معها حاجة الاشتراكية المصرية « للجبهة الوطنية مع العرب الآخرين كي تقتنص « خصوم الثورة » في داخل مصر ، ولكي تستنجد بواشنطون لقروض جديدة وقمح جديد ، حين كانت نتائج المحصول السوفياتي الزراعي الجديد تحوم حولها الشكوك ، وقبل ان تخاطب القاهرة « الجماهير » يوم ٢٢ شباط حول السياسة الاسلامية في لغة المدارس الليلية لمكافحة الامية ، خاطب الرئيس عبد الناصر طلائع الاشتراكية في كل مكان في لغة يفهمونها – لغة التخاطب الماركسي . ولذا فمن الضروري ان نراجع ذلك الخطاب لأن شعار « القومية العربية » كان مفقوداً فيه . فلم يأت فيه ذكر واحد لكلمة القومية . فقد ترك استخدام هذا الشعار لمخاطبة « الجماهير » يوم ٢٢ شباط ، وتحوير الغرض الاشتراكي الرئيسي من تحدي الاسلام وسياسته على اساس العقدة الماركسية الى مخاصمة الاسلام وسياسته

على منبر « القومية العربية » ، وهو غرض مؤقت اقتضته ظروف التحدي وعجز البيعة الاشتراكية ان تضع الاسلام والماركسية في كفتي الميزان في مجال الدعاية بين « الجماهير » العربية .

في بيانه العقائدي امام مجلس الامة اكد الرئيس عبد الناصر كل ركائز البيعة الماركسية الثورية كما كانت عليه قبل فترة الاستجمام التي سعت القاهرة اليها ونالتها في مؤتمر الدار البيضاء . فقال :

« واعود مرة اخرى فأقول ان اي فعالية لدور مصر الداخلي والخارجي لا يمكن لها النفع الا بالعمل الثوري في الساحة العربية . »

« ان الحاجة ماسة الى صياغة عاجلة للعمل العربي لا تعود به الى وحدة الصف (لهدف مؤقت) وانما تدفعه الى وحدة العمل (للهدف الاشتراكي)

« في المجال العربي انتقلنا من العمل في جو الثورة السياسية (اي الانقلابات العسكرية) الى جو تندمج فيه الثورة السياسية مع الثورة الاجتماعية (دور المنظمات التحريرية التي تستخدم التنظيم الشعبي والتلقين الدعاوي والتعميق الثوري من غير ان يفلت من يدها فرص المشاركة في الانقلابات العسكرية التي تجلب الثورة السياسية) .

« واود ان اقول مؤكداً بان هذه المنطلقات تطور وسائلنا ولا تغير اهدافنا ... بل انها تجعلنا اكثر تمسكاً وتعلقاً بالقيم التي ارتضينا ان نعيش لها ، وان نموت من اجلها اذا اقتضى الامر .. تجعلنا اشتراكيين فكرا وتطبيقاً بأكثر مما كنا . »

هذا الالتزام العنيد بالفكر والاسلوب الاشتراكي هو من شواهد الضعف

لا من علائم القوة . فالحكمة السياسية هي في تحقيق ما هو مستطاع لا في الالتزام بما يصر المنطق والواقع والصالح القومي على انه في حكم المستحيل ، واذا لم يكن مستحيلا فان ثمنه « تضحية الجزء في سبيل الكل » كما اوصى لينين اتباع الاشتراكية العلمية – مثلا : ضياع فلسطين في سبيل سيادة الاشتراكية على مصر او على ديار العرب الآخرين .

فرئيس الأشتراكية العربية يقول لنا في اصرح الكلام :

« ربما كانت الميزة البارزة في السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة هي العمل من اجل التعايش السلمي بداية لطريق السلام . »

ليس هذا القول مجرد دبلوماسية لا بد من مراعاتها في كلام المسؤولين . بل ان « التعايش السلمي » اسلوب تنفيذي للماركسية الدولية استنبطته انانية الاتحاد السوفياتي لكي تستطيع ان تهضم هذه الطاقات الهائلة التي تستملكها في ديار الاخرين – في القطاعات الاسيوية التي ورثها الروس عن الاستعمار القيصري ، وفي القطاعات الاوروبية الشرقية التي اقتطعها السوفيات من جيرانهم ابان الحرب العالمية الاخيرة من رومانيا وبولنده ودول البلطيق . فالامبراطورية الوحيدة التي بقيت حتى يومنا هذا هي امبراطورية السوفيات. ومصر الاشتراكية في « تفاهم مشترك » مع الاتحاد السوفياتي حول شيء اسوة باي نظام اشتراكي آخر يعيش في كنف الاتحاد السوفياتي ومركزيته الدهماء للاشتراكية الدولية .

يقول رئيس الاشتراكية العربية :

« ان علاقتنا بالاتحاد السوفياتي تزداد بالصداقة المتكافلة قوة ، وبالتعاون المثمر خصوبة . ولقد لمست بنفسي خلال زيارتي الاخيرة لموسكو مدى الجهود الجبارة التي يبذلها الاتحاد السوفياتي من اجل المحبة والسلام . »

« ... واني اسفرت في بعض ما تعرضت له ، عن تفاهم يوفر على الشعب

المصري ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون جنيه .. ومـــع ذلك فلست اعتبر ذلك مقياساً صالحاً للصداقة العربية السوفياتية انما المقياس الحق هو التفاهم المشترك .»

التفاهم على ماذا ؟ والسلام من اجل من ؟

أسئلة تنتظر الجواب . فاذا لم يجد رئيس الاشتراكية العربية « حاجة الى الدخول في التفاصيل » فان السنة رسمية اشتراكية اخرى شرحت لنا طرفاً من هذه التفاصيل ، تؤكد بعض ما في هواجسنا من الثمن الباهظ الذي وفر على الشعب المصري (لا الشعب العربي) مالا يقل عن ٢٠٠ مليون جنيه .

هذه جريدة « برافدا » تشرح في عدد ٢ ديسمبر الماضي تحت عنـــوان « مصالح مشتركة » تعليقاً على البيانات التي صدرت عن مفاوضـات التضامن الاشتراكي بين اقطاب الدول والاحزاب الشيوعية التي استضافتها القــاهرة وفداً تلو الاخر منذ عودة الرئيس عبـد الناصر من مفاوضاته في موسكو .
قالت « برفدا » :

« الايام تثبت المرة تلو المرة اهمية هذا التضامن الاشتراكي في الاتصـال المباشر بين اصحاب المسؤوليات في النظم الاشتراكية . فزيارة الاشقـاء من المسؤولين البلغاريين والرومانيين وغيرهم للرئيس عبد الناصر اثبتت مرة اخرى ان آراء الدول الاشتراكية المخضرمة واراء الدول الاشتراكية الجديدة متحدة متجانسة .

« هذه الزيارات وما سبقها وما سيليها من توحيد الرأي وتوحيـد العمل والهدف وتنسيق السياسات بين الدول الاشتراكية كل ذلك خطوات في منتهى الرفعة . فلم تكن مساهمة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الشقيقـة مساهمة ضئيلة في حاجات الاشتراكية العربية — كالسد العـالي وغيره من المشاريـع الانمائية . وها نحن نلمس نتائج هذه المساهمات ..»

سنغض الطرف الآن (نظراً لضيق الفسحة في هذا الفصل المهم)

عن الاستشهاد بأقوال سوفياتية رسمية أخرى تكشف اكثر مما كشفته « برافدا » .
سنغض الطرف عمـا قالته مجلة ليتاراتورنايا جازيتا » في عدد ٢٧ اكتوبر الماضي . ومجلة « نيوتايمس » السوفياتية عدد أول ديسمبر الماضي بعنوان « المرحلة الجديدة في الجمهورية العربية المتحدة » بقلم كاتب يهودي « جورجي ميرسكي » له مركز الصدارة في هـذا اللسان الرسمي للمركزية الاشتراكية الدولية في موسكو . فهو يشرح امتثال القاهرة لنصيحة السوفيـات بتطهير الجو الداخلي من الرجعية الاسلامية ، ومن « مرض الطفولة عند اليسار الماركسي » إذا اشتط في تطرفه من غير ان يراعي دقـة التخطيط الثوري في سياسة « المراحل » للتحويل الاشتراكي . ونصيحة السوفيات بخلق حزب صغير من مخضرمي الماركسية السوفياتية يرابط في قمة الاتحاد الاشتراكي العربي . وهذا فعلاً ما قامت به القاهرة بعد زيارة أقطابها الى موسكو .

سنغض الطرف مثلاعما قالته جريدة يسارية يهودية وثيقة الصلة بالسوفيات جريدة « لامرحاف » تعليقاً على التضامن الاشتراكي التي كانت (لا تزال) القاهرة مركزاً له يستضيف الوفود الشيوعية الواحد تـلو الآخر فقد قالت « لامرحاف » في كثير من الصدق (عدد ١٠ ديسمبر الماضي) : لنستذكر جيداً بأن لنا أخواناً يهوداً ذوي نفوذ كبير في كل الحركات في الدول الاشتراكية وان هؤلاء الاخوان على صداقة وتشاور وتعاون مع الاشتراكية العربية .

سنغض الطرف عن الشروح التي ينشرها لسان سوفياتي اخر يتخـذ « نيودلهي » مركزاً لها وهي مجلة « لينك » لسان حـال الحزب الشيوعي الهندي الموالي للسوفيات والتي يدير سياستهـا المستر « كريشنامنون » صديق القاهرة الود.د . ومجلة « لينك » هذه مصدر اعلام سخي عن الاهـداف والتدابير الاشتراكية في الشرق الاوسط وخصوصاً في شؤون الجزيرة العربية ، فقد كانت الهند ايام الاستعمار البريطاني مركز الاجتهاد الاستعماري في شؤون الجزيرة وحوض الخليج العربي — فلا بأس ان يتخذهـا الاستعمار السوفياتي

مركز اجتهاد له . وقد حققت هذه الحيلة للقـــاهرة في ٢١ نوفمبر الماضي يوم اذاع راديو القاهرة تعليمات الى الشيوعيين العرب بالتصويت للفريق الموالي للسوفيات ابان الانتخابات النيابية اليهودية . وقد فاز مرشحو هـذا الفريق ونال ثلاثتهم مقاعد في البرلمان .

في خطابه الافتتاحي لحملة التحريض على السياسة الاسلامية يوم ٢٢ شباط اجاز رئيس الاشتراكيـة لنفسه – عمداً او عفواً – ان يقتبس اول ما اقتبس رأياً من جريدة « كول هاعام » صدر قبل اكثر من خمسة اعـوام – في ٦ ديسمبر ١٩٦١ ليدلل على ان الاستعمار والصهيونية هما مصدر الوحي لسياسة التضامن الاسلامي . واكبر الظن ان الطليعة القيادية في القاهرة تعلم كل العلم بان جريدة « كول هاعام » هـذه هي اللسان الرسمي للحزب الشيوعي الاسرائيلي الموالي لموسكو .

اما وقد اجازت معاقل الاشتراكية العربية لنفسها ان تعتبر هذا اللسان الشيوعي اليهودي حجة في السياسة الاسلامية يستشهد بهـا بلا حرج . فمن يستطيع اذن ان ينكر بان هذا اللسان الشيوعي هو حجة اقوى في الشؤون الاشتراكية والسوفياتية – الاسرائيلية منها بصفة خاصة .

ولدينا نماذج عديدة عن هذه الاراء والشروح والنصوص حول العلاقـات السوفياتية باليهود وبالقضية الفلسطينية بصفة استثنائية نجمعها منذ زمن لانجاز كتاب كامل عن هذا الموضوع فلا بأس ان نستعرض طرفاً منها طالما ان رئيس الجمهورية العربية المتحدة قد اعتبرها مرجعاً يصح الاستشهاد به .

قالت جريدة « كول هاعام » نفسها في عدد ٢٣ سبتمبر الماضي ١٩٦٥ في معرض تفسير مراسلها في موسكو حول مفاوضات الرئيس عبدالناصر هناك :

« صلة الاتحاد السوفياتي باسرائيل اعمق واقدم واقوى مما يدركه خصوم الاشتراكية . فنحن عالمون ادق العلم (ولا عجب في ذلك فهم جماعة موسكو

قلباً وقالباً) بان في اصول السياسة السوفياتية حرصاً شديداً على صيانة اسرائيل . ولنذكر على المثال بان زيارة الرئيس عبد الناصر لموسكو مؤخراً لم تستطع ان تنتزع من السوفيات اي تصريح او تلميح فيه مساس باستقلال اسرائيـل او تعاون السوفيات في القضاء عليها . فجاء البيان السوفياتي – المصري المشترك خالياً من اي التزام سوفياتي ضد سلامة اسرائيل .

«نحن مع السوفيات ومع الاشتراكية العربية في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية . وكل ما ينقص اسرائيل هو تحويل عاجل في السياسة الرسميـة للحكومة لتنضم الى المعسكر الاشتراكي التقدمي . »

وفي ١٢ ديسمبر الماضي نشرت « كول هاعام » نفسها وصفاً مسهباً للمؤتمر الذي عقده الحزب الشيوعي الاسرائيلي اثر مفاوضات الرئيس عبـد الناصر للاتحاد السوفياتي . وحضر هـذا المؤتمر مندوبون عن الدول والاحزاب الشيوعية – من الاتحاد السوفياتي ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وايطاليا. وكان بعض هذه الوفود قد رجع من زيارته للتشاور والتضامن الاشتراكي مع اقطاب الاشتراكية العربية في مصر وكان البعض الاخر من هذه الوفود الشيوعيـة في طريقه الى زيارة القاهرة .

واشترك في المناقشات في هذا المؤتمر الاسرائيلي اكثر من ٢٢ مندوبـاً رسمياً . واستقر الرأي على ما يلي : (كما تقول جريدة « كول هاعام » وكما لخصته ايضاً جريدة يسارية يهودية اخرى « لامرحاف » .

« التوكيد على ضرورة تغيير السياسة الخارجية لحكومة اسرائيل لتتجانس مع سياسة الاتحاد السوفياتي على غرار التنسيق القائم بين السوفيات والاشتراكية العربية .

« التوكيد على ضرورة التنظيم الماركسي للتحويـل الاشتراكي في داخل اسرائيل .

« والتوكيد على ان حلول النزاع العربي-الاسرائيلي هو في وحدة النضال المشترك ضد الاستعمار والرجعية العربية في الشرق الاوسط ، وسيادة قوى الشعب الاشتراكية على المنطقة باسرها .... »

وفي ثنايا الخطب والبيانات التي شهدها هذا المؤتمر الاشتراكي في تل ابيب جاءت معلومات خطيرة عن خفايا السياسة السوفياتية (واليسار الدولي كله) حول المسألة الفلسطينية . وطالما ان رئيس الاشتراكية العربية لم يجد على مجلس الامة المصري او على عشاقه واتباعه في الساحة العربية بما يطمئن النفس القلقة عن حقائق الموقف السوفياتي في شأن الوجود اليهودي كله في ارضنا بفلسطين ، فلا مفر للمشردين من اهل فلسطين على الاقل ان يستطلعوا بانفسهم بعض الحقائق السوفياتية – اليهودية . وفي العالم الواسع مصادرتسجل للتاريخ المعاصر وتتوفر فيها موارد الاعلام في اوسع مما يجود به « صوت العرب » او صحافة الاشتراكية العربية . فمن الارشيف الصحفي لمكتبة الامم المتحدة في جنيف ، ومكتبات المعاهد العلمية هنا حيث أقيم يتوفر عن شؤون العرب واسرائيل والسوفيات اكثر مما تجود به وزارات الارشاد والتوجيه في دنيا العرب مع الاسف الشديد في موضوع هي قضية الحياة او الموت للكرامة العربية والوجود القومي كله .

ففي « كول هاعام » و « لا مرحاف » تفصيل مزعج لما تقوله المصادر السوفياتية الرسمية عن « التفاهم المشترك » الذي اشار اليه رئيس الاشتراكية العربية في بيانه لمجلس الأمة المصري .

في عدد ١٢ ديسمبر الماضي نشرت جريدة« كول هاعام » اجزاء منالتقرير الذي جلبه وفد الحزب الشيوعي الاسرائيلي (الذي دعا له راديو القاهرة بالنصر ايام الانتخابات اليهودية الاخيرة سنة ١٩٦٥) عن مفاوضات قام بها اقطاب الحزب الاسرائيلي مع اصحاب المسؤولية السوفياتية،وبعضهم من الذين شاركوا شخصياً في مفاوضات الرئيس عبد الناصر في موسكو امثال الرفيق

« سوسلوف » الامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وقطب الفقه الاشتراكي المعاصر والقوة الكامنة وراء العهد السوفياتي كله والدماغ المفكر للحركة الاشتراكية الدولية كلها .

وجدير بالملاحظة ان بين زعامات الحزب الشيوعي في اسرائيل هذا المرض المألوف في اوساط اليسار في كل مكان – مرض الشقاق والتهافت العقائدي . فهناك فريق يتزعمه « موشه سنه »ذو الصلة الارهابية المجرمة ايام «الهاجاناه» « والمالباخ » التي فتكت بالعزل من عرب الديار الفلسطينية امام المأساة . وهذا الفريق وان كان عميق القناعة بان زوال النزاع بين العرب واسرائيل سيتحقق عندما يتم التحويل الاشتراكي في كل منطقة الشرق العربي ، إلا انه مستاء من سماح موسكو للرفاق الاشتراكيين (عرباً واوروبيين)بان يصدروا تصريحات عدائية لأسرائيل في بعض المناسبات . وان مثل هذه التصريحات العدائية من المصادر الاشتراكية تؤذي حظ اليسار الاسرائيلي ليسرع في تحويل السياسة الرسمية لحكومة اسرائيل نحو المعسكر الاشتراكي .

اما الفريق الآخر في الحزب الشيوعي الاسرائيلي (وفي زعامته عرب شيوعيون امثال اميل حبيبي وتوفيق الطيبي) فيرى غير ذلك . فهو لا يرى ضرراً كبيراً في تصريحات الاشتراكية العربية واقطابها ضد اسرائيل كقاعدة للاستعمار او تهديد اسرائيل بالزوال اذا ظلت هذه التصريحات تفيد اليسار الاسرائيلي من حيث انها تمارس ضغطاً على الحكومة الاسرائيلية لتبدل سياستها الموالية للغرب لتنضم الى المعسكر الاشتراكي الدولي بزعامة الاتحاد السوفياتي. ثم ان هذا الفريق يرى ان التصريحات المعادية لأسرائيل والوعد والوعيد بالقضاء عليها– تصريحات لا بد للاشتراكية العربيةمن ان تدلي بها بينآن وآخر لتحفظ لنفسها بالمركز القيادي في السياسة العربية ، وبذلك تضمن المضي في التحويل الاشتراكي لكل الساحة العربية . وهذا التحويل الاشتراكي هو السبيل الوحيد للتعايش السلمي النهائي بين العرب واسرائيل .

وزار هذا الفريقان الاسرائيليان موسكو اثر انتهاء زيارة الرئيس عبد الناصر . وقد نشرت « كول هاعام » تقرير الوفد الذي رجع من موسكو وفيما يلي بعض ما جاء في التقرير :

سألناهم في موسكو : هل تعتقدون بان اسرائيل دولة تمر في مرحلة « البرجوازية الوطنية » (مثل الكويت ولبنان والاردن والسودان) جوهرها « قومي » وسيادتها كاملة ولكنها لا تتبع الخط الاشتراكي في الداخل وفي الخارج، ولا ترى ضرراً من التعاون مع الغرب إذا لم يكن في مثل هذا التعاون مساس باستقلال البلد . ام ان اسرائيل « صنيعة الاستعمار » « وقاعدة للاستعمار » ولذا فليس لها مقومات البقاء ، ولا أمل في اجتذابها الى المعسكر الاشتراكي الدولي . وعلى ذلك فلا بد من ان تزول ؟

« اجابنا الرفاق في موسكو : اسرائيل : دولة « برجوازية وطنية » وسياستها الخارجية خاطئة . ولذلك فيجب تعديل هذه السياسة الخارجية، كما يجب التعجيل في التحويل الاشتراكي الداخلي لاسرائيل لتلحق بمدارج التحويل الاشتراكي في القطاع العربي من الشرق الاوسط . ان مسألة القضاء على استقلال اسرائيل كدولة اشتراكية مسألة غير واردة بتاتاً .

« وقالوا لنا في موسكو : ان التصريحات العدائية التي تصدر عن الالسنة الاشتراكية العربية ليست سوى تكتيك دعاوي وتبجح (شوفونيزم) مرجعه كون الوسط العربي غير الاشتراكي لا يزال قومياً في فلسفته وفي معاشه وفي تصرفاته . وكل ذلك سيزول كلما ازدادت الاشتراكية العربية قوة في المنطقة، وكلما تعمقت الجماهير في فهم الاشتراكية . وعند المسؤولين في الطليعة القيادية للاشتراكية العربية ادراك عميق لكل هذه العقبات وكل هذه المتناقضات التي تعيش في الوسط العربي . فما عليكم في اسرائيل الا التريث ، ثم ان عليكم ايضاً ان تساهموا في ازالة (الشوفونية) القومية من الوسط الاسرائيلي نفسه فاغلبية الشعب اليهودى في اسرائيل لا يزال متعلقاً بها . »

« وسألنا الرفاق في موسكو « هل على اليسار الاسرائيلي الملتزم ان يؤيد « حركات التحرير الوطني » في العالم العربي بزعامة القاهرة؟ ان مثل هذا التأييد يضر بمصلحة الكيان اليهودي والسياسة السوفياتية البعيدة المدى ؟

وكان الجواب في موسكو على هذا السؤال مطمئناً لنا . وقالوا بان الفكر الاشتراكي لا يصبر طويلا على العنصرية « القومية » وان اقتضت مراحل النضال ضد الرجعية والاستعمار استخدام القومية كمعول للنضال .

وقالوا لنا في موسكو ان « الوطنية المحلية » لا تتعارض مع عالمية الدعوة الاشتراكية (البروليتاريا العالمية) . والتحويل الاشتراكي في الوسط العربي لا بأس عليه من ان يؤكد « وطنيته » في التصريح العلني . كما انه لا بأس على اسرائيل انتؤكد « وطنيتها » ايضاً . »

(توضيح من المؤلف : « الوطنية » لها مفهوم دقيق في الفكر واللغة الماركسية . فالوطن منزل يسكنه الناس . ولذلك « الوطنية » وصف وشعار اما «القومية» فعقيدة وليس في المجتمع الاشتراكي متسع لغير العقيدة الاشتراكية فان رفعت شعار « القومية » او شعار « العقيدة الدينية » فانها تفعل ذلك من باب التكتيك الدعاوي او من مستلزمات « مراحل » العمل الثوري الذي يحتضن العقائد الاخرى ليسلبها طاقتها على مخاصمة الاشتراكية . ولو راجعت النصوص الاشتراكية الرسمية كلها لما وجدت كلمة واحدة « للقومية » بمعناها الحقيقي. وانما وجدت تكراراً للكلمة « الوطنية ».وفي محاكمات الشيوعيين في العراق كان جواب كل شيوعي حيث يسأل هل تؤمن بالقومية العربية ؟ فكان الجواب دائماً « أناوطني . أؤمن بالوطنية » .)

بودي لو كان في هذه الصفحة متسع لتسجيل حقائق مخيفة أخرى عن تواطىء الاشتراكيين حول قضيتنا في فلسطين . هناك هذه المقالات الستة التي نشرتها مجلة « اسرائيل الحرة » في اعداد ٢ ديسمبر وما بعد ، تسجل أقوال

القيادة السوفياتية العليا للفريق الشيوعي الاسرائيلي الثاني (بزعامة موشه سنه) الذى زار موسكو للتفاوض والتضامن والاطمئنان بعد انتهاء مفاوضات الرئيس عبد الناصر مع السوفيات . ولكنا سنترك ذلك لمجال آخر .

*
**

« انهى الرئيس عبد الناصر خطابه المذكور (يوم ٢٢ شباط – ذكرى الوحدة مع سوريا) بما يلي :

« ان مصر تعارض الحلف الاسلامي وتعارض المؤتمر الاسلامي . وتعتبر التضامن الاسلامي الحقيقي هو تضامن الشعوب الاسلامية المتضامنة ضد الاستعمار (أي الاشتراكية التي لا تعادي السوفيات) وليس تضامن الحكومات الاسلامية » .

توارد خواطر يبلغ مرتبة الاتفاق في اللغة ايضاً . في متناول يدي نماذج من هذا القبيل، عديدة ومخيفة توصل اليها الجهد الفردي لمن لا يعتبر الاشتراكية والاشتراكيين العرب وحدهم ملاذ الجماعة الفلسطينية واهلها في انقاذ الوطن الكسيح . بل انه يعتبر بقاء العقيدة والبيعة الاشتراكية في جناب الدعاية الذاتية الكثيفة اخطر فتنة وسوء اجتهاد وعبث يأتي بالعفو او في عباطة الالتزام بالاشتراكية واهلها ، ويلغم لغماً مخيفاً بعض القواعد الجوهرية لمعركة الفصل العربي مع الشر اليهودي المرابط في ديارنا بفلسطين . وهذا الشر جزء من شروط العقيدة الاشتراكية العالمية – في صميم العقيدة والبيعة الاشتراكية نفسها . وفي التضامن الاشتراكي الدولي كذلك .

ان دور الدين في العمل السياسي هو القاعدة الجوهرية لمكافحة هذا الشر المزدوج : شر اليهودية مرابطة في دهاليز الفكر ، والتضامن الاشتراكي (سوفياتياً وعربياً ودولياً) في مقادير لا تختلف مطلقاً عن روابط الصهيونية العالمية في دهاليز الرأسمالية .

فالاصرار هو الاصرار على صيانة اهم قاعدة واقوى وازع وامضى سلاح

عربي لمكافحة هذا الشر المزدوج : شر الصهيونية والاستعمار – واخطر انواعه هو الاستعمار الماركسي لأنه يستخدم لباس العرب ولغة العرب ودين العرب واعواناً « عرباً » ايضاً ..

وفي يقيني ان ادهى مصائب الرأي العربي الذي افترسته الدعاية الماركسية (عربية واجنبية) هو هذا السبات العميق عند المسلمين والمسيحيين معاً في كل طوائف المجتمع العربي ونسيانهم بان الغزو الصهيوني لديارنا في فلسطين هو غزو العصبية الدينية اليهودية والعنصرية القومية اليهودية واستغلال اليهود لهذين العاملين الاساسيين في اصول التطور التاريخي لكل الشعوب والامم في كل حقبات التاريخ البشري .

فالدعوة العربية لايقاظ النزعة الدينية في الوسط العربي لمواجهة هذا الغزو الماركسي الذي يتحدى الاسلام والمسيحية معاً في الساحة العربية وفي كل الساحات الدولية ايضاً – هذه الدعوة العربية لاعتبار الدين مسيحياً واسلامياً كعنصر فعال في جميع القوى العربية لصيانة الاستقلال العربي وانقاذ الكرامة العربية واستخلاص الحق العربي من مغتصبيه اليهود واجب قومي وفريضة شرعية على كل مسلم ومسيحي في المجتمع العربي .

فالصهيونية في دعائمها المزدوجة الدينية العنصرية هي خصم مباشر لكلا المذهبين - الاسلامي والمسيحي . واسرائيل قد اغتصبت حقوق المسلم والمسيحي في فلسطين . وسيادة اليهود هناك تشمل دار المسلم والمسيحي وارضه ومعابده وكرامته .

ونحن لسنا من دعاة العصبية المذهبية العتيقة حين نقول ببعث الوازع الديني اسلامياً ومسيحياً للعمل السياسي في الساحة العربية ازاء الغزو الماركسي وتواطؤه مع الصهيونية في اسرائيل .

فليس في الثقافة العربية وفي التاريخ العربي وفي كل الميراث العربي تقاليد

او احداث او رواسخ تجعل الاحتكاك المذهبي بين المسيحية والاسلام امراً محتملاً اذا اشتد دور الدين في الحياة القومية لمواجهة غزو اجنبي لعين كالغزو الصهيوني والغزو الماركسي . وحتى في اوج الحروب الصليبية التي افتعلها الاستعمار الأجنبي لغزو الشرق العربي لم تتأثر مطلقاً العلاقات الطائفية والاجتماعية والسياسية والمذهبية بين المسلم العربي . فقد اشترك كلاهما معاً في مكافحة كل الوان الغزو الاجنبي على الدار العربية . وتاريخ حركات الاستقلال والنضال العربي ضد الانانية العثمانية الاسلامية المذهب، وضد الانانية الاستعمارية المسيحية المذهب (كالاحتلال الفرنسي والبريطاني) كان المسلم العربي والمسيحي صفاً واحداً في الدفاع عن قومية الدار العربية وعن الميراث العربي وعن الحق العربي والكرامة العربية .

فما وجه الحرج اذن في تجنيد النزعة الدينية العتيدة في الساحة العربية ، مسيحية واسلامية للدفاع عن الحق العربي في فلسطين وفي اسس الاستقلال السياسي والفكري والحضاري العربي كله الذي اهانته وافترسته العصبية المذهبية اليهودية في فلسطين والعصبية الماركسية الدخيلة على صميم الوضع العربي؟

فالمسيحية في كل مكان حر طليق ، في الوسط الكاثوليكي والوسط البروتستانتي تتفق بل تسعى الى الاتفاق الوثيق مع الجماعات الاسلامية للتكاتف معاً في صد التحدي الماركسي على ميراث الرسالات السماوية التي تلغمها الماركسية في العن نماذج الدسيسة والبطش الفكري .

وهذا التكاتف الاسلامي المسيحي في وجه التحديات الماركسية امر مسلم به، وستزيده الايام وثوقاً وتعزيزاً وتضامناً .

وإذا تعففت المراجع الدينية الكاثوليكية والبروتستانية وغيرها من الاسباط المسيحية في كل مكان عن الجهد بالنقد لهذا الغزو اليهودي للاراضي المقدسة ، فان لهذا التعفف دوافع اضطرارية مرجعها في عنف استملاك اليهود في كل مكان وسائل الأعلام وأساليب الهجو والتشنيع على كل من يكشف مآربهم ويدعو الى احقاق الحق العربي في فلسطين .

فتضامن الاسلام والمسيحية في الساحة العربية لوضع حد لهذا الغزو الصهيوني في فلسطين سيعطي للصوت الديني في كل العالم المسيحي مجالاً للجهر والدفاع عن الحق العربي .

فاذا كانت المبادرة لاحياء القوة الدينية واستخدامها للعمل السياسي ضد الماركسية والصهيونية في الساحة العربية – اذا كانت هذه المبادرة تحمل شعار التضامن الاسلامي اليوم فماذلك إلا لأن المسلم العربي يشعر بأن من واجبه المبادرة. فللإسلام اتباع عديدون في الشرق الآسيوي والأفريقي الذي لم يتلوث بعد بالدعاية الصهيونية أو بالغزو الماركسي، بينما غالبية الوسط المسيحي في أوروبا وأمريكا شاء أن يصمت عن مذلة الأرض المقدسة وعن الفظائع الانسانية التي حاقت بعرب فلسطين .

ومهما اشتط الخيال بأشد أحساسات العربي المسيحي فانه لا يستطيع مهما حاول دقة التحليل والاستنتاج ان يراوده أدنى شك في ان الدعوة الى التضامن الاسلامي موجهة لغير الغزو اليهودي لفلسطين والغزو الماركسي للدنيا العربية .

فاذا تعطلت النزعة الدينية اسلامية ومسيحية في دورها الهام لتجنيد الطاقات العربية لمواجهة الغزو الماركسي الصهيوني المزدوج على الساحة العربية فان الوضع العربي سيفقد آخر ما يتوفر له من معاول لاسترجاع فلسطين ولصيانة الكرامة والاستقلال العربي كله .

فالأدلة والوثائق والقرائن والمستندات من المصادر السوفياتية والاسرائيلية نفسها تؤكد لنا فيما لا يتحمل أدنى شك أقل الريبة بأنه ليس من أهداف الاشتراكية السوفياتية وأعوانها العرب والآخرون في كل المعسكر الاشتراكي الدولي معونتنا على استرجاع الحق في فلسطين ، بل الوقوف على الحياد اذا قمنا بأنفسنا باسترجاع هذا الحق .

فمن الكفر والاجرام في صميم الحق العربي والكرامة العربية ان نهدد الجهد والطاقات في الوسط العربي على الانزلاق في سياسة أو بيعة كالماركسية (سوفياتيـــة أو صينية أو عربية أو يوغسلافية أو شتى المذاهب والمدارس الماركسية الأخرى) في حين ان النباهة والحقائق العارية تقول لنا ان نكف عن هذا الانزلاق لأن فيه فتنة كبرى سندفع ثمنها غالياً يوم البت العربي مع العدوان الصهيوني .

فهل نحتاج الى أكثر من الألسنة السوفياتية الرسمية لتقول لنـــا في صريح العبارة بأن صيانــــة اسرائيل مبدأ سياسي (عقائدي وسياسي ومصلحي) للحكومة السوفياتية .

وآخر نماذج هذا التوكيد السوفياتي ما جاء على لسان سفير السوفيات في تل أبيب حين خطب في المؤتمر السنوي اليهودي العالمي الذي انعقد في اسرائيل في منتصف شهر مارس من العام (١٩٦٦) قال السفير السوفياتي [1] .

« دعوني أقول لكم بكل صراحة ان الاتحـاد السوفياتي حكومة وشعبا وبلا نفاق ولا رياء يحب اسرائيل حباً جما، ويعجب أشد الاعجاب بكل ما حققته من عمران وبناء وعدالة وسؤدد في أرض الأباء والأجداد اليهود ..

« .. اني اناشدكم هنا في اسرائيل وفي الوسط اليهودي في كل مكان ان تؤيدوا بكل قلوبكم سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق العربي لأنها سياسة فيها كل النفع وكل الخير لاسرائيل ولليهودية العالمية .

« ... اننـــا نحارب الحلف الاسلامي ونجند لذلك كل الأصوات العربية الاشتراكية القوية لمكافحته .. فانهزام العصبية العربية الدينية والقومية مفيد

(١) من خطاب السفير السوفياتي « ديمتري شوفاخين » في تل أبيب كما نقلته مجلة «جويش كرونيكل» عدد ١٨ / ٣ / ١٩٦٦، ونقله مراسل « الايكونومست » البريطانية عدد ١٨ / ٣ / ١٩٦٦ .

جليل الفائدة لاسرائيل ولأنصارها من اليهود في كل مكان وفي الاتحاد السوفياتي بصفة استثنائية ..

« ... اننا نحن السوفيات قد بذلنا أعظم الجهد لضمان الاتجاه العربي نحو الاشتراكية التقدمية . وهذا الاتجاه هو العامل الاساسي الوحيد الذي سيصون اسرائيل .. وسوف لن نسمح للنعرات العربية الاخرى ان تستيقظ بنفسها او بمعونة الاستعمار لكي تحطم ما بنيناه وما زرعناه من قواعد اشتراكية قوية في المنطقة العربية ... فهناك تجانس واتفاق كلي في المصلحة السوفياتيـة وفي مصلحة اسرائيل .. »

« ... يجب ان لا يداخلكم في اسرائيل او في اي وسط يهودي عـالمي ادنى شك في اننا سنتعمد ونسعى وسننجح في معادلة القوة الاسرائيلية بالقوة العربية وخصوصاً في مسألة التسلح الذرى .. فاطمئنوا .. وسياسة الاتحـاد السوفياتي هو تجميد الطاقات العسكرية في الشرق الاوسط..ولو بأي الوسائل الفعالة على تحقيق هذا الهدف .. فاقوى الدول العربية تسلحـاً تعتمد على الاتحاد السوفياتي في السلاح والعتاد والخبرة الفنية اللازمة لهذا النوع من الاسلحة الحديثة المعقدة ... والاتحاد السوفياتي قادر على ضبط اي شطط عربي .. ولا نعتقد ان الجانب العربي الاشتراكي التقدمي سيشتط في العداء لأسرائيل ... نحن متيقنون من ذلك وواثقون كل الثقة وقادرون على ضمان السلوك العربي عسكرياً ... »

هذا كلام خطير .. واخطر منه صمت الرأي العربي عنـــه وصمت انصار السوفيات عنه في الساحة العربية ... فما الفرق بين هذا التصريـح السوفياتي وتصريحات الساسة الامريكان الذين يخطبون في المحافل اليهود ويغازلون اليهود.

إلى متى سيظل هذا الضباب الاشتراكي العربي الكثيف يعمي ابصـارنا ، في حين ان ام الاشتراكية العالمية في الاتحاد السوفياتي اصبحت قليلة الحذر في

مرعاة ادنى اصول اللياقة والحرص في لعبتها المزدوجـة الخبيثة في الوسط العربي ...

وسنترك ختام هذا الكتاب لرأي محايـد ، رأي كبرى مجلات الرأي المسيحي البروتستانتي في العالم كله –جريدة «كريستيان ساينس مونتير» في مقال نشرته في عدد ٢٩ ابريل من العـام ١٩٦٦ لمراسلها في تل ابيب – فرانسيس هوفنز، وقد نشر المقال تحت عنوان «ديوان الجليد الاحمر في علاقات السوفيات باسرائيل . »

« ... الادلة والقرائن والحقائق تتراكم وتزداد يوماً بعد يوم لتؤكد بان علاقات اسرائيل بالاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي في اوربا الشرقية قد دخلت في طور جدي فيه كل النفع لأسرائيل .»

« ففي الشهر القادم (مايو ١٩٦٦) سينعقد في وارسو عاصمة بولنـدة اول مؤتمر للدبلوماسيين الاسرائيليين في اوروبا الشرقية برئاسة « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل ..

« ومثل هذا المؤتمر الاسرائيلي كان امراً مستحيلاً وقوعه قبـل بضعة اعوام ، خصوصاً وان المفروض في دول المعسكر الاشتراكي انهـا خصم للسياسة الاسرائيلية ..

« ... والواقـع ان المتابع للسياسة الاسرائيلية يدرك مدى حذق الاسرائيليين في ستر ادق العلاقات واخطرها بينهم وبين الاتحـاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي ، خشية تعكير جو الصفاء والمودة والنفوذ البليغ الذي لزعيمة الاشتراكيين (الاتحاد السوفياتي) في البلدان العربية .

« .. فاسرائيل تدرك كل الادراك بان هذا النفوذ السوفياتي نافع لهـا اشد النفع ، فكلما انساقت المشاعر والعقول والسياسة العربية في كنف الاشتراكية الدولية وتحت رعاية الاتحاد السوفياتي كلما ازداد يقين اسرائيل بان سلامتها

في الشرق الاوسط اكثر ضماناً وثبوتاً .. »

« ... ومن نماذج الدهاء الدبلوماسي الاسرائيلي انها تؤيد سياسة السوفيات فيما يتعلق بالمانيا الغربية مثلا بدون ان تثير الضجة الـتي يثيرها العرب . فاسرائيل مع الاتحاد السوفياتي في حصر المانيا الغربية في حدودها الراهنـة ومع ذلك لم تستاء حكومة بون او الشعب الالماني من هذا الموقف الاسرائيلي المعادي لهم ، وينـدفع الالمان في معونة اسرائيل مالياً وعسكرياً . وما ذلك إلا ان حكومة تل ابيب لا تثير الضجة الدعاوية حول مواقفها الدبلوماسية كما يثيره القاهرة مثلا وقد اعطت هذه السياسة الاسرائيلية ثماراً جميلة للمصلحة اليهودية . فلا حكومة بون غاضبة عليها ولا حكومة موسكو معادية لها . بل ان اواصر الصداقة والزمالة بين موسكو وتل ابيب وثيقـة وثوق القانع والواثق من التعامل الصامت الهادىء ..

« .. والخلاصة ان سياسة السوفيات المزدوجة نحو العرب واليهـود ، تعطي لكل منهما لساناً جميلاً، ليست دليلا على حنكة الدبلوماسية السوفياتية ولكن على غباوة الجانب العربي الذي لا يعرف او لا يريد ان يعرف مـا يعطي السوفيات لليهود باليد اليمنى من ود وعون ووحدة حال ، في حين ان اليد السوفياتية اليسرى تصافح الاشتراكيين العرب .

« إلى متى ستستمر هذه الدبلوماسية السوفياتية على هذا اللعب المزدوج على الحبلين ؟ يقول الاسرائيليون انهم لا يشكون ادنى شك في حسن نوايا موسكو نحوهم اليوم كما كان بالأمس وكما سيظل في المستقبـل .. والعبرة في انهزام الدبلوماسية السوفياتية المزدوجة هـو في مـدى ادراك الوسط العربي القومي والديني لها ..

« ... فلا يكض السوفيات شططاً في أنهم يغزون الوضع العربي بالعقيدة الماركسية ، وانمـا يتجاوز السوفيات المنطق ويلفحون صميم مصالحهم حين

يتجاهلون ان ذلك الوضع العربي ليس على مستوى الغباوة التي يحسب السوفيات انها صفة تلازم الجماعة العربية ..

« .. فلقد اثبت العرب في جميع الأزمنة بأنهم أصعب مراساً من يطول خداع الاخرين لهم . ومهما كانت طاقات العربية ضعيفة في تقلبات التاريخ ، فان عقيدة العرب وميراثهم الروحي والثقافي كانت دوماً مصدر ذخيرة هائلة الانفجار تكفي لتحطيم كل ألوان الغزو الأجنبي وخصوصاً في الناحية العقائدية والدينية ..

« فالشرق منبع الأديان . ومن الصعب جداً على أي غزو أجنبي ماركسي أو صهيوني ان يتغلب في المرحلة النهائية على العقائد العربية بمختلف مذاهبها . هذه حقيقة تاريخية ثابتة .

« .. والمسألة الآن تتوقف على ميعاد يقظة أهل الشرق العربي لهذا النوع من الغش والخداع العقائدي والسياسي ..»

« .. وأكبر الظن ان اليقظة العربية على وشك الانتفاض ... فالعملاق الروحي الحاسم في الميراث العربي بكل مذاهبه اخذ يتحرك . وقد أثبت حق في حقبات الضعف العربي أنه قادر على ان يصون ذلك الميراث مهما كان الخصم الدخيل قوياً أو داهية أو معسول اللسان او ملتوي الأساوب ..»

الفهرست

		صفحة
تمهيد	: كيف عالج البلشفيك الشؤون العربية	٥
الفصل الأول	: لمحة عن تاريخ السياسة السوفياتية نحو الشرق العربي	١٧
الفصل الثاني	: منذ البدء : دور اليهود في سياسة السوفيات	٢٤
الفصل الثالث	: الشوط الأول : في الامم المتحدة	٥٦
الفصل الرابع	: العودة الى الجمعية العامة والبيعة للتقسيم	١١٧
الفصل الخامس	: أمريكا تتراجع عن التقسيم والسوفيات يناضلون من أجله	١٣٧
الفصل السادس	: خديعة الهدنة	١٥٨
الفصل السابع	: واشنطون تقر الوصاية الدولية، وموسكو تلح على الاعتراف باسرائيل	١٧١
الفصل الثامن	: شهر الهدنة	١٨٤
الفصل التاسع	: مساعي السوفيات لحضانة اسرائيل عسكرياً	٢٢١
الفصل العاشر	: مناورة السوفيات لحمل الأمم المتحدة على الاعتراف باسرائيل	٢٢٩
الفصل الحادي عشر	: السوفيات يكافحون مسعى برنادوت لانصاف العرب	٢٤١
الفصل الثاني عشر	: السوفيات وقضية اللاجئين العرب	٢٥٩

صفحة

الفصل الثالث عشر : الكر والفر السوفياتيان في مأساة اللاجئين ٢٧٩

الفصل الرابع عشر : معارضة السوفيات لعروبة الجليل والنقب ٢٩٠

الفصل الخامس عشر : معركة الفالوجا ٣١٨

الفصل السادس عشر : لجنة التوفيق ومهازل أخرى ٣٢٩

الفصل السابع عشر : المشهد الأخير : دخول اسرائيل في عضوية الأمم المتحدة ٣٤٨

الفصل الثامن عشر : موقف السوفيات من قضية عودة اللاجئين ٣٥٧

الفصل التاسع عشر : قضية اللاجئين وعودتهم ٣٦٢

الفصل العشرون : موقف الاحزاب الشيوعية في مولد اسرائيل ٣٦٧

الفصل الحادي والعشرون : خط الظل بين الشيوعيين والاشتراكيين العرب ٣٧٥

الفصل الثاني والعشرون : مؤتمر باندونغ ونقطة التحول في العلاقات السوفياتية الناصرية ٣٩٥

الفصل الثالث والعشرون : حاضر العلاقات السوفياتية والاسرائيلية من ١٩٥٦ الى الآن ٤١٠

الفهرست ٤٧٦

الاشتراكيون العرب والشيوعية الدولية

كتاب هام يبحث في وحدة القوى الثورية من موسكو الى اليساريين العرب

الاسلام بين موسكو والاشتراكيات العربية

منشورات

دار الكتاب الجديد